(فهرسة الجزء الرابع من تاريخ الكامل)

الجزء الرابع من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن على ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين رحمه الله

{وبهامشه التاريخ المسمى باخبار الدول وآثار الاول للعلامة الفاضل}
{أبي العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني وغيره}

(تمت)

وسقا عظيما وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم وأما ابن أبي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيأ صنع مثله ليس له همة الا في النساء واللهو وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب فان أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فان هو فعلها بك فظفرت به فقطعه اربا اربا واحقن دماء قومك ما استطعت هكذا في هذه الرواية ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وليس بصحيح فان عبد الرحمن بن أبي بكر كان قد مات قبل معاوية وقيل ان يزيد كان غائبا في مرض أبيه وموته وان معاوية أحضر الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري فامرهما ان يؤديا عنه هذه الرسالة الى يزيد ابنه وهو الصحيح ثم مات بدمشق لهلال رجب وقيل للنصف منه وقيل لثمان بقين منه وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما مذ اجتمع له الامر وبايع له الحسن بن علي وقيل كان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وقيل وثلاثة أشهر الا أياما وكان عمره خمسا وسبعين سنة وقيل ثلاثا وسبعين سنة وقيل توفي وهو ابن ثمان وسبعين سنة وقيل خمس وثمانين وقيل لما اشتدت علته وأرجف به قال لاهله احشوا عيني اثمدا وادهنوا رأسي ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن ثم مهد له مجلس وأذن للناس فسلموا قياما ولم يجلس أحد فلما خرجوا عنه قالوا هو أصح الناس فقال معاوية عند خروجهم من عنده

وتجلدي للشامتين أريهم * اني لريب الدهر لا أتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وكان به التفاتات فمات من يومه فلما حضرته الوفاة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساني قميصا فحفظته وقلم أظفاره يوما فاخذت قلامته فجعلتها في قارورة فاذا مت فألبسوني ذلك القميص واسحقوا تلك القلامة وذروها في عيني وفي فمي فعسى الله أن يرحمني ببركتها ثم تمثل بشعر الاشهب بن زميلة النهشلي

اذا مت مات الجود وانقطع الندى * من الناس الا من قليل مصرد
وردت أكف السائلين وأمسكوا * من الدين والدنيا بخلف مجدد

فقالت احدى بناته كلا يا أمير المؤمنين بل يدفع الله عنك فقال متمثلا بشعر الهذلي واذا المنية البيت وقال لاهله اتقوا الله فانه لا واقي لمن لا يتقي الله ثم قضى وأوصى ان يرد نصف ماله الى بيت المال كانه أراد أن يطيب له الباقي لان عمر قاسم عماله وأنشد لما حضرته الوفاة

ان تناقش يكن نقاشك يا رب * عذابا لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فانت رب صفوح * عن مسيء ذنوبه كالتراب

ولما اشتد مرضه أخذت ابنته رملة رأسه في حجرها وجعلت تقليه فقال انك لتقلينه حولا قلبا ١
جمع المال من شب الى دب فليته لا يدخل النار ثم تمثل

لقد سعيت لكم من سعي ذي نصب * وقد كفيتكم التطواف والرحلا

وبلغه ان قوما يفرحون بموته فانشد

فهل من خالدان ما هلكنا * وهل بالموت يا للناس عار

وكان في مرضه ربما اختلط في بعض الاوقات فقال مرة كم بيننا وبين الغوطة فصاحت بنته واحزناه فأفاق فقال ان تنفري فقد رأيت منفرا فلما مات خرج الضحاك بن قيس حتى صعد المنبر

كذا في الصحيح

والمدافع فاظهر السلطان مسالمة صاحب قسطنطينية وذلك في سنة ست وخمسين وثمانمائة ثم طلب من طرف بلاده أرضا مقدار جلد ثور يهبها له فاستقل ذلك قسطنطين وقال سبحان الله ما يفعل به فهو له فارسل السلطان المزبور شكر الله سعيه المبرور جماعة البنائين والصناع فاجتازوا الخليج الداخل من بحر نيطش وهو البحر الاسود الى بحر الروم فقدوا جلد الثور قدا رقيقا فبسطوه على وجه الارض على أضيق محل من فم الخليج فبنوا على القدر الذي احاطه ذلك الجلد سورا منيعا شامخا وصوامع رفيعا بالاحجار وركب فيها المدافع الرعدية والمكاحل الشهابية ثم بنى السلطان المجاهد في مقابلة ذلك الحصن في بر اناطولي حصنا آخر وهو طرف بلاده فشحنها بالآلات النارية والمرامي الرعدية حتى ضبط فم الخليج فلم يقدر بسالكه بعد شيء من مراكب البحر الاسود الى القسطنطينية والى بحر الروم ثم ثنى عزمه الى مدينة ادرنة فامر بانشاء دار السعادة الجديدة فشرعوا في بنائها ثم أمر بسبك المدافع الكبار وعمل المكاحل لاجل فتح

بسم الله الرحمن الرحيم

(ثم دخلت سنة ستين)

في هذه السنة كانت غزوة مالك بن عبد الله سورية ودخول جنادة رودس وهدمه مدينتها في قول بعضهم وفيها توفي معاوية بن أبي سفيان وكان قد أخذ على وفد أهل البصرة البيعة ليزيد

(ذكر وفاة معاوية بن أبي سفيان)

خطب معاوية قبل مرضه وقال اني كزرع مستحصد وقد طالت امرتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي ولن يأتيكم بعدي الا من أنا خير منه كما أن من قبلي كان خيرا مني وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه اللهم اني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي وبارك لي فيه فلم يمض غير قليل حتى ابتدأ به مرضه فلما مرض المرض الذي مات فيه دعا ابنه يزيد فقال يا بني اني قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الامور وذللت لك الاعداء واخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك ما لم يجمعه أحد فانظر أهل الحجاز فانهم أصلك وأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب وانظر أهل العراق فان سألوك ان تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل فان عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك فان رابك من عدوك شيء فانتصر بهم فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام الى بلادهم فانهم ان أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم واني لست أخاف عليك ان ينازعك في هذا الامر الا أربعة نفر من قريش الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر فاما ابن عمر فانه رجل قد وقذته العبادة فاذا لم يبق أحد غيره بايعك وأما الحسين بن علي فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فان خرج وظفرت به فاصفح عنه فان له رحما ماسة

وحقا

ولولى مكانه ولده

(الملك المجاهد أبو المعالي السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان)

جلس على سرير الملك بعد وفاة أبيه بعهد منه اليه وكان عمره اذ ذاك تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة ايام وهو السلطان الكامل الفاضل النبيل أعظم الملوك جهادا واقواهم اقداما واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله تعالى واعتمادا وهو الذي أسس ملك بني عثمان وقنن لهم قوانين وصارت كالطوق في اجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار باقية في صفحات الليالي والايام ومآثر لا يمحوها تعاقب السنين والاعوام ولما تسلطن خرج الى قتال صاحب قرمان فخاف منه صاحب قرمان وصالحه فعاد الى مقر ملكه ثم لم يكن له هم الا فتح المدينة الكبرى قسطنطينية العظمى فشرع في مهماتها ومقدماتها وهي من أعظم البلدان وأكبرها اهلا وأمنعها حصنا لانها احاطها البحر من كل صوب الا الطرف الغربي وهو طرف يسير وقد حصنوه بثلاثة أسوار وعدة خنادق يجري فيها ماء البحر مع ما فيها من المكاحل

وكان سبب ذلك ان معاوية امر لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم وكتب له بذلك الى زياد ففتح
عمرو الكتاب وصير المائة مائتين فلما رفع زياد حسابه انكرها معاوية وطلبها من عمرو وحبسه
فقضاها عنه اخوه عبد الله بن الزبير فاحدث عند ذلك معاوية ديوان الخاتم وحزم الكتب
ولم تكن تحزم قال عمر بن الخطاب تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية قيل
وقدم عمرو بن العاص من مصر على معاوية ومعه اهل مصر فقال لهم عمرو لا تسلموا على معاوية
بالخلافة فانه اهيب لكم في قلبه وصغروا ما استطعتم فلما قدموا قال معاوية لحجابه كاني
بابن النابغة وقد صغر امري عند القوم فانظروا اذا دخل القوم فتعتعوهم أشد ما يحضركم
فكان اول من دخل عليه رجل منهم يقال له ابن الخياط فقال السلام عليك يا رسول الله
وتتابع القوم على ذلك فلما خرجوا قال لهم عمرو لعنكم الله نهيتكم ان تسلموا عليه بالامارة
فسلمتم عليه بالنبوة قيل ودخل عبيد الله بن ابي بكرة على معاوية ومعه ولد له فاكثر من الاكل
فلحظه معاوية وفطن عبيد الله واراد ان يغمز ابنه فلم يرفع راسه حتى فرغ من الاكل ثم عاد
عبيد الله وليس معه ابنه فقال معاوية ما فعل ابنك التلقامة قال اشتكى قال قد علمت ان اكله
سيورثه داء قال جويرية بن اسماء قدم ابو موسى الاشعري على معاوية في برنس اسود فقال
السلام عليك يا امين الله قال وعليك السلام فلما خرج قال معاوية قدم الشيخ لاوليه والله
لا اوليه وقال عمرو بن العاص لمعاوية ألست انصح الناس لك قال بذلك نلت ما نلت وقال
جويرية بن اسماء كان بسر بن ارطاة عند معاوية فنال من علي وزيد بن عمر بن الخطاب
حاضر وامه ام كلثوم بنت علي فعلاه بالعصا وشجه فقال معاوية لزيد عمدت الى شيخ قريش
وسيد اهل الشام فضربته واقبل على بسر فقال تشتم عليا وهو جده وهو ابن الفاروق على
رؤس الناس اترى ان يصبر على ذلك فارضاهما جميعا وقال معاوية اني لارفع نفسي من ان
يكون ذنب اعظم من عفوي وجهل اكبر من حلمي وعورة لا اواريها بستري واساءة اكثر من
احساني وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن اخي انك قد لهجت بالشعر فاياك والنسيب
بالنساء فتعر الشريفة والهجاء فتعر كريما وتستثير لئيما والمدح فانه طعمة الوقاح ولكن افخر
بمفاخر قومك وقل من الامثال ما تزين به نفسك وتؤدب به غيرك قال عبد الله بن صالح قيل
لمعاوية اي الناس احب اليك قال اشدهم لي تحبيبا الى الناس وقال معاوية العقل والحلم
أفضل ما أعطي العباد فاذا ذكر واذا أعطي شكر واذا ابتلي صبر واذا غضب كظم واذا
قدر غفر واذا اساء استغفر واذا وعد انجز قال عبد الله بن عمير اغلظ لمعاوية رجل فاكثر فقيل
له أتحلم عن هذا فقال اني لا احول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا وقال محمد
ابن عامر لام معاوية عبد الله بن جعفر على الغناء فدخل عبد الله على معاوية ومعه بديح
ومعاوية قد وضع رجلا على رجل فقال عبد الله لبديح ايها يا بديح فتغنى فحرك معاوية رجله فقال
عبد الله مه يا امير المؤمنين فقال معاوية ان الكريم طروب قال ابن عباس ما رايت اخلق للملك
من معاوية ان كان ليرد الناس منه ارجاء وادرحب ولم يكن كالضيق الحصحص الحصر يعني ابن
الزبير وكان مغضبا وقال صفوان بن عمرو مر عبد الملك بقبر معاوية فوقف عليه فترحم فقال
رجل قبر من هذا فقال قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم ويسكت عن حلم اذا اعطى

فكانوا حصروها وغفلوا
عن هذه الجهة لامر يريده
الله تعالى فشرع المسلمون
في الحصار والقتال من جهة
البر والبحر مدة احد وخمسين
يوما حتى أعيا المسلمين أمرها
وكان أهل قسطنطينية لما
سمعوا بقصد المسلمين اليهم
استمدوا من الافرنج فامدوهم
بجيش عظيم وعدد وقوة
وكان السلطان محمد خان
قد أرسل وزيره أحمد باشا
ابن ولي الدين باشا قبل
هذا التاريخ الى خدمة
العارف بالله الشيخ آق
شمس الدين والى خدمة
الشيخ آق بيق يدعوهما
للجهاد والحضور معه في فتح
قسطنطينية فحضرا وبشر
الشيخ شمس الدين الوزير
المذكور بالنصر وقال
ستفتح قسطنطينية ان شاء
الله تعالى على يد المسلمين
في هذا العام وانهم
سيدخلونها من الموضع
الفلاني في اليوم الفلاني
من هذا العام وقت الضحوة
الكبرى وأنت تكون
حينئذ واقفا عند السلطان
محمد فبشر الوزير السلطان
بما بشر به الشيخ من خبر
الفتح فلما صار ذلك الوقت
الموعود له ولم تفتح القلعة
حصل للوزير خوف شديد
من جهة السلطان فذهب

واكفان معاوية على يديه فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان معاوية كان عود العرب وحد العرب وجد العرب قطع الله به الفتنة وملكه على العباد وفتح به البلاد الا انه قد مات وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ثم هو الهرج الى يوم القيامة فمن كان يريد يشهده فعند الاولى وصلى عليه الضحاك وقيل لما اشتد مرضه أى مرض معاوية كان ولده يزيد بحوارين فكتبوا اليه يحثونه على المجىء ليدركه فقال يزيد شعرا

جاء البريد بقرطاس يخب به * فاوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى كتابكم * قال الخليفة أمسى مثبتا وجعا
ثم انبعثنا الى خوص مزممة * نرمى الفجاج بها لا نأتلى سرعا
فمادت الارض أوكادت تميد بنا * كان اغبر من اركانها انقطعا
من لم تزل نفسه توفى على شرف * توشك مقاليد تلك النفس ان تقعا
لما انتهينا وباب الدار منصفق * وصوت رملة ريع القلب فانصدعا
ثم ارعوى القلب شيأ بعد طيرته * والنفس تعلم ان قد اثبتت جزعا
أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه * كانا جميعا فباتا قاطنين معا
اغر أبلج يستسقى الغمام به * لو قارع الناس عن احسابهم قرعا

فاقبل يزيد وقد دفن فاتى قبره فصلى عليه

(ذكر نسبه وكنيته وأزواجه وأولاده)

أما نسبه فهو معاوية بن أبى سفيان واسم ابى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب وكنيته ابو عبد الرحمن واما نساؤه وولده فمنهن ميسون بنت بحدل بن انيف الكلبية ام يزيد ابنه وقيل ولدت بنتا اسمها امة رب المشارق فماتت صغيرة ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف فولدت له عبد الرحمن وعبد الله ابنى معاوية وكان عبد الله احمق اجتاز يوما بطحان وبغله يطحن وفى عنقه جلاجل فسأل عن الجلاجل فقال جعلتها فى عنقه لاعلم ان قد قام فلم تدر الرحا فقال ارايت ان قام وحرك راسه كيف تعلم فقال الطحان ان بغلى ليس له عقل مثل عقل الامير واما عبد الرحمن فمات صغيرا ومنهن نائلة ابنة عمارة الكلبية تزوجها وقال لميسون انظرى اليها فنظرت اليها وقالت رايتها جميلة ولكنى رايت تحت سرتها خالا ليوضعن راس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها حبيب بن مسلمة الفهرى ثم خلف عليها بعده النعمان بن بشير وقتل فوضع رأسه فى حجرها ومنهن كنوة بنت قرظة أخت فاختة غزا قبرس وهى معه فماتت هناك

(ذكر بعض سيرته واخباره وقضاته وكتابه)

لما بويع معاوية بالخلافة استعمل على شرطته قيس بن حمزة الهمدانى ثم عزله واستعمل زمل ابن عمرو العذرى وقيل السكسكى وكان كاتبه وصاحب امره سرجون الرومى وعلى حرسه رجل من الموالى يقال له المختار وقيل ابو المخارق مالك مولى حمير وكان اول من اتخذ الحرس وكان على حجابه سعد مولاه وعلى القضاء فضالة بن عبيد الانصارى فمات فاستقضى ابا ادريس الخولانى وكان على ديوان الخاتم عبد الله بن محصن الحميرى وكان اول من اتخذ ديوان الخاتم

وكان

مدينة قسطنطينية فاكثروا منها ثم لما تكاملت الآلات والاسباب المتعلقة بالقتال نهض فى اوائل شهر جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعسكر كثير وجيش كبير وعزم صارم ورأى حازم فى اسعد أوقات الحركات متوكلا على فائض الخير والبركات نخيم على قسطنطينية ونازلها من طرف الشمال وكان له أربعمائة غراب قد أنشأها هو وأبوه قبل ذلك التاريخ فارسلها عند الحصن الذى أنشأه على مقدار جلد الثور الموسوم بيغزكسن فامر تلك الاغربة فسحبت الى البر بعد ان جعلت تحتها دواليب تجرى عليها كالعجلة وشحنها بالرجال والابطال ثم أمر بنشر قلاعها فنشرت فى ريح شديدة موافقة فساروا فى البر على هذه الهيئة حتى انصبوا الى الخليج الواقع شمالى البلد من طرف مدينة غلطة فامتلأ الخليج من تلك الاغربة ثم قربوا بعضها من بعض وربطوها بالسلاسل فصارت جسرا ممدودا ومعبرا للمسلمين وكان أهل البلد آمنين من هذه الجهة ولم يحصنوها وانما كان خوفهم من جهة البر

حتى أتى منزله فقال مروان للوليد عصيتني لا والله لا يمكنك من نفسه بمثلها أبدا فقال الوليد ويح غيرك يا مروان والله ما احب ان لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها واني قتلت حسينا ان قال لا أبايع والله اني لأظن ان امرأ يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة قال مروان قد أصبت يقول له هذا وهو غير حامد له على رأيه وأما ابن الزبير فقال الآن آتيكم ثم أتى داره فكمن فيها ثم بعث اليه الوليد فوجده قد جمع أصحابه واحترز فألح عليه الوليد وهو يقول امهلوني فبعث اليه الوليد مواليه فشتموه وقالوا له يا ابن الكاهلية لتأتين الامير أو ليقتلنك فقال لهم والله لقد استربت لكثرة الارسال فلا تعجلوني حتى أبعث الى الامير من يأتيني برأيه فبعث اليه أخاه جعفر بن الزبير فقال رحمك الله كف عن عبد الله فانك قد افزعته وذعرته وهو يأتيك غدا ان شاء الله تعالى فمر رسلك فلينصرفوا عنه فبعث اليهم فانصرفوا وخرج ابن الزبير من ليلته فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث وساروا نحو مكة فسرح الرجال في طلبه فلم يدركوه فرجعوا وتشاغلوا به عن الحسين ليلتهم ثم أرسل الرجال الى الحسين فقال لهم اصبحوا ثم ترون ونرى وكانوا يبقون عليه فكفوا عنه فسار من ليلته وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة وأخذ معه بنيه واخوته وبني اخيه وجل أهل بيته الا محمد بن الحنفية فانه قال له يا أخي أنت أحب الناس الي وأعزهم علي ولست اذخر النصيحة لاحد من الخلق أحق بها منك تنح ببيعتك عن يزيد وعن الامصار ما استطعت وابعث رسلك الى الناس وادعهم الى نفسك فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك وان أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك اني أخاف ان تأتي مصرا وجماعة من الناس فيختلفوا عليك فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لاول الاسنة فاذا خير هذه الامة كلها نفسا وابا واما أضيعها دما واذلها أهلا قال الحسين فأين اذهب يا أخي قال انزل مكة فان اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك وان نأت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال وخرجت من بلد الى بلد حتى تنظر الى ما يصير أمر الناس ويفرق لك الرأي فانك أصوب ما يكون رأيا وأحزمه عملا حين تستقبل الامور استقبالا ولا تكون الامور أبدا اشكل منها حين تستدبرها قال يا اخي قد نصحت وأشفقت وأرجو ان يكون رأيك سديدا وموفقا ان شاء الله ثم دخل المسجد وهو يتمثل بقول يزيد بن مفرغ

لا ذعرت السوام في شفق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا

يوم أعطى من المهانة ضيما * والمنايا يرصدنني ان أحيدا

فلما سار الحسين نحو مكة قرأ فخرج منها خائفا يترقب الآية فلما دخل مكة قرأ ولما توجه تلقاء مدين الآية ثم ان الوليد أرسل الى ابن عمر ليبايع فقال اذا بايع الناس بايعت فتركوه وكانوا يتخوفونه وقيل ان ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا الى المدينة فلقيهما الحسين وابن الزبير فسألاهما ما وراءكما فقالا موت معاوية وبيعة يزيد فقال ابن عمر لا تفرقا جماعة المسلمين وقدم هو وابن عباس المدينة فلما بايع الناس بايعا قال ودخل ابن الزبير مكة وعليها عمرو بن سعيد فلما دخلها قال انا عائذ بالبيت ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يفيض بافاضتهم وكان يقف هو وأصحابه ناحية

من الاموال والاسباب والدواب ما لم يسمع بمثله في عصر من الاعصار لان السلطان المشاهد الى والقتور من العسكر في الحصار أمر بان ينادى ان الغنائم كلها لهم ويكفيني فتح المدينة فلما بلغهم ذلك بذلوا جهدهم واجتهدوا حتى يسر الله لهم فتح المدينة فلما شاع خبر هذا الفتح في الآفاق هابه ملوك العالم فارسل اليه صاحب مصر وصاحب العجم وصاحب الغرب بالمكاتبات والمراسلات يهنونه بالفتح ولاشك ان هذا الفتح من أعظم الفتوحات الجليلة وكم من رام من الخلفاء والملوك فتح هذه المدينة وصرفوا همهم وبذلوا جهدهم وأموالهم وافنوا أعمارهم وعساكرهم فلم ينالوه وانما خبأه الله تعالى لهذا السلطان الجليل والملك الجميل لكونه اعلم الملوك وأعدلهم وأحسنهم سيرة وأخلصهم نية وطوية وضمن بعضهم هذا المعنى في تاريخ الفتح فقال

وام أمر الفتح قوم أولون
حازه بالنصر قوم آخرون

وقع لفظة آخرون تاريخ فتح المدينة بعدد حساب الحروف وقيل في تاريخها

اغنى واذا حارب افنى ثم عجل له الدهر ما اخره لغيره من بعده هذا قبر ابى عبد الرحمن معاوية ومعاوية أول خليفة بايع لولده فى الاسلام وأول من وضع البريد وأول من سمى الغالية التى تتخذ من الطيب غالية وأول من عمل المقصورة فى المساجد وأول من خطب جالسا فى قول بعضهم

(ذكر بيعة يزيد)

قيل وفى رجب من هذه السنة بويع يزيد بالخلافة بعد موت ابيه على ما سبق من الخلاف فيه فلما ولى كان على المدينة الوليد بن عتبة بن ابى سفيان وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص وعلى البصرة عبيد الله بن زياد وعلى الكوفة النعمان بن بشير ولم يكن ليزيد همة الا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته فكتب الى الوليد يخبره بموت معاوية وكتابا آخر صغيرا فيه اما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة أخذا ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام فلما اتاه نعى معاوية فظع به وكبر عليه وبعث الى مروان بن الحكم فدعاه وكان مروان عاملا على المدينة من قبل الوليد فلما قدمها الوليد كان مروان يختلف اليه متكارها فلما رأى الوليد ذلك منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه ولم يزل مصارما له حتى جاءه نعى معاوية فلما عظم على الوليد هلاكه وما أمر به من بيعة هؤلاء النفر استدعى مروان فلما قرأ الكتاب بموت معاوية استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد كيف يصنع قال أرى ان تدعوهم الساعة وتأمرهم بالبيعة فان فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وان أبوا ضربت أعناقهم قبل ان يعلموا بموت معاوية فانهم ان علموا بموته وثب كل رجل منهم بناحية وأظهر الخلاف ودعا الى نفسه اما ابن عمر فلا يرى القتال ولا يحب ان يلى على الناس الا ان يدفع اليه هذا الامر عفوا فارسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث الى الحسين وابن الزبير يدعوهما فوجدهما فى المسجد وهما جالسان فاتاهما فى ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس فقال اجيبا الامير فقالا انصرف الآن نأتيه وقال ابن الزبير للحسين ما تراه بعث الينا فى هذه الساعة التى لم يكن يجلس فيها فقال الحسين اظن ان طاغيتهم قد هلك فبعث الينا ليأخذنا بالبيعة قبل ان يفشو فى الناس الخبر فقال وانا ما اظن غيره فما تريد ان تصنع قال الحسين اجمع فتيانى الساعة ثم امشى اليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه قال فانى اخافه عليك اذا دخلت قال لا آتيه الا وأنا قادر على الامتناع فقام فجمع اليه اصحابه وأهل بيته ثم اقبل على باب الوليد وقال لاصحابه انى داخل فاذا دعوتكم او سمعتم صوتى قد علا فادخلوا على باجمعكم والا فلا تبرحوا حتى أخرج اليكم ثم دخل فسلم ومروان عنده فقال الحسين الصلة خير من القطيعة والصلح خير من الفساد وقد آن لكما ان تجتمعا اصلح الله ذات بينكما وجلس فاقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه الى البيعة فاسترجع الحسين وترحم على معاوية وقال اما البيعة فان مثلى لا يبايع سرا ولا يجتزى بها منى سرا فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الامر واحدا فقال له الوليد وكان يحب العافية انصرف فقال له مروان لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبسه فان بايع والا ضربت عنقه فوثب عند ذلك الحسين وقال ابن الزرقاء أأنت تقتلنى ام هو كذبت والله واثمت ثم خرج

الى الشيخ فمنعوه من الدخول اليه لانه أوصى جماعته ان لا يدخلوا عليه أحدا فرفع الوزير اطناب الخيمة فنظر فاذا الشيخ ساجد على التراب ورأسه مكشوف وهو يتضرع ويبكى فما رفع الوزير رأسه الا وقد قام الشيخ على رجليه وكبر فقال الحمد لله الذى منحنا فتح هذه المدينة قال الوزير فنظرت الى جانب المدينة فاذا العسكر قد دخلوا باجمعهم ففتح الله ببركة دعائه فى ذلك الوقت الذى كان اشار به وكانت دعوته تخرق السبع الطباق فلما دخل السلطان محمد خان المدينة نظر الى جانبه فاذا وزيره ابن ولى الدين واقف عنده فقال هذا ما اخبر به الشيخ وقال ما فرحت بهذا الفتح وانما فرحى بوجود مثل هذا الرجل فى زمانى ومن مناقب هذا الشيخ انه كان طبيبا يداوى الابدان كما هو طبيب لداء الارواح يحكى ان الاعشاب كانت تناديه وتقول له انا أنفع من المرض الفلانى وكان فتح المدينة نهار الاربعاء العشرين من جماى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكانت ايام محاصرته احدا وخمسين يوما فغنم المسلمون

وكتبوا اليه عن نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وحبيب
ابن مظاهر وغيرهم بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما
بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الامة فابتزها أمرها وغصبها
فيئها وتأمر عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وانه ليس علينا امام فأقبل لعل
الله ان يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد
ولو بلغنا اقبالك الينا اخرجناه حتى نلحقه بالشام ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته وسيروا الكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال ثم كتبوا اليه كتابا آخر
وسيروه بعد ليلتين فكتب الناس معه نحوا من مائة وخمسين صحيفة ثم ارسلوا اليه رسولا ثالثا
يحثونه على المسير اليهم ثم كتب اليه شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن
رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي بذلك فكتب اليهم
الحسين عند اجتماع الكتب عنده اما بعد فقد فهمت كل الذي اقتصصتم وقد بعثت اليكم
بأخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب الي بحالكم وأمركم ورأيكم
فان كتب الي أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم
اليكم وشيكا ان شاء الله فلعمري ما الامام الا العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين
الحق والسلام واجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية
بنت سعد وكانت تتشيع وكان منزلها لهم مألفا يتحدثون فيه فعزم يزيد بن نبيط على الخروج
الى الحسين وهو من عبد القيس وكان له بنون عشرة فقال أيكم يخرج معي فخرج معه ابنان
له عبد الله وعبيد الله فساروا فقدموا عليه بمكة ثم ساروا معه فقتلوا معه ثم دعا الحسين مسلم بن
عقيل فسيره نحو الكوفة وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فان رأى الناس مجتمعين له
عجل اليه بذلك فأقبل مسلم الى المدينة فصلى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وودع أهله
واستأجر دليلين من قيس فأقبلا به فضلا الطريق وعطشوا ومات الدليلان من العطش وقالا
لمسلم هذا الطريق الى الماء فكتب مسلم الى الحسين اني اقبلت الى المدينة واستأجرت دليلين
فضلا الطريق واشتد علينا العطش فماتا واقبلنا حتى انتهينا الى الماء فلم ننج الا بحشاشة
أنفسنا وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت وقد تطيرت فان رأيت اعفيتني وبعثت
غيري فكتب اليه الحسين اما بعد فقد خشيت ان لا يكون حملك على الكتاب الي الا الجبن
فامض لوجهك والسلام فسار مسلم حتى اتى الكوفة ونزل في دار المختار وقيل غيرها واقبلت
الشيعة تختلف اليه فكلما اجتمعت اليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فيبكون ويعدونه
من أنفسهم القتال والنصرة واختلفت الشيعة حتى علم بمكانه وبلغ ذلك النعمان بن بشير وهو
أمير الكوفة فصعد المنبر فقال اما بعد فلا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فان فيهما تهلك الرجال
وتسفك الدماء وتغصب الاموال وكان حليما ناسكا يحب العافية ثم قال اني لا اقاتل من لم
يقاتلني ولا أثب على من لا يثب علي ولا انبه نائمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا
التهمة ولكنكم ان ابديتم صفحتكم ونكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله الذي لا اله غيره
لاضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن لي منكم ناصر ولا معين اما اني ارجو ان يكون

ظاهر رخام عليه خط عبراني
فقرأه من يعرفه وفسره فاذا
هو قبر أبي ايوب الانصاري
فتحير السلطان محمد خان
وغلب عليه الحال حتى كاد
ان يسقط لولا ان أمسكوه
ثم أمر ببناء القبة عليه وامر
ببناء الجامع والحجرات
والتمس من الشيخ آق شمس
الدين ان يجلس في ذلك
المكان مع توابعه فامتنع
واستأذن بالرجوع الى
وطنه قصبة كوينك فاذن
له السلطان تطييبا لقلبه ولما
دخل المسلمون الى مدينة
قسطنطينية ارسل صاحب
غلطه مفاتيح قلعتها ففتحت
ودخلها المسلمون وتسارعوا
الى مسجدها القديم الذي
كان بناه مسلمة بن عبد الملك
يوم حصرها وكان الكفار
صيروه كنيسة لهم كما سيأتي
بيان ذلك في محله ان شاء الله
تعالى وفي هذه السنة بعث
اهل مدينة سلوري وهي
من امنع الحصون واحسنها
موقعا بمفتاح قلعتها وكذلك
بعث بمفتاح قلعة رغوسي
بقرب أدرنه وسلك هذا
المسلك كثير من اهل
القلاع بعد ما بلغهم فتح
القسطنطينية وفي سنة ستين
وثمانمائة غزا السلطان محمد
خان بلاد انكروس وانتصر
عليهم واجرح كبيرهم

(ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمرو بن سعيد)

في هذه السنة عزل الوليد بن عتبة عن المدينة عزله يزيد واستعمل عليها عمرو بن سعيد الاشدق فقدمها في رمضان فدخل عليه أهل المدينة وكان عظيم الكبر واستعمل على شرطته عمرو بن الزبير لما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء فارسل الى نفر من أهل المدينة فضربهم ضربا شديدا لهواهم في أخيه عبد الله منهم أخوه المنذر بن الزبير وابنه محمد بن المنذر وعبد الرحمن ابن الاسود بن عبد يغوث وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم فضربهم الاربعين الى الخمسين الى الستين فاستشار عمرو بن سعيد عمرو بن الزبير فيمن يرسله الى أخيه فقال لا توجه اليه رجلا أنكا له مني فجهز معه الناس وفيهم أنيس بن عمرو الاسلمي في سبعمائة فجاء مروان بن الحكم الى عمرو بن سعيد فقال له لا تغز مكة واتق الله ولا تحل حرمة البيت وخلوا ابن الزبير فقد كبر وله ستون سنة وهو لجوج فقال عمرو بن الزبير والله لنغزونه في جوف الكعبة على رغم انف من رغم وأتى أبو شريح الخزاعي الى عمرو فقال له لا تغز مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالامس فقال له عمرو نحن اعلم بحرمتها منك ايها الشيخ فسار أنيس في مقدمته وقيل ان يزيد كتب الى عمرو ابن سعيد ان يرسل عمرو بن الزبير الى اخيه عبد الله ففعل فارسله ومعه جيش نحو ألفي رجل فنزل انيس بذي طوى ونزل عمرو بالابطح فارسل عمرو الى أخيه ان يمين يزيد وكان حلف ان لا يقبل بيعته الا أن يؤتى به في جامعة وتعال حتى اجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى ولا يضرب الناس بعضهم بعضا فانك في بلد حرام فارسل عبد الله بن الزبير عبد الله بن صفوان نحو أنيس فيمن معه من أهل مكة ممن اجتمع اليه فهزمه ابن صفوان بذي طوى وأجهز على جريحهم وقتل أنيس بن عمرو وسار مصعب بن عبد الرحمن الى عمرو بن الزبير فتفرق عن عمرو اصحابه فدخل دار ابن علقمة فاتاه أخوه عبيدة فاجاره ثم أتى عبد الله فقال له اني قد اجرت عمرا فقال أتجير من حقوق الناس هذا ما لا يصلح وما أمرتك ان تجير هذا الفاسق المستحل لحرمات الله ثم اقاد عمرا من كل من ضربه الا المنذر وابنه فانهما أبيا ان يستقيدا ومات تحت السياط

(ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيين الحسين بن علي ليسير اليهم وقتل مسلم بن عقيل)

لما خرج الحسين من المدينة الى مكة لقيه عبد الله بن مطيع فقال له جعلت فداءك أين تريد قال أما الآن فمكة وأما بعد فاني أستخير الله قال خار الله لك وجعلنا فداءك فاذا أتيت مكة فاياك ان تقرب الكوفة فانها بلدة مشؤمة بها قتل أبوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه الزم الحرم فانك سيد العرب لا يعدل بك أهل الحجاز أحدا ويتداعى اليك الناس من كل جانب لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك فاقبل حتى نزل مكة وأهلها يختلفون اليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين وأهل الآفاق وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف ويأتي الحسين فيمن يأتيه ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو اثقل خلق الله على ابن الزبير لان أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين باقيا بالبلد ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير عن البيعة أرجفوا بيزيد واجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي فذكروا مسير الحسين الى مكة

وكتبوا

أيضا بلدة طيبة ٨٥٧ وهي كذلك في طيب الهواء وعذوبة الماء وهي من الاقليم الخامس بينها وبين مكة المكرمة ألف ميل وثلثمائة وثمانون ميلا ونصف ميل ولما دخل السلطان المدينة سارع بالتوجه الى كنيستها العظمى اياصوفية فدخلها وطهرها من خبائث الكفر وصلى فيها ودعا الله تعالى وحمده وأثنى عليه وجعلها مسجدا جامعا للمسلمين وعين لها أوقافا ومرتبات ثم ان السلطان محمد خان التمس من الشيخ شمس الدين ان يريه موضع قبر أبي أيوب الانصاري فقال الشيخ اني شاهدت في موضع نورا على قبره هنالك فجاء اليه وتوجه زمانا ثم قال اجتمعت مع روحه فهنأني بهذا الفتح وقال شكر الله سعيكم الذي خلصتموني به من ظلمة الكفر فأخبر السلطان بذلك فحضر بنفسه الى هنالك فقال التمس منك يا مولانا الشيخ ان تريني علامة أراها بعيني ويطمئن بذلك قلبي فتوجه الشيخ ساعة ثم قال احفروا في هذا الموضع وهو من جانب الرأس من القبر مقدار ذراعين يظهر لكم رخام عليه خط عبراني فلما حفروا

كالوالد البر ولطيعكم كالاخ الشقيق وسيفي وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه ثم نزل فأخذ العرفاء والناس اخذا شديدا وقال اكتبوا الي الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق فمن كتبهم الي فبرئ ومن لم يكتب لنا أحدا فليضمن لنا ما في عرافته ان لا يخالفنا فيهم مخالف ولا يبغي علينا منهم باغ فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله وايما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه الينا صلب على باب داره وألقيت تلك العرافة من العطاء وسير الى موضع بعمان الزارة ثم نزل وسمع مسلم بمقالة عبيد الله فخرج من دار المختار وأتى دار هانئ بن عروة المرادي فدخل بابه واستدعى هانئا فخرج اليه فلما رآه كره مكانه فقال له مسلم أتيتك لتجيرني وتضيفني فقال له هانئ لقد كلفتني شططا ولولا دخولك داري لاحببت ان تنصرف عني غير انه يأخذني من ذلك ذمام ادخل فآواه فاختلفت الشيعة اليه في دار هانئ ودعا ابن زياد مولى له واعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له اطلب مسلم بن عقيل وأصحابه والقهم وأعطهم هذا المال وأعلمهم انك منهم واعلم اخبارهم ففعل ذلك وأتى مسلم بن عوسجة الاسدي بالمسجد فسمع الناس يقولون هذا يبايع للحسين وهو يصلي فلما فرغ من صلاته قال له يا عبد الله اني امرؤ من أهل الشام انعم الله علي بحب اهل هذا البيت وهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني انه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعت نفرا يقولون انك تعلم امر هذا البيت واني أتيتك لتقبض المال وتدخلني على صاحبك أبايعه وان شئت اخذت بيعتي له قبل لقائي اياه فقال لقد سرني لقاؤك اياي لتنال الذي تحب وينصر الله بك اهل بيت نبيه وقد ساءني معرفة الناس هذا الامر مني قبل ان يتم مخافة هذا الطاغية وسطوته فأخذ بيعته والمواثيق المعظمة ليناصحن وليكتمن واختلف اليه اياما ليدخله على مسلم بن عقيل ومرض هانئ بن عروة فأتاه عبيد الله يعوده فقال له عمارة بن عبد السلولي انما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية وقد امكنك الله فاقتله فقال هانئ ما احب ان يقتل في داري وجاء ابن زياد فجلس عنده ثم خرج فما مكث الا جمعة حتى مرض شريك بن الاعور وكان قد نزل على هانئ وكان كريما على ابن زياد وعلى غيره من الامراء وكان شديد التشيع قد شهد صفين مع عمار فارسل اليه عبيد الله اني رائح اليك العشية فقال لمسلم ان هذا الفاجر عائدي العشية فاذا جلس اخرج اليه فاقتله ثم اقعد في القصر ليس احد يحول بينك وبينه فان برئت من وجعي سرت الى البصرة حتى اكفيك امرها فلما كان من العشي اتاه عبيد الله فقام مسلم بن عقيل ليدخل فقال له شريك لا يفوتنك اذا جلس فقال هانئ بن عروة لا احب ان يقتل في داري فجاء عبيد الله فجلس وسأل شريكا عن مرضه فأطال فلما راى شريك ان مسلما لا يخرج خشي ان يفوته فأخذ يقول * ما تنظرون بسلمى لا تحيوها * اسقونيها وان كانت بها نفسي فقال ذلك مرتين او ثلاثا فقال عبيد الله ما شأنه ترونه يخلط فقال له هانئ نعم ما زال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه فانصرف وقيل ان شريكا لما قال اسقونيها وخلط كلامه فطن به مهران فغمز عبيد الله فوثب فقال له شريك ايها الامير اني أريد ان اوصي اليك فقال اعود

قسطموني وعلى سينوب وعلى قلعة طرابزون ثم توجه الى بلاد الكرج فعاث عسكره فيها وغنموا منها اشياء كثيرة وفي سنة خمس وستين وثمانمائة جهز السلطان من جهة البحر عمارة عظيمة الى فتح جزيرة مدللو وكان قد كثر الضرر منها للمسلمين في البحر فضبطوا جميع الجزيرة وصيروها دار الاسلام وشحنوها بالمسلمين وفي هذه السنة أمر السلطان محمد خان ببناء جامع في محلته المعروفة الان وثمان مدارس حوالي الجامع على ترتيب اطنف ثم بنى خلف المدارس الثمان تتمات للمدارس ذات حجرات كثيرة للطلبة المستعدين واستجلب العلماء الكبار من اقصى الديار وانعم عليهم وعطف باحسانه اليهم مثل مولانا على القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الرباني مولانا الكوراني وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام وقنن قوانين تطابق المعقول والمنقول وجعل لهم مراتب يرتقون اليها ويصعدون بالتمكن والاعتبار عليها الى ان وصلوا الى سعادة الدنيا ويتصلوا بها أيضا الى سعادة العقبى

من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل فقام اليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية فقال انه لا يصلح ما ترى الا الغشم ان هذا الذي أنت عليه رأى المستضعفين فقال أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب الي من ان أكون من الأعزين في معصية الله ونزل فكتب عبد الله بن مسلم الى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة الناس له ويقول له ان كان لك في الكوفة حاجة فابعث اليها رجلا قويا ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك فان النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف وكان هو أول من كتب اليه ثم كتب اليه عمارة ابن الوليد بن عقبة وعمرو بن سعد بن أبي وقاص بنحو ذلك فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية فاقرأه الكتب واستشاره فيمن يوليه الكوفة وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد فقال له سرجون أرأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه قال نعم فاخرج عهد عبيد الله على الكوفة فقال هذا رأى معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب فأخذ برأيه وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله وكتب اليه بعهده وسيره اليه مع مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة فامره بطلب مسلم بن عقيل وبقتله أو نفيه فلما وصل كتابه الى عبيد الله أمر بالتجهز ليبرز من الغد وكان الحسين قد كتب الى أهل البصرة نسخة واحدة الى الاشراف فكتب الى مالك بن مسمع البكري والاحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمر بن عبيد الله بن معمر يدعوهم الى كتاب الله وسنة رسوله وان السنة قد ماتت والبدعة قد أحييت فكلهم كتموا كتابه الا المنذر بن الجارود فانه خاف ان يكون دسيسا من ابن زياد فأتاه بالرسول والكتاب فضرب عنق الرسول وخطب الناس وقال اما بعد فوالله ما بي تقرن الصعبة وما يقعقع لي بالشنان واني لنكل لمن عاداني وسلم لمن حاربني وانصف القارة من راماها يا أهل البصرة ان امير المؤمنين قد ولاني الكوفة وأنا غاد اليها بالغداة وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد فاياكم والخلاف والارجاف فوالله لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لاقتلنه وعريفه ووليه ولآخذن الادنى بالاقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق واني انا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم ثم خرج من البصرة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وشريك بن الاعور الحارثي وحشمه وأهل بيته وكان شريك شيعيا وقيل كان معه خمسمائة فتساقطوا عنه فكان أول من سقط شريك ورجوا ان يقف عليهم ويسبقه الحسين الى الكوفة فلم يقف على أحد منهم حتى دخل الكوفة وحده فجعل يمر بالمجالس فلا يشكون انه الحسين فيقولون مرحبا بك يا ابن رسول الله وهو لا يكلمهم وخرج اليه الناس من دورهم فساءه ما رأى منهم وسمع النعمان فاغلق عليه الباب وهو لا يشك انه الحسين وانتهى اليه عبيد الله ومعه الخلق يصيحون فقال له النعمان انشدك الله الا تنحيت عني فوالله ما أنا بمسلم اليك امانتي ومالي في قتالك من حاجة فدنا منه عبيد الله وقال له افتح لا فتحت فسمعها انسان خلفه فرجع الى الناس وقال لهم انه ابن مرجانة ففتح له النعمان فدخل واغلقوا الباب وتفرق الناس واصبح فجلس على المنبر وقيل بل خطبهم من يومه فقال اما بعد فان أمير المؤمنين ولاني مصركم وثغركم وفيئكم وأمرني بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم وبالاحسان الى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم وعاصيكم وانا متبع فيكم أمره ومنفذ فيكم عهده فانا لمحسنكم

تبوتها منكرا حتى آل عاقبة امره ان توفي منه ثم سار فنزل مدينة بامرادمدة ثم ارتحل منها لمصادفة الشتاء ووقوع بعض فتن في البلاد الاسلامية وفي سنة ثمان وخمسين وثمانمائة امر السلطان ببناء دار السعادة العتيقة بقرب الجامع الذي أنشأه السلطان بايزيدخان وهي أول دار انشأتها الملوك العثمانية في مدينة قسطنطينية وفي سنة احدى وستين وثمانمائة غزا السلطان محمد بلاد موره فافتتحها واستولى عليها وصيرها دار الاسلام واسكن فيها طائفة من العرب ثم غلب عليهم الروم فتنصر جماعة منهم ورحل جماعة عنها ثم عاد السلطان لما بلغه ذلك وافتتح نحو ستين قلعة لم يدخلها مسلم قط وبالجملة لم يبق في بلاد موره حصن حتى فتحه وفي هذه السنة خاف على نفسه من صولة السلطان محمد خان صاحب سينوب الامير قزل احمد بن اسفنديار بن بايزيد الرومي ولحق الى سلطان العجم حسن بيك الطويل يستنجده ويحركه على المسير على السلطان محمد خان كما فعل سلفه فلما بلغ السلطان ذلك سار الى بلاد اسفنديار واستولى على مدينة

البارقة حول دارك وهو يرى أن عشيرته ستمنعه فقال يا بارقة تخوفني وقيل ان هانئا لما رأى
ذلك الرجل الذي كان عينا لعبيد الله علم انه قد أخبره الخبر فقال أيها الامير قد كان الذي بلغك
وان أضيع يدك عندي وأنت آمن واهلك فسر حيث شئت فاطرق عبيد الله عند ذلك ومهران
قائم على رأسه وفي يده معكزة فقال واذلاه هذا الحائك يؤمنك في سلطانك فقال خذه فأخذ
مهران ضفيرتي هانئ وأخذ عبيد الله القضيب ولم يزل يضرب انفه وجبينه وخده حتى كسر
انفه وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب وضرب هانئ
يده الى قائم سيف شرطي وجبذه فمنع منه فقال له عبيد الله احروري احللت بنفسك وحل لنا
قتلك ثم أمر به فألقي في بيت واغلق عليه فقام اليه اسماء بن خارجة فقال ارسل يا غادر أمرتنا ان
نجيئك بالرجل فلما أتيناك به هشمت وجهه وسيلت دماءه وزعمت انك تقتله فأمر به عبيد الله
فلهز وتعتع ثم ترك فجلس فأما ابن الاشعث فقال رضينا بما رأى الامير لنا كان أو علينا
وبلغ عمرو بن الحجاج ان هانئا قد قتل فأقبل في مذحج حتى احاطوا بالقصر ونادى انا عمرو بن
الحجاج هذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة فقال عبيد الله لشريح
القاضي وكان حاضرا ادخل على صاحبهم فانظر اليه ثم اخرج اليهم فاعلمهم انه حي فدخل شريح
فلما دخل عليه قال له هانئ يا للمسلمين اهلكت عشيرتي أين اهل الدين اين أهل النصر ايحذرونني
عدوهم وابن عدوهم وسمع الضجة فقال يا شريح اني لاظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين
انه ان دخل علي عشرة نفر انقذوني فخرج شريح ومعه عين ارسله ابن زياد قال شريح لولا
مكان العين لابلغتهم قول هانئ فلما خرج شريح اليهم قال قد نظرت الى صاحبكم وانه حي لم
يقتل فقال عمرو وأصحابه اذ لم يقتل فالحمد لله ثم انصرفوا وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في
أصحابه يا منصور امت وكان شعارهم وكان قد بايعه ثمانية عشر الفا وحوله في الدور اربعة آلاف
فاجتمع اليه ناس كثير فعقد مسلم لعبد الله بن عزيز الكندي على ربع كندة وقال سر امامي وعقد
لمسلم بن عوسجة الاسدي على ربع مذحج واسد وعقد لابي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان
وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة واقبل نحو القصر فلما بلغ ابن زياد اقباله تحرز
في القصر واغلق الباب واحاط مسلم بالقصر وامتلأ المسجد والسوق من الناس وما زالوا
يجتمعون حتى المساء وضاق بعبيد الله امره وليس معه في القصر الا ثلاثون رجلا من الشرط
وعشرون رجلا من الاشراف واهل بيته ومواليه واقبل اشراف الناس يأتون ابن زياد من
قبل الباب الذي يلي دار الروميين والناس يسبون ابن زياد وأباه فدعا ابن زياد كثير بن شهاب
الحارثي وامره ان يخرج فيمن اطاعه من مذحج فيسير ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم
وامر محمد بن الاشعث ان يخرج فيمن اطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية امان لمن جاءه من
الناس وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن ابجر العجلي وشمر
ابن ذي الجوشن الضبابي وترك وجوه الناس عنده استئناسا بهم لقلة من معه وخرج اولئك
النفر يخذلون الناس وامر عبيد الله من عنده من الاشراف ان يشرفوا على الناس من القصر
فمنوا اهل الطاعة وخوفوا اهل المعصية ففعلوا فلما سمع الناس مقالة اشرافهم اخذوا
يتفرقون حتى ان المرأة تأتي ابنها واخاها وتقول انصرف الناس يكفونك ويفعل الرجل مثل

وسماها آق حصار واودع
فيها من المدافع والمكاحل
ما يقيها وفي سنة اثنتين
وسبعين وثمانمائة تعصب
السلطان محمد خان على
صاحب قونية ولارندة
أحمد بيك بن قرمان فانتزع
الملك منه وفوض بلاد
قرمان لابنه السلطان
مصطفى ثم استولى على بعض
قلاع عاصية هناك مثل
قلعة اركلي وقلعة آقسراي
وقلعة كولك وقلعة كولي
وسلم الجميع الى ابنه المذكور
وفي سنة ست وسبعين
وثمانمائة بعث صاحب
العجم حسن بيك الطويل
يوسفجه بيك مع عسكر
التاتار الى نهب بلاد ابن
عثمان فجاؤوا ونهبوا مدينة
توقات واضرموا فيها النار
واحرقوها ثم اغتر بذلك
يوسفجه بيك فهجم على بلاد
قرمان واغار عليها وكان
واليها يومئذ السلطان
مصطفى وكان شجيعا الى
الغاية فقابل العدو وقاتله
وهزمه واسر رئيسهم
يوسفجه بيك وكبله
في الحديد وارسله مع عدة
اسارى من الامراء الى
أبيه السلطان محمد خان
فكان ذلك عنوان الفتح
ومقدمة النصر وفي سنة
سبع وسبعين وثمانمائة
استجاش كل من الملكين

اليك فقال له مهران انه أراد قتلك فقال وكيف مع اكرامى له وفى بيت هانئ ويد أبى عنده فقال له
مهران هو ما قلت لك فلما قام ابن زياد خرج مسلم بن عقيل فقال له شريك ما منعك من قتله قال
خصلتان اما احداهما فكراهية هانئ ان يقتل فى منزله واما الاخرى فحديث حدثه على عن النبى
صلى الله عليه وسلم ان الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن بمؤمن فقال له هانئ لو قتلته لقتلت
فاسقا فاجرا كافرا غادرا ولبث شريك بعد ذلك ثلاثا ثم مات فصلى عليه عبيد الله فلما علم عبيد الله
ان شريكا كان حرض مسلما على قتله قال والله لا اصلى على جنازة عراقى أبدا ولولا ان قبر زياد
فيهم لنبشت شريكا ثم ان مولى ابن زياد الذى دسه بالمال اختلف الى مسلم بن عوسجة بعد موت
شريك فادخله على مسلم بن عقيل فأخذ بيعته وقبض ماله وجعل يختلف اليهم ويعلم أسرارهم
وينقلها الى ابن زياد وكان هانئ قد انقطع عن عبيد الله بعذر المرض فدعا عبيد الله محمد بن
الاشعث واسماء بن خارجة وقيل دعا معهما عمرو بن الحجاج الزبيدى فسألهم عن هانئ
وانقطاعه فقالوا انه مريض فقال بلغنى انه يجلس على باب داره وقد برأ فالقوه فمروه ان لا يدع
ما عليه فى ذلك فأتوه فقالوا له ان الامير قد سأل عنك وقال لو أعلم انه شاك لعدته وقد بلغه انك
تجلس على باب دارك وقد استبطأك والجفاء لا يحتمله السلطان اقسمنا عليك لو ركبت معنا فلبس
ثيابه وركب معهم فلما دنا من القصر احست نفسه بالشر فقال لحسان بن اسماء بن خارجة يا ابن
أخى انى لهذا الرجل لخائف فما ترى فقال ما تخوف عليك شيأ فلا تجعل على نفسك سبيلا ولم
يعلم اسماء مما كان شيأ واما محمد بن الاشعث فانه علم به قال فدخل القوم على ابن زياد وهانئ
معهم فلما رآه ابن زياد قال لشريح القاضى اتتك بخائن رجلاه فلما دنا منه قال عبيد الله

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

وكان ابن زياد مكرما له فقال هانئ وما ذاك فقال يا هانئ ما هذه الامور التى تربص فى دارك لامير
المؤمنين والمسلمين جئت بمسلم فادخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت ان ذلك يخفى لك
قال ما فعلت قال بلى وطال بينهما النزاع فدعا ابن زياد مولاه ذلك العين فجاء حتى وقف بين يديه
فقال أتعرف هذا قال نعم وعلم هانئ انه كان عينا عليهم فسقط فى يده ساعة ثم راجعته نفسه قال
اسمع منى وصدقنى فوالله لا أكذبك والله ما دعوته ولا علمت بشئ من أمره حتى رأيته جالسا
على بابى يسألنى النزول على فاستحييت من رده ولزمنى من ذلك ذمام فادخلته دارى وضفته وقد
كان من أمره الذى بلغك فان شئت اعطيتك الآن موثقا تطمئن به ورهينة تكون فى يدك
حتى انطلق وأخرجه من دارى وأعود اليك فقال لا والله لا تفارقنى أبدا حتى تأتينى به قال لا
آتيك بضيفى تقتله أبدا فلما كثر الكلام قام مسلم بن عمرو الباهلى وليس بالكوفة شامى ولا بصرى
غيره فقال خلنى واياه حتى أكلمه لما رأى من لجاجه وأخذ هانئا وخلا به ناحية من ابن زياد
بحيث يراهما فقال له يا هانئ انشدك الله ان تقتل نفسك وتدخل البلاء على قومك ان هذا الرجل
ابن عم القوم وليسوا بقاتليه ولا ضائريه فادفعه اليه فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة انما
تدفعه الى السلطان قال بلى والله ان على فى ذلك خزيا وعارا ان ادفع ضيفى وانا صحيح شديد
الساعد كثير الاعوان والله لو كنت واحدا ليس لى ناصر لم ادفعه حتى أموت دونه فسمع ابن
زياد ذلك فقال أدنوه منى فادنوه منه فقال والله لتأتينى به او لاضربن عنقك قال اذن والله تكثر

وعين للارامل والايتام فى
كل سنة من النفقة والكسوة
ما يفى لهم وقد اتفق الفراغ
من بنائه فى رجب سنة
خمس وسبعين وثمانمائة وفى
سنة ثمان وخمسين وثمانمائة
غزا السلطان بلاد بوسنه
بعسكر كثير وقاتلهم اشد
القتال واستولى على عامة
بلادهم وصيرها دار الاسلام
ولم يقسم للكفار بعد ذلك
قائم هنالك ثم بعد ما مهد
أمور تلك البلاد صوب
عنان عزيمته الى فتح بلاد
ارنود وهم صنف من
النصارى يتصبرون على
المحن ويتكلفون الاعمال
الشاقة قيل اصلهم من عرب
الشام من بنى غسان ارتحلوا
من الشام بعد ما آتى الله بها
الاسلام فقدموا من هنالك
الى هذه البلاد وتوطنوا
بها فازدادوا وكثروا وقيل
هم طائفة من عرب البربر
عبروا البحر الى هذا
الصوب مع يعقوب بن
منصور الموحدى فبقوا
فيها مدة ولم يزالوا بها حتى
غلب عليهم الجهل فتنصروا
ثم ان السلطان دخل بلاد
ارنود فنهبها واستولى على
عدة قلاع هنالك وأمر ببناء
قلعة حصينة فى ثغر عظيم
هنالك كالسد بيننا وبين
الكفار وشحنها بالرجال

البارقة

عليك بأس قال وما هو الا الرجاء اين امانكم ثم بكى فقال له عمرو بن عبد الله بن عباس السلمي من يطلب مثل الذي تطلب اذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك فقال ما أبكي لنفسي ولكني أبكي لاهلي المقبلين اليكم ابكي للحسين وآل الحسين ثم قال لمحمد بن الاشعث اني اراك ستعجز عن أماني فهل تستطيع ان تبعث من عندك رجلا يخبر الحسين بحالي ويقول له عني ارجع باهل بيته ولا يغره أهل الكوفة فانهم اصحاب ابيك الذين كان يتمنى فراقهم بالموت او القتل فقال له ابن الاشعث والله لافعلن ثم كتب بما قال مسلم الى الحسين فلقيه الرسول بزبالة فاخبره فقال كل ما قدر نازل عند الله نحتسب انفسنا وفساد امتنا وكان سبب مسيره من مكة كتاب مسلم اليه يخبره انه بايعه ثمانية عشر ألفا ويستحثه للقدوم واما مسلم فان محمدا اقدم به القصر ودخل محمد على عبيد الله فأخبره الخبر وبامانه له فقال له عبيد الله ما انت والامان ما ارسلناك لتؤمنه انما ارسلناك لتأتينا به فسكت محمد ولما جلس مسلم على باب القصر رأى جرة فيها ماء بارد فقال اسقوني من هذا الماء فقال له مسلم بن عمرو الباهلي اتراها ما أبردها والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم فقال له ابن عقيل من أنت قال انا من عرف الحق اذ تركته ونصح الامة والامام اذ غششته وسمع واطاع اذ عصيته انا مسلم بن عمرو فقال له ابن عقيل لامك الثكل ما اجفاك وافظك واقسى قلبك واغلظك انت يا ابن باهلة اولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني قال فدعا عمارة بن عقبة بماء بارد فصب له في قدح فأخذ ليشرب فامتلأ القدح دما ففعل ذلك ثلاثا فقال لو كان من الرزق المقسوم شربته وادخل على ابن زياد فلم يسلم عليه بالامارة فقال له الحرسي الا تسلم على الامير فقال ان كان يريد قتلي فاسلامي عليه وان كان لا يريد قتلي فليكثرن تسليمي عليه فقال له ابن زياد لعمري لتقتلن فقال كذلك قال نعم قال فدعني أوص الى بعض قومي قال افعل فقال لعمر بن سعد ان بيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة وهي سر فلم يمكنه من ذكرها فقال له ابن زياد لا تمتنع من حاجة ابن عمك فقام معه فقال ان علي بالكوفة دينا استدنته انفقته سبعمائة درهم فاقضها عني وانظر جثتي فاستوهبها فوارها وابعث الى الحسين من يرده فقال عمر لابن زياد انه قال كذا وكذا فقال ابن زياد لا يخونك الامين ولكن قد يؤتمن الخائن اما مالك فهو لك تصنع به ما شئت واما الحسين فان لم يردنا لم نرده وان ارادنا لم نكف عنه واما جثته فانا لن نشفعك فيها وقيل انه قال اما جثته فانا اذا قتلناه لا نبالي ما صنع بها ثم قال لمسلم يا ابن عقيل اتيت الناس وامرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتت بينهم وتفرق كلمتهم فقال كلا ولكن أهل هذا المصر زعموا ان أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم اعمال كسرى وقيصر فاتيناهم لنأمر بالعدل وندعو الى حكم الكتاب والسنة فقال وما انت وذاك يا فاسق الم يكن يعمل بذلك فيهم اذ انت تشرب الخمر بالمدينة قال انا اشرب الخمر والله ان الله يعلم أنك تعلم أنك غير صادق واني لست كما ذكرت وان احق الناس بشرب الخمر مني من يلغ في دماء المسلمين فيقتل النفس التي حرم الله قتلها على الغضب والعداوة وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيأ فقال له ابن زياد قتلني الله ان لم اقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الاسلام قال اما انك احق من احدث في الاسلام ما ليس فيه اما انك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة ولا احد من الناس احق بها منك فشتمه ابن زياد وشتم الحسين وعليا وعقيلا فلم يكلمه مسلم ثم امر به فأصعد فوق القصر لتضرب رقبته

وزيره كذلك احمد باشا لفتح بلاد كفة فلما وصل اليها حاصرها حتى غلب عليها وفتحها ثم افتتح هنالك عدة قلاع وحصون وفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة سار الملك المجاهد السلطان محمد خان الى قتال كفار بغدان فخاف منه كبيرهم استفان النصراني فهرب الى اقصى بلاده فدخل السلطان بلاد بغدان فتوغل بها وقتل من قدر عليه فكانوا اكثر من ان يحصى واسر وسبى وغنم منهم اموالا لا تحصى حتى أذعن رئيسهم استفان المذكور بالطاعة واعطاء الجزية وفي سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة أمر السلطان بانشاء دار السعادة الجديدة في محلها المعروف الآن فشرع فيها فجاءت على أوسع مكان وبساتين وقصور ورتبه ترتيبا بحيث لم يدرك مثله (حكي) ان السلطان محمد خان الغازي امر ابنه السلطان بايزيد بان يبعث اليه بابنيه السلطان أحمد والسلطان سليم فلما قدما اليه جلس السلطان محمد خان على التخت وأخذهم من اذن كل منهما اليه فبكى السلطان سليم من شدة غضبه

ذلك فما زالوا يتفرقون حتى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلا فلما رأى ذلك خرج متوجها نحو أبواب كندة فلما خرج الى الباب لم يبق معه أحد فمضى في ازقة الكوفة لا يدري اين يذهب فانتهى الى باب امرأة من كندة يقال لها طوعة ام ولد كانت للاشعث واعتقها فتزوجها اسيد الحضرمي فولدت له بلالا وكان بلال قد خرج مع الناس وهي تنتظره فسلم عليها ابن عقيل وطلب الماء فسقته فجلس فقالت له يا عبد الله الم تشرب قال بلى قالت فاذهب الى اهلك فسكت فقالت له ثلاثا فلم يبرح فقالت سبحان الله انى لا أحل لك الجلوس على بابي فقال لها ليس لى في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك الى أجر ومعروف ولعلى أكافئك به بعد اليوم قالت وما ذاك قال انا مسلم ابن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني قالت ادخل فادخلته بيتا في دارها وعرضت عليه العشاء فلم يتعش وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في ذلك البيت فقال لها ان لك لشأنا في ذلك البيت وسألها فلم تخبره فألح عليها فاخبرته واستكتمته واخذت عليه الايمان بذلك فسكت واما ابن زياد فلما لم يسمع الاصوات قال لاصحابه انظروا هل ترون منهم احدا فنظروا فلم يروا احدا فنزل الى المسجد قبيل العتمة واجلس اصحابه حول المنبر وامر فنودي برئت الذمة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلى العتمة الا في المسجد فامتلأ المسجد فصلى بالناس ثم قام فحمد الله ثم قال اما بعد فان ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق فبرئت الذمة من رجل وجدناه في داره ومن أتانا به فله ديته وأمرهم بالطاعة ولزومها وأمر الحصين بن تميم ان يمسك أبواب السكك ثم يفتش الدور وكان على الشرط وهو من بني تميم ودخل ابن زياد وعقد لعمرو ابن حريث وجعله على الناس فلما أصبح جلس للناس ولما اصبح بلال ابن تلك العجوز التى آوت مسلم ابن عقيل الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فأخبره بمكان ابن عقيل فأتى عبد الرحمن اباه وهو عند ابن زياد فأسره بذلك فأخبر به محمد ابن زياد فقال له ابن زياد قم فأتني به الساعة وبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين من قيس حتى أتوا الدار التى فيها ابن عقيل فلما سمع الاصوات عرف انه قد أتى فخرج اليهم بسيفه حتى اخرجهم من الدار ثم عادوا اليه فحمل عليهم فأخرجهم مرارا وضرب بكير بن حمران الاحمرى فم مسلم فقطع شفته العليا وسقط ثنيتاه وضربه مسلم على رأسه وثنى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جوفه فلما رأوا ذلك اشرفوا على سطح البيت وجعلوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في القصب ويلقونها عليه فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فقاتلهم في السكة فقال له محمد بن الاشعث لك الامان فلا تقتل نفسك فأقبل يقاتلهم وهو يقول

اقسمت لا اقتل الا حرا * وان رأيت الموت شيأ نكرا
أو يخلط البارد سخنا مرا * رد شعاع الشمس فاستقرا
كل امرئ يوما يلاقى شرا * اخاف أن اكذب أو اغرا

فقال له محمد انك لا تكذب ولا تخدع القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضاريك وكان قد اثخن بالحجارة وعجز عن القتال فأسند ظهره الى حائط تلك الدار فأمنه ابن الاشعث والناس غير عمرو بن عبيد الله السلمى فانه قال لا ناقة لى في هذا ولا جمل وأتى ببغلة فحمل عليها وانتزعوا سيفه فكأنه ايس من نفسه فدمعت عيناه ثم قال هذا أول الغدر قال محمد ارجو ان لا يكون

سلطان الروم وصاحب العجم حسن الطويل الى قتال الآخر فسار كل من الملكين في عسكر ضخم كثيف لا يعدون وجيش عرمرم لا يعدون واتفق ملاقاتهما بقرب من بلدة بايورد فاقتتل الفريقان وامتزج العسكران وتصاول الاسود واختلط الاعلام والبنود ومال السلطان مصطفى وهو كالسيف الصارم والشجاع الحازم على طرف ولد سلطان العجم زينل شاه فقاتله قتالا شديدا حتى ظفر به وقتله فلما بلغ ذلك حسن الطويل انقصم ظهره وفنى صبره وانتصر العساكر المحمدية فلم يبق له مجال القرار حتى صوب عنان فرسه للفرار وجعل الجيوش العثمانية يطاردونهم ويقتلونهم ويأسرونهم حتى اسروا منهم عدة امراء كبار وقتلوا من عسكره ما تفرست المفاوز بجثثهم وابدانهم وجرت الشعاب والاودية بدمائهم وفاز السلطان محمد خان بالنصر والغنائم ثم سار الى قره حصار الشرقى وهى من بلاد حسن الطويل فاستولى عليها وادرجها فى جملة ممالكه وفى هذه السنة بعث السلطان محمد خان

انما دعوك اليهم وأمرهم عليهم قاهراهم وعماله تجبي بلادهم فانما دعوك الى الحرب ولا آمن عليك ان يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك فقال الحسين فانى استخير الله وانظر ما يكون فخرج ابن عباس وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة ثم قال ما أدرى ما تركنا هؤلاء القوم وقد كففنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الامر دونهم خبرنى ما تريد أن تصنع فقال الحسين لقد حدثت نفسى باتيانى الكوفة ولقد كتبت الى شيعتى بها وأشراف الناس واستخير الله فقال له ابن الزبير أما لو كان لى بها مثل شيعتك لما عدلت عنها ثم خشى ان يتهمه فقال له اما انك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الامر ههنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك فقال له الحسين ان أبى حدثنى ان لها كبشا به تستحل حرمتها فما أحب ان أكون انا ذلك الكبش قال فاقم ان شئت وتولينى أنا الامر فتطاع ولا تعصى قال ولا أريد هذا أيضا ثم انهما اخفيا كلامهما فالتفت الحسين الى من هنالك وقال أتدرون ما يقول قالوا لا ندرى جعلنا الله فداك قال انه يقول أقم فى هذا المسجد اجمع لك الناس ثم قال له الحسين والله لأن أقتل خارجا منها بشبر أحب الى من ان أقتل فيها ولان أقتل خارجا منها بشبرين أحب الى من ان أقتل خارجا منها بشبر وايم الله لو كنت فى جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا بى حاجتهم والله ليعتدن على كما اعتدت اليهود فى السبت فقام ابن الزبير فخرج من عنده فقال الحسين ان هذا ليس شئ من الدنيا احب اليه من ان اخرج من الحجاز وقد علم ان الناس لا يعدلونه بى فود أنى خرجت حتى يخلو اله قال فلما كان من العشى او من الغد اتاه ابن عباس فقال يا ابن عم انى أتصبر ولا أصبر انى اتخوف عليك فى هذا الوجه الهلاك والاستئصال ان أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم أقم فى هذا البلد فانك سيد أهل الحجاز فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب اليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم ثم اقدم عليهم فان ابيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعابا وهى أرض عريضة طويلة ولابيك بها شيعة وأنت عن الناس فى عزلة فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعاتك فانى أرجو ان يأتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية فقال له الحسين يا ابن عم انى والله لاعلم انك ناصح مشفق وقد ازمعت واجمعت المسير فقال له ابن عباس فان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك فانى لخائف ان تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه ثم قال له ابن عباس لقد اقررت عين ابن الزبير بخروجك من الحجاز وهو اليوم لا ينظر اليه أحد معك والله الذى لا اله الا هو لو اعلم انى ان أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس اطعتنى فاقمت لفعلت ذلك ثم خرج ابن عباس من عنده فمر بابن الزبير فقال قرت عينك يا ابن الزبير ثم أنشد قائلا

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضى واصفرى * ونقرى ما شئت ان تنقرى

هذا الحسين يخرج الى العراق ويخليك والحجاز قيل وكان الحسين يقول والله لا يدعونى حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفى فاذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة قال والفرام خرقة تجعلها المرأة فى قبلها اذا حاضت ثم خرج الحسين يوم التروية فاعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص وهو أمير على الحجاز ليزيد بن معاوية مع أخيه يحيى يمنعونه فأبى عليهم ومضى وتضاربوا بالسياط وامتنع الحسين وأصحابه وساروا فمروا بالتنعيم فرأى بها

فلما أوصى السلطان محمد بالملك لولده بايزيد خان وهو قد كان توجه فى ذلك العام الى سفر الحج فقيل له ذلك فقال والله ما أثنى عن هذا السفر أبدا وان ولدى قورقود ينوب عنى فى السلطنة الى ان أعود فاستقر قورقود على التخت نيابة عن والده وأحسن الى الجند واستمال خواطرهم وضاعف عطاياهم فاحبوه محبة عظيمة وكان سنه اذ ذاك اثنتى عشرة سنة فغاب السلطان بايزيد مدة تسعة أشهر فاقام شعار الملك السلطان قورقود وخطب له على المنابر وضرب على وجوه الدراهم والدنانير باسمه فلما عاد أبوه من الحج ووصل الى أزنيق مكث هنالك حتى استقبله ولده مع الوزراء والعساكر وخلع نفسه عن الملك ودعا له والده وانصرف الى مكانه مغتبطا وكان يقول والده هذه عارية السلطان قورقود واستقر فى الملك

(السلطان الغازى ضياء الدين بايزيد خان بن السلطان محمد خان)

جلس على سرير الملك فى ثامن عشر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وثمانمائة وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة وهو من أعيان السلاطين

ويتبعوا رأسه جسده فقال مسلم لابن الاشعث والله لولا امانك ما استسلمت قم بسيفك دوني قد اخفرت ذمتك فأصعد مسلم فوق القصر وهو يستغفر ويسبح وأشرف به على موضع الحدائين فضربت عنقه وكان الذي قتله بكير بن حمران الذي ضربه مسلم ثم أتبع رأسه جسده فلما نزل بكير قال له ابن زياد ما كان يقول وأنتم تصعدون به قال كان يسبح ويستغفر فلما اقتلته قلت له ادن مني الحمد لله الذي امكنني منك وافادني منك فضربته ضربة لم تغن شيأ فقال اما ترى في خدش تخدشنيه وفاء من دمك ايها العبد فقال ابن زياد وفخرا عند الموت قال ثم ضربته الثانية فقتلته وقام محمد بن الاشعث فكلم ابن زياد في هانئ وقال له قد عرفت منزلته في المصر وبيته وقد علم قومه اني أنا وصاحبي سقناه اليك فانشدك الله لما وهبته لي فاني أكره عداوة قومه فوعده ان يفعل فلما كان من مسلم ما كان بدا له وأمر بهانئ حين قتل مسلم فأخرج الى السوق فضربت عنقه قتله مولى تركي لابن زياد قال فبصر به عبد الرحمن بن الحصين المرادي بعد ذلك بخازر مع ابن زياد فقتله فقال عبد الله بن الزبير الاسدي في قتل هانئ ومسلم وقيل قاله الفرزدق (الزبير بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة)

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري * الى هانئ في السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه * وآخر يهوي من طمار قتيل

وهي ابيات وبعث ابن زياد برأسيهما الى يزيد فكتب اليه يزيد يشكره ويقول له وقد بلغني ان الحسين قد توجه نحو العراق فضع المراصد والمسالح واحترس واحبس على التهمة وخذ على الظنة غير ان لا تقتل الا من قاتلك قيل وكان مخرج ابن عقيل بالكوفة لثمان ليال مضين من ذي الحجة سنة ستين وقيل لتسع مضين منه قيل وكان فيمن خرج معه المختار بن ابي عبيد وعبد الله ابن الحرث بن نوفل فطلبهما ابن زياد وحبسهما وكان فيمن قاتل مسلما محمد بن الاشعث وشبث بن ربعي التميمي والقعقاع بن شور وجعل شبث يقول انتظروا بهم الليل لئلا يتفرقوا فقال له القعقاع انك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرقوا

(ذكر مسير الحسين الى الكوفة)

قيل لما اراد الحسين المسير الى الكوفة بكتب أهل العراق اليه أتاه عمر بن عبد الرحمن بن الحرث ابن هشام وهو بمكة فقال له اني أتيتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك فان كنت ترى انك مستنصحي قلتها واديت ما علي من الحق فيها وان ظننت انك لا مستنصحي كففت عما أريد فقال له قل فوالله ما استغششتك وما اظنك بشيء من الهوى قال له قد بلغني انك تريد العراق واني مشفق عليك انك تأتي بلدا فيه عماله وامراؤه ومعهم بيوت الاموال وانما الناس عبيد الدينار والدرهم فلا آمن عليك ان يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت احب اليه ممن يقاتلك معه فقال له الحسين جزاك الله خيرا يا ابن عم فقد علمت انك مشيت بنصح وتكلمت بعقل ومهما يقض من أمر يكن اخذت رأيك أو تركته وأنت عندي احمد مشير وأنصح ناصح قال وأتاه عبد الله بن عباس فقال له قد ارجف الناس انك سائر الى العراق فبين لي ما انت صانع فقال له قد اجمعت السير في احد يومي هذين ان شاء الله تعالى فقال له ابن عباس فاني أعيذك بالله من ذلك خبرني رحمك الله اتسير الى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فان كانوا فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا

فأمر السلطان باحضار طرائف التحف من الخزينة ليرضيه فرضي السلطان أحمد وقام وقبل يديه وأبي السلطان سليم ان يرضى ثم امر له بنفائس الاموال فاحضرت فاعطاها له ليرضى فلم يرض فعند ذلك قال له السلطان يا ولدي اصطلح معك فقال السلطان سليم والله ما أصطلح معك ان لي عليك حقا ابقيه الى يوم القيامة فانزعج السلطان وقال لو رزأته اعلموا ان ولدي هذا هو الذي يهلك هذا التخت ثم ختنهما وارسلهما الى والدتيهما فلما تم أمر الختان بدا للسلطان محمد خان ان يسافر الى بلاد اناطولي فقام وخيم بعسكره ظاهر اسكدار بسفح جبل هنالك يقال له مادل بسى فاتفق ان مرض السلطان مرض الموت فأوصى بالملك الى ولده بايزيد وذلك في سنة ست وثمانين وثمانمائة وتوفي ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الاول من السنة المذكورة فغسل وصلي عليه بجامعه الذي انشأه وكانت مدة ملكه استقلالا ابتداء احدى وثلاثين سنة وشهرين وعمره احدى وخمسون سنة

الحسين ثم قال لاصحابه من احب منكم ان يتبعني والا فانه آخر العهد وساحدثكم حديثا غزونا بالبحر ففتح علينا واصبنا غنائم ففرحنا وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا اذا ادركتم سيد شباب اهل محمد فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه بما اصبتم اليوم من الغنائم فاما انا فاستودعكم الله ثم طلق زوجته وقال لها الحقي باهلك فاني لا أحب ان يصيبك في سببي الا خير ولزم الحسين حتى قتل معه وأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل بالثعلبية فقال له بعض اصحابه ننشدك الله الا رجعت من مكانك فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف عليك ان يكونوا عليك فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نبرح حتى ندرك ثارنا او نذوق كما ذاق مسلم فقال الحسين لا خير في العيش بعد هؤلاء فقال له بعض اصحابه انك والله ما انت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس اليك أسرع ثم ارتحلوا فانتهوا الى زبالة وكان لا يمر بماء الا اتبعه من عليه حتى انتهى الى زبالة فاتاه خبر مقتل اخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر وكان سرحه الى مسلم ابن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله فاخذته خيل الحصين فسيره من القادسية الى ابن زياد فقال له اصعد فوق القصر والعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى ارى فيك رأيي فصعد فاعلم الناس بقدوم الحسين ولعن ابن زياد واباه فالقاه من القصر فتكسرت عظامه وبقي به رمق فاتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه فلما عيب ذلك عليه قال انما اردت ان اريحه قال بعضهم لم يكن الذي ذبحه عبد الملك بن عمير ولكنه رجل يشبه عبد الملك فلما اتى الحسين خبر قتل اخيه من الرضاعة ومسلم بن عقيل اعلم الناس ذلك وقال قد خذلنا شيعتنا فمن احب ان ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذمام فتفرقوا يمينا وشمالا حتى بقي في اصحابه الذين جاؤا معه من مكة وانما فعل ذلك لانه علم ان الاعراب ظنوا انه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة اهله فاراد ان يعلموا على ما يقدمون عليه ثم سار حتى نزل بطن العقبة فلقيه رجل من العرب فقال له انشدك الله لما انصرفت فوالله ما تقدم الا على الاسنة وحد السيوف ان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطؤا لك الاشياء فقدمت عليهم لكان ذلك رايا فاما على هذه الحال التي تذكر فلا ارى ان تفعل فقال انه لا يخفى علي ما ذكرت ولكن الله عز وجل لا يغلب على امره ثم ارتحل منها

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة حج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق وكان العامل على مكة والمدينة وفيها مات جرهد الاسلمي له صحبة وفي ايام معاوية مات حارثة بن النعمان الانصاري وهو بدري وفي ايامه ايضا مات دحية بن خليفة الكلبي الذي كان يشبهه جبريل اذا نزل بالوحي وفي اول خلافته مات رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان الانصاري وكان بدريا وشهد مع علي الجمل وصفين وفي ايامه مات عمرو بن امية الضمري بالمدينة وفي ايامه مات عثمان بن حنيف الانصاري وعثمان بن ابي العاص الثقفي وفي ايامه مات عتبان بن مالك الانصاري شهد بدرا وفي ايام معاوية مات سهل بن الحنظلية وهو ابن الربيع الانصاري بدمشق وفي ايامه بعد سنة سبع وخمسين مات السائب بن ابي وداعة السهمي ومات في ايامه سراقة بن عمرو الانصاري وهو بدري وفي ايامه مات زياد بن لبيد الانصاري في اولها وهو بدري وفي ايامه مات معقل بن يسار

من أجل بلادهم وأنزهها فلم يزل هنالك حتى اغتاله أخوه السلطان بايزيدخان بان بعث رجلا من خواص غلمانه وهو مصطفى باشا الوزير الذي استوزره بعده في صورة حلاق مجيد كأنه هارب من المسلمين فحظي عند ملك الافرنج ولم يزل عنده حتى وصفه الملك عند جم سلطان بانه ماهر في صنعة الحلاقة كامل في الخدمة فاستدعاه وأمر بحلق رأسه فحلقه وكان معه موسى مسمومة فاتفق انه توفي عقيب الحلق ولم يشك الافرنج في أنه مات حتف أنفه ثم تخلص الحلاق المذكور ولحق بالبلاد الاسلامية فحظي عند السلطان بايزيدخان بذلك الى الغاية فجعله وزيرا وفي سنة ثمان وثمانين وثمانمائة بنى السلطان المذكور لازال في عز وسرور بمدينة أدرنة على شط النهر الموسوم بتونجه جامعا ومدرسة ومأكلا ثم سار من الغد الى بلاد قره بغدان فافتتح قلعة كلي وقلعة آق كرمان وفيها فتحت قلعة ملوان وقلعة طرسوس وقلعة نقشه وقلعة كولك وفيها كان ابتداء الفتن بين السلطان بايزيد وبين السلطان قايتباي

عيرا قد أقبلت من اليمن بعث بها بحير بن ريسان من اليمن الى يزيد بن معاوية وكان عامله على اليمن وعلى العير الورس والحلل فأخذها الحسين وقال لأصحاب الابل من أحب منكم أن يمضي معنا الى العراق أوفينا كراءه وأحسنا صحبته ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا أعطيناه نصيبه من الكراء فمن فارق منهم أعطاه حقه ومن سار معه أعطاه كراءه وكساه ثم سار فلما انتهى الى الصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فقال له أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب فقال له الحسين بين لي خبر الناس خلفك قال الخبير سألت قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء فقال الحسين صدقت لله الامر يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا في شأن ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وان حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته قال وأدرك الحسين كتاب عبد الله ابن جعفر مع ابنيه عون ومحمد وفيه أما بعد فاني أسألك بالله لما انصرفت حين تقرأ كتابي هذا فاني مشفق عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ان هلكت اليوم طفئ نور الارض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فاني في أثر كتابي والسلام قيل وقام عبد الله بن جعفر الى عمرو بن سعيد فقال له اكتب للحسين كتابا تجعل له الامان فيه وتمنيه فيه البر والصلة واسأله الرجوع وكان عمرو عامل يزيد على مكة ففعل عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد ومع عبد الله بن جعفر فلحقاه وقرآ عليه الكتاب وجهدا أن يرجع فلم يفعل وكان مما اعتذر به اليهما أن قال اني رأيت رؤيا رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرت فيها بأمر أنا ماض له علي كان أو لي فقالا ما تلك الرؤيا قال ما حدثت بها أحدا وما أنا محدث بها أحدا حتى ألقى ربي ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن نمير التميمي صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية الى خفان وما بين القادسية الى القطقطانة والى جبل لعلع فلما بلغ الحسين الحاجر كتب الى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوي يعرفهم قدومه ويأمرهم بالجد في أمرهم فلما انتهى قيس الى القادسية أخذه الحصين فبعث به الى ابن زياد فقال له ابن زياد اصعد القصر فسب الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذا الحسين ابن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا رسوله اليكم وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه ثم لعن ابن زياد وأباه واستغفر لعلي فأمر به ابن زياد فرمي من أعلى القصر فتقطع فمات ثم أقبل الحسين يسير نحو الكوفة فانتهى الى ماء من مياه العرب فاذا عليه عبد الله ابن مطيع فلما رآه قام اليه فقال بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أقدمك فاحتمله فأنزله فأخبره الحسين فقال له عبد الله أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الاسلام أن تنتهك أنشدك الله في حرمة قريش أنشدك الله في حرمة العرب فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحدا أبدا والله انها لحرمة الاسلام وحرمة قريش وحرمة العرب فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبني أمية فأبى الا أن يمضي وكان زهير بن القين البجلي قد حج وكان عثمانيا فلما عاد جمعهما الطريق وكان يساير الحسين من مكة الا أنه لا ينزل معه فاستدعاه يوما الحسين فشق عليه ذلك ثم أجابه على كره فلما عاد من عنده نقل ثقله الى ثقل

العظماء تفرع من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وتزينت باسمه رؤس المنابر وتوشحت بذكره صدور المنائر فلما بلغ أخاه جم سلطان ذلك وافى الى طرف بروسة وهي التخت قديما فاستولى عليها وصادر الناس على أموال كثيرة ثم قام منها الى قتال أخيه السلطان بايزيدخان فالتقى العسكران في المكان المعروف بسلطان أوكي على شاطئ نهر يكي شهر فوقع بينهما قتال شديد ثم انتصر السلطان بايزيدخان على أخيه جم وانهزم الى طرف حلب ثم تنصر ابالملك الاشرف قايتباي فلما وصل الى مدينة مصر بدا له أن يحج الى بيت الله الحرام فأكرمه السلطان قايتباي اكراما عظيما فلما اتم مناسك الحج وعاد الى البلاد القرمانية استمال طائفة من الوارسق وطورغود فنهض معهم الى قتال أخيه فلما تقاتل معه انهزم مرة أخرى أقبح من الاولى فوصل الى ساحل البحر والتقى هناك سفينة تريد البلاد الافرنجية فركبها حتى وصل الى بلاد الكيتلان فأكرمه ملكها غاية الاكرام وعين له الاقامة في أنابولي وهي

ثم فأقام وقال الحسين للحر أتريد أن تصلي أنت بأصحابك فقال بل صل أنت ونصلي بصلاتك فصلى بهم الحسين ثم دخل واجتمع إليه أصحابه وانصرف الحر إلى مكانه ثم صلى بهم الحسين العصر ثم استقبلهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم فقال الحر أنا والله ما ندري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر فأخرج خرجين مملوأين صحفا فنثرها بين أيديهم فقال الحر فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك وقد أمرنا أنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله ابن زياد فقال الحسين الموت أدنى إليك من ذلك ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر من ذلك فقال له الحسين ثكلتك أمك ما تريد قال له أما والله لو غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان ولكني والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يقدر عليه فقال له الحسين ما تريد قال الحر أريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد قال الحسين إذن والله لا أتبعك قال الحر إذن والله لا أدعك فترادا الكلام فقال له الحر إني لم أومر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد وتكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن ابتلي بشيء من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره ثم إن الحسين خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيري وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم وأنكم لا تسلموني ولا تخذلوني فإن أتممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم وأنا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسي مع نفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم في أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي لكم بنكير لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل والمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم والسلام فقال له الحر إني أذكرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن فقال له الحسين أبالموت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني وما أدري ما أقول لك ولكني أقول كما قال أخو الأوسي لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تذهب فإنك مقتول فقال

سأمضي وما بالموت عار على الفتى * إذا ما نوى خيرا وجاهد مسلما

وواسى رجالا صالحين بنفسه * وخالف مثبورا وفارق مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم * كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه فكان يسير ناحية عنه حتى انتهى إلى عذيب الهجانات كان به

وفي سنة خمس وتسعمائة سار السلطان الغازي بايزيد خان بعساكره فاستولى على قلعة اينه بختي وعلى قلعة متون وعلى قلعة قرون وفي سنة ثمان وتسعمائة ظهر شاه اسمعيل بن حيدر الصفوي في أطراف الشرق واستفحل أمره وانتزع الملك من يد أخواله وفي سنة ست عشرة وتسعمائة ظهر في بلدة بك بازاري من أعمال مدينة انقرة رجل يقال له شيطان قولي فانتسب إلى شاه اسمعيل ملك العجم واجتمع عنده كل شقي مفسد مارق عن الدين حتى صار له جماعة عظيمة فسير السلطان إلى قتالهم طائفة مع الوزير الأعظم علي باشا فلما تراءى الجمعان استقبل الوزير جمعهم فهجم عليهم شرذمة من العسكر فقتلوه ثم لم يقابلهم أحد حتى اتصل إلى اسمعيل المذكور وفي سنة ثمان عشرة وتسعمائة نزل السلطان بايزيد خان عن السلطنة لولده السلطان سليم خان وسبب ذلك أن السلطان بايزيد خان شاخ وكبر سنه وتعطلت رجلاه عن الحركة بعلة النقرس فرام الفراغ عن الملك لولده السلطان أحمد أمير اماسية

المزنى واليه ينسب نهر معقل بالبصرة وقيل مات فى ايام يزيد (معقل بالعين المهملة والقاف ويسار بالياء المثناة والسين المهملة) وفى أيامه مات ناجية بن جندب بن عمير صاحب بدن النبى صلى الله عليه وسلم وفيها مات نعيمان بن عمرو بن رفاعة الانصارى وهو الذى كان فيه مزاح ودعابة وشهد بدرا وقيل بل الذى مات ابنه وفى آخر أيامه مات عبد الله بن مالك بن بحينة له صحبة وفيها مات عبد الله بن مغفل بن عبد غنم المزنى بالبصرة (ومغفل بضم الميم وفتح الغين المعجمة وفتح الفاء المشددة) وفى أيامه مات هند بن جارية بن هند الاسلى وفى سنة ستين توفى حكيم بن حزام وله مائة وعشرون سنة ستون فى الجاهلية وستون فى الاسلام وفيها مات أبو أسيد الساعدى واسمه مالك بن ربيعة وهو بدرى وقيل مات سنة خمس وستين وهو آخر من مات من البدريين وقيل مات سنة ثلاثين ولا يصح وفى اول أيام معاوية مات أبو بردة هانئ بن نيار البلوى حليف الانصار وهو عقبى بدرى وشهد مع على حروبه كلها وفى أيامه مات أبو ثعلبة الخشنى له صحبة وقيل مات سنة خمس وسبعين وفى أيامه مات أبو جهم بن حذيفة العدوى القرشى فى آخرها وقيل شهد بنيان الكعبة أيام ابن الزبير وكان قد شهد قريشا حين بنتها وفى أول أيامه مات أبو حثمة الانصارى والد سهل وفى آخر أيامه مات أبو قيس الجهنى شهد الفتح وفى سنة ستين توفى صفوان بن المعطل السلمى بسميساط وقيل انه قتل شهيدا قبل هذا وفيها توفيت الكلابية التى استعاذت من النبى صلى الله عليه وسلم حين تزوجها ففارقها وكانت قد أصابها جنون وتوفى بلال بن الحرث المزنى أبو عبد الرحمن وفى آخر أيامه مات وائل بن حجر الحضرمى وأبو ادريس الخولانى (هند بن جارية بالجيم والياء المثناة من تحتها وحارثة بن النعمان بالحاء المهملة والثاء المثلثة ابو أسيد بضم الهمزة وفتح السين)

(ثم دخلت سنة احدى وستين)

(ذكر مقتل الحسين رضى الله عنه)

وسار الحسين من شراف فلما انتصف النهار كبر رجل من أصحابه فقال له مما كبرت قال رأيت النخل فقال رجلان من بنى أسد ما بهذه الارض نخلة قط فقال الحسين فما هو فقالا لا نراه الا هوادى الخيل فقال وانا أيضا أراه ذلك وقال لهما أما لنا ملجأ نلجأ اليه نجعله فى ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد فقالا بلى هذا ذو حسم الى جنبك تميل اليه عن يسارك فان سبقت القوم اليه فهو كما تريد فمال اليه فما كان باسرع من ان طلعت الخيل وعدلوا اليهم فسبقهم الحسين الى الجبل فنزل وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمى ثم اليربوعى فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه فى حر الظهيرة فقال الحسين لاصحابه وفتيانه اسقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفا ففعلوا وكان مجيء الحر من القادسية أرسله الحصين بن نمير التميمى فى هذه الالف يستقبل الحسين فلم يزل مواقفا الحسين حتى حضرت صلاة الظهر فامر الحسين مؤذنه بالاذان فاذن وخرج الحسين اليهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انها معذرة الى الله واليكم انى لم آتكم حتى اتتنى كتبكم ورسلكم ان اقدم الينا فليس لنا امام لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى فقد جئتكم فان تعطونى ما أطمئن اليه من عهودكم اقدم مصركم وان لم تفعلوا أو كنتم بقدمى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى اقبلت منه فسكتوا وقالوا للمؤذن

صاحب مصر والشام وذلك بسبب ان الملك الاشرف قايتباى كان قد آوى أخاه جم سلطان واكرمه فاغتاظ من ذلك السلطان بايزيد خان ولما تعرض علاء الدين ذو الغادر الى بعض بلاد قايتباى جهز له قايتباى جيشا لقتاله استعان عليهم علاء الدين المذكور بالسلطان بايزيد فامده بعسكر وقواه بعض امرائه الشجعان ثم لم تزل الفتن والحروب بين الفئتين واستولى جيش هذا تارة على كولك وسيس وقيسارية واذنة وعينتاب واستولى جيش ذلك عليها تارة أخرى بعد ان جرى بينهما ما الاخبر فيه حتى تم الصلح بينهما وفى سنة سبع وتسعين وثمانمائة توجه الوزير يعقوب باشا لغزو بلاد بوسنة فظفر بملكها درنجيل وقيده فى وثاق وارسله الى السلطان بايزيد خان وفى سنة احدى وتسعمائة توفى السلطان قايتباى واستولى الملك السعيد بايزيد على القلاع المتنازع فيها بينهما وفى سنة ثلاث وتسعمائة شرع السلطان بايزيد خان فى بناء الجامع بقرب دار السعادة العتيقة بمدينة قسطنطينية

الركوب فاخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم فاتى الحر فرده وأصحابه فجعل اذا ردهم نحو الكوفة ردا شديدا امتنعوا عليه وارتفعوا فلم يزالوا يتياسرون حتى انتهوا الى نينوى المكان الذى نزل به الحسين فلما نزلوا اذا راكب مقبل من الكوفة فوقفوا ينتظرونه فسلم على الحر ولم يسلم على الحسين واصحابه ودفع الى الحر كتابا من ابن زياد فاذا فيه اما بعد فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابى ويقدم عليك رسولى فلا تنزله الا بالعراء فى غير حصن وعلى غير ماء وقد امرت رسولى ان يلزمك فلا يفارقك حتى يأتينى بانفاذك امرى والسلام فلما قرأ الكتاب قال لهم الحر هذا كتاب الامير يأمرنى أن اجعجع بكم فى المكان الذى يأتينى فيه كتابه وقد امر رسوله ان لا يفارقنى حتى أنفذ رأيه وامره واخذهم الحر بالنزول على غير ماء ولا فى قرية فقالوا دعنا ننزل فى نينوى أو الغاضرية أو شفية فقال لا استطيع هذا الرجل قد بعث عينا على فقال زهير بن القين للحسين انه لا يكون والله بعد ما ترون الا ما هو اشد منه يا ابن رسول الله وان قتال هؤلاء الساعة اهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فلعمرى ليأتيننا من بعدهم ما لا قبل لنا به فقال الحسين ما كنت لابدأهم بالقتال فقال له زهير سر بنا الى هذه القرية حتى ننزلها فانها حصينة وهى على شاطئ الفرات فان منعونا قاتلناهم فقتالهم اهون علينا من قتال من يجيء بعدهم فقال الحسين ما هى قال العقر قال اللهم انى اعوذ بك من العقر ثم نزل وذلك يوم الخميس الثانى من محرم سنة احدى وستين فلما كان الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن ابى وقاص من الكوفة فى اربعة آلاف وكان سبب مسيره اليه ان عبيد الله بن زياد كان قد بعثه على اربعة آلاف الى دستبى وكانت الديلم قد خرجوا اليها وغلبوا عليها وكتب له عهده على الرى فعسكر بالناس فى حمام اعين فلما كان من امر الحسين ما كان دعا ابن زياد عمر بن سعد وقال له سر الى الحسين فاذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت الى عملك فاستعفاه فقال نعم على ان ترد عهدنا فلما قال له ذلك قال امهلنى اليوم حتى انظر فاستشار نصحاءه فكلهم نهاه واتاه حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن اخته فقال انشدك الله يا خالى ان لا تسير الى الحسين فتأثم وتقطع رحمك فوالله لان تخرج من دنياك ومالك وسلطان الارض لو كان لك خير من ان تلقى الله بدم الحسين فقال افعل وبات ليلته متفكرا فى امره فسمع وهو يقول

أأترك ملك الرى والرى رغبة * ام ارجع مذموما بقتل حسين

وفى قتله النار التى ليس دونها * حجاب وملك الرى قرة عين

ثم اتى ابن زياد فقال له انك قد وليتنى هذا العمل وسمع الناس به فان رأيت ان تنفذ لى ذلك فافعل وابعث الى الحسين من اشراف الكوفة من لست أغنى فى الحرب منه وسمى اناسا فقال له ابن زياد لست استأمرك فيمن اريد ان ابعث فان سرت بجندنا والا فابعث الينا بعهدنا قال فانى سائر فاقبل فى ذلك الجيش حتى نزل بالحسين فلما نزل به بعث اليه رسولا يسأله ما الذى جاء به فقال الحسين كتب الى اهل مصركم هذا ان اقدم عليهم فاما اذ كرهونى فانى انصرف عنهم فكتب عمر الى ابن زياد يعرفه ذلك فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال

الآن اذ علقت مخالبنا به * يرجو النجاة ولات حين مناص

ثم كتب الى عمر يأمره ان يعرض على الحسين بيعة يزيد فاذا فعل ذلك رأينا رأينا وان منعه ومن

الملك لله يؤتيه من يشاء وخاف على الملك أرسل الى ولده السلطان سليم خان يدعوه الى الملك وتسليم الامر اليه فقدم سليم خان بالرأى الحازم والسيف الصارم حتى قرب من قسطنطينية فامر السلطان بايزيد خان العسكر ووجوه الامراء والوزراء فاستقبلوه وهنؤه بالملك فلما اراد الدخول الى البلد رفعت الينكچرية سيوفهم ومكاحلهم والعسكر رماحهم وشبكوا بعضها ببعض وقالوا فليمر السلطان من تحت سيوفنا ورماحنا حتى يكون من تحت أيدينا فعرف السلطان قصدهم فانف من ذلك وما اختاره اشهامة نفسه ودخل البلد من باب آخر على حين غفلة من اهلها واجتاز من وسط بكى باغجة حتى دخل دار السعادة ولم يشعر بذلك احد من العسكر الا بعد ان وصل الى مقر الخلافة ثم وعدهم بخير كثير وطيب خواطرهم فتفرقوا ودخل على ابيه وسلم عليه وقبل يديه فعند ذلك دعا له ابوه بالخير وقلده الامر واوصاه بأشياء تليق بالسلطنة ثم امر من يومه بتجهيز اسباب السفر له للاقامة بديمة توقة

هبات النعمان ترعى هنالك فتسب اليها فاذا هو باربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون فرسا لنافع بن هلال يقال له الكامل ومعهم دليلهم طرماح بن عدى فانتهوا الى الحسين فاقبل اليهم الحر وقال ان هؤلاء النفر من أهل الكوفة وانا حابسهم أو رادهم فقال الحسين لامنعنهم مما امنع منه نفسى انما هؤلاء أنصارى وهم بمنزلة من جاء معى فان تممت على ما كان بينى وبينك والا ناجزتك فكف الحر عنهم فقال لهم الحسين أخبرونى خبر الناس خلفكم فقال له مجمع بن عبد الله العامرى وهو أحدهم أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم فهم الب واحد عليك وأما سائر الناس بعدهم فان قلوبهم تهوى اليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر فاخبروه بقتله وما كان منه فترقرقت عيناه بالدموع ولم يملك دمعته ثم قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا اللهم اجعل لنا ولهم الجنة واجمع بيننا وبينهم فى مستقر رحمتك وغائب مذخور ثوابك وقال له الطرماح ابن عدى والله ما أرى معك كثير أحد ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم ولقد رأيت قبل خروجى من الكوفة بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس مالم تر عيناى جمعا فى صعيد واحد أكثر منه قط ليسيروا اليك فانشدك الله ان قدرت على ان لا تقدم اليهم شبرا فافعل فان أردت ان تنزل بلدا يمنعك الله به حتى ترى رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى انزلك جبلنا أجا فهو والله جبل امتنعنا به من ملوك غسان وحمير والنعمان بن المنذر ومن الاحمر والابيض والله ما ان دخل علينا ذل قط فاسير معك حتى أنزلك ثم تبعث الى الرجال ممن باجا وسلمى من طى فوالله لا يأتى عليك عشرة أيام حتى يأتيك طى رجالا وركبانا ثم أقم فينا ما بدا لك فان هاجك هيج فانا زعيم لك بعشرين ألف طائى يضربون بين يديك باسيافهم فوالله لا يوصل اليك أبدا وفيهم عين تطرف فقال له جزاك الله وقومك خيرا انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندرى على ما تتصرف بنا وبهم الامور فودعه وسار الى أهله ووعده ان يوصل الميرة الى أهله ويعود الى نصره ففعل ثم عاد الى الحسين فلما بلغ عذيب الهجانات لقيه خبر قتله فرجع الى أهله ثم سار الحسين حتى بلغ قصر بنى مقاتل فرأى فسطاطا مضروبا فقال لمن هذا فقيل لعبيد الله بن الحر الجعفى فقال ادعوه لى فلما أتاه الرسول يدعوه قال انا لله وانا اليه راجعون والله ما خرجت من الكوفة الا كراهية ان يدخلها الحسين وأنا بها والله ما أريد أن أراه ولا يرانى فعاد الرسول الى الحسين فأخبره فلبس الحسين نعليه ثم جاء فسلم عليه ودعاه الى نصره فأعاد عليه ابن الحر تلك المقالة قال فالا تنصرنى فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع داعيتنا أحد ثم لا ينصرنا الا هلك فقال له أما هذا فلا يكون أبدا ان شاء الله تعالى ثم قام الحسين فخرج الى رحله ثم سار ليلا ساعة فخفق برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون والحمد لله رب العالمين فاقبل اليه ابنه على بن الحسين فقال يا ابت جعلت فداك مم حمدت واسترجعت قال يا بنى انى خفقت خفقة فعن لى فارس على فرس فقال القوم يسيرون والمنايا تسير اليهم فعلمت ان انفسنا نعيت الينا فقال يا ابت لا اراك الله سوأ ألسنا على الحق قال بلى والذى يرجع اليه العباد قال اذن لا نبالى ان نموت محقين فقال له جزاك الله من ولد خيرا ما جزى ولدا عن والده فلما اصبح نزل فصلى ثم عجل

وهو أكبر أولاده وأحبهم اليه على حسب ما فعله السلطان مراد خان بولده السلطان محمد خان فاغتاظ من ذلك ولده السلطان سليم خان فقام وتوجه الى طرف القسطنطينية كانه يريد زيارة أبيه السلطان بايزيد خان وتقبيل يده وليس له غرض فى الملك فلما وقف السلطان بايزيد خان على جلية الامر نهض نهضة من قسطنطينية بعساكره واستقبل ولده المذكور ولاقاه بين قسطنطينية وأدرنة بقرب مدينة جورلى امام قرية أوغراش فجرى بينهما حرب شديد ثم انجلى عن هزيمة سليم خان فرام العسكران يطردوه فنعهم أبوه السلطان بايزيد خان وقال اتركوه لعله يصلح وأما السلطان سليم فانه ركب البحر من بندرادونه وقصد بلاد كفة فبينما هو فيه اذ بعث السلطان بايزيد خان الى ولده أحمد يدعوه الى الملك وتقليد الامر اليه فلم يرض وتعلل فى ذلك بان هذا لا يمكن ان يقبله فى حياة والده وانه يخاف من الطائفة الينكجرية فانهم هواهم مع أخيه سليم خان وبالجملة لما علم أبوه انه ليس لابنه أحمد سهم ولا نصيب فى الملك وان

رجل من بنى دارم وقتل ابو بكر بن على وامه ليلى بنت مسعود الدارمية وقد شك فى قتله وقتل على بن الحسين بن على وامه ليلى ابنة أبى مرة بن عروة الثقفى وامه ميمونة ابنة ابى سفيان بن حرب قتله منقذ بن النعمان العبدى وقتل عبد الله بن الحسين بن على وامه الرباب ابنة امرئ القيس الكلبى قتله هانئ بن ثبيت الحضرمى وقتل أبو بكر ابن اخيه الحسن أيضا وأمه ام ولد قتله حرملة بن الكاهن رماه بسهم وقتل القاسم بن الحسن أيضا قتله سعد بن عمرو بن نفيل الازدى وقتل عون بن ابى جعفر بن أبى طالب وامه جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزارى قتله عبد الله بن قطبة الطائى وقتل محمد بن عبد الله بن جعفر وامه الخوصاء بنت خصفة بن تيم الله بن ثعلبة قتله عامر بن نهشل التيمى وقتل جعفر بن عقيل بن أبى طالب وامه ام بنين ابنة الشقر بن الهضاب قتله بشر بن الحوط الهمدانى وقتل عبد الرحمن بن عقيل وامه ام ولد قتله عثمان بن خالد الجهنى وقتل عبد الله بن عقيل وامه ام ولد رماه عمرو بن صبيح الصيداوى بسهم فقتله وقتل مسلم بن عقيل بالكوفة وامه ام ولد وقتل عبد الله بن مسلم بن عقيل وامه رقية ابنة على بن ابى طالب قتله عمرو بن صبيح الصيداوى ويقال قتله مالك بن أسيد الحضرمى وقتل محمد بن أبى سعيد ابن عقيل وامه ام ولد قتله لقيط بن ياسر الجهنى واستصغر الحسن بن الحسن بن على وامه خولة بنت منظور بن زبان الفزارى واستصغر عمرو بن الحسين وامه ام ولد فلم يقتلا وقتل من الموالى الحسين قتله سليمان بن عوف الحضرمى وقتل منجح مولى الحسين أيضا وقتل عبد الله بن بقطر رضيع الحسين قال ابن عباس رأيت النبى صلى الله عليه وسلم الليلة التى قتل فيها الحسين وبيده قارورة وهو يجمع فيها دما فقلت يارسول الله ما هذا قال هذه دماء الحسين واصحابه ارفعها الى الله تعالى فأصبح ابن عباس فاعلم الناس بقتل الحسين وقص رؤياه فوجد قد قتل فى ذلك اليوم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطى أم سلمة ترابا من تربة الحسين حمله اليه جبريل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لام سلمة اذا صار هذا التراب دما فقد قتل الحسين فحفظت ام سلمة ذلك التراب فى قارورة عندها فلما قتل الحسين صار التراب دما فاعلمت الناس بقتله أيضا وهذا يستقيم على قول من يقول ام سلمة توفيت بعد الحسين ثم ان ابن زياد قال لعمر بن سعد بعد عوده من قتل الحسين يا عمر ائتنى بالكتاب الذى كتبته اليك فى قتل الحسين قال مضيت لامرك وضاع الكتاب قال لتجيئنى به قال ضاع قال لتجيئنى به قال ترك والله يقرأ على عجائز قريش بالمدينة اعتذارا اليهن أما والله لقد نصحتك فى الحسين نصيحة لو نصحتها ابى سعد بن ابى وقاص لكنت قد اديت حقه فقال عثمان بن زياد اخو عبيد الله صدق والله لوددت انه ليس من بنى زياد رجل الاوفى انفه خزامة الى يوم القيامة وان الحسين لم يقتل فما أنكر ذلك عبيد الله بن زياد آخر (المقتل)

(ذكر مقتل ابى بلال مرداس بن حدير الحنظلى)

قد تقدم ذكر سبب خروجه وتوجيه عبيد الله بن زياد العساكر اليه فى الفى رجل فالتقاهم بآسك وهزيمة عسكر ابن زياد فلما هزمهم أبو بلال وبلغ ذلك ابن زياد ارسل اليه ثلاثة آلاف عليهم عباد بن الاخضر والاخضر زوج أمه نسب اليه وهو عباد بن علقمة بن عباد التميمى فاتبعه حتى لحقه بتوج (٢) فصف له عباد وحمل عليهم ابو بلال فيمن معه فثبتوا واشتد القتال حتى دخل وقت العصر فقال ابو بلال هذا يوم جمعة وهو يوم عظيم وهذا وقت العصر فدعونا حتى نصلى

صادف أول الشتاء فلما سمع شاه سلطان بلاد العجم ان الوزير ابراهيم باشا شتى بحلب ارتحل من تحت اذربيجان الى بلاد خراسان وكان فكر الوزير فى استخلاص قلعة وان وبعاد باوزسائر القلاع التى فى تلك النواحى فلما اقبل الربيع خرج الوزير المذكور من حلب وقارب تلك النواحى اذا اقبل رسول حاكم تلك القلاع بمفاتيحها فعين الوزير امناء سالضبطها وحراستها ووصلت أيضا مفاتيح عدة قلاع من بلاد الاكراد ولما وصل الوزير مع العساكر الى بلاد العجم توقف العسكر وقالوا لا نقابل السلطان الا السلطان فنحن لا نقابل سلطان العجم مالم يكن السلطان معنا فخاف الوزير من غائلة هذا الامر فارسل بريد السلطان بالنهوض والوصول اليه والا تلاشت الامور فخرج السلطان من مدينة قسطنطينية فى ثامن شهر ذى القعدة سنة أربعين وتسعمائة فاستقبله أهل تبريز وهنؤه بالقدوم وفى غد ذلك اليوم نهض السلطان فنزل بأرجان وكان الوزير ابراهيم باشا حمل ركابه فيه فتلاطم الجران واجتمع العسكران واستسعد الوزير بتقبيل ركاب السلطان فخلع عليه وعلى بقية الامراء الذين كانوا معه وكان صاحب كيلان

 السلطان مظفر قد قدم الى الوزير ابراهيم باشا بمدينة تبريز بعشرة آلاف من عسكره كلهم مشاة فاتيهم

معه الماء فارسل عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام ونادى عبد الله بن أبي الحصين الازدي وعداده في بجيلة يا حسين أما تنظر الى الماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا فقال الحسين اللهم اقتله عطشا ولا تغفر له أبدا قال فمرض فيما بعد فكان يشرب الماء القلة ثم يقيء ثم يعود فيشرب حتى يتفرغ ثم يقيء ثم يشرب فما يروى فما زال كذلك حتى مات فلما اشتد العطش على الحسين وأصحابه أمر أخاه العباس بن علي فسار في عشرين راجلا يحملون القرب وثلاثين فارسا فدنوا من الماء فقاتلوا عليه وملؤا القرب وعادوا ثم بعث الحسين الى عمر بن سعد عمرو ابن قرظة بن كعب الانصاري ان الْقَنِيَ الليلة بين عسكري وعسكرك فخرج اليه عمر فاجتمعا وتحادثا طويلا ثم انصرف كل واحد منهما الى عسكره وتحدث الناس ان الحسين قال لعمر بن سعد اخرج معي الى يزيد بن معاوية وندع العسكرين فقال عمر اخشى ان تُهْدَمَ داري قال أبنيها لك خيرا منها قال تؤخذ ضياعي قال أعطيك خيرا منها من مالي بالحجاز فكره ذلك عمر وتحدث الناس بذلك ولم يسمعوه وقيل بل قال له اختار واحدة من ثلاث اما ان ارجع الى المكان الذي أقبلت منه وأما ان أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني وبينه رأيه وأما أن تسيروني الى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتم فأكون رجلا من أهله لي ما لهم وعلي ما عليهم وقد روي عن عقبة بن سمعان انه قال صحبت الحسين من المدينة الى مكة ومن مكة الى العراق ولم افارقه حتى قتل وسمعت جميع مخاطباته الناس الى يوم مقتله فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر به الناس من انه يضع يده في يد يزيد ولا ان يسيروه الى ثغر من ثغور المسلمين ولكنه قال دعوني ارجع الى المكان الذي أقبلت منه أو دعوني أذهب في هذه الارض العريضة حتى ننظر الى ما يصير اليه أمر الناس فلم يفعلوا ثم التقى الحسين وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو أربعا فكتب عمر بن سعد الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله أطفأ النائرة وجمع الكلمة وقد أعطاني الحسين ان يرجع الى المكان الذي أقبل منه أو ان نسيره الى اي ثغر من الثغور شئنا أو ان يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده وفي هذا لكم رضا وللامة صلاح فلما قرا ابن زياد الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لاميره مشفق على قومه نعم قد قبلت فقام اليه شمر بن ذي الجوشن فقال أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك والى جنبك والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن اولى بالقوة والعزة ولتكونن اولى بالضعف والعجز ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه فان عاقبت كنت ولي العقوبة وان عفوت كان ذلك لك والله لقد بلغني ان الحسين وعمر يتحدثان عامة الليل بين العسكرين فقال ابن زياد نعم ما رايت أُخْرُجْ بهذا الكتاب الى عمر فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي فان فعلوا فليبعث بهم الى سلما وان ابوا فليقاتلهم وان فعل فاسمع له واطع وان ابى فانت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث الي برأسه وكتب معه الى عمر بن سعد اما بعد فاني لم ابعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندي شافعا انظر فان نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم الي سلما وان ابوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فان انت مضيت لامرنا

بمعرفة ابنته واجازة منه له وكلما شرع ولده سليم خان في الاقامة معه لم يقدر وقال السيفان لا يجتمعان في قراب واحد فلما كان السلطان بايزيد خان ببعض الطريق رام ان يتوضأ للصلاة الظهر فوضعوا له السم في الماء فلما توضأ تساقط شعر لحيته فأحس بذلك فقال ردوني فردوه وتوفي قبل ان يصل الى القسطنطينية ودفن امام مدرسته التي انشأها بالمدينة المزبورة وكان رحمه الله ملكا جليلا كبيرا عالما ورعا مجاهدا مرابطا بنى المدارس والجوامع والجسور والقناطر وفتح فتوحات جليلة عاش سعيدا ومات شهيدا وكان له عدة اولاد وصار لاولادهم اولاد منهم السلطان احمد والسلطان قورقود والسلطان جهان شاه والسلطان سليم والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان علم شاه فعين لاكبر اولاده السلطان احمد مملكة اماسية وما والاها وكان يتوقع منه ان يكون ولي عهده ويأبى الله الا ما اراد وكان عين للسلطان قورقود مملكة مغنيسا وجعل للسلطان سليم مملكة طربزون

ولده الحسين رضوان الله عليهم اجمعين واسقنا من أرواحهم ماثم زار المزارات المتبركة ثم ان السلطان لما اقبل الربيع نزل في عشر ذي الحجة سنة احدى واربعين وتسعمائة بمنزل يقال له صار وبه قش فوصل رسول صاحب الشرق يعرض الاخلاص ويطلب الصلح فلم يلتفت السلطان الى كلامه واستمر في مسيره الى مدينة مراغة ثم الى مدينة تبريز وفي رابع شهر محرم سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ركب السلطان ودخل مدينة تبريز ليتفرج ويصلي صلاة الجمعة فقر شواله بجامع السلطان حسن فصلى فيه صلاة الجمعة وخطب الخطيب خطبة بليغة باسمه ثم نهض بالعسكر الجرار والبحر الزخار يريد قتال شاه طهماسب المذكور فتوغل في بلاده حتى وصل الى بلاد مدينة دركزين وفيها وصل وافد شاه طهماسب بالكتاب يريد الصلح وانه لا يقابل ولا يقاتل ابدا ويرجو من كرم السلطان ان يرحم الرعايا والبرايا فقد هلكت دوابهم وخربت بلادهم وان يعفو عنا فيعود بالعز والاكرام الى طرف الروم وعاهده ان لا يخونه وتكون له البلاد التي أخذها منه ولا ينازعه فيها ابدا وانه يلبسه كما ادعاه فلما تحقق السلطان منه ذلك أمر العسكر بالعود معادا حتى دخل مقر سلطنته قسطنطينية في رابع عشر رجب وقد زينت المدينة واستبشروا بقدومه وفي ليلة

عروضا فكان يأخذ الرأس والدابة والمتاع بنصف ثمنه فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين الف ألف فحظي بها المهلب عند سلم وأخذ سلم من ذلك ما أعجبه وبعث به الى يزيد وغزا سلم سمرقند وعبرت معه النهر امرأته أم محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفية وهي أول امرأة من العرب قطع بها النهر فولدت له ابنا سماه صغدي واستعارت امرأته من امرأة صاحب الصغد حليها فلم تعده اليها وذهبت به ووجه جيشا الى خجندة فيهم اعشى همدان فهزموا فقال الاعشى

ليت خيلي يوم الخجندة لم تهـ * ـزم وغودرت في المكر سليبا
تحضر الطير مصرعي وتروحـ * ـت الى الله بالدماء خضيبا

(ذكر ولاية يزيد بن زياد وطلحة الطلحات سجستان)

ولما استعمل يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان استعمل اخاه يزيد على سجستان فغدر أهل كابل فنكثوا واسروا أبا عبيدة بن زياد فسار اليهم يزيد بن زياد في جيش فاقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم كثير فمن قتل يزيد بن عبد الله بن أبي مليكة وصلة بن اشيم ابو الصهباء العدوي زوج معاذة العدوية فلما بلغ الخبر سلم بن زياد سير طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات ففدى أبا عبيدة بن زياد بخمسمائة ألف درهم وسار طلحة من كابل الى سجستان واليا عليها فجبى المال واعطى زواره ومات بسجستان واستخلف رجلا من بني يشكر فاخرجته المضرية ووقعت العصبية فطمع فيهم رتبيل

(ذكر ولاية الوليد بن عتبة المدينة والحجاز وعزل عمرو بن سعيد)

قيل وفي هذه السنة عزل يزيد عمرو بن سعيد عن المدينة وولاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان سبب ذلك ان عبد الله بن الزبير أظهر الخلاف على يزيد وبويع بمكة بعد قتل الحسين فانه لما بلغه قتل الحسين قام في الناس فعظم قتله وعاب أهل الكوفة خاصة واهل العراق عامة فقال بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل العراق غدر فجراء الا قليلا وان أهل الكوفة شرار أهل العراق وانهم دعوا الحسين لينصروه ويولوه عليهم فلما قدم عليهم ثاروا عليه فقالوا اما ان تضع يدك في ايدينا فنبعث بك الى ابن زياد بن سمية فيمضي فيك حكمه واما ان تحارب فرأى والله انه هو واصحابه قليل في كثير فان كان الله لم يطلع على الغيب احدا انه مقتول ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة فرحم الله الحسين واخزى قاتله لعمري لقد كان من خلافهم اياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم ولكنه ما قدر نازل واذا أراد الله أمرا لم يدفع افبعد الحسين نطمئن الى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهدا الا والله لا نراهم لذلك أهلا أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه كثيرا في النهار صيامه أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل أما والله ما كان يبدل بالقرآن غنا ولا بالبكاء من خشية الله حدا ولا بالصيام شرب الخمر ولا بالمجالس في حلق الذكر بكلاب الصيد يعرض بيزيد فسوف يلقون غيا فثار اليه أصحابه وقالوا أظهر بيعتك فانك لم يبق أحد اذ هلك الحسين ينازعك هذا الامر وقد كان يبايع سرا ويظهر انه عائذ بالبيت فقال لهم لا تعجلوا وعمرو بن سعيد يومئذ عامل مكة وهو أشد شيء على ابن الزبير وهو مع ذلك يداري ويرفق فلما استقر عند يزيد ما قد جمع ابن الزبير بمكة من الجموع أعطى الله عهدا ليوثقنه في سلسلة فبعث اليه سلسلة من فضة مع

فاجابهم ابن الاخضر وتحاجزوا فعجل ابن الاخضر الصلاة وقيل قطعها والخوارج يصلون فشد عليهم هو واصحابه وهم مابين قائم وراكع وساجد لم يتغير منهم احد من حاله فقتلوا من آخرهم واخذ رأس ابي بلال ورجع عباد الى البصرة فرصده بها عبيدة بن هلال ومعه ثلاثة نفر فاقبل عباد يريد قصر الامارة وهو مردف ابنا صغيرا له فقالوا له قف حتى نستفتيك فوقف فقالوا نحن اخوة أربعة قتل اخونا فما ترى قال استعدوا الامير قالوا قد استعديناه فلم يعدنا قال فاقتلوه قتله الله فوثبوا عليه وحكموا به فالقى ابنه فنجا وقتل هو فاجتمع الناس على الخوارج فقتلوا غير عبيدة ولما قتل ابن عباد كان ابن زياد بالكوفة ونائبه بالبصرة عبيد الله بن ابي بكرة فكتب اليه يأمره أن يتبع الخوارج ففعل ذلك وجعل يأخذهم فاذا شفع في احدهم ضمنه الى ان يقدم ابن زياد ومن لم يكفله احد حبسه وأتى بعروة بن ادية فاطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم ابن زياد اخذ من في الحبس من الخوارج فقتلهم وطلب الكفلاء بمن كفلوا به فمن أتى بخارجي اطلقه وقتل الخارجي ومن لم يأت بالخارجي قتله ثم طلب عبيد الله بن ابي بكرة بعروة بن أدية قال لا اقدر عليه فقال اذن اقتلك به فلم يزل يبحث عنه حتى ظفر به واحضره عند ابن زياد فقال له ابن زياد لامثلن بك فقال اختر لنفسك من القصاص ما شئت به فامر به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه وقيل انه قتل سنة ثمان وخمسين

(ذكر ولاية سلم بن زياد على خراسان وسجستان)

قيل في هذه السنة استعمل يزيد سلم بن زياد على خراسان وسبب ذلك ان سلما قدم على يزيد فقال له يزيد يا أبا حرب اوليك عمل اخويك عبد الرحمن وعباد فقال ما احب امير المؤمنين فولاه خراسان وسجستان فوجه سلم الحرث بن معاوية الحارثي جد عيسى بن شبيب الى خراسان وقدم سلم البصرة فتجهز منها فوجه اخاه يزيد الى سجستان فكتب عبيد الله بن زياد الى اخيه عباد يخبره بولاية سلم فقسم عباد ما في بيت المال على عبيده وفضل فضل فنادى من اراد سلفا فليأخذ فاسلف كل من اتاه وخرج عباد من سجستان فلما كان بجيرفت بلغه مكان سلم وكان بينهما جبل فعدل عنه فذهب لعباد تلك الليلة الف مملوك أقل ما مع احدهم عشرة آلاف وسار عباد على فارس فقدم على يزيد فسأله عن المال فقال كنت صاحب ثغر فقسمت ما اصبت بين الناس ولما سار سلم الى خراسان كتب معه يزيد الى أخيه عبيد الله بن زياد ينتخب له ستة آلاف فارس وقيل الفي فارس وكان سلم ينتخب الوجوه فخرج معه عمران بن الفضيل البرجمي والمهلب بن أبي صفرة وعبد الله بن خازم السلمي وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وحنظلة بن عرادة ويحيى ابن يعمر العدواني وصلة بن اشيم العدوي وغيرهم وسار سلم الى خراسان وعبر النهر غازيا وكان عمال خراسان قبله يغزون فاذا دخل الشتاء رجعوا الى مرو الشاهجان فاذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خراسان بمدينة مما يلي خوارزم فيتعاقدون ان لا يغزو بعضهم بعضا ويتشاورون في أمورهم فكان المسلمون يطالبون الى امرائهم غزو تلك المدينة فيأبون عليهم فلما قدم سلم غزا فشتا في بعض مغازيه فألح عليه المهلب بن أبي صفرة وسأله التوجه الى تلك المدينة فوجهه في ستة آلاف وقيل أربعة آلاف فحاصرهم فطلبوا ان يصالحهم على ان يفدوا أنفسهم فاجابهم الى ذلك وصالحوه على نيف وعشرين ألف ألف وكان في صلحهم ان يأخذ منهم

فارس غير سلطانهم فلما اجتمع بالسلطان سليمان خان طيب خاطره ووعده بمساعدته حين الاحتياج وفي سادس عشر ربيع الاول رحل السلطان من أرجيان ونزل بالسلطانية في سلخ الشهر وفيها ورد محمد خان بن شاهرخ بن ذي القادر طائعا الى السلطان وأذن السلطان لصاحب كيلان بالمسير لبلاده ونهض السلطان بالعسكر وقد نزل الشتاء واقبل البرد فتوجه الى طرف العراق ليشتي فوصل الى مدينة بغداد في ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وأربعين وتسعمائة وكان النائب بها من قبل سلطان العجم تكلو محمد خان فلما سمع بوصول العسكر الى حدود العراق بعث الى السلطان بالطاعة ثم أخذ أمواله وعياله وهرب الى بلاد العجم فدخل العسكر بغداد ونصبوا الرايات العثمانية على بروجها ثم قصد السلطان زيارة سيدنا أبي حنيفة رحمه الله وكان شاه اسمعيل لما ملك بغداد أمر بنقض تربته فجدد السلطان عليه مشهدا عظيما وبنى فيه تكية يطبخ فيها الطعام وبنى عليه قلعة حصينة ووضع فيها المدافع والمكاحل والحراس وزار سيدي هاشم وموسى الكاظم روح الله روحه في ظاهر بغداد وقصد زيارة سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ثم قصد زيارة المشهدين المعظمين مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومشهد ... عروضا

المخزومي والمنذر بن الزبير ورجالا كثيرة من أشراف اهل المدينة فقدموا على يزيد فاكرمهم واحسن اليهم وأعظم جوائزهم فاعطى عبد الله بن حنظلة وكان شريفا فاضلا عابدا سيدا مائة ألف درهم وكان معه ثمانية بنين فاعطى كل ولد عشرة آلاف فلما رجعوا قدموا المدينة كلهم الا المنذر بن الزبير فانه قدم العراق على ابن زياد وكان يزيد قد اجازه بمائة ألف فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا فيهم فاظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحراب وهم اللصوص وانا نشهدكم أنا قد خلعناه وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال جئتكم من عند رجل لو لم أجد الا بنى هؤلاء لجاهدته بهم وقد أعطانى واكرمنى وما قبلت منه عطاءه الا لاتقوى به فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولوه عليهم واما المنذر بن الزبير فانه قدم على ابن زياد فاكرمه وأحسن اليه وكان صديق زياد فاتاه كتاب يزيد حيث بلغه أمر المدينة يأمره بحبس المنذر فكره ذلك لانه ضيفه وصديق أبيه فدعاه واخبره بالكتاب فقال له اذا اجتمع الناس عندى فقم وقل ائذن لى لانصرف الى بلادى فاذا قلت بل تقم عندى فلك الكرامة والمواساة فقل ان لى ضيعة وشغلا ولا أجد بدا من الانصراف فانى آذن لك فى الانصراف فتلحق باهلك فلما اجتمع الناس على ابن زياد فعل المنذر ذلك فاذن له فى الانصراف فقدم المدينة فكان ممن يحرض الناس على يزيد وقال انه قد أجازنى بمائة ألف ولا يمنعنى ما صنع بى ان اخبركم خبره والله انه ليشرب الخمر والله انه ليسكر حتى يدع الصلاة وعابه بمثل ما عابه به أصحابه وأشد فبعث يزيد النعمان بن بشير الانصارى وقال له ان عدد الناس بالمدينة قومك فانهم ما يمنعهم شئ عما يريدون فانهم ان لم ينهضوا فى هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافى فاقبل النعمان فاتى قومه فامرهم بلزوم الطاعة وخوفهم الفتنة وقال لهم انكم لا طاقة لكم باهل الشام فقال عبد الله بن مطيع العدوى يا نعمان ما يحملك على فساد ما اصلح الله من امرنا وتفريق جماعتنا فقال النعمان والله لكانى بك لو نزل بك الجموع وقامت لك على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيف ودارت رحى الموت بين الفريقين قد ركبت بغلتك الى مكة وخلف هؤلاء المساكين يعنى الانصار يقتلون فى سككهم ومساجدهم وعلى أبواب دورهم فعصاه الناس وانصرف وكان الامر كما قال

(ذكر ولاية عقبة بن نافع افريقية ثانية وما افتتحه فيها وقتله)

قد ذكرنا عزل عقبة عن افريقية وعوده الى الشام فلما وصل الى معاوية وعده باعادته الى افريقية وتوفى معاوية وعقبة بالشام فاستعمله يزيد على افريقية فى هذه السنة وارسله اليها فوصل الى القيروان مجدا وقبض ابا المهاجر اميرها واوثقه فى الحديد وترك بالقيروان جندا مع الذرارى والاموال واستخلف بها زهير بن قيس البلوى واحضر اولاده فقال لهم انى قد بعت نفسى من الله عز وجل فلا ازال اجاهد من كفر بالله واوصى بما يفعل بعده ثم سار فى عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغاية وقد اجتمع بها خلق كثير من الروم فقاتلوه قتالا شديدا وانهزموا عنه وقتل فيهم قتلا ذريعا وغنم منهم غنائم كثيرة ودخل المنهزمون المدينة وحاصرهم عقبة ثم كره المقام عليهم فسار الى بلاد الزاب وهى بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها

منه القاسب فترك شروان خالية وهرب مع جماعة من خواصه الى الروم فلما قدم القسطنطينية احسن السلطان اليه ووهب له من الذهب الاحمر شيأ كثيرا ووهب له عدة احمال من الاقمشة وعدة خيول واعطاه الطبل والعلم ووعده بتخليص بلاد ابيه وردها اليه فلما ذهب الشتاء واقبل الربيع تجهز السلطان الى المسير لقتال طهماسب وأمر القاسب ميرزا بالتقدم وقواه بطائفة من عسكر الباب وبعسكر اولاد باشا اتابكاله وفى ثامن صفر سنة خمس وخمسين وتسعمائة توجه السلطان قاصدا بلاد العجم فلما قرب من حدود اذربيجان نزل ببرهان وفيه ابقية من نسل ملوك شروان من الجبل فاستخلص شروان من يد جماعة طهماسب فاستولى على شروان وفى عشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة وصل السلطان الى كرسى طهماسب تبريز ففوض امرها الى القاسب ميرزا واعطاه من العسكر والمدافع الكبار ما يكفيه فلما تولى القاسب امرة تبريز جعل يصادر الرعايا والبرايا ويظلمهم على عادة ملوك العجم ولما تحقق السلطان منه ذلك اساء ظنه معه فكان قصد السلطان

ابن عطاء الاشعري وسعد وأصحابهما اليأتوه به فيها او بعث معهم برنس خز ليلبسه وعليه الغل لا تظهر للناس فاجتازا ابن عطاء بالمدينة وبها مروان بن الحكم فاخبره ما قدم له فارسل مروان معه ولدين له احدهما عبد العزيز وقال اذا بلغته رسل يزيد فتعرض اله وليتمثل احدكما بهذا القول فقال

خذها فليست للعزيز بخطة * وفيها فعال لامرئ متذال

أعامر ان القوم ساموك خطة * وذلك في الجيران عزلا بمعزل

اراك اذا ما كنت للقوم ناصحا * يقال له بالدلو ادبر واقبل

فلما بلغه الرسول الرسالة قال عبد العزيز الابيات فقال ابن الزبير يا ابني مروان قد سمعت ما قلتما فاخبرا أباكما

اني لمن نبعة صم مكاسرها * اذا تنا وحت البكاء والعشر

فلا الين لغير الحق اسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

وامتنع ابن الزبير من رسل يزيد فقال الوليد بن عتبة وناس من بني امية ليزيد لو شاء عمرو لاخذ ابن الزبير وسرحه اليك فعزل عمرا وولي الوليد الحجاز وأخذ الوليد غلمان عمرو ومواليه فحبسهم فكلمه عمرو فابى ان يخليهم فسار عن المدينة ليلتين وارسل الى غلمانه بعدتهم من الابل فكسروا الحبس وساروا اليه فلحقوه عند وصوله الى الشام فدخل على يزيد واعلمه ما كان فيه من مكايدة ابن الزبير فعذره وعلم صدقه

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس الوليد هذه السنة وكان الامير بالعراق عبيد الله بن زياد وعلى خراسان سلم بن زياد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وفي هذه السنة مات علقمة بن قيس النخعي صاحب ابن مسعود وقيل سنة اثنتين وقيل خمس وله تسعون سنة وفيها توفي المنذر ابن الجارود العبدي وجابر بن عتيك الانصاري وقيل سر وكان عمره احدى وتسعين سنة وشهد بدرا وفيها مات حمزة بن عمرو الاسلمي وعمره احدى وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة له صحبة وفيها توفي خالد بن عرفطة الليثي وقيل العذري حليف بني زهرة وقيل مات سنة ستين وله صحبة

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين)

(ذكر وفد اهل المدينة الى الشام)

لما ولي الوليد الحجاز أقام يريد غرة ابن الزبير فلا يجده الا متحرزا ممتنعا وثار نجدة بن عامر الحنفي باليمامة حين قتل الحسين وثار ابن الزبير بالحجاز وكان الوليد يفيض من المعرف ويفيض معه سائر الناس وابن الزبير واقف في اصحابه ونجدة واقف في أصحابه ثم يفيض ابن الزبير باصحابه ونجدة باصحابه وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيكثر حتى ظن أكثر الناس انه سيبايعه ثم ان ابن الزبير عمل بالمكر في امر الوليد فكتب الى يزيد انك بعثت الينا رجلا اخرق لا يتجه لرشد ولا يرعوي لعظة الحكيم فلو بعثت رجلا سهل الخلق رجوت ان يسهل من الامور ما استوعر منها وان يجتمع ما تفرق فعزل يزيد الوليد وولى عثمان بن محمد بن ابي سفيان وهو فتى غر حدث لم يجرب الامور ولم يحنكه السن لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله فبعث الى يزيد وفدا من اهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة

الثاني والعشرين من رمضان من هذه السنة استقر ابراهيم باشا في مجلس السلطان وجلس معه وصاحبه حتى اذا حان وقت النوم قام الى محله على جاري عادته فأرسل السلطان بوستانجي باشي اسكندر أغا اقتل ابراهيم باشا فقتله فاصبح ميتا فتعجب الناس من قتله لانه كان أحب الناس عند السلطان وخفي عن العامة سببه والذي اشتهر ان اسكندر جلبي الدفتري وشى الى السلطان بانه يروم قتل السلطان ويتسلطن هو مكانه وكان قد اظهر هذا السر لصاحبه اسكندر المذكور وقيل ان السلطان لما بلغه ذلك سأله عنه في مجلس انسه فقال يا ابراهيم اني اريد أن أجعل السلطنة لك فقال العفو يا مولانا السلطان العبد لا يبلغ مرتبة السيد فقال لا بد من ذلك فقال ان تفضل السلطان بان يضرب وجه السكة باسم مولانا السلطان والوجه الآخر باسمي اكتفي بالمشاركة في السكة فلما أطلع السلطان على جلية الحال قتله من غير مهلة * وفي سنة أربع وخمسين وتسعمائة وصل القاسب ميرزا بن سمعيل بن حيدر الى الروم كان سببه ان اخاه طهماسب لما استولى على شروان جعل القاسب واليا بها من لدنه وهو اخوه الصغير وكان شجيع اخوته ثم وقع بينه بين طهماسب عدة حروب وكان النصر فيها الى القاسب المذكور ثم نهض طهماسب الى قتاله فلما سمع هجومه خاف المغزوي

وانا أيضا اريد الشهادة فكسر عقبة والمسلمون اجفان سيوفهم وتقدموا الى البربر وقاتلوهم فقتل المسلمون جميعهم لم يفلت منهم احد وأسر محمد بن اوس الانصاري في نفر يسير فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان فعزم زهير بن قيس البلوي على القتال فخالفه حنش الصنعاني وعاد الى مصر فتبعه اكثر الناس فاضطر زهير الى العود معهم فسار الى برقة واقام بها واما كسيلة فاجتمع اليه جميع أهل افريقية وقصد افريقية وبها أصحاب الانفال والذراري من المسلمين فطلبوا الامان من كسيلة فآمنهم ودخل القيروان واستولى على افريقية وأقام بها الى ان قوي امر عبد الملك بن مروان فاستعمل على افريقية زهير بن قيس البلوي وكان مقيما ببرقة مرابطا

(ذكر ولاية زهير بن قيس أفريقية وقتله وقتل كسيلة)

لما ولي عبد الملك بن مروان ذكر عنده من بالقيروان من المسلمين واشار عليه اصحابه بانفاذ الجيوش الى أفريقية لاستنقاذهم فكتب الى زهير بن قيس البلوي بولاية أفريقية وجهز له جيشا كثيرا فسار سنة تسع وستين الى افريقية فبلغ خبره الى كسيلة فاحتفل وجمع وحشد البربر والروم واحضر اشراف اصحابه وقال قد رايت ان ارحل الى ممش فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قاتلنا زهيرا ان يثبت هؤلاء من ورائنا فاذا نزلنا ممش أمناهم وقاتلنا زهيرا فان ظفرنا بهم تبعناهم الى طرابلس وقطعنا اثرهم من افريقية وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا فاجابوه الى ذلك ورحل الى ممش وبلغ ذلك زهيرا فلم يدخل القيروان بل اقام ظاهرها ثلاثة ايام حتى اراح واستراح ورحل في طلب كسيلة فلما قاربه نزل وعبى اصحابه وركب اليه فالتقى العسكران واشتد القتال وكثر القتل في الفريقين حتى أيس الناس من الحياة فلم يزالوا كذلك أكثر النهار ثم نصر الله المسلمين وانهزم كسيلة واصحابه وقتل هو وجماعة من اعيان اصحابه بممش وتبع المسلمون البربر والروم فقتلوا من ادركوا منهم فاكثروا وفي هذه الوقعة ذهب رجال البربر والروم وملوكهم واشرافهم وعاد زهير الى القيروان ثم ان زهيرا رأى بأفريقية ملكا عظيما فابى ان يقيم وقال انما قدمت للجهاد فاخاف ان اميل الى الدنيا فاهلك وكان عابدا زاهدا فترك بالقيروان عسكرا وهم آمنون لخلو البلاد من عدو أو ذي شوكة ورحل في جمع كثير الى مصر وكان قد بلغ الروم بالقسطنطينية مسير زهير من برقة الى افريقية لقتال كسيلة فاغتنموا خلوها فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة قوية من جزيرة صقلية واغاروا على برقة فاصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة فاخبر الخبر فامر العسكر بالسرعة والجد في قتالهم ورحل هو ومن معه وكان الروم خلقا كثيرا فلما رآه المسلمون استغاثوا به فلم يمكنه الرجوع وباشر القتال واشتد الامر وعظم الخطب وتكاثر الروم عليهم فقتلوا زهيرا واصحابه ولم ينج منهم احد وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد ثم سير الى افريقية حسان ابن النعمان الغساني وسنذكره سنة اربع وسبعين ان شاء الله وكان ينبغي ان نذكر ولاية زهير وقتله سنة تسع وستين وانما ذكرناه ههنا ليتصل خبر كسيلة ومقتله فان الحادثة واحدة واذا تفرقت لم تعلم حقيقتها

اليهم وعضده بجماعة من العسكر واستخبروا بأن جماعة طهماسب مخيمون بقرب مدينة تبريز فساروا وكبسوهم في الليل وقاتلوهم وشردوهم ثم ان القاسب ميرزا تضرع الى السلطان بأن يعطيه جماعة من العسكر ليسير بهم الى بلاد اصفهان وقم وقاشان لان بها معظم أموال أخيه طهماسب وخزائنه وفيها أولاد جماعته وأزواجهم واموالهم فاجاب السلطان الى سؤله وعضده بطائفة من الاكراد والاعجام واجتاز السلطان والعسكر نهر الفرات ووصل الى حلب وفي بعض هذه الايام وصل القاسب ميرزا الى حدود عراق العجم فتوغل بها وبدأ بالنهب والتحريق والتخريب حتى وصل الى حدود فارس وأخرب ضياعهم وأحرق بيوتهم وأسر أولادهم وازواجهم ثم عاد الى بغداد وشتى بها ووقع بينه وبين الوزير محمد باشا وحشة اقتضت الى ان عرض محمد باشا الى السلطان بان القاسب ترفض ورفض طاعة السلطان ولم يكن الامر على حقيقته وانما هو مكيدة فعلها في حقه بغضا وعداوة فلما اطلع القاسب على ذلك خاف على نفسه من صولة السلطان

العظمى واسمها اربة فامتنع بها من هنالك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى عدة دفعات ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ورحل الى تاهرت فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فاجابوهم ونصروهم فاجتمعوا فى جمع كثير والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا واشتد الامر على المسلمين لكثرة العدو ثم ان الله تعالى نصرهم فانهزمت الروم والبربر وأخذهم السيف وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقيه بطريق من الروم اسمه يليان فاهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سأله عن الاندلس فعظم الامر عليه فسأله عن البربر فقال هم كثيرون لا يعلم عددهم الا الله وهم بالسوس الادنى وهم كفار لم يدخلوا فى النصرانية ولهم بأس شديد فسار عقبة اليهم نحو السوس الادنى وهو مغرب طنجة فانتهى الى اوائل البربر فلقوه فى جمع كثير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث خيله فى كل مكان هربوا اليه وسار هو حتى وصل الى السوس الاقصى وقد اجتمع له البربر فى عالم لا يحصى فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل المسلمون فيهم حتى ملوا وغنموا منهم وسبوا سبيا كثيرا وسار حتى بلغ ماليان ورأى البحر المحيط فقال يا رب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهدا فى سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر عن طريقه خوفا منه واجتاز بمكان يعرف اليوم بماء الفرس فنزله ولم يكن به ماء فلحق الناس عطش كثير اشرفوا على الهلاك فصلى عقبة ركعتين ودعا فبحث فرس له الارض بيديه فكشف له عن صفاة فانفجر الماء فنادى عقبة فى الناس فحفروا احساء كثيرة يشربوا فسمى ماء الفرس فلما وصل الى مدينة طبنة وبينها وبين القيروان ثمانية ايام أمر أصحابه ان يتقدموا فوجا فوجا ثقة منه بما نال من العدو وانه لم يبق احد يخشاه وسار الى تهوذا لينظر اليها فى نفر يسير فلما رآه الروم فى قلة طمعوا فيه فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقاتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام فلم يقبلوا منه

(ذكر خروج كسيلة بن كرم البربرى على عقبة)

هذا كسيلة بن كرم البربرى كان قد أسلم لما ولى ابو المهاجر افريقية وحسن اسلامه وهو من اكابر البربر وابعدهم صوتا وصحب أبا المهاجر فلما ولى عقبة عرفه ابو المهاجر محل كسيلة وامره بحفظه فلم يقبل واستخف به وأتى عقبة بغنم فامر كسيلة بذبحها وسلخها مع السلاخين فقال كسيلة هؤلاء فتيانى وغلمانى يكفوننى المؤنة فشتمه وامره بسلخها ففعل فقبح ابو المهاجر هذا عند عقبة فلم يرجع فقال له اوثق الرجل فانى اخاف عليك منه فتهاون به عقبة فاضمر كسيلة الغدر فلما كان الآن ورأى الروم قلة من مع عقبة فارسلوا الى كسيلة واعلموه حاله وكان فى عسكر عقبة مضمرا الغدر وقد اعلم الروم ذلك واطمعهم فلما راسلوه أظهر ما كان يضمره وجمع اهله وبنى عمه وقصد عقبة فقال ابو المهاجر عاجله قبل ان يقوى جمعه وكان أبو المهاجر موثقا فى الحديد مع عقبة فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه فلما رأى ابو المهاجر ذلك تمثل بقول ابى محجن الثقفى

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا * وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد وأغلقت * مصارع من دونى تصم مناديا

فبلغ عقبة ذلك فاطلقه فقال له الحق بالمسلمين وقم بامرهم وانا اغتنم الشهادة فلم يفعل وقال

ان يسير على مدينة وان وأن يخلصها من ايدى العدو لانهم كانوا ملكوها بعد ان ملكها نواب السلطان فوصل اليها فى عاشر رجب وكان طهماسب شحنها بالرجال والابطال وأحصنها غاية الاحصان ولم تزل العساكر يعالجون الحصار بضرب المدافع وعمل النار حتى أشرفوا منها أكثر القال فلما تيقن من بالقلعة انهم مأخوذون تدلى بعضهم من القلعة بحبل واجتمع بالقاسب ميرزا وتضرع واستشفع به فلما شفع القاسب عند السلطان فى استئمانهم والعفو عنهم عفا عنهم السلطان فخرجوا منها وسلموا القلعة لصاحبها فدخلها أهل السنة والجماعة فنصبوا عليها الاعلام الاسلامية وولى السلطان اسكندر باشا الدفترى أمير الامراء بها ولما قرب الشتاء قصد السلطان ان يتصوب الى طرق ديار بكر فسار ليشتى بها حتى وصل الى مدينة آمد فبينما هو مخيم فيها اذ وردان العدو لما بلغهم عود السلطان دخلوا مدينة اذربيجان وأحرقوها وشردوا أهلها وقتلوا من قدروا عليه وأحرقوا الزروع فلما بلغ ذلك السلطان امر الوزير أحمد باشا بالمسير

يادهر ويحك ما أبقيت لي جلدا * وأنت والدتي أكل الولدا وامر لوالدة سليمشان

مروان بن الحكم كلم ابن عمر لما اخرج اهل المدينة عامل يزيد وبني امية في ان يغيب اهله عنده فلم يفعل فكلم علي بن الحسين فقال ان لي حرما وحرمي يكون مع حرمك فقال افعل فبعث بامرأته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان وحرمه الى علي بن الحسين فخرج علي بحرمه وحرم مروان الى ينبع وقيل بل ارسل حرم مروان وارسل معهم ابنه عبد الله بن علي الى الطائف ولما سمع عبد الملك ابن مروان ان يزيد قد سير الجنود الى المدينة قال ليت السماء وقعت على الارض اعظاما لذلك ثم انه ابتلي بعد ذلك بان وجه الحجاج فحصر مكة ورمى الكعبة بالمنجنيق وقتل ابن الزبير واما مسلم فانه اقبل بالجيش فبلغ اهل المدينة خبرهم فاشتد حصارهم لبني امية بدار مروان وقالوا والله لانكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب اعناقكم او تعطونا عهد الله وميثاقه ان لا تبغونا غائلة ولا تدلوا الناس على عورة ولا تظاهروا علينا عدوا فنكف عنكم ونخرجكم عنا فعاهدوهم على ذلك فاخرجوهم من المدينة وكان اهل المدينة قد جعلوا في كل منهل بينهم وبين الشام زقا من قطران فارسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة فلما اخرج اهل المدينة بني امية ساروا باثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى فدعا بعمرو بن عثمان بن عفان اول الناس فقال له خبرني ما وراءك وأشر علي فقال لا استطيع قد اخذ علينا العهود والمواثيق ان لا ندل على عورة ولا نظاهر عدوا فانتهره وقال والله لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك وايم الله لا اقيلها قرشيا بعدك فخرج الى اصحابه فاخبرهم خبره فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك ادخل قبلي اعله يجتزئ بك عني فدخل عبد الملك فقال هات ما عندك فقال نعم ارى ان تسير بمن معك فاذا انتهيت الى ذي نخلة نزلت فاستظل الناس في ظله فاكلوا من صقره فاذا اصبحت من الغد مضيت وتركت المدينة ذات اليسار ثم درت بها حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقا ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد اشرقت عليهم الشمس طلعت بين اكتاف اصحابك فلا تؤذيهم ويصيبهم أذاها ويرون من ائتلاق بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه انتم ما داموا مغربين ثم قاتلهم واستعن الله عليهم فقال له مسلم لله ابوك اي امرئ ولد ثم ان مروان دخل عليه فقال له ايه فقال أليس قد دخل عليك عبد الملك قال بلى واي رجل عبد الملك قلما كلمت من رجال قريش رجلا شبيها به فقال مروان اذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني ثم انه صار في كل مكان يصنع ما امره به عبد الملك فجاءهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم فقال ان أمير المؤمنين يزعم انكم الاصل واني اكره اراقة دمائكم واني أؤجلكم ثلاثا فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت الى هذا الملحد الذي بمكة وان أبيتم كنا قد اعتذرنا اليكم فلما مضت الثلاث قال يا اهل المدينة ما تصنعون اتسالمون ام تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لهم لا تفعلوا بل ادخلوا في الطاعة ونجعل جدنا وشوكتنا على اهل هذا الملحد الذي قد جمع اليه المراق والفساق من كل اوب يعني ابن الزبير فقالوا له يا عدو الله لو اردتم ان تجوزوا اليه ما تركناكم نحن قد نعلم انكم تأتون بيت الله الحرام فتخيفوا اهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمته لا والله لا نفعل وكان اهل المدينة قد اتخذوا خندقا وعليه جمع منهم وكان عليه عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر وهم قريش في جانب المدينة وكان معقل بن سنان

اث يشق برعش وتوجه السلطان بنفسه الى حلب فدخلها في غرة ذي الحجة وكان ولده الصغير جهانكير معه فاتفق انه مرض ومات فتأسف عليه السلطان تأسفا شديدا وصلى عليه وأرسل بجثته الى مدينة اسلامبول ولما أقبل الربيع خرج السلطان مع العساكر من حلب وتوجه الى بلاد الشرق ولما وصل الى المكان المعروف بياسين اوسى أنعم على العساكر وحرضهم على الجهاد والقتال ووعدهم بالانعام والافضال ورتب الميمنة والميسرة والقلب والساق وكان يوما مشهودا ولما وصل الى بلاد اذربيجان كتب الى الشاه ما محصله انه يدعوه للمبارزة ويعيره على ترك الحرب والاختفاء في الكمون وارسله مع رجل اطلقه من السجن من أصحاب الشاه وتوجه السلطان حتى وصل الى مدينة توريز وهي من أحسن مدن الدنيا وانزهها فاخربها العسكر جميعا وكان دابهم كذلك من حين دخلوا بلاد العجم ثم لم يزالوا كذلك حتى وصلوا في سادس عشري شعبان سنة ستين وتسعمائة الى مدينة نخجوان مقر سلطان العجم وفيها دور وقصور شاهقة الاركان رفيعة البنيان ودور اولاده واحفاده ووزرائه وسائر اعيان دولته فلما دخلها

ذكر عدة حوادث

حج بالناس هذه السنة الوليد بن عتبة وفيها ولد محمد بن علي بن عبد الله بن عباس والد السفاح والمنصور وفيها توفي عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي وله صحبة ومسلمة بن مخلد الانصاري وكان عمره لما مات النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وتوفي بمصر مسروق بن الاجدع وقيل توفي سنة ثلاث وستين (مخلد بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وفتح اللام وتشديدها)

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين ذكر وقعة الحرة)

كان أول وقعة الحرة ما تقدم من خلع يزيد فلما كانت هذه السنة اخرج اهل المدينة عثمان بن محمد بن ابي سفيان عامل يزيد وحصروا بني امية بعد بيعتهم عبد الله بن حنظلة فاجتمع بنو امية ومواليهم ومن يرى رأيهم في الف رجل حتى نزلوا دار مروان بن الحكم فكتبوا الى يزيد يستغيثون به فقدم الرسول اليه وهو جالس على كرسي وقد وضع قدميه في طشت فيه ماء النقرس كان بها فلما قرأ الكتاب تمثل

لقد بدلوا الحلم الذي في سجيتي * فبدلت قومي غلظة بليان

ثم قال اما يكون بنو امية الف رجل فقال الرسول بلى والله واكثر قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من النهار فبعث الى عمرو بن سعيد فاقرأه الكتاب وامره أن يسير اليهم في الناس فقال قد كنت ضبطت لك الامور والبلاد فاما الآن اذا صارت دماء قريش تهرق بالصعيد فلا احب ان أتولى ذلك وبعث الى عبيد الله بن زياد يامره بالمسير الى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة فقال والله لا جمعتهما للفاسق قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة ثم ارسل اليه يعتذر فبعث الى مسلم ابن عقبة المري وهو الذي سمي مسرفا وهو شيخ كبير مريض فاخبره الخبر فقال اما يكون بنو امية ألف رجل فقال الرسول بلى قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعة من النهار ليس هؤلاء باهل ان ينصروا فانهم الاذلاء دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا انفسهم في جهاد عدوهم ويتبين لك من يقاتل على طاعتك ومن يستسلم قال ويحك انه لا خير في العيش بعدهم فاخرج بالناس وقيل ان معاوية قال ليزيد ان لك من أهل المدينة يوما فان فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفت نصيحته فلما خلع اهل المدينة أمر مسلما بالمسير اليهم فنادى في الناس بالتجهز الى الحجاز وان ياخذوا اعطاءهم ومعونة مائة دينار فانتدب لذلك اثنا عشر الفا وخرج يزيد يعرضهم وهو متقلد سيفا متنكب قوسا عربية وهو يقول

ابلغ ابا بكر اذا الليل سرى * وهبط القوم على وادي القرى

اجمع سكران من القوم ترى * ام جمع يقظان نفى عنه الكرى

يا عجبا من ملحد يا عجبا * مخادع بالدين يقفو بالعرى

وسار الجيش وعليهم مسلم فقال له يزيد ان حدث بك حدث فاستخلف الحصين بن نمير السكوني وقال له ادع القوم ثلاثا فان اجابوك والا فقاتلهم فاذا ظهرت عليهم فابحها ثلاثا فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند فاذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيرا فانه لم يدخل مع الناس وانه قد أتاني كتابه وقد كان

فهرب الى بلاد الاكراد ولم يزل بها حتى قدر عليه اخوه طهماسب فقتله قتلة شنيعة وفي ثامن عشر رمضان سنة ستين وتسعمائة خرج السلطان من مدينة القسطنطينية وصمم عزمه الى بلاد الشرق فارسل الى اولاده السلطان بايزيد والسلطان سليم والسلطان مصطفى بالقدوم اليه فلما وصل الى بلدة بكي شهر قدم اليه ولده بايزيد فقبل يده وفوض اليه السلطان حراسة بلاد روم ايلي وارسله ان يقيم بمدينة ادرنه ولما وصل السلطان الى بلاد ودين قدم اليه ولده السلطان سليم خان فاستسعد بتقبيل يده وأمره بالسير معه الى بلاد العجم ولما وصل الى مدينة اركلي وصل ولده السلطان مصطفى وكان قد بلغه انه يريد ان يتسلطن مكان أبيه وان قلوب العسكر معه فلما دخل وطاق السلطان لتقبيل يده أمر السلطان بخنقه فخنقوه وأرسل من يضبط أمواله وعزل في ذلك اليوم الوزير الاعظم رستم باشا ونسب اليه هذه الفتنة وولى مكانه الوزير الثاني أحمد باشا وبعث بجسد ولده المرحوم السلطان مصطفى الى مدينة بروسه ليدفن بها ويقال

ابن الحكم فقال رحمك الله رب السارية قد رايتك تطيل القيام في الصلاة الى جنبها وانهزم
الناس وكان ممن انهزم محمد بن سعد بن ابي وقاص بعدما ابلى وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون
الناس ويأخذون المتاع والاموال فافزع ذلك من بها من الصحابة فخرج أبو سعيد الخدرى
حتى دخل في كهف الجبل فتبعه رجل من اهل الشام فاقتحم عليه الغار فانتضى ابو سعيد
سيفه يخوف به الشامى فلم ينصرف عنه فعاد ابو سعيد واغمد سيفه وقال لئن بسطت يدك الى
لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك فقال من أنت قال أنا ابو سعيد الخدرى قال صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فتركه ومضى وقيل ان مسلما لما نزل باهل المدينة خرج
اليه اهلها بجموع كثيرة وهيئة حسنة فهابهم اهل الشام وكرهوا ان يقاتلوهم فلما رآهم
مسلم وكان شديد الوجع سبهم وذمهم وحرضهم فقاتلوهم فبينما الناس في قتالهم اذ سمعوا
تكبيرا من خلفهم في جوف المدينة وكان سببه ان بنى حارثة ادخلوا اهل الشام المدينة فانهزم
الناس فكان من اصيب في الخندق أكثر من قتل ودعا مسلم الناس الى البيعة ليزيد على انهم
خول له يحكم في دمائهم واموالهم واهليهم من شاء فمن امتنع من ذلك قتله وطلب الامان ليزيد
ابن عبد الله بن ربيعة ابن الاسود ولمحمد بن ابى الجهم بن حذيفة ولمعقل بن سنان الاشجعى فاتى
بهم بعد الوقعة بيوم فقال بايعوا على الشرط فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله
فضرب اعناقهما فقال مروان سبحان الله اتقتل رجلين من قريش اتيا بامان فطعن بخاصرته
بالقضيب فقال وانت والله لو قلت بمقالتهما لقتلتك وجاء معقل بن سنان فجلس مع القوم فدعا
بشراب ليسقى فقال مسلم أى الشراب احب اليك قال العسل قال اسقوه فشرب حتى ارتوى
فقال له ارويت قال نعم قال والله لا تشرب بعدها شربة الا في نار جهنم فقال انشدك الله والرحم
فقال له أنت الذى لقيتنى بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد فقلت سرنا شهرا ورجعنا شهرا
واصبحنا صفرا نرجع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق ابن الفاسق ونبايع لرجل من المهاجرين
او الانصار فيم غطفان واشجع من الخلق والخلافة انى آليت بيمين لا القاك في حرب اقدر منه
على قتلك الا فعلت ثم امر به فقتل وأتى بيزيد بن وهب فقال له بايع قال ابايعك على الكتاب
والسنة قال اقتلوه قال أنا ابايعك قال لا والله فتكلم فيه مروان لصهر كان بينهما فامر بمروان
فوجئت عنقه ثم قتل يزيد ثم أتى مروان بعلى بن الحسين فجاء يمشى بين مروان وابنه عبد الملك
حتى جلس بينهما عنده فدعا مروان بشراب ليحترم بذلك فشرب منه يسيرا ثم ناوله على بن الحسين
فلما وقع في يده قال له مسلم لا تشرب من شرابنا فارتعدت كفه ولم يأمنه على نفسه وامسك القدح
فقال له أجئت تمشى بين هؤلاء لتأمن عندى والله لو كان اليهما امر لقتلتك ولكن أمير المؤمنين
اوصانى بك واخبرنى انك كاتبته فان شئت فاشرب فشرب ثم اجلسه معه على السرير ثم قال له
لعل اهلك فزعوا قال اى والله فامر بدابة فاسرجت له فحمله عليها فرده ولم يلزمه بالبيعة ليزيد على
ما شرط على أهل المدينة وأحضر على بن عبد الله بن عباس ليبايع فقال الحصين بن نمير السكونى
لا يبايع ابن اختنا الا كبيعة على بن الحسين وكانت ام على بن عبد الله كندية فقامت
كندة مع الحصين فتركه مسلم فقال على

* ابى العباس قرم بنى قصى * واخوالى الملوك بنو وليعه

وفي سنة اربع وستين وتسعمائة أمر بعمارة الجامع والمأكل بمدينة دمشق بمكان يعرف بالقصر الابلق بالمرجة وفي سنة ست وستين وتسعمائة وقع بين السلطان سليم خان بسبب تبديل اماكنهما حروب لان السلطان بايزيد كان مقره بمدينة كوتاهية والسلطان سليم بمدينة مغنيسا فلما أمر السلطان ان يبدل اماكنهما لم يرض السلطان بايزيد بالبعد فوقع بينهما حروب شديدة آل الامر الى انهزام السلطان بايزيد وولده اورخان مع اخوته الى بلاد العجم فاجتمع مع الشاه طهماسب فاستقبله وراعاه فبعد ذلك ارسل والدهم السلطان سليمان يطلبهم من الشاه وأرسل امير الامراء خسرو باشا لخنقه مع اولاده الاربع وهم السلطان اورخان والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان عثمان وكان له ولد صغير في مدينة بروسة فخنق الجميع وذلك في سنة سبعين وتسعمائة ونقل اجسادهم من قزوين الى بلاد السلطان فدفنهم في سيواس وسكن الله الفتنة والوسواس وكان السلطان بايزيد هذا قد سمع بان في مدينة دمشق رجل يعرف علم الزايرجة يقال له الشيخ منصور فارسل اليه وطلبه الى بلاده وسأله عن وصول السلطنة اليه وطلب منه ان يعين الذى يصير سلطانا هو أو أخوه وكان الشيخ منصور قد خجل من السلطان

الاشجعي وهو من الصحابة على ربع آخر وهم المهاجرون وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الانصاري في اعظم تلك الارباع وهم الانصار وصمد مسلم فيمن معه فاقبل من ناحية الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة وكان مريضا فامر فوضع له كرسي بين الصفين وقال يا اهل الشام قاتلوا عن اميركم وادعوا فاخذوا لا يقصدون ربعا من تلك الارباع الا هزموه ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل فحمل عليهم ابن الغسيل فيمن معه فكشفهم فانتهوا الى مسلم فنهض في وجوههم بالرجال وصاح بهم فقاتلوا قتالا شديدا ثم ان الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب جاء الى ابن الغسيل فقاتل معه في نحو من عشرين فارسا قتالا حسنا ثم قال لابن الغسيل من كان معك فارسا فليأتني فليقف معي فاذا حملت فاحملوا فوالله لا انتهي حتى ابلغ مسلما فاقتله او أقتل دونه ففعل ذلك وجمع الخيل اليه فحمل بهم الفضل على اهل الشام فانكشفوا فقال لاصحابه احملوا اخرى جعلت فداكم فوالله ان عاينت اميرهم لاقتلنه او اقتل دونه انه ليس بعد الصبر الا النصر ثم حمل وحمل اصحابه فانفرجت خيل الشام عن مسلم بن عقبة ومعه نحو خمسمائة راجل جثاة على الركب مشرعي الاسنة نحو القوم ومضى الفضل كما هو نحو راية مسلم فضرب رأس صاحبها فقط المغفر وفلق هامته وخر ميتا وقال خذها مني وانا ابن عبد المطلب وظن انه مسلم فقال قتلت طاغية القوم ورب الكعبة فقال اخطأت استك الحفرة وانما كان ذلك غلاما روميا وكان شجاعا فاخذ مسلم رايته وحرض اهل الشام وقال شدوا مع هذه الراية فمشى برايته وشدت تلك الرجال امام الراية فصرع الفضل ابن عباس فقتل وما بينه وبين اطناب مسلم بن عقبة الا نحو من عشرة اذرع وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف واقبلت خيل مسلم ورجالته نحو ابن الغسيل وهو يحرض اصحابه ويذم أهل المدينة و يقدم اصحابه الى ابن الغسيل ولم يقدم عليهم للرماح التي بايديهم والسيوف وكانت تتفرق عنهم فنادى مسلم الحصين بن نمير وعبد الله بن عضاه الاشعري وامرهما ان ينزلا في جندهما ففعلا وتقدما اليهم فقال ابن الغسيل لاصحابه ان عدوكم قد اصاب وجه القتال الذي كان ينبغي ان يقاتلكم به واني قد ظننت أن لا يلبثوا الا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم اما لكم واما عليكم اما انكم اهل النصرة ودار الهجرة وما اظن ربكم اصبح عن اهل بلد من بلدان المسلمين بارضى منه عنكم ولا على أهل بلد من بلدان العرب باسخط منه على هؤلاء الذين يقاتلونكم وان لكل امرئ منكم ميتة وهو ميت بها لا محالة ووالله ما ميتة أفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله اليكم فاغتنموها ثم دنا بعضهم من بعض فاخذ أهل الشام يرمونهم بالنبل فقال ابن الغسيل لاصحابه علام تستهدفون لهم من اراد التعجيل الى الجنة فليلزم هذه الراية فقام اليه كل مستميت فنهض بعضهم الى بعض فاقتتلوا اشد قتال رؤي لاهل هذا القتال واخذ ابن الغسيل يقدم بنيه واحدا واحدا حتى قتلوا بين يديه وهو يضرب و يقول

بعدا لمن رام الفساد وطغى * وجانب الحق وآيات الهدى

لا يبعد الرحمن الا من عصى

ثم قتل وقتل معه اخوه لامه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس فقال ما احب ان الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم وقتل معه عبد الله بن زيد بن عاصم ومحمد بن عمرو بن حزم الانصاري فمر به مروان

العسكر ألفوها خالية فقطعوا اشجارها وخربوا اسوارها فصارت البلدة كأنها ارض قفراء ما عمرت قط وكان أمير العمادية اغار بشجعان قومه على مدينة تبريز فنهبها وقتل من قدر عليه ثم سار الى مراغة فنهب واحرق وقتل واغار على ألوف من جماعة الشاه فقاتلهم وانتصر عليهم واخذ تيجانهم المرصعة واعلامهم وطبولهم وفي اثناء ذلك وصل وافد من جانب الشاه ومعه مكتوب ما محصله انه ندم على ما اظهر من العداوة واظهر التذلل والاستغفار والتجأ الى عتبة السلطان يطلب منه الصلح فاجابه السلطان الى مسؤله وخلع على الوافد وتوجه السلطان بعد ان شتى بمدينة اماسية الى صوب كرسي مملكته وبلغ السلطان ان رجلا من المباسين خرج عن الطاعة في مدينة كلجة بروم ايلي وادعى انه السلطان مصطفى المقتول فاجتمع عنده من اسافل الناس قدر اربعين الف رجل فاهم السلطان في أمره وامر الوزير محمد باشا بالمسير اليه وكان السلطان بايزيد قد بعث ايضا لقتاله فلما تحقق من كان عند الشاه بحي هجوم العسكر عليهم تفرقوا من عنده شيأ فشيأ ثم هجم عليه الوزير فقتله وفي سنة احدى وستين وتسعمائة شرع في بناء الجامع والعمارة بمدينة قسطنطينية فجاءت من عجائب

ابن

بايع أهلها واهل الحجاز عبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه ولحق به المنهزمون من اهل المدينة وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في الناس من الخوارج يمنعون البيت وخرج ابن الزبير الى لقاء أهل الشام ومعه اخوه المنذر فبارز المنذر رجلا من اهل الشام فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة مات منها ثم حمل اهل الشام عليهم حملة انكشف منها اصحاب عبد الله وعثرت بغلة عبد الله فقال تعسا ثم نزل فصاح باصحابه فاقبل اليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن ابن عوف فقاتلا حتى قتلا جميعا وضاربهم ابن الزبير الى الليل ثم انصرفوا عنه هذا في الحصر الاول ثم اقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة ايام من شهر ربيع الاول سنة أربع وستين رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار واخذوا يرتجزون ويقولون

خطارة مثل الفنيق المزبد * نرمي بها اعواد هذا المسجد

وقيل ان الكعبة احترقت من نار كان يوقدها اصحاب عبد الله حول الكعبة واقبلت شررة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت والاول اصح لان البخاري قد ذكر في صحيحه ان ابن الزبير ترك الكعبة ليراها الناس محترقة يحرضهم على أهل الشام واقام أهل الشام يحاصرون ابن الزبير حتى بلغهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر

(ذكر وفاة يزيد بن معاوية)

وفي هذه السنة توفي يزيد بن معاوية بحوران من أرض الشام لاربع عشرة خلت من شهر ربيع الاول وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم وقيل تسع وثلاثين وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل توفي في ربيع الاول سنة ثلاث وستين وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر والاول اصح وأمه ميسون بنت بحدل بن انيف الكلبية وكان له من الولد معاوية وكنيته ابو عبد الرحمن وابو ليلى وهو الذي ولي بعده وخالد ويكنى اباهاشم يقال انه أصاب علم الكيمياء ولا يصح ذلك لاحد وابو سفيان وامهم ام هاشم بنت عتبة بن ربيعة تزوجها بعده مروان بن الحكم وله ايضا عبد الله بن يزيد كان ارمى العرب وامه ام كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الاسوار وعبد الله الاصغر وعمر وابو بكر وعتبة وحرب وعبد الرحمن ومحمد لامهات شتى

(ذكر بعض سيرته واخباره)

قال محمد بن عبيد الله بن عمرو العتبي نظر معاوية ومعه امرأته ابنة قرظة الى يزيد وامه ترجله فلما فرغت منه قبلته فقالت ابنة قرظة لعن الله سواد ساق امك فقال معاوية أما والله لما فرجت عنه وركاها خير مما فرجت عنه وركاك وكان لمعاوية من ابنة قرظة عبد الله وكان احمق فقالت لا والله ولكنك تؤثر هذا فقال سوف ابين لك ذلك فامر فدعي له عبد الله فلما حضر قال أي بني انى اردت ان أعطيك ما أنت اهله ولست بسائل شيأ الا اجبتك اليه فقال حاجتي ان تشتري كلبا فارها وحمارا فقال اي بني انت حمار واشتري لك حمارا قم فاخرج ثم احضر يزيد وقال له مثل قوله لاخيه فخر ساجدا ثم قال حين رفع رأسه الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة واراه في هذا الرأي حاجتي ان تعتقني من النار لان من ولي امر الامة ثلاثة ايام اعتقه الله من النار فتعقد لي العهد بعدك وتوليني العام الصائفة وتأذن لي في الحج اذا رجعت وتوليني الموسم

ثم انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى والحق الوزير الاعظم محمد باشا وفاته ودفنا رئيس الاطباء فشق بطنه وملأه بالاجزاء الحارة ودفن امعاءه هنالك ثم لم يزالوا يجدون في أمر الفتح حتى فتحوها بالطريق ثم اداء السبت في وقت الضحى في سابع شهر صفر الخير سنة خمس وسبعين وتسعمائة وذلك بعد وفاة السلطان المبرور بثلاثة ايام ولم يزل العسكر هنالك في ترميم القلعة واصلاحها حتى بعث الوزير محمد باشا الى السلطان سليم خان يدعوه الى سكدوار فنهض السلطان سليم خان وكان يومئذ على أمارة كوتاهية ودخل القسطنطينية على حين غفلة من اهلها وجلس على سرير الملك يوم الاثنين التاسع من ربيع الاول سنة اربع وسبعين وتسعمائة وقت الضحوة الكبرى وكان الطالع اذ ذاك المريخ وذلك بعد نقطة الاعتدال الخريفي الموسوم بالمهرجان بعشرة ايام ودخل عليه العلماء وعزوه بابيه وهنوه بالسلطنة ثم خرج في اليوم الثالث الى جهة سكدوار فلحق بالعسكر وصلى على ابيه هنالك ثم بعثه في العجلة صحبة الوزير احمد باشا الى مدينة قسطنطينية فلما قرب من المدينة استقبله وجوه العلماء والمشايخ بالذكر والتوحيد الى البلد ودفنوه في مدفنه بجامعه الذي بناه بمدينة قسطنطينية وكان رحمه الله عالى

همو امنعو اذماری یوم جاءت * كتائب مسرف وبنو اللكيعه

* ارادوني التي لا عزفيها * فحالت دونه أيد سريعه *

يعني بقوله مسرف مسلم بن عقبة فانه سمي بعد وقعة الحرة مسرفا وبنو وليعة بطن من كندة منهم امه واللكيعة ام امه وقيل ان عمرو بن عثمان بن عفان لم يكن فيمن خرج من بني امية فاتي به يومئذ الى مسلم فقال يا أهل الشام تعرفون هذا قالوا لا قال هذا الخبيث بن الطيب هذا عمرو بن عثمان هي يا عمرو اذا ظهر أهل المدينة قلت انا رجل منكم وان ظهر أهل الشام قلت انا ابن امير المؤمنين عثمان فامر به فنتفت لحيته ثم قال يا أهل الشام ان أم هذا كانت تدخل الجعل في فيها ثم تقول يا امير المؤمنين حاجيتك ما في في وفي فها ما ساءه وناءه وكانت من دوس ثم خلى سبيله وكانت وقعة الحرة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين قال محمد بن عمارة قدمت الشام في تجارة فقال لي رجل من أين انت فقلت من المدينة فقال خبيثة فقلت يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها خبيثة فقال ان لي ولها لشأنا لما خرج الناس الى وقعة الحرة رأيت في المنام اني قتلت رجلا اسمه محمد ادخل بقتله النار فاجتهدت في اني لا اسير معهم فلم يقبل مني فسرت معهم ولم اقاتل حتى انقضت الوقعة فمررت برجل في القتلى به رمق فقال تنح يا كلب فانفت من كلامه وقتلته ثم ذكرت رؤياي فجئت برجل من أهل المدينة يتصفح القتلى فلما رأى الرجل الذي قتلته قال انا لله لا يدخل قاتل هذا الجنة قلت ومن هذا قال هو محمد بن عمرو بن حزم ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماه محمدا وكناه ابا عبد الملك فاتيت اهله فعرضت عليهم ان يقتلوني فلم يفعلوا وعرضت عليهم الدية فلم يأخذوا وممن قتل بالحرة عبد الله بن عاصم الانصاري وليس بصاحب الاذان ذاك ابن زيد بن ثعلبة وقتل أيضا فيها عبيد الله بن عبد الله بن موهب ووهب بن عبد الله بن زمعة بن الاسود وعبد الله بن عبد الرحمن ابن حاطب وزبير بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة توفي الربيع بن خثيم الكوفي الزاهد وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان يسمى يومئذ العائذ وكانوا يرون الامر شورى واتاه الخبر بوقعة الحرة هلال المحرم مع المسور ابن مخرمة فاستعد هو واصحابه واستعدوا وعرفوا ان مسلما نازل بهم

(ثم دخلت سنة اربع وستين)

(ذكر مسير مسلم لحصار ابن الزبير وموته)

ولما فرغ مسلم من قتال اهل المدينة ونهبها شخص بمن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه واستخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي وقيل استخلف عمرو بن مخرمة الاشجعي فلما انتهى الى المشلل نزل به الموت وقيل مات بثنية هرشى فلما حضره الموت احضر الحصين بن النمير وقال له يا برذعة الحمار لو كان الامر الي ما وليتك هذا الجند ولكن امير المؤمنين ولاك خذ عني اربعا اسرع السير وعجل المناجزة ولا تمكن قريشا من اذنك ثم قال اللهم اني لم اعمل قط بعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله عملا احب الي من قتلي اهل المدينة ولا ارجى عندي في الآخرة فلما مات سار الحصين بالناس فقدم مكة لاربع بقين من المحرم سنة اربع وستين وقد

باريدان يخاطبه بان السلطنة ليست له فكتب اليه بعد سفره عنه * ملك الملوك اذا وهب * لا تسألن عن السبب
الله سلطان من ارا * د
فسكن على نهج الادب
ففهم الاشارة من هذه
العبارة وسار الى بلاد
العجم غير ثابت على القدم
وفي هذه السنة وقع في
اقليم الدشت بلاد التاتار
قحط عظيم حتى باع بعضهم
بعضا من أهل المملكة
العثمانية بشيء من القمح
والشعير وفي تاسع شوال
سنة اربع وسبعين وتسعمائة
نهض السلطان سليمان خان
الى فتح مدينة سكدوار
وهي من مدن نصارى مجر
والحال ان السلطان قد شاخ
وكبر وهرم وازدادت عليه
علة النقرس فسار بعسكر
كثير متزاحم الافواج
متلاطم الامواج وبعث
وزيره پرتو پاشا الى فتح
قلعة كوله فلم يلبث الا قليلا
حتى فتحها واما قلعة سكدوار
فكانت في المناعة الى حد
الغاية وقد أحاطت بها المياه
والاوحال من كل جانب فلم
يزدد امر القلعة الا استصعابا
واشتد مرض السلطان
حتى احس بالموت فرفع يديه
الى السماء وقال يا رب
العالمين افتح على عبادك
المسلمين وانصرهم واضرم
النار على الكفار واوصى
بالسلطنة لولده السلطان
سليم وكتب اليه كتابا واوصاه بالرعية والاستعجال بالمسير اليه لئلا يضيع عسكر المسلمين في بلاد الكفار

بارع

في هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام ولعبد الله بن الزبير بالحجاز ولما هلك يزيد بلغ الخبر عبد الله بن الزبير بمكة قبل ان يعلم الحصين بن نمير ومن معه من عسكر الشام وكان الحصار قد اشتد من الشاميين على ابن الزبير فناداهم ابن الزبير واهل مكة علام تقاتلون وقد هلك طاغيتكم فلم يصدقوهم فلما بلغ الحصين خبر موته بعث الى ابن الزبير فقال موعد ما بيننا الليلة الابطح فالتقيا وتحادثا فراث فرس الحصين فجاء حمام الحرم يلتقط روث الفرس فكف الحصين فرسه عنهن وقال اخاف ان يقتل فرسي حمام الحرم فقال ابن الزبير تتحرجون من هذا وانتم تقتلون المسلمين في الحرم فكان فيما قال له الحصين انت احق بهذا الامر هلم فلنبايعك ثم اخرج معنا الى الشام فان هذا الجند الذين معي هم وجوه الشام وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك وبين اهل الحرم فقال له انا لا اهدر الدماء والله لا أرضى ان اقتل بكل رجل منهم عشرة منكم واخذ الحصين يكلمه سرا وهو يجهر ويقول والله لا أفعل فقال له الحصين قبح الله من يعدك بعد ذاهبا وآيبا قد كنت أظن ان لك رأيا وانا أكلمك سرا وتكلمني جهرا وادعوك الى الخلافة وأنت لا تريد الا القتل والهلكة ثم فارقه ورحل هو واصحابه نحو المدينة وندم ابن الزبير على ما صنع فارسل اليه اما المسير الى الشام فلا أفعل ولكن بايعوا لي هنالك فاني مؤمنكم وعادل فيكم فقال الحصين ان لم تقدم بنفسك لا يتم الامر فان هنالك ناسا من بني امية يطلبون هذا الامر وسار الحصين الى المدينة فاجترأ أهل المدينة على اهل الشام فكان لا ينفرد منهم احد الا أخذت دابته فلم يتفرقوا وخرج معهم بنو أمية من المدينة الى الشام ولو خرج معهم ابن الزبير لم يختلف عليه احد فوصل اهل الشام دمشق وقد بويع معاوية بن يزيد فلم يمكث الا ثلاثة أشهر حتى هلك وقيل بل ملك اربعين يوما ومات وعمره احدى وعشرون سنة وثمانية عشر يوما ولما كان في آخر امارته امر فنودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاني ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه ابو بكر فلم أجده فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم فانتم اولى بامركم فاختاروا له من أحببتم ثم دخل منزله وتغيب حتى مات وقيل انه مات مسموما وصلى عليه الوليد بن عتبة بن ابي سفيان ثم اصابه الطاعون من يومه فمات أيضا وقيل لم يمت وكان معاوية اوصى ان يصلي الضحاك بن قيس بالناس حتى يقوم لهم خليفة وقيل لمعاوية لو استخلفت فقال لا اتزود مرارتها واترك لبني أمية حلاوتها

(ذكر حال ابن زياد بعد موت يزيد)

لما مات يزيد واتى الخبر عبيد الله بن زياد مع مولاه حمران وكان رسوله الى معاوية بن ابي سفيان ثم الى يزيد بعده فلما اتاه الخبر اسره اليه واخبره باختلاف الناس في الشام فامر فنودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس وصعد المنبر فنعى يزيد وثلبه فقال الاحنف انه قد كانت ليزيد في أعناقنا بيعة ويقال في المثل اعرض عن ذي فترة فاعرض عنه عبيد الله وقال يا أهل البصرة ان مهاجرنا اليكم ودارنا فيكم ومولدي فيكم ولقد وليتكم وما يحصي ديوان مقاتلتكم الا سبعين ألفا ولقد احصى اليوم مائة ألف وما كان يحصي ديوان عمالكم الا تسعين الفا ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا وما تركت لكم قاطبة من اخافه عليكم الا وهو في سجنكم وان يزيد قد توفي

فساروا وسار بهم عدة ايام وشهور حتى غلبوا عليهم وهزموهم بعد عدة حروب وخطوب يطول شرحها واستولوا على معظم قلاعهم واخربوا اماكنهم وعادوا سالمين وكان الفتح في أواخر سنة خمس وسبعين وتسعمائة ثم ان السلطان الاعظم سليم خان أمر الوزير مصطفى باشا بالمسير مع العسكر في البحر والتوجه الى فتح جزيرة قبرس وعين كاشف البحر علي باشا القبودان أن يدور بسائر العمارة في وجه البحر صيانة للعساكر من هجوم الكفار فلما حل اول الربيع وقد تكاملت الاغربة والسفن وشحنت بالرجال وانواع السلاح خرجوا في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة من فم الخليج القسطنطيني بابهة هائلة واهبة زائدة فلما وصلوا الى الجزيرة المذكورة خرجوا من طرف علمها نخيم العسكر هنالك ثم استقرت الآراء على حصار قلعة لفقوسة اولا اذ هي مدينتهم الكبرى وقاعدة ملكهم فحاصروها مدة شهر واحد ثم افتتحوها في أواسط ربيع الآخر من السنة المذكورة ثم بعث الوزير المشار اليه احسن الله اليه عدة رؤس مقطوعة من عظماء اهل الفقوسة ورؤسائهم في اطباق من فضة الى أهل قلعة كرينة

وتزيد لاهل الشام كل رجل عشرة دنانير وتفرض لايتام بني جمح وبني سهم وبني عدي لانهم حلفائي فقال معاوية قد فعلت وقبل وجهه فقال لامرأته ابنة قرظة كيف رأيت قالت اوصه به يا امير المؤمنين فقعل وقال عمر بن سبينة حج يزيد في حياة ابيه فلما بلغ المدينة جلس على شراب له فاستأذن عليه ابن عباس والحسين فقيل له ان ابن عباس ان وجد ريح الشراب عرفه فحجبه واذن للحسين فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال لله در طيبك ما اطيبه فما هذا قال هو طيب يصنع بالشام ثم دعا بقدح فشربه ثم دعا بآخر فقال اسق ابا عبد الله فقال له الحسين عليك شرابك ايها المرء لا عين عليك مني فقال يزيد

* ألا يا صاح للعجب * دعوتك ذا ولم تجب
الى الفتيات والشهوا * ت والصهباء والطرب
* وباطية مكللة * عليها سادة العرب
وفيهن التي تبلت * فؤادك ثم لم تتب

فنهض الحسين وقال بل فؤادك يا ابن معاوية تبلت وقال شقيق بن سلمة لما قتل الحسين ثار عبد الله ابن الزبير فدعا ابن عباس الى بيعته فامتنع وظن يزيد ان امتناعه تمسك منه ببيعته فكتب اليه اما بعد فقد بلغني ان الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته وانك اعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا فجزاك الله من ذي رحم خير ما يجزي الواصلين لارحامهم الموفين بعهودهم فما انسى من الاشياء فلست بناس برك وتعجيل صلتك بالذي انت له اهل فانظر من طلع عليك من الآفاق ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه فاعلمهم بحاله فانهم منك اسمع الناس ولك اطوع منهم للمحل فكتب اليه ابن عباس اما بعد فقد جاءني كتابك فاما تركي بيعة ابن الزبير فوالله ما ارجو بذلك برك ولا حمدك ولكن الله بالذي انوي عليم وزعمت انك لست بناس بري فاحبس ايها الانسان برك عني فاني حابس عنك بري وسألت ان احبب الناس اليك وابغضهم واخذلهم لابن الزبير فلا ولا سرورا ولا كرامة كيف وقد قتلت حسينا وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الاعلام غادرتهم خيولك بامرك في صعيد واحد مرملين بالدماء مسلوبين بالعراء مقتولين بالظماء لا مكفنين ولا موسدين تسفي عليهم الرياح وينشي بهم عرج البطاح حتى اتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم كفنوهم واجنوهم وبي وبهم لو عززت وجلست مجلسك الذي جلست فما انسى من الاشياء فلست بناس اطرادك حسينا من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرم الله وتسييرك الخيول اليه فما زلت بذلك حتى اشخصته الى العراق فخرج خائفا يترقب فنزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولاهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فطلب اليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاغتنمتم قلة انصاره واستئصال اهل بيته وتعاونتم عليه كأنكم قتلتم اهل بيت من الترك والكفر فلا شيء اعجب عندي من طلبتك ودي وقد قتلت ولد ابي وسيفك يقطر من دمي وانت أحد ثاري ولا يعجبك ان ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوما والسلام قال الشريف أبو يعلى حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلوي وقد جرى عنده ذكر يزيد انا لا اكفر يزيد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سألت الله ان لا يسلط على بني أحدا من غيرهم فاعطاني ذلك

(ذكر بيعة معاوية بن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير)

الهمة عالما شجيعا الى الغاية والخيرات من بناء المدارس الاربعة بمكة واجراء عين عرفة وهذا الذي ذكرناه بعض ما فعله من الحسنات ولو اردنا استيفاء ما فعله من الخيرات لاحتجنا الى عدة مجلدات عاش رحمه الله اربعا وسبعين سنة وبقي في الملك ثمانية وأربعين سنة وكان له عدة أولاد توفي الجميع في حياته

(وتولى الملك بعده ولده السلطان الغازي سليم خان بن السلطان سليمان خان)

ثم ان السلطان سليم خان ايد الله ملكه واجرى في بحر المرادات فلكه قدم من سكدوار بالعسكر الجرار الى مدينة قسطنطينية في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وسبعين وتسعمائة فاستقبله جميع أهل البلد واستبشروا بقدومه فلما استقر في دار الملك أمر بالجوائز ففرقت على العسكر وغيرهم وزاد في معالم الجند ثم شاع في هذه السنة عصيان بني عليان من سكان الجزيرة وخروجهم عن الطاعة فجهز اليهم من الباب العالي وغيره عساكر صحبة امير الامراء بالبصرة و بغداد

طويل القامة حسن الصورة وهو من اشهر في الآفاق بالعدل

سليم فقال سلمنا ان شاء الله فلما أتى بنى ناجية قال أين تحسن قال فى بنى ناجية قال نجونا ان شاء الله فقال بنو ناجية من أنت قال الحرث بن قيس وكان يعرف رجل منهم عبيد الله فقال ابن مرجانة وارسل سهما فوقع فى عمامته ومضى به الحرث فانزله فى داره نفسه فى الجهاضم فقال له ابن زياد يا حرث انك أحسنت فاصنع ما اشير به عليك قد علمت منزلة مسعود بن عمرو فى قومه وشرفه وسنه وطاعة قومه له فهل لك ان تذهب بى اليه فاكون فى داره فهى فى وسط الأزد فانك ان لم تفعل فرق عليك امر قومك فأخذه الحرث فدخلا على مسعود ولم يشعر وهو جالس يصلح خفا له فلما رآهما عرفهما فقال للحرث أعوذ بالله من شر ما طرقتنى به قال ما طرقتك الا بخير قد علمت ان قومك انجوا زيادا ووفوا له فصارت مكرمة يفتخرون بها على العرب وقد بايعتم عبيد الله بيعة الرضا من مشورة وبيعة أخرى قبل هذه يعنى بيعة الجماعة فقال مسعود أترى لنا ان نعادى أهل مصرنا فى عبيد الله ولم نجد من أبيه مكافأة ولا شكرا فيما صنعنا معه فقال الحرث انه لا يعاديك أحد على الوفاء على بيعتك حتى تبلغه مأمنه أفتخرجه من بيتك بعد ما دخله عليك فامره مسعود فدخل بيت أخيه عبد الغافر بن عمرو ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحرث وجماعة من قومه فطافوا فى الازد فقالوا ان ابن زياد فقد وانا لا نامن ان تلطخوا به فاصبحوا فى السلاح وفقد الناس ابن زياد فقالوا ما هو الا فى الازد وقيل ان الحرث لم يكلم مسعودا بل أمر عبيد الله فحمل معه مائة ألف وأتى بها ام بسطام امرأة مسعود وهى بنت عمرو بن الحرث ومعه عبيد الله فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها قد أتيتك بأمر تسودين به نساء العرب وتتعجلين به الغنى وأخبرها الخبر وأمرها ان تدخل ابن زياد البيت وتلبسه ثوبا من ثياب مسعود ففعلت فلما جاء مسعود أخذ برأسها يضربها فخرج عبيد الله والحرث عليه وقال له قد اجارتنى وهذا ثوبك على وطعامك فى بطنى وشهد الحرث وتلطفوا به حتى رضى فلم يزل ابن زياد فى بيته حتى قتل مسعود فسار الى الشام ولما فقد ابن زياد بقى أهل البصرة فى غير أمير فاختلفوا فيمن يؤمرون عليهم ثم تراضوا بقيس بن الهيثم السلمى وبالنعمان بن سفيان الراسبى الجرمى ليختارا من يرضيان لهم وكان رأى قيس فى بنى أمية ورأى النعمان فى بنى هاشم فقال النعمان ما ارى أحدا أحق بهذا الامر من فلان لرجل من بنى أمية وقيل بل ذكر له عبد الله بن الاسود الزهرى وكان هوى قيس فيه وانما قال النعمان ذلك خديعة ومكرا بقيس فقال قيس قد قلدتك أمرى ورضيت من رضيت ثم خرجا الى الناس فقال قيس قد رضيت من رضى النعمان

(ذكر ولاية عبد الله بن الحرث البصرة)

لما اتفق قيس والنعمان ورضى قيس بمن يؤمره النعمان اشهد عليه النعمان بذلك وأخذ على قيس وعلى الناس العهود بالرضا ثم أتى عبد الله بن الاسود وأخذ بيده واشترط عليه حتى ظن الناس انه بايعه ثم تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب الملقب ببة واشترط عليه مثل ذلك ثم حمد الله واثنى عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وحق أهل بيته وقرابته وقال أيها الناس ما تنقمون من رجل من بنى عم نبيكم وامه هند بنت أبى سفيان قد كان الامر فيهم فهو ابن أختكم ثم اخذ بيده وقال رضيت لكم به فنادوه قد رضينا وبايعوه واقبلوا به الى دار الامارة حتى نزلها وذلك أول جمادى الآخرة سنة أربع وستين

فاتفق ان أقبل الشتاء واشتد البرد ولم توجد هنالك مرسى ترسى فيه عمارة السلطان فعاد كاشف البحر الى طرف الروم وبقى العسكر صحبة الوزير هنالك لا يفترون الليل والنهار عن الحصار فلما انقضى زمن الشتاء وطاب الهواء عاد كاشف البحر على باشا بالمسير الى طرف قبرس عونا للمسلمين ومددا لمن هنالك من الموحدين فلما عاين الكفار ذلك وكانوا يرجون أن يصل اليهم مدد من بلاد الافرنج يئسوا ونادوا بالامان فامن لهم الوزير المذكور فبعثوا بمفاتيح القلعة وطلبوا أن يمكنوا من المسير الى بلادهم كما فعل باشياعهم من قبل أهل رودس وكانوا نحو سبعة آلاف محارب فاجاب الوزير قبل الله سعيه المشكور الى ما اقترحوا عليه فخرجوا من المدينة وخيموا خارجها فدخلها المسلمون ونصبوا فيها الاعلام الاسلامية وعمروا ما وهن وخرب وشيدوا بروجها واحكموا حصونها وكان الوزير المذكور قاسى من صاحب هذه القلعة أمورا حقد عليه بذلك فلم يراطلاقه ومعه من المقاتلة والاسباب ما لا مزيد عليه فاراد الاحتيال عليه وكان قد عين لهم عشرين غرابا فلما ركبوا فى الاغربة واستقروا فيها بجميع أموالهم وارزاقهم جاء أميرهم ليسلم على الوزير ويودعه فأمر به الوزير فقيد وقطع أذنيه فى مجلسه

وقد اختلف الناس بالشام وانتم اليوم أكثر الناس عددا واعرضهم فناء واغنى عن الناس واوسعهم بلادا فاختاروا لانفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فأنا أول راض من رضيتموه فان اجتمع اهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على اجد يليكم حتى تقضوا حاجتكم فما بكم الى احد من أهل البلدان حاجة ولا يستغني الناس عنكم فقام خطباء اهل البصرة وقالوا قد سمعنا مقالتك وما نعلم أحدا أقوى عليها منك فهلم فلنبايعك فقال لا حاجة لي في ذلك فكرروا عليه فأبى عليهم ثلاثا ثم بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا ومسحوا ايديهم بالحيطان وقالوا ايظن ابن مرجانة انا ننقاد له في الجماعة والفرقة فلما بايعوه ارسل الى اهل الكوفة مع عمرو بن مسمع وسعد بن القرحاء التميمي يعلمهم ماصنع أهل البصرة ويدعوهم الى البيعة له فلما وصلا الى الكوفة وكان خليفته عليها عمرو بن حريث جمع الناس وقام الرسولان فخطبا اهل الكوفة وذكرا لهم ذلك فقام يزيد بن الحرث ابن يزيد الشيباني وهو ابن رويم فقال الحمد لله الذى اراحنا من ابن سمية انحن نبايعه لا ولا كرامة وحصبهما اول الناس ثم حصبهما الناس بعده فشرفت تلك الفعلة يزيد بن رويم في الكوفة ورفعته ورجع الرسولان الى البصرة فاعلماه الحال فقال أهل البصرة اخلعه اهل الكوفة ونوليه نحن فضعف سلطانه عندهم فكان يأمر بالامر فلا يقضى ويرى الرأى فيرد عليه ويأمر بحبس المخطئ فيحال بين اعوانه وبينه ثم جاء الى البصرة سلمة بن ذؤيب الحنظلي التميمي فوقف في السوق وبيده لواء وقال ايها الناس هلموا الى انى أدعوكم الى مالم يدعكم اليه احد أدعوكم الى العائذ بالحرم يعنى عبد الله بن الزبير فاجتمع اليه ناس وجعلوا يصفقون على يديه يبايعونه فبلغ الخبر ابن زياد فجمع الناس فخطبهم وذكر لهم امره معهم وانه دعاهم الى من يرتضونه فبايعه منهم اهل البصرة وانتم أبوا غيره وقال انى بلغنى انكم مسحتم اكفكم بالحيطان وباب الدار وقلتم ماقلتم وانى آمر بالامر فلا ينفذ ويرد على رأيي ويحال بين اعواني وبين طلبتي ثم ان هذا سلمة بن ذؤيب يدعو الى الخلاف عليكم ليفرق جماعتكم ويضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف فقال الاحنف والناس نحن نأتيك بسلمة فاتوه بسلمة فاذا جمعه قد كثف والفتق قد اتسع فلما رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه فدعا عبيد الله رؤساء محاربة السلطان واراد هم ليقاتلوا معه قالوا ان امرنا قوادنا فعلنا فقال له اخوته مالنا خليفة فنقاتل عنه فان هزمت رجعت اليه فامدك ولعل الحرب تكون عليك وقد اتخذنا بين هؤلاء القوم اموالا فان ظفروا بنا اهلكونا واهلكوها فلم تبق لك بقية فلما راى ذلك ارسل الى الحرث بن قيس بن صهبان الجهضمي الازدي فاحضره وقال له يا حرث ان ابى اوصانى انى ان احتجت الى العرب يوما أن اختاركم فقال الحرث ان قومى قد اختبروا اباك فلم يجدوا عنده مكانا ولا عندك مكافاة ولا اردك اذا اخترتنا ماادرى كيف امانى لك ان اخرجتك نهارا اخاف أن تقتل واقتل ولكنى اقيم معك الى الليل ثم أردفك خلفى لئلا تعرف فقال عبيد الله نعم مارأيت فاقام عنده فلما كان الليل حمله خلفه وكان في بيت المال تسعة عشر الف الف ففرق ابن زياد بعضها في مواليه وادخر الباقى لآل زياد وسار الحرث بعبيد الله بن زياد فكان يمر به على الناس وهم يتحارسون مخافة الحرورية وعبيد الله يسأله اين نحن والحرث يخبره فلما كانوا في بنى سليم قال اين نحن قال في بنى

فلما شاهدوها خافوا وذلوا وطلبوا الامان وبعثوا بمفتاح القلعة فتسلمها وصيرها دار الاسلام بعد ان كانت مقرا لاهل الشرك والازلام ثم توجه الوزير المذكور لازال في عز وسرور بعدما مهد قواعد مدينة القوسة وبنى ماخرب منها الى حصار قلعة ماغوسة وهى من امنع الحصون واصعب المعاقل واكرب المناهل وهى في ساحل البحر الابيض على صخرة صماء وقد حصنوها بشئ كثير من المدافع والمكاحل وشحنوها بجماعة من اسود المحاربين وقد احاط بها خندق واسع عميق بسور عرضه مائة ذراع وعشرة اذرع وعمقه تسعة وعشرون ذراعا وقد ركبت في هذه القلعة سبعمائة واربعة وستون مدفعا كبيرا ومن البنادق مالا يعلم عدده الا الله تعالى فحاصرها العسكر حصارا شديدا وقاتلوا أهلها بالآلات النارية والاحجار المنجنيقية وشقوا بطون الارض شقا وفتقوا قعورها فتقا وسروا في عروقها جريا وتصوبوا الى صوب الحصن هويا

وانهزم أصحابه وهرب اشيم بن شقيق بن ثور فطعنه أحدهم فنجا بها فقال الفرزدق

لو أن اشيم لم يسبق أسنتنا * وأخطأ الباب اذ نيراننا تقد

اذا لصاحب مسعودا وصاحبه * وقد تهافتت الاعفاج والكبد

ولما صعد مسعود المنبر أتى ابن زياد فقيل له ذلك فتهيأ ليجيء الى دار الامارة فأتوه وقالوا له انه قتل مسعود فركب ولحق بالشام فاما مالك بن مسمع فأتاه ناس من مضر فحصروه في داره وحرقوا داره واما هرب ابن زياد تبعوه فاعجزهم فنهبوا ما وجدوا له وفي ذلك يقول واقد بن خليفة التميمي

يارب جبار شديد كلبه * قد صار فينا تاجه وسلبه

منهم عبيد الله يوم نسلبه * جياده وبزه ونهبه

يوم التقى مقنبنا ومقنبه * لو لم ينج ابن زياد هربه

وقد قيل في قتل مسعود ومسير ابن زياد غير ما تقدم وهو انه لما استجار ابن زياد بمسعود بن عمرو اجاره ثم سار ابن زياد الى الشام وارسل معه مسعود مائة من الازد حتى قدموا به الى الشام فبينما هو يسير ذات ليلة قال قد ثقل على ركوب الابل فوطؤا الى على ذي حافر فجعلوا له قطيفة على حمار فركبه ثم سار وسكت طويلا قال مسافر بن شريح اليشكري فقلت في نفسي لئن كان نائما لاوقظن عليه نومه فقلت انائم أنت قال لا كنت احدث نفسي قلت أفلا أحدثك بما كنت تحدث به نفسك قال هات قلت كنت تقول ليتني كنت لم اقتل حسينا قال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن قتلت من قتلت قال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن لم ابن البيضاء قال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن استعملت الدهاقين قال وماذا قلت تقول ليتني كنت اسخى مما كنت قال اما قتلي الحسين فانه أشار الى يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله واما البيضاء فاني اشتريتها من عبد الله ابن عثمان الثقفي وأرسل الى يزيد بألف ألف فانفقتها عليها فان بقيت فلاهلي وان هلكت لم آس عليها واما استعمال الدهاقين فان عبد الرحمن بن أبي بكرة أراد أن يروج فوقع في عند معاوية وبلغ خراج العراق مائة ألف ألف نخيرني معاوية بين العزل والضمان فكرهت العزل فكنت اذا استعملت العربي كسر الخراج فان اغرمت عشيرته او طالبته اوغرت صدورهم وان تركته تركت مال الله وانا اعرف مكانه فوجدت الدهاقين ابصر بالجباية واوفى بالامانة واهون بالمطالبة منكم مع اني قد جعلتكم امناء عليهم لئلا يظلموا احدا واما قولك في السخاء فما كان لي مال فاجود به عليكم ولو شئت لاخذت بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض فيقولون ما اسخاه واما قولك ليتني لم اكن قتلت من قتلت فما عملت بعد كلمة الاخلاص عملا هو اقرب لي الى الله عندي من قتل من قتلت من الخوارج ولكني سأخبرك قلت ليتني كنت قاتلت أهل البصرة فانهم بايعوني طائعين ولقد حرصت على ذلك ولكن بني زياد قالوا ان قاتلتهم فظهروا عليك لم يبقوا منا احدا وان تركتهم يغيب الرجل منا عند اخواله واصهاره فرفقت بهم وكنت اقول ليتني اخرجت اهل السجن فضربت اعناقهم واما اذ فاتت هاتان فليتني اقدم الشام ولم يبرموا امرا قال فقدم الشام ولم يبرموا امرا فكان معه صبيان وقيل بل قدم وقد ابرموا فانتقض عليهم ما ابرموا فلما سار من البصرة استخلف مسعودا عليها فقال بنو تميم وقيس لا نرضى به ولا نولي الا رجلا ترضاه جماعتنا فقال مسعود قد استخلفني ولا ادع ذلك ابدا وخرج حتى انتهى الى القصر ودخله

ولم يزل يناظرهم حتى غلب على رأيهم فاتفق الجميع على لقاء العدو ولما كان يوم الاحد السابع عشر من جمادى الاولى سنة تسع وسبعين وتسعمائة التقى الجمعان وتقابل الفريقان في طرف من بلاد المسلمين فهبت الريح على المسلمين والجأتهم الى البرفانكسروا وذلك بعد قتال شديد دام من طلوع الشمس الى الغروب وقتل المرحوم علي باشا المذكور وجماعة كثيرة لا تحصى وغنم الكفار غنائمهم من الاموال والاسباب والاغربة والشواني وما فيها وقل من سلم من هذه الوقعة فسبحان الحكيم الصمد القادر يفعل ما يشاء فاهتم السلطان في انشاء عمارة اخرى مع ما يناسبها من المدافع فجددوا حتى تم لهم ما راموا في مدة سبعة أشهر وما كان ذلك الا عناية من الله تعالى فصاروا كان لم يمسهم ضر ولا شر وفي هذه السنة برز أمر السلطان بان تهدم رواقات المسجد الحرام لوهنها ونفوذ المطر منها وان يبنى مكانها اقباب عالية فشرع فيها فصارت في غاية ما يكون من الحسن واللطافة وجدد أبواب الحرم فلم يبق فيه من البناء القديم الا البيت العتيق وفي سنة ثمانين وتسعمائة خرجت عمارة السلطان من الخليج القسطنطيني صحبة كاشف البحر قلج علي باشا القبودان في مائة وخمسين غرابا غير ما انضم اليهم من المراكب فسار يحمي

وقال الفرزدق في بيعته

وبايعت اقواما وفيت بعهدهم * وبيه قد بايعته غير نادم

(ذكر هرب ابن زياد الى الشام)

ثم ان الازد وربيعة جددوا الحلف الذي كان بينهم وبين الجماعة وانفق ابن زياد مالا كثيرا فيهم حتى تم الحلف وكتبوا بذلك بينهم كتابين فكان أحدهما عند مسعود بن عمرو فلما سمع الاحنف ان الازد طلبت الى ربيعة ذلك قال لا يزالون لهم اتباعا اذا أتوهم فلما تحالفوا اتفقوا على ان يردوا ابن زياد الى دار الامارة فسار واورئيسهم مسعود بن عمرو وقالوا لابن زياد سر معنا فلم يفعل وارسل معهم مواليه على الخيل وقال لهم لا تحدثوا بخير ولا بشر الا اتيتموني به فجعل مسعود لا يأتي سكة ولا يتجاوز قبيلة الا أتى بعض أولئك الغلمان ابن زياد بالخبر وسارت ربيعة وعليهم مالك بن مسمع فأخذوا سكة المربد وجاء مسعود فدخل المسجد فصعد المنبر وعبد الله بن الحرث في دار الامارة فقيل له ان مسعودا وأهل اليمن وربيعة قد ساروا وسيهيج بين الناس شر فلو اصلحت بينهم وركبت في بني تميم فقال أبعدهم الله لا والله لا افسدت نفسي في اصلاحهم وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول

لننكحن بيه * جارية في قبه * تمشط رأس لعبه

هذا قول الازد واما مضر فيقولون ان أمه كانت ترقصه وتقول هذا وصعد مسعود المنبر وسار مالك بن مسمع نحو دور بني تميم حتى دخل سكة بني العدوية فحرق دورهم لما في نفسه لاستعراض بني حازم ربيعة بهراة وجاء بنو تميم الى الاحنف فقالوا يا أبا بحر ان ربيعة والازد قد تحالفوا وقد ساروا الى الرحبة فدخلوها فقال لستم بأحق بالمسجد منهم فقالوا قد دخلوا الدار فقال لستم بأحق بالدار منهم فاتته امرأة بمجمر وقالت له ما لك وللرياسة انما أنت امرأة تتجمر فقال لست امرأة أحق بالمجمر منك فاسمع منه كلمة أسوأ منها ثم أتوه فقالوا ان امرأة منا قد نزعت خلخالها وقد قتلوا الضباع الذي على طريقك وقتلوا المقعد الذي على باب المسجد وقد دخل مالك بن مسمع سكة بني العدوية فحرق فقال الاحنف أقيموا البينة على هذا ففي دون هذا ما يحل قتالهم فشهدوا عنده على ذلك فقال الاحنف اجاء عباد بن الحصين قالوا لا وهو عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو بن أوس من بني عمرو بن تميم ثم قال اجاء عباد قالوا لا قال اههنا عبس ابن طلق بن ربيعة الصريمي من بني سعد بن زيد مناة بن تميم قالوا نعم فدعاه فانتزع معجرا في رأسه فعقده في رمح ثم دفعه اليه وقال سر فلما ولى قال اللهم ان لم تخزها اليوم فانك لم تخزها فيما مضى وصاح الناس هاجت زبرا وهي أم الاحنف كنوا بها عنه فسار عبس الى المسجد فلما سار عبس جاء عباد فقال ما صنع الناس فقيل سار بهم عبس فقال لا أسير تحت لواء عبس وعاد الى بيته ومعه ستون فارسا فلما وصل عبس الى المسجد قاتل الازد على أبوابه ومسعود على المنبر يحضض الناس فقاتل غطفان بن أنيف التميمي وهو يقول

يال تميم انها مذكوره * ان فات مسعود بها مشهوره

فاستمسكوا بجانب المقصوره

أي لا يهرب واتوا مسعودا وهو على المنبر فاستنزلوه وقتلوه وذلك أول شوال سنة أربع وستين

ثم غدر به فقتله أشر قتلة ثم أمر بجن في المراكب فاخرجوا واستؤسروا واستولى على جميع ما معهم من الغنائم ثم سار بعمارة انهب بجزائر الكفار وطلعوا على جزيرة كفاليتة ونهبوها وهدموا بنيانها ثم الى جزيرة كورفس وهي مفتاح بلاد البنادقة فحاصروها بعض أيام وعاثوا فيها نهبا وتخريبا ثم فعلوا ذلك بعدة جزائر هنالك فلما طال مكثهم على وجه البحر وراوا أن العدو ما قابلهم اغتروا فاذن الوزير بربروسا باشا بالتفرق فتفرق العسكر غالبهم وقد ملؤا المراكب باسباب الغنائم وشحنوها فما بقيت العساكر مرسين في ميناء بينه بحتى اذ وصل اليهم الخبر بأن الكفار اسخبروا عن تفرقكم فهاهم سائرون اليكم وواصلون اليكم في مال كثيرة وقبائل شتى من اهل الاوثان وغيرهم فتشاور المسلمون بعضهم مع بعض فكان رأى الوزير الاعظم بربروسا في ذلك أن لا يقابلهم ولا يقاتلهم وكان ذلك مقتضى طبعه لانه كان حسابا الى الغاية وكان ما رآه هو الانسب بمقتضى الحال وخالفه كاشف البحر علي باشا في ذلك وكان رجلا شجاعا بطلا مغوارا فقال لا بد من لقاء الكفار فان وهج العار أشد من وهج النار وقد أيدنا الله بالاسلام وزاد فينا قوة وبسطا ولو سارت اغربتنا وهي خالية من عسكر الاسلام لكفت قبائل الكفار فكيف وانا بينكم وبينا من العسكر ما يفي بالمقابلة وانهزم

انى لا كره تشديد الرواة لنبا * فى قعر خابية ماء العناقيد

ولما بايعه أهل الكوفة وكتبوا بذلك الى ابن الزبير اقره عليها وكان يلقب دحروجة الجعل وكان قصيرا فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الخطمى الانصارى على الصلاة وابراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج من عند ابن الزبير واستعمل محمد ابن الاشعث بن قيس على الموصل فاجتمع لابن الزبير أهل الكوفة والبصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الشام الا أهل الاردن فى امارة عمر بن عبيد الله بن معمر وكان طاعون الجارف بالبصرة فماتت امه فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة اعلاج فحملوها

(ذكر خلاف أهل الرى)

فى هذه السنة بعد موت يزيد خالف اهل الرى وكان عليهم الفرخان الرازى فوجه اليهم عامر ابن مسعود وهو امير الكوفة محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمى فلقيه أهل الرى فانهزم محمد فبعث اليهم عامر عتاب بن ورقاء الرياحى التميمى فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل الفرخان وانهزم المشركون وكان محمد بن عمير هذا مع على بصفين على تميم الكوفة ثم عاش بعد ذلك فلما ولى الحجاج الكوفة فارقها وسار الى الشام لكراهته ولاية الحجاج

(ذكر بيعة مروان بن الحكم)

فى هذه السنة بويع مروان بن الحكم بالشام وكان السبب فيها ان ابن الزبير لما بويع له بالخلافة ولى عبيد الله بن الزبير المدينة وعبد الرحمن بن جحدم الفهرى مصر واخرج بنى امية ومروان ابن الحكم الى الشام وعبد الملك بن مروان يومئذ ابن ثمان وعشرين سنة فلما قدم الحصين ابن نمير ومن معه الى الشام اخبر مروان بما كان بينه وبين ابن الزبير وقال له ولبنى أمية نراكم فى اختلاط فأقيموا أميركم قبل ان يدخل عليكم شأنكم فتكون فتنة عمياء صماء وكان من رأى مروان ان يسير الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة فقدم ابن زياد من العراق وبلغه ما يريد مروان ان يفعل فقال له قد استحييت لك من ذلك انت كبير قريش وسيدها تمضى الى أبى خبيب فتبايعه يعنى ابن الزبير لانه كان يكنى بابنه خبيب فقال ما فات شئ بعد فقام اليه بنو امية ومواليهم وتجمع اليه أهل اليمن فسار الى دمشق وهو يقول ما فات شئ بعد فقدم دمشق والضحاك بن قيس قد بايعه أهلها على ان يصلى بهم ويقيم لهم امرهم حتى يجتمع الناس وهو يدعو الى ابن الزبير سرا وكان زفر بن الحرث الكلابى بقنسرين يبايع لابن الزبير والنعمان ابن بشير بحمص يبايع له أيضا وكان حسان بن مالك بن بحدل الكلبى بفلسطين عاملا لمعاوية ولابنه يزيد وهو يريد بنى امية فسار الى الاردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامى فثار ناتل بن قيس بروح فاخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير وكان حسان فى الاردن يدعو الى بنى أمية فقال لاهل الاردن ما شهادتكم على ابن الزبير وقتلى الحرة قالوا نشهد انه منافق وان قتلى الحرة فى النار قال فما شهادتكم على يزيد وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد انه على الحق وان قتلانا فى الجنة قال فانا أشهد لئن كان يزيد وشيعته على حق انهم اليوم على حق ولئن كان ابن الزبير وشيعته على باطل انهم اليوم عليه قالوا له صدقت نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك

جبلة أهل هذه الدولة حيث تيسر لهم هذا الامر ولم يتيسر لمن كان قبلهم من الخلفاء والملوك وكم سعوا فى هذا الامر فلم يقدروا عليه وفى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة خرجت عمارة عظيمة فى سفن واغربة وقلايين وشوانى مشحونة بالرجال وآلات الحرب صحبة الوزير سنان باشا وصحبة كاشف البحر على باشا قاصدين فتح قلعة حلق الوادى وتخليص مدينة تونس من أيدى الافرنج وقد مر ذكرها فى قصة بنى حفص الى ان آل الحال الى فتح القلعة والمدينة وتحصينها فلله الحمد والمنة وفى هذه السنة أنشأ السلطان حماما بدار السعادة على صفة قبلوجة بروسة بحيث لم يبصر مثله فلما تم دخل السلطان الحمام المذكور فبينما هو يمشى اذ زلق قدمه فسقط سقطة عظيمة فاسود منها جنبه الذى سقط عليه فلما برز من الحمام عرض ذلك على رئيس الاطباء محمد بن غرس الدين وكان جاهلا فعالجه ببعض ضمادات فلم ينجع وكان الواجب فصده من غير تأخير وكان أمر الله قدرا مقدورا ثم لم يلبث ان حم السلطان واشتد مرضه فلم ينجع الطب فيه وتوفى فى ثامن عشرى شعبان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة يوم الاثنين وقت الزوال واخفى موته أحد عشر يوما وشاع بين الناس فلم يتحققوا موته حتى قدم ولده الحسيب السلطان مراد خان

واجتمعت تميم الى الاحنف فقالوا له ان الازد قد دخلوا المسجد قال انما هو لهم ولكم قالوا قد دخلوا القصر وصعد مسعود المنبر وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا نهر الاساورة حين خرج عبيد الله الى الشام فزعم الناس ان الاحنف بعث اليهم ان هذا الرجل الذى قد دخل القصر هو لنا ولكم عدو فما يمنعكم عنه فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود على المنبر يبايع من أتاه فرماه علج يقال له مسلم من أهل فارس دخل البصرة فاسلم ثم دخل فى الخوارج فأصاب قلبه فقتله فقال الناس قتله الخوارج فخرجت الازد الى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرحوا فطردوهم عن البصرة ثم قيل للازد ان تميما قتلوا مسعودا فارسلوا يسألون فاذا ناس من تميم تقوله فاجتمعت الازد عند ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو أخا مسعود بن عمرو ومعهم مالك ابن مسمع فى ربيعة وجاءت تميم الى الاحنف يقولون قد خرج القوم وهو متمكث لا يحب الفتنة فجاءته امرأة بمجمر فقالت اجلس على هذا أى انما أنت امرأة فخرج الاحنف فى بنى تميم ومعهم من بالبصرة من قيس فالتقوا فقتل بينهم قتلى كثيرة فقال لهم بنو تميم الله الله يا معشر الازد فى دمائنا ودمائكم بيننا وبينكم القرآن ومن شئتم من أهل الاسلام فان كان لكم علينا بينة فاختاروا أفضل رجل فينا فاقتلوه وان لم تكن لكم بينة فانا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ولا نعلم له قاتلا وان لم تريدوا ذلك فنحن ندى صاحبكم بمائة ألف درهم واتاهم الاحنف واعتذر اليهم مما فعل وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فطلبوا عشر ديات فأجابهم الى ذلك واصطلحوا عليه واما عبد الله بن الحرث ببة فانه أقام يصلى بهم حتى قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر أميرا من قبل ابن الزبير وقيل بل كتب ابن الزبير الى عمر بعهده على البصرة فأتاه الكتاب وهو متوجه الى العمرة فكتب عمر الى اخيه عبيد الله يأمره ان يصلى بالناس فصلى بهم حتى قدم عمر فبقى عمر أميرا شهرا حتى قدم الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى بعزله ووليها الحرث وهو القباع وقيل اعتزل عبد الله بن الحرث ببة أهل البصرة بعد قتل مسعود بسبب العصبية وانتشار الخوارج فكتب اهل البصرة الى ابن الزبير فكتب ابن الزبير الى أنس بن مالك يأمره ان يصلى بالناس فصلى بهم اربعين يوما وكان عبيد الله بن الحرث يقول ما احب ان أصلح الناس بفساد نفسى وكان يتدين وفى ايامه سار نافع بن الازرق الى الاهواز من البصرة واما أهل الكوفة فانهم لما ردوا رسل ابن زياد على ما ذكرناه قبل عزلوا خليفته عليهم وهو عمرو بن حريث واجتمع الناس وقالوا نؤمر علينا رجلا الى ان يجتمع الناس على خليفة فاجتمعوا على عمر بن سعد فجاءت نساء همدان يبكين الحسين ورجالهم متقلدو السيوف فأطافوا بالمنبر فقال محمد بن الاشعث جاء أمر غير ما كنا فيه وكانت كندة تقوم بأمر عمر بن سعد لانهم اخواله فاجتمعوا على عامر بن مسعود بن امية بن خلف بن وهب بن حذافة الجمحى فخطب أهل الكوفة فقال ان لكل قوم اشربة ولذات فاطلبوها فى مظانها وعليكم بما يحل ويحمد واكسروا شرابكم بالماء وتواروا عنى بهذه الجدران فقال ابن همام

اشرب شرابك وانعم غير محسود * واكسره بالماء لا تعص ابن مسعود
ان الامير له فى الخمر مأربة * فاشرب هنيئا مريئا غير مرصود
من ذا يحرم ماء المزن خالطه * فيها ويحجبنى قول ابن مسعود

البلاد عن هجوم العدو فلما كان بعض اطراف البلاد صادف عمارة الافرنج فوقع بين الفريقين بعض مقاتلة ومناوشة واصاب عدة مدافع لبعض سفن العدو فاغرقها ثم انجلى كل من الفريقين نحو بلاده لمصادفة الشتاء وفى هذه السنة أمر السلطان بهدم البيوت والدكاكين الملاصقة لجامع أياصوفية بمدينة قسطنطينية وكان الناس قد أكثروا من البنيان حتى استتر الجامع واعتم وفقدت القاذورات الى داخل الجامع فهدمت نحو أربعين ذراعا وصار حول الجامع مفازة لطيفة فصارت فى غاية ما يكون من الحسن وأمر السلطان بترميم الجامع المذكور وأن يبنى منارتان أخريان وامر ان يبنى حواليها مدرستان جامعتان فشرع فى ذلك وقضى السلطان نحبه وفى هذه السنة ورد الخبر بان عين عرفة وصلت الى مكة المشرفة وجرت على وجه الارض فى أماكن متعددة وكان من امرها انه كان انهى الى السلطان سليمان خان اسكنه الله غرف الجنان بان عين حنين قد ضعفت الى الغاية وان أهل مكة فى ضيق عظيم بسبب الماء فأمر باجراء عين عرفة الى مكة فصرف واقف ذلك أموال الدنيا ولم يزالوا يباشرونها من ذلك العهد حتى تيسر مجيئها الى عهد ولده السلطان سليم خان وهذه نعمة

الى

تذكرون ولكنه ضعيف وليس بصاحب أمة محمد الضعيف وتذكرون ابن الزبير وهو كما تذكرون انه ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ابن ذات النطاقين ولكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس المنافق بصاحب امة محمد واما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الاسلام صدع الا كان ممن يشعبه وهو الذى قاتل على ابن أبى طالب يوم الجمل وانا ارى للناس ان يبايعوا الكبير ويستشبروا الصغير يعنى بالكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان بن الحكم ثم لخالد بن يزيد ثم لعمرو ابن سعيد بن العاص من بعد خالد على ان امرة دمشق لعمرو وامرة حمص لخالد بن يزيد فدعا حسان خالدا فقال يا ابن أختى ان الناس قد أبوك لحداثة سنك وانى والله ما اريد هذا الامر الا لك ولاهل بيتك وما ابايع مروان الا نظرا لكم فقال خالد بل عجزت عنا قال والله ما عجزت عنكم ولكن الرأى لك ما رأيت ثم بايعوا مروان لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربع وستين وقال مروان حين بويع له

لما رأيت الامر أمرا نهبا * سيرت غسان لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا * وطيئا يأباه الا ضربا *
والقين يمشى فى الحديد نكبا * ومن تنوخ مشمخرا صعبا
لا يأخذون الملك الا غصبا * فان دنت قيس فقل لا قربا

(خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة)

(ذكر وقعة مرج راهط وقتل الضحاك والنعمان بن بشير)

ثم ان مروان لما بايعه الناس سار من الجابية الى مرج راهط وبه الضحاك بن قيس ومعه ألف فارس وكان قد استمد الضحاك النعمان بن بشير وهو على حمص فامده بشرحبيل بن ذى الكلاع واستمد أيضا زفر بن الحرث وهو على قنسرين فامده باهل قنسرين وامده ناتل باهل فلسطين فاجتمعوا عنده واجتمع على مروان كلب وغسان والسكاسك والسكون وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وكان يزيد بن أبى النمس الغسانى مختفيا بدمشق لم يشهد الجابية فغلب على دمشق وأخرج عامل الضحاك بن قيس وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وامده بالاموال والرجال والسلاح فكان أول فتح على بنى أمية وتحارب مروان والضحاك بمرج راهط عشرين ليلة واقتتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك قتله دحية بن عبد الله وقتل معه ثمانون رجلا من اشراف أهل الشام وقتل أهل الشام مقتلة عظيمة وقتلت قيس مقتلة لم يقتل مثلها فى موطن قط وكان فيمن قتل هانئ بن قبيصة النميرى سيد قومه كان مع الضحاك قتله وازع بن ذؤالة الكلبى فلما سقط جريحا قال

تعست ابن ذات النوف أجهز على امرئ * يرى الموت خيرا من فرار والزما
ولا تتركنى بالحشاشة انى * صبور اذا ما النكس مثلك احجما *

فعاد اليه وازع فقتله وكانت الوقعة فى المحرم سنة خمس وستين وقيل بل كانت فى آخر سنة أربع وستين ولما رأى مروان رأس الضحاك ساءه ذلك وقال الآن حين كبرت سنى ودق عظمى وصرت فى مثل ظمء الحمار اقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض ولما انهزم الناس من المرج

فساروا عليه وعزوه بابنه وصلى عليه قبل صلاة الظهر فى دار السعادة وهو أول سلطان صلى عليه بدار السعادة وهو شىء لم يسبق اليه وهو أول سلطان توفى بمدينة قسطنطينية وتقدم للصلاة عليه العالم الكامل أبو حامد المفتى باشارة من السلطان اليه ثم ذهبوا بالجنازة فوضعت تحت خيمة جعلوها فى جنب أياصوفية لعدم تهيؤ القبر ثم عاد الناس الى دار السعادة لاجل الصلاة على أولاد السلطان سليم خان وكانوا خمسة اخوة خنقوا فى ذلك اليوم على ما جرت به عوائدهم فصلوا عليهم بعد صلاة العصر ثم جاؤا بهم عند أبيهم ولما اصبح الصباح من يوم الخميس التاسع من رمضان حضر العلماء والوزراء والاعيان فدفنوا جميعهم فى ذلك الموضع وكان رحمه الله شهما شجاعا ذكيا مائلا الى التقوى ووجوه الخير وكان مهيب الشكل جليل القدر صحيح العقيدة حنفى المذهب مواظبا على الصلوات الخمس وكان مع ذلك متهما بالميل الى اللهو والطرب والتوغل فى النعم وقد صح انه رجع فى مدة مرضه قبل موته بشهرين (ومما يحكى) عن حسن اعتقاده وحسن حاله انه لما انشأ العمارة الجديدة من الاغربة والسفن عند وقعة الهزيمة وجهزها من الجراخاص النية وتوضأ ودخل بيت خلوته فصلى فيه ما شاء الله وبكى وتضرع وخر ساجدا زمانا

واطاع ابن الزبير على ان تجنبنا هذين الغلامين يعنون ابني يزيد عبد الله وخالدا فانا نكره ان
ياتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي وكتب حسان الى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بني امية
وحسن بلائهم عنده ويذم ابن الزبير وانه خلع خليفتين وأمره ان يقرأ كتابه على الناس وكتب
كتابا آخر وسلمه الى الرسول واسمه باغضة وقال له ان قرأ كتابي على الناس والا فاقرأ هذا الكتاب
عليهم وكتب حسان الى بني أمية يأمرهم ان يحضروا ذلك فقدم باغضة فدفع كتاب الضحاك
اليه وكتاب بني أمية اليهم فلما كانت الجمعة صعد الضحاك المنبر فقال له باغضة اقرأ كتاب
حسان على الناس فقال له الضحاك اجلس فقام اليه الثانية والثالثة وهو يقول له اجلس
فاخرج باغضة الكتاب وقرأه على الناس فقال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان صدق حسان
وكذب ابن الزبير وشتمه وقيل كان الوليد قد مات بعد موت معاوية بن يزيد وقام يزيد بن أبي
الغمس الغساني وسفيان بن الابرد الكلبي فصدقا حسانا وشتما ابن الزبير وقام عمرو بن يزيد
الحكمي فشتم حسانا واثنى على ابن الزبير فأمر الضحاك بالوليد ويزيد بن أبي الغمس وسفيان
فحبسوا وجال الناس ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه ومزقوا ثيابه وقام خالد
ابن يزيد فصعد مرقاتين من المنبر وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى الجمعة ودخل القصر فجاءت
كلب فأخرجوا سفيان وجاءت غسان فاخرجوا يزيد وجاء خالد بن يزيد وأخوه عبد الله معهما
اخوالهما من كلب فأخرجوا الوليد بن عتبة وكان اهل الشام يسمون ذلك اليوم يوم جيرون
الاول ثم خرج الضحاك الى المسجد فجلس فيه وذكر يزيد بن معاوية فسبه فقام اليه شاب
من كلب فضربه بعصا فقام الناس بعضهم الى بعض فاقتتلوا قيس تدعو الى ابن الزبير ونصرة
الضحاك وكلب تدعو الى بني أمية ثم الى خالد بن يزيد لانه ابن اختهم ودخل الضحاك دار
الامارة ولم يخرج من الغد الى صلاة الفجر وبعث الى بني امية فاعتذر اليهم وانه لا يريد
ما يكرهون وامرهم ان يكتبوا الى حسان ويكتب معهم ليسير من الاردن الى الجابية ويسيروا
هم من دمشق فيجتمعوا معه بالجابية ويبايعوا الرجل من بني امية فرضوا وكتبوا الى حسان
وسار الضحاك وبنو امية نحو الجابية فأتاه ثور بن معن السلمي فقال دعوتنا الى ابن الزبير
فبايعناك على ذلك وأنت تسير الى هذا الاعرابي من كلب تستخلف ابن أخته خالد بن يزيد فقال
الضحاك فما الرأي قال الرأي ان تظهر ما كنا نكتم وتدعو الى ابن الزبير فرجع الضحاك ومن
معه من الناس فنزل مرج راهط ودمشق بيده واجتمع بنو امية وحسان وغيرهم بالجابية فكان
حسان يصلي بهم أربعين يوما والناس يتشاورون وكان مالك بن هبيرة السكوني يهوى خالد بن
يزيد والحصين بن نمير يميل الى مروان فقال مالك للحصين هل نبايع هذا الغلام الذي نحن ولدنا
أباه وقد عرفت منزلتنا من أبيه فانه يحملنا على رقاب العرب غدا يعني خالدا فقال الحصين
لا والله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبي فقال مالك والله لئن استخلفت مروان ليحسدنك
على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها ان مروان أبو عشيرة واخو عشيرة فان بايعتموه
كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن اختكم فقال الحصين اني رأيت في المنام قنديلا معلقا من
السماء وان من يلي الخلافة يتناوله فلم ينله أحد الا مروان والله لنستخلفنه وقام روح بن زنباع
الجذامي فقال أيها الناس انكم تذكرون عبد الله بن عمر وصحبته وقدمه في الاسلام وهو كما

ليلة الاربعاء الثامن من رمضان بعد مامضى ثمان ساعات من الليل وكان الطالع اذ ذاك الجدي وكان السلطان لما توفي
أمر الوزير لرئيس الاطباء
ان يتولى غسله وعدة من
خواصه الطواشية وكفنوه
وجعلوه في تابوت من غير
اشعار احد ووضعوه في
المكان الذي توفي فيه فلما
وصل السلطان ولم يشعر به
أحد وكان أكثر الناس
من القول بموته وخف
الاضطراب من العسكر
أخبر الوزير اركان الملك بان
السلطان طيب وانه يعمل
الموكب يوم الثلاثاء فلما
فلما كان يوم الثلاثاء توجه
الوزير وقضاة العسكر وسائر
أركان الدولة الى الديوان
فدخل الوزراء على السلطان
كما كانوا يدخلون أولا
للعرض فشاهدوه ميتا في
جوف التابوت فقال الوزير
محمد باشا هذا سلطانكم
قد مات وان الذي لا يموت
الحي القيوم فترحموا عليه
وخفضوا اصواتكم هذا
وسلطانكم الجديد قد وصل
سلامته وافرحوا عليه
وخرجوا فلما شاهد الناس
منهم هذه الحالة تيقنوا
بموت السلطان فلما كان
صبيحة يوم الاربعاء أذن
المؤذنون على المنارات
ونادى المنادون في الاسواق
بان السلطان سليم توفي الى
رحمة الله تعالى وان
سلطانكم السلطان مراد خان أيده الله تعالى وانه استقر على سرير الملك فذهب العلماء والكبراء الى دار السعادة

تذكرون

عليها كاسد الغاب تتيان نجدة * اذا شرعوا نحو الطوال العواليا

وقال عمرو بن المخلى الكلبي

بكى زفر القيسي من هلك قومه * بعبرة عين ما يجف سجومها
تبكي على قتلى أصيبت براهط * تجاوبها هام القفار وبومها
ابحي حمى للحي قيس براهط * وولت شلالا واستبيح حريمها
تبكيهم حران تجري دموعها * ترجي نزارا أن تؤوب حلومها
فمت كمدا او عش ذليلا مهضما * بحسرة نفس لا تنام همومها

في أبيات (يزيد بن أبي النمس بالسين المهملة وقيل بالشين المعجمة وكان قد ارتد عن الاسلام ودخل الروم مع جبلة بن الايهم ثم عاود الاسلام وشهد صفين مع معاوية وعاش الى أيام عبد الملك بن مروان ونائل بالنون والتاء المعجمة من فوق باثنتين)

(ذكر فتح مروان مصر)

فلما قتل الضحاك واصحابه واستقر الشام لمروان سار الى مصر فقدمها وعليها عبد الرحمن بن جحدم القرشي يدعو الى ابن الزبير فخرج الى مروان فيمن معه وبعث مروان عمرو بن سعيد من ورائه حتى دخل مصر فقيل لابن جحدم ذلك فرجع وبايع الناس مروان ورجع الى دمشق فلما دنا منها بلغه أن ابن الزبير قد بعث اليه أخاه مصعبا في جيش فارسل اليه مروان عمرو بن سعيد قبل ان يدخل الشام فقاتله فانهزم مصعب واصحابه وكان مصعب شجاعا ثم عاد مروان الى دمشق واستقر بها وقد كان الحصين بن نمير ومالك بن هبيرة قد اشترطا على مروان شروطا لهما ولخالد بن يزيد فلما توطن ملكه قال ذات يوم ومالك عنده ان قوما يدعون شروطا منهم عطارة مكحلة يعني مالكا وكان يتطيب ويتكحل فقال مالك هذا ولما تردي تهامة ويبلغ الحزام الطبيين فقال مروان مهلا يا أبا سليمان انما داعبناك فقال هو ذاك

(ذكر بيعة أهل خراسان سلم بن زياد وامر عبد الله بن خازم)

ولما بلغ سلم بن زياد وهو بخراسان موت يزيد كتم ذلك فقال ابن عرادة

يا أيها الملك المغلق بابه * حدثت أمور شأنهن عظيم
قتلى بجرة والذين بكابل * ويزيد أغلق بابه المكتوم
أبني امية ان آخر ملككم * جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده * كوب وزق راعف مرثوم
ومرنة تبكي على نشوانه * بالصبح تقعد مرة وتقوم

فلما أظهر شعره اظهر سلم موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد ودعا الناس الى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة فبايعوه ثم نكثوا به بعد شهرين وكان محسنا اليهم محبوبا فيهم فلما خلع عنهم استخلف عليهم المهلب بن ابي صفرة ولما كان بسرخس لقيه سليمان بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة بن ربيعة فقال له ضاقت عليك نزار حتى خلفت على خراسان رجلا من اليمن يعني المهلب وكان ازديا والازد من اليمن فولاه مرو الروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى اوس بن ثعلبة بن زفر وهو صاحب قصر أوس بالبصرة هراة فلما وصل الى

وهي مدينة اسلامية فوجد فيها المساجد والجوامع ومزارات الاولياء وفيها مزار الشيخ العارف بالله أبي الحسن الخرقاني من كبراء الصوفية فلما استولى عليها الكفار اخربوها ثم سار الى تخوم بلاد العجم والكرج حتى وصل الى مكان يسمى جلدر من بلاد الشام فحاصر هنالك قلعة الكفار والكرج تسمى يكي قلعة فاستولى عليها ثم هجم عليه عسكر الشاه صحبة وزيره دقماق فبعث الوزير مصطفى باشا عسكرا الى قتاله فهزموهم وحصدوهم بالسيوف واستولوا على اموالهم وخيولهم ثم استولى الوزير المذكور هنالك على عدة قلاع وشحنها بالرجال ثم سار حتى افتتح قلعة تفليس من بلاد اورخان قاعدة مملكة الكرج وكان المسلمون افتتحوها قديما ثم غلب الكرج واستولوا عليها ولما فتحت مدينة تفليس ارسلت أم منوجهر الكرجي ملكة تلك البلاد ابنها الى الوزير بالطاعة ومعه مفاتيح ثمان قلاع من القلاع الستة عشر التي تملكها فرحب به الوزير وآنس به وعين له امرة تلك البلاد وذلك بعد ان اسلم منوجهر بين يدي الوزير ثم قام الوزير المذكور بعد ان نصب في تفليس أمير الامراء الى طرف شروان وهي شماخي وبث سراياه الى الاطراف وتمكن منهم ثم ترك فيها الوزير عثمان باشا ابن ازدمر واليا بها فلما اقبل الشتاء توجه الوزير الى

لحقوا بأجنادهم فانتهى أهل حمص اليها وعليها النعمان بن بشير فلما بلغه الخبر خرج هاربا بالليل ومعه امرأته نائلة بنت عمارة الكلبية وثقله وأولاده فتحير ليلته كلها واصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذي طلبه عمرو بن الخلي الكلاعي فقتله ورد أهله والرأس معه وجاءت كلب من اهل حمص فأخذوا نائلة وولدها معها ولما بلغت الهزيمة زفر بن الحرث الكلابي بقنسرين هرب منها فلحق بقرقيسيا وعليها عياض الحرشي كان يزيد ولاه اياها فطلب منه ان يدخل الحمام ويحلف له بالطلاق والعتاق على انه لما يخرج من الحمام لا يقيم بها فأذن له فدخلها فغلب عليها وتحصن بها ولم يدخل حمامها فاجتمعت اليه قيس وهرب ناتل بن قيس الجذامي من فلسطين فلحق بابن الزبير بمكة واستعمل مروان بعده على فلسطين روح بن زنباع واستوثق الشام لمروان واستعمل عماله عليها وقيل ان عبيد الله بن زياد انما جاء الى بني أمية وهم بتدمر ومروان يريد ان يسير الى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ منه الامان لبني امية فردّه عن ذلك وأمره ان يسير باهل تدمر الى الضحاك فيقاتله ووافقه عمرو بن سعيد واشار على مروان بأن يتزوج ام خالد بن يزيد ليسقط من أعين الناس فتزوجها وهي فاختة ابنة أبي هاشم بن عتبة ثم جمع بني أمية فبايعوه وبايعه اهل تدمر وسار الى الضحاك في جمع عظيم فخرج الضحاك اليه فقاتلا فانهزم الضحاك ومن معه وقتل الضحاك وسار زفر بن الحرث الى قرقيسيا واجتمعت عليه قيس وصحبه في هزيمته الى قرقيسيا شابان من بني سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم فقال الشابان لزفر انج بنفسك فانا نحن نقتل فمضى زفر وتركهما فقتلا وقال زفر في ذلك

أريني سلاحي لا أبالك انني * اذا الحرب لا تزداد الا تماديا
أتاني عن مروان بالغيب انه * مقيد دمي أو قاطع من لسانيا
ففي العيش منجاة وفي الارض مهرب * اذا نحن رفعنا لهن المبانيا
فلا تحسبوني ان تغيبت غافلا * ولا تفرحوا ان جئتكم بلقائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى * له ورق من تحته الشر باديا
وتفنى ولا يبقى على الارض دمنة * وتبقى حزازات النفوس كما هيا
لعمري لقد ابقت وقيعة راهط * لحسان صدعا بيننا متنائيا
فلم تر مني نبوة قبل هذه * فراري وتركي صاحبي ورائيا
عشية ادعو في القران فلا أرى * من الناس الا من عليّ ولا ليا
أيذهب يوم واحد ان اسأته * بصالح ايامي وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تشحط الخيل بالقنا * وتثأر من نسوان كلب نسائيا
ألا ليت شعري هل تصيبن غارتي * تنوخا واحيي طيأ من سقائيا

فأجابه جوّاس بن القعطل

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط * على زفر داء من الداء باقيا *
مقيما ثوى بين الضلوع محله * وبين الحشا اعيا الطبيب المداويا
تبكي على قتلى سليم وعامر * وذبيان معذورا وتبكي البواكيا
دعا بالسلاح ثم أحجم اذ رأى * سيوف جناب والطوال المذاكيا

طويلا ثم أخذ المصحف فتفاءل فيما يؤول اليه حال العسكر المجهز للعدو فجاء أول المصحف بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فاستبشر السلطان وحمد الله واثنى عليه وسكن ما به من الاضطراب وكانت مدة سلطنته ثمانية اعوام وخمسة أشهر وتسعة عشر يوما وكان مولده في أواخر رجب سنة ثلاثين وتسعمائة بالقسطنطينية

(وتولى الملك بعده ولده السلطان المعتصم بالله مراد خان بن السلطان سليم خان)

ولد في مدينة قسطنطينية سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وتاريخ ولادته خير الف مب ٩٥٣ بحساب الجمل وتربى في حجر السعادة واشتغل بالعلوم حتى حصلها وفاق أكثر اسلافه العظام وله نظم في الالسن الثلاثة واشتغل بعلم التصوف ولم يصدر منه شيء من الكبائر وكان عمره حين جلس على سرير الملك ثلاثين سنة وكان أكبر همه قتال صاحب أذربيجان وخراسان من أولاد حيدر الصفوي فعين الوزير مصطفى باشا فاتح بلاد قبرس فتوجه في سنة ست وثمانين وتسعمائة بعسكر كثير الى بلاد الشرق فبنى قلعة قارص وشحنها بالمدافع والمكاحل

الليل فرجع زهير وقد يبست يده على رمحه من البرد فلم ايسطعوا الشعر فيضعه على يده ودهنوه واوقدوا له نارا فانتفخت يده ثم رجع الى هراة فقال فى ذلك ثابت قطنة

فدت نفسى فوارس من تميم * على ما كان من ضنك المقام
بقصر الباهلى وقد أرانى * أحامى حين قل به المحامى
بسيفى بعد كسر الرمح فيهم * اذودهم بذى شطب حسام
أكر عليهم اليحموم كرا * ككر الشرب آنية المدام
فلو لا الله ليس له شريك * وضربى قونس الملك الهمام
اذا فاضت نساء بنى دثار * أمام الترك بادية الخدام

(ذكر أمر التوابين)

قيل لما قتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة تلاقته الشيعة بالتلاوم والتنادم ورأت ان قد أخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين وتركهم نصرته واجابته حتى قتل الى جانبهم ورأوا انه لا يغسل عارهم والاثم عليهم الا القتل من قتله والقتل فيهم فاجتمعوا بالكوفة الى خمسة نفر من رؤساء الشيعة الى سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة والى المسيب بن نجبة الفزارى وكان من اصحاب على والى عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى والى عبد الله بن وال التيمى تيم بكر بن وائل والى رفاعة بن شداد البجلى وكانوا من خيار أصحاب على فاجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد الخزاعى فبدأهم المسيب بن نجبة فقال بعد حمد الله اما بعد فانا ابتلينا بطول العمر والتعرض لانواع الفتن فنرغب الى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له غدا أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فان أمير المؤمنين عليا قال العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجل الا وقد بلغه وقد كنا مغرمين بتزكية انفسنا فوجدنا الله كاذبين فى كل موطن من مواطن ابن بنت نبيه صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله واعذر الينا فسألنا نصره عودا وبدأ وعلانية فبخلنا عنه بانفسنا حتى قتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بايدينا ولا جادلنا عنه بالسنتنا ولا قويناه باموالنا ولا طلبنا له النصرة الى عشائرنا فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا وقد قتل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه او تقتلوا فى طلب ذلك فعسى ربنا ان يرضى عنا عند ذلك ولا انا بعد لقائه لعقوبته بآمن أيها القوم ولوا عليكم رجلا منكم فانه لا بد لكم من امير تفزعون اليه وراية تحفون بها وقام رفاعة بن شداد وقال اما بعد فان الله قد هداك لاصوب القول وبدأت بارشد الامور بدعائك الى جهاد الفاسقين والى التوبة من الذنب العظيم فمسموع منك مستجاب الى قولك وقلت ولوا أمركم رجلا تفزعون اليه وتحفون برايته وقد رأينا مثل الذى رأيت فان تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيا وفينا منتصحا وفى جماعتنا محبوبا وان رأيت ورأى أصحابنا ذلك وليناهذا الامر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقدم سليمان ابن صرد الخزاعى المحمود فى بأسه ودينه الموثوق بحزمه وتكلم عبد الله بن سعد بنحو ذلك واثنيا على المسيب وسليمان فقال المسيب قد أصبتم فولوا امركم سليمان بن صرد فتكلم سليمان فقال بعد حمد الله اما بعد فانى لخائف ان لا يكون أخرنا الى هذا الدهر الذى نكدت فيه المعيشة وعظمت

وهذا ابا جلية وظن سنان باشا ان هذه الحالة مما يعجب السلطان ولم يقع كذلك بل لما عاد الوزير من سفره عزله السلطان واقام مقامه فرهاد باشا وفى سنة تسعين وتسعمائة احتفل السلطان بختان ولده النجيب السلطان محمد خان وصنع لذلك وليمة عظيمة بحيث لم يقع فى زمن من الازمان مثلها واستدت الوليمة والفرجة واللهو والطرب مدة خمسة وأربعين يوما وكان جالسا يتفرج فى دار ابراهيم باشا بجهة آط ميدانى وفى سنة احدى وتسعين وتسعمائة توجه الوزير فرهاد باشا الى بلاد العجم فسار وتوغل فى بلاد اذربيجان نحو سبعة أيام واستولى على مدينة روان وبنى عليها حصنا حصينا ونصب فيها يوسف باشا واليا وأميرا وفى هذه السنة خرج ابراهيم باشا من مدينة قسطنطينية الى الديار المصرية والشامية ليصلح منها ما افسد وفى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة سار فرهاد باشا بعسكر عظيم للغزو ببلاد الكرج نبنى هنالك عدة قلاع وفى هذه السنة بعث السلطان الوزير الاعظم عثمان باشا بعساكر كثيرة الى قتال الاعجام فتوجه بعد ان شتى فى بلاد قسطمونى وسار فى سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ومعه من العساكر مالا يعلم عددهم الا الله تعالى وكان ذلك لحبه الناس اليه لكرمه وشهامته وحسن تدبيره فعارضه الاعجام فى الطريق مرة أخرى

نيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال من ولاك خراسان فاخبره فقال اما وجدت في المصر من تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل واليمن اكتب لي عهدا على خراسان فكتب له واعطاه مائة ألف درهم وسار ابن خازم الى مرو وبلغ خبره المهلب فاقبل واستخلف رجلا من بني جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم فلما وصلها ابن خازم منعه الجشمي وجرت بينهما مناوشة فاصابت الجشمي رمية بحجر في جبهته وتحاجزوا ودخلها ابن خازم ومات الجشمي بعد ذلك بيومين ثم سار ابن خازم الى سليمان بن مرثد بمروالروذ فقاتله أياما فقتل سليمان ثم سار الى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فاقتتلوا طويلا فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة ورجع ابن خازم الى مرو وهرب من كان بمروالروذ من بكر بن وائل الى هراة وانضم اليها من كان بكور خراسان من بكر وكثر جمعهم وقالوا لاوس بن ثعلبة نبايعك على ان تسير الى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان فأبى عليهم فقال له بنو صهيب وهم موالي بني جحدر لا نرضى ان نكون نحن ومضر في بلد واحد وقد قتلوا سليمان وعمرا ابني مرثد فاما ان تبايعنا على هذا والا بايعنا غيرك فاجابهم فبايعوه فسار اليهم ابن خازم فنزل على واد بينه وبين هراة فاشار البكريون بالخروج من هراة وعمل خندق فقال أوس بل نلزم المدينة فانها حصينة ونطاول ابن خازم ليضجر ويعطينا ما نريد فابوا عليه فخرجوا وخندقوا وقاتلهم ابن خازم نحو سنة وقال له هلال الضبي انما تقاتل اخوتك وبني أبيك فان نلت منهم الذي تريد فما في العيش خير لو أعطيتهم شيأ يرضون به وأصلحت هذا الامر وقال والله لو خرجنا لهم من خراسان ما رضوا قال هلال والله لا أقاتل معك انا ولا رجل أطاعني حتى تعتذر اليهم قال فانت رسولي اليهم فأرضهم فاتى هلال أوس بن ثعلبة فناشده الله والقرابة في نزار وان يحفظ ولاءها فقال هل لقيت بني صهيب قال لا قال فالقهم قال فخرج فلقي جماعة من رؤساء أصحابه فاخبرهم ما أتى له فقالوا هل لقيت بني صهيب فقال انه لعظم أمر بني صهيب عندكم فاتاهم فكلمهم فقالوا لولا انك رسول لقتلناك قال فهل يرضيكم شيء قالوا واحدة من اثنتين اما أن تخرجوا من خراسان واما ان تقيموا وتخرجوا لنا عن كل سلاح وكراع وذهب وفضة فرجع الى ابن خازم فقال ما عندك فاخبره فقال ان ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ بعث نبيه من مضر وأقام ابن خازم يقاتلهم فقال يوما لاصحابه قد طال مقامنا وناداهم يا معشر ربيعة أرضيتم من خراسان بخندقكم فاحفظهم ذلك فتنادوا للقتال فنهاهم أوس بن ثعلبة عن الخروج بجماعتهم وأن يقاتلوا كما كانوا يقاتلون فعصوه فقال ابن خازم لاصحابه اجعلوه يومكم فيكون الملك لمن غلب واذا لقيتم الخيل فاطعنوها في مناخرها فاقتتلوا ساعة وانهزمت بكر بن وائل حتى انتهوا الى خندقهم وتفرقوا يمينا وشمالا وسقط الناس في الخندق وقتلوا قتلا ذريعا وهرب أوس بن ثعلبة الى سجستان فمات بها أو قريبا منها وقتل من بكر يومئذ ثمانية آلاف وغلب ابن خازم على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وضم اليه شماس بن دثار العطاردي وجعل بكير بن وشاح الثقفي على شرطته ورجع ابن خازم الى مرو وأغارت الترك على قصر اسفاد وابن خازم على هراة وكان فيه ناس من الازد فحصروهم فارسلوا الى ابن خازم فوجه اليهم زهير بن حيان في بني تميم وقال له اياك ومناواة الترك اذا رأيتموهم فاحملوا عليهم فوافاهم في يوم بارد فلما التقوا حمل عليهم فانهزمت الترك واتبعوهم حتى مضى عامة

طرف بلاد السلطان وشتى هنالك للاغارة في الربيع على بلاد العجم ثم بلغه ان ارس خان صاحب شروان القديم قصد بنحو اثني عشر الف عسكري لقتال عثمان باشا فوقع بينهما قتال شديد فاتفق ان انتصر عثمان باشا وقتل ارس خان وغالب عسكره ثم وقع بينه وبين عسكر الشاه هنالك ما ينوف عن عشرين وقعة وكانت النصرة دائما في جانب عثمان باشا وآخر ذلك ان عدل امام قولي بعسكر يقرب من ثلاثين الف مقاتل على ارض شروان فقاتل عثمان باشا مدة اربعة ايام ثم نزل نصر العثمانية وقتل غالب الشاهية وبنى عثمان باشا بعد هذه الوقعة في شماخي حصارا عظيما في دور سبعة آلاف ذراع بذراع البناء في مدة اربعين يوما ثم ترك فيها جعفر باشا نائبا بها وبعد مدة قدم الى مدينة قسطنطينية وصار وزيرا اعظم وذلك بعد ان قاتل في مسيره عدة امم اعترضوه بالحرب وغلب عليهم ثم لما وصل الى بلاد كفه بلغه ان خاقان التاتار اظهر العصيان على سلاطين آل عثمان فقاتله وانتصر عليه وقطع رأسه وفي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة بعث السلطان مراد خان وزيره سنان باشا الى قتال العجم فسار مع عسكر جرار ووصل الى حدود العجم وارسل اليه الشاه في الصلح وبعث السلطان احد وزرائه يدعى ابرهيم خان بتحف سنية

ناس كثير بعد هلاك يزيد ثم ان أهل الكوفة اخرجوا عمرو بن حريث وبايعوا لابن الزبير
وسليمان واصحابه يدعون الناس فلما مضت ستة اشهر بعد هلاك يزيد قدم المختار بن ابي عبيد
الكوفة في النصف من رمضان وقدم عبد الله بن يزيد الانصارى أميرا على الكوفة من قبل
ابن الزبير لثمان بقين من رمضان وقدم ابراهيم بن محمد بن طلحة معه على خراج الكوفة فاخذ
المختار يدعو الناس الى قتال قتلة الحسين ويقول جئتكم من عند المهدى محمد ابن الحنفية
وزيرا أمينا فرجع اليه طائفة من الشيعة وكان يقول انما يريد سليمان ان يخرج فيقتل نفسه
ومن معه وليس له بصرة بالحرب وبلغ الخبر عبد الله بن يزيد بالخروج عليه بالكوفة في هذه
الايام وقيل له ليحبسه وخوف عاقبة امره ان تركه فقال عبد الله ان هم قاتلونا قاتلناهم وان
تركونا لم نطلبهم ان هؤلاء القوم يطلبون بدم الحسين بن علي فرحم الله هؤلاء القوم آمنون
فليخرجوا ظاهرين وليسيروا الى من قاتل الحسين فقد أقبل اليهم يعنى ابن زياد وانا لهم ظهير
هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل اخياركم وامثالكم قد توجه اليكم وقد فارقوه على ليلة من
جسر منبج فالقتال والاستعداد اليه أولى من ان تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضا
فيلقاكم عدوكم وقد ضعفتم وتلك امنيته وقد قدم عليكم أعدى خلق الله لكم من ولى عليكم
هو وابوه سبع سنين لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذى من قبله اتيتم والذى قتل
من تنادون بدمه قد جاءكم فاستقبلوه بحدكم وشوكتكم واجعلوها به ولا تجعلوها بانفسكم
انى لكم ناصح وكان مروان قد سير ابن زياد الى الجزيرة ثم اذا فرغ منها سار الى العراق فلما
فرغ عبد الله بن يزيد من قوله قال ابراهيم بن محمد بن طلحة ايها الناس لا يغرنكم من السيف
والغشم مقالة هذا المداهن والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه ولئن استيقنا ان قوما يريدون
الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده والمولود بوالده والحميم بالحميم والعريف بما في عرافته حتى
يدينوا للحق ويذلوا للطاعة فوثب اليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال يا ابن
الناكثين انت تهددنا بسيفك وغشمك انت والله أذل من ذلك انا لا نلومك على بغضنا وقد
قتلنا أباك وجدك واما أنت أيها الامير فقد قلت قولا سديدا فقال ابراهيم والله لتقتلن وقد ادهن
هذا يعنى عبد الله بن يزيد فقال له عبد الله بن وال ما اعتراضك فيما بيننا وبين أميرنا ما أنت علينا
بامير انما أنت أمير هذه الجزية فاقبل على خراجك ولئن افسدت أمر هذه الامة فقد افسده
والداك وكانت عليهما دائرة السوء فشتمهم جماعة ممن مع ابراهيم فشاتموه فنزل الامير من على
المنبر وتهدده ابراهيم بانه يكتب الى ابن الزبير يشكوه فجاءه عبد الله في منزله واعتذر اليه فقبل
عذره ثم ان اصحاب سليمان خرجوا يشترون السلاح ظاهرين ويتجهزون

(ذكر فراق الخوارج عبد الله بن الزبير وما كان منهم)

وفي هذه السنة فارق الخوارج الذين كانوا قدموا مكة عبد الله بن الزبير وكانوا قد قاتلوا معه
اهل الشام وكان سبب قدومهم عليه انهم لما اشتد عليهم ابن زياد بعد قتل ابي بلال اجتمعوا
فتذاكروا ذلك فقال لهم نافع بن الازرق ان الله قد انزل عليكم الكتاب وفرض عليكم الجهاد
واحتج عليكم وقد جرد اهل الظلم فيكم السيوف فاخرجوا بنا الى هذا الذى قد ثار بمكة فان كان
على رأينا جاهدنا معه وان يكن على غير رأينا دافعناه عن البيت وكان عسكر الشام قد سار نحو

والعطية للعساكر فلما صار نصف الليل غلق ابواب الوطاق وانتقل بالوفاة ٦٩ الى رحمة الله تعالى فاقام مقامه سنان باشا امير
الامراء بمدينة وان فلما
رحلوا اعترضهم العدو يمينا
وشمالا ووقع بينهما مناوشة
فلما وصلوا الى حدود المملكة
العثمانية امام قلعة سلماس
هجم حمزة ميرزا المذكور في
نحو الاثنين الف راكب فوقع
بين العسكرين قتال كثير
حتى انجلى الحرب عن هزيمة
الاعجام بعد ان حصدهم
بالسيف فلما دخلوا مدينة
وان شقوا بطن الوزير عثمان
باشا وحشوه بالطيب وبعثوا
جسده فدفنوه بمدينة آمد
وكان أوصى بذلك وكان
الوزير المذكور رأى مناما
وهو بمدينة تبريز انه راكب
فرسا أبيض فالقاه الفرس الى
الارض وسقطت عمامته
عن رأسه فعرف انه يموت
من مرضه الذى اعتراه
فاوصى بما اراد وكان الوزير
المذكور تقبل الله سعيه
المشكور من الشجاعة
بجانب عظيم كان تولى عدة
مناصب في ابتداء حاله ثم
صار أمير الامراء ببلاد
الحبشة فسار حتى انتهى الى
تخوم ارض الحبشة فرأى
مكانا ينبت الذهب فيه في
سفح جبل كما ينبت القصب
فوصل الى اقليم الميمون أى
القرود وقاتل مع امم كثيرة
مرات عديدة فكان النصر
له وفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة جهز السلطان فرهاد باشا الوزير المذكور مع عساكر عظيمة الى بلاد العجم فوصلوا الى مدينة

فيه الرزية وشمل فيه الجور وأولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير انا كنا نمد أعناقنا الى قدوم آل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم نمنيهم النصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا ونينا وعجزنا وادهنا وتربصنا حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه اذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطى اتخذه الفاسقون غرضا للنبل ودرية للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه النصف الا انهضوا فقد سخط عليكم ربكم ولا ترجعوا الى الحلائل والابناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضيا دون ان تناجزوا من قتله الا لا تهابون الموت فما هابه أحد قط الا ذل وكونوا كبني اسرائيل اذ قال لهم نبيهم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففعلوا وجثوا على الركب ومدوا الاعناق حين علموا انهم لا ينجيهم من عظيم الذنب الا القتل فكيف بكم لو دعيتم الى ما دعوا أحدوا السيوف وركبوا الاسنة وأعدوا لهم ما استطعتم من القوة ومن رباط الخيل حتى تدعوا وتستنفروا فقال خالد بن سعد بن نفيل اما أنا فوالله لو أعلم انه ينجيني من ذنبي ويرضى ربي عني قتلي نفسي لقتلتها وأنا أشهد كل من حضر ان كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوي صدقة على المسلمين أقويهم به على قتال الفاسقين قال أبو المعتمر بن حنش بن ربيعة الكناني مثل ذلك فقال سليمان حسبكم من أراد من هذا شيأ فليأت به عبد الله بن وال التيمي فاذا اجتمع عنده كل ما تريدون اخراجه جهزنا به ذوي الخلة والمسكنة من أشياعكم وكتب سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة بن اليمان يعلمه بما عزموا عليه ويدعوه الى مساعدتهم ومن معه من الشيعة بالمدائن فقرأ سعد بن حذيفة الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فاجابوا الى ذلك فكتبوا الى سليمان بن صرد يعلمونه أنهم على الحركة اليه والمساعدة له وكتب سليمان أيضا كتابا الى المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة مثل ما كتب الى سعد بن حذيفة فاجابه المثنى انا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه ونحن موافوك ان شاء الله للاجل الذي ضربت وكتب في أسفل الكتاب

تبصر كأني قد أتيتك معلما * الأبلغ الهادي أجش هذيم
طويل القرا نهد أحق مقلص * ملح على فأس اللجام أزوم
بكل فتى لا يملأ الروع قلبه * محش لنار الحرب غير سؤوم
أخي ثقة ينوي الاله بسعيه * ضروب بنصل السيف غير أثيم

فكان أول ما ابتدؤا به أمرهم بعد قتل الحسين سنة احدى وستين فما زالوا يجمعون آلة الحرب ودعاء الناس في السر الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم النفر ولم يزالوا على ذلك الى ان هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين فلما مات يزيد جاء الى سليمان أصحابه فقالوا قد هلك هذا الطاغية والامر ضعيف فان شئت وثبنا على عمرو بن حريث وكان خليفة ابن زياد على الكوفة ثم اظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس الى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم فقال سليمان بن صرد لا تعجلوا اني قد نظرت فيما ذكرتم فرأيت ان قتلة الحسين هم اشراف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت انهم لو خرجوا لم يدركوا ثارهم ولم يشفوا نفوسهم وكانوا جزرا لعدوهم ولكن بثوا دعاتكم وادعوا الى أمركم ففعلوا واستجاب لهم

فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم دخل تبريز في أواخر رمضان من السنة المذكورة واستقبله اهل تبريز بمصاحف ووجوه الناس فقابلهم الوزير باللطف ثم شرع اولا في بناء القلعة في مكان يسمى هشت بهشت وكان ذلك في طرف المدينة ثم شرع في بناء سور المدينة فأتم الجميع في مدة خمسة وثلاثين يوما ثم ظهر من اهل تبريز بعض غدر في امر العساكر فهجم عليهم العساكر وقتلوهم ونهبوا اموالهم ولم ينج منهم الا النساء والاطفال ومرض الوزير في تلك المدة ثم لما تم أمر القلعة وسور المدينة وخنادقها خرج الوزير مع العسكر متوجهين الى بلاد الروم وذلك بعد ان ابقى في المدينة نحو ثلاثين الف مقاتل صحبة امير الامراء جعفر باشا وشرط له ان يكون وزير السلطان فلما كان اليوم الرابع من مسيرهم اعترض للوزير حمزة ميرزا ابن شاه محمد خدابنده صاحب عراق العجم مع عسكر كثير فتهيأ الوزير لقتالهم وركب بغلته الشهباء وهو آخر ركوبه على الدابة فاستقر الحرب من غلس الصبح الى الظهر فلما رأى الوزير امتداد الامر امر الوزير برمي المدافع الكبار وكانت ثمانمائة مدفع فاصابت من عسكر الاروام وجيش الاعجام ما قدر الله اجله فانجلى الامر عن هزيمة العجم ثم نزل الوزير في ذلك المحل وفتح ابواب وطاقه لاجل اعطاء الترقي

لا يحل لهم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ علم الدين عنهم ولا يحل
ميراثهم ورأى قتل الاطفال والاستعراض وان جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل
منهم الا الاسلام أو القتل فاجابه الى ذلك بعضهم وفارقه بعضهم وممن فارقه نجدة بن عامر وسار
الى اليمامة فاطاعه الخوارج الذين بها وتركوا ابا طالوت فكتب نافع الى ابن اباض وابن
الصفار يدعوهما ومن معهما الى ذلك فقرا ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على اصحابه خشية
ان يتفرقوا ويختلفوا فاخذه ابن اباض فقرأه فقال قاتله الله أى رأى رأى صدق نافع لو كان
القوم مشركين كان اصوب الناس رأيا وكانت سيرته كسيرته فى المشركين ولكنه قد كذب فيما
يقول ان القوم براء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم والاحكام ولا يحل لنا الا دماؤهم وما سوى
ذلك فهو حرام علينا فقال له ابن الصفار برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الازرق
فقد غلا فقال الآخر برئ الله منك ومنه فتفرق القوم واشتدت شوكة ابن الازرق وكثرت
جموعه واقام بالاهواز يجبى الخراج ويتقوى به ثم اقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث
اليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة من أهل البصرة (عبيس بالعين المهملة
المضمومة والباء الموحدة والياء المثناة من تحت وبالسين المهملة وعبيدة بن بلال بضم
العين المهملة والباء الموحدة)

(ذكر قدوم المختار الكوفة)

كانت الشيعة تسب المختار وتعيبه لما كان منه فى أمر الحسن بن على حين طعن فى ساباط
وحمل الى ابيض المدائن حتى كان زمن الحسين وبعث الحسين مسلم بن عقيل الى الكوفة كان
المختار فى قرية له تدعى لقفا فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر انه قد ظهر ولم يكن خروجه عن
ميعاد كما سبق فاقبل المختار فى مواليه فانتهى الى باب الفيل بعد المغرب وقد اقعد عبيد الله بن
زياد عمرو بن حريث بالمسجد ومعه راية فوقف المختار لا يدرى ما يصنع فبلغ خبره عمرا فاستدعاه
وآمنه فحضر عنده فلما كان الغد ذكر عمارة بن الوليد بن عقبة أمره لعبيد الله فاحضره فيمن
دخل وقال له انت المقبل فى الجموع لتنصر ابن عقيل قال لم افعل ولكنى اقبلت ونزلت تحت راية
عمرو فشهد له عمرو فضرب وجه المختار فشتر عينه وقال لولا شهادة عمرو لقتلتك ثم حبسه حتى
قتل الحسين ثم ان المختار بعث الى عبد الله بن عمر بن الخطاب يسأله ان يشفع فيه وكان ابن عمر
تزوج اخت المختار صفية بنت ابى عبيد فكتب ابن عمر الى يزيد يشفع فيه فارسل يزيد الى ابن
زياد يأمره باطلاقه فاطلقه وأمره ان لا يقيم غير ثلاث فخرج المختار الى الحجاز فلقيه ابن العرق
وراء واقصة فسلم عليه وسأله عن عينه فقال خبطها ابن الزانية بالقضيب فصارت كما ترى ثم قال
قتلنى الله ان لم اقطع انامله واعضاءه اربا اربا ثم سأله المختار عن ابن الزبير فقال انه عائذ بالبيت
وانه يبايع سرا ولو اشتدت شوكته وكثرت رجاله لظهر فقال المختار انه رجل العرب اليوم وان
اتبع رأيى اكفه أمر الناس ان الفتنة ارعدت وابرقت وكان قد انبعثت فاذا سمعت بمكان قد
ظهرت به فى عصابة من المسلمين اطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيد المسلمين وابن
بنت سيد المرسلين وابن سيدها الحسين بن على فوربك لاقتلن بقتله عدة من قتل على دم يحيى بن
زكريا ثم سار وابن العرق يعجب من قوله قال ابن العرق فوالله لقد رأيت ما ذكره وحدثت به

عليه مصرين حتى هجم عليهم من الداخل بعض الصبيان وساعدهم من وجمع من الجاوشية وخدمة الديوان واستمروا
يضربونهم بالحجارة التى
رجموا بها فازدحموا عند
خروجهم من الباب الوسطانى
حتى تراكم بعضهم على بعض
بين البابين وانسد الباب
فكان الناس يمشون عليهم
فقتل منهم ومن المتفرجين
نحو من مائة وسبعة عشر
انسانا فامر السلطان بالقاء
أجسادهم فى البحر وسلم
الدفتردار المذكور وفى هذه
السنة عين السلطان الوزير
الاعظم سنان باشا لمحاربة
كفار المجر وأرسل معه
العسكر ففتح تلك السنة
قلعة يستريم وقلعة طاجة
وشتى بمدينة بلغراد وفى
السنة الثانية فتح قلعة يانق
وهى من أحصن القلاع
واصعبها قد أحاط بها الماء
وهى مدينة ماتت الملوك
بحسرتها لحصانتها ومنعتها
ومتانتها تنقطع الاطماع عن
طلبها وتقصر العزائم عن فتحها
لقوة سببها وكان فتحها عند
النصارى بمنزلة المحال لصعوبة
مراقيها واستعلاء مراميها
وفتحها الله تعالى على يد الوزير
الاعظم سنان باشا لطف الله
تعالى لا بضرب سيف ولا
بطعن سنان * توفى السلطان
مراد خان فى تاسع جمادى
الاولى سنة ثلاث بعد الالف
وله من العمر خمسون سنة
وكانت مدة ملكه عشرين سنة وثمانية أشهر وخلف عشرين ولدا ذكرا غير الاناث فلما استقر ولده الاكبر على سرير الملك أمر

ابن الزبير فسار الخوارج حتى قدموا على ابن الزبير فسر بقدمهم واخبرهم انه على مثل رايهم
من غير تفتيش فقاتلوا معه اهل الشام حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف اهل الشام ثم انهم
اجتمعوا وقالوا ان الذى صنعتم امس لغير رأى تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على مثل
رايكم وقد كان امس يقاتلكم هو وابوه وينادى يا ثارات عثمان فائتوه واسألوه عن عثمان فان
برئ منه كان وليكم وان ابى كان عدوكم فاتوه فسألوه فنظر فاذا اصحابه حوله قليل فقال انكم
اتيتمونى حين اردت القيام ولكن روحوا العشية حتى اعلمكم فانصرفوا وبعث الى اصحابه
فجمعهم حوله بالسلاح وجاءت الخوارج واصحابه حوله وعلى راسه وبايديهم العمد فقال ابن
الازرق لاصحابه ان الرجل قد أزمع خلافكم فتقدم اليه نافع بن الازرق وعبيدة بن هلال فقال
عبيدة بعد حمد الله اما بعد فان الله بعث محمدا يدعو الى عبادته واخلاص الدين له فدعا الى ذلك
فاجابه المسلمون فعمل فيهم بكتاب الله حتى قبضه الله واستخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر
عمر فكلاهما عملا بكتاب الله وسنة نبيه ثم ان الناس استخلفوا عثمان فحمى الاحماء وآثر القربى
واستعمل الفتى ورفع الدرة ووضع السوط ومزق الكتاب وضرب منكر الجور وآوى طريد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب السابقين بالفضل وحرمهم وأخذ فىء الله الذى افاءه عليهم
فقسمه فى فساق قريش ومجان العرب فسارت اليه طائفة فقتلوه فنحن لهم أولياء ومن ابن عفان
وأوليائه برآء فما تقول أنت يا ابن الزبير فقال قد فهمت الذى ذكرت به النبى صلى الله عليه وسلم
فهو فوق ما ذكرت وفوق ما وصفت وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وفقت وأصبت وفهمت
الذى ذكرت به عثمان وانى لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم اعلم بابن عفان وأمره منى كنت
معه حيث نقم عليه واستعتبوه فلم يدع شيئا الا اعتبهم ثم رجعوا اليه بكتاب له يزعمون انه كتبه
يأمر فيه بقتلهم فقال لهم ما كتبته فان شئتم فهاتوا بينتكم فان لم تكن حلفت لكم فوالله
ما جاؤه ببينة ولا استحلفوه ووثبوا عليه فقتلوه وقد سمعت ما عبته به فليس كذلك بل هو لكل
خير أهل وانا اشهدكم ومن حضرنى انى ولى لابن عفان وعدو أعدائه فبرئ الله منكم وتفرق
القوم فاقبل نافع بن الازرق الحنظلى وعبد الله بن الصفار السعدى وعبد الله بن اباض وحنظلة
ابن بيهس وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع وكلهم من تميم حتى
أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت من بنى بكر بن وائل وابو فديك عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة
وعطية بن الاسود اليشكرى الى اليمامة فوثبوا بها مع أبى طالوت ثم اجمعوا بعد ذلك على نجدة
ابن عامر الحنفى وتركوا أبا طالوت فاما نافع وأصحابه فانهم قدموا البصرة وهم على رأى أبى
بلال واجتمعوا وتذاكروا فضيلة الجهاد فخرج نافع على ثلاثمائة وذلك عند وثوب الناس
بابن زياد وكسر الخوارج باب السجن وخرجوا واشتغل الناس عنهم بحرب الازد وربيعة وتميم
فلما خرج نافع تبعوه واصطلح أهل البصرة على عبد الله بن الحرث فتجرد الناس للخوارج
وأخافوهم فلحق نافع بالاهواز فى شوال سنة اربع وستين وخرج من بقى منهم بالبصرة الى
ابن الازرق الا من لم يرد الخروج يومئذ منهم عبد الله بن الصفار وعبد الله بن اباض ورجال
معهما على رأيهما ونظر نافع فرأى ان ولاية من تخلف عن الجهاد من الذين قعدوا من
الخوارج لا تحل له وان من تخلف عنه لا نجاة له فقال لاصحابه ذلك ودعاهم الى البراءة منهم وانهم

تبريز وتحصنوا واقاموا اوردوا اسوارها وكانت الشاهية حاصروها مرارا عديدة وقربوا من أخذها ثم بنى هنالك بين وان
وبين تبريز قلعتين وشحنهما
رجالا وسلاحا ولم يزل الوزير
المذكور يشتى ببلاد الروم
ويرجع فى الصيف الى بلاد
العجم حتى مهد البلاد التى
اخذت من الكرج وبنى
قلعة كورى ووصل الى
بلاد قرباغ وكنجة وبنى
هنالك حصنا على كنجة وحصنا
على بردعه وقاتل صاحب
قرباغ محمد خان فكسره
وغنم امواله وعاد الى بلاد
الروم وقد وقع فتح بلاد
شروان فى هذه السنة لان
امارات الفتح اتصال الممالك
العثمانية بشروان واستقر
الحال والحرب بينهما سجال
الى ان وقع الصلح بينهما
وجعل حد لا يتعداه احد
منهما وفى نهار الثلاثاء ثالث
عشر ربيع الآخر سنة احدى
بعد الالف وقعت الحادثة
العظمى بمدينة قسطنطينية
التى لم يسمع بمثلها فى سالف
الدهر وكنت اذ ذاك هنالك
وذلك ان العساكر من
طائفة غرباء اليمين واليسار
والسلحدارية وغيرهم اتفقوا
ودخلوا الى ديوان السلطان
بسبب ابطاء جوامكهم عن
العادة وارسلوا يطلبون
محمدا الشريف الدفترى
ليأخذوه من السلطان من
تسليمهم خوفا ان يقتلوه
ولم تزل قضاة العساكر يترددون لهؤلاء الجماعة لدفع هذه الفتنة فلم يقدروا على دفعهم واستمروا واقفين وعلى ماهم لا يحل

استقال طائفة من الشيعة وصار وا يختلفون اليه ويعظمونه وعظماء الشيعة مع سليمان لا يعدلون به أحدا وهو أثقل خلق الله على المختار وهو ينظر الى ما يصير أمر سليمان فلما خرج سليمان نحو الجزيرة قال عمر بن سعد وشبث بن ربعي وزيد بن الحرث بن رويم لعبد الله بن يزيد الخطمي وابراهيم بن محمد بن طلحة ان المختار اشد عليكم من سليمان انما خرج يقاتل عدوكم وان المختار يريد ان يثب عليكم في مصركم فأوثقوه واسجنوه حتى يستقيم أمر الناس فأتوه فاخذوه بغتة فلما رآهم قال ما لكم فوالله ما ظفرت اكفكم فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة لعبد الله شده كتافا ومشه حافيا فقال عبد الله ما كنت لافعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة انما أخذناه على الظن فقال ابراهيم ليس هذا بعشك فادرجي ما هذا الذي بلغنا عنك يا ابن أبي عبيد فقال ما بلغك عني الا باطل وأعوذ بالله من غش كغش أبيك وجدك ثم حمل الى السجن غير مقيد وقيل بل كان مقيدا فكان يقول في السجن أما ورب البحار والنخيل والاشجار والمهامة والقفار والملائكة الابرار والمصطفين الاخيار لاقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار بجموع الانصار ليس بميل اغمار ولا بعزل اشرار حتى اذا أقمت عمود الدين وزايلت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وادركت ثأر النبيين لم يكبر علي زوال الدنيا ولم أحفل بالموت اذا أتى وقيل في خروج المختار الى الكوفة وسببه غير ما تقدم وهو ان المختار قال لابن الزبير وهو عنده اني لاعلم قوما لو ان لهم رجلا له فقه وعلم بما يأتي ويذر لاستخرج لك منهم جندا تقاتل بهم أهل الشام قال من هم قال شيعة علي بالكوفة قال فكن أنت ذلك الرجل فبعثه الى الكوفة فنزل ناحية منها يبكي على الحسين ويذكر مصابه حتى لقوه واحبوه فنقلوه الى وسط الكوفة وأتاه منهم بشر كثير فلما قوي أمره سار الى ابن مطيع

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة فيها أخوه عبيدة بن الزبير وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمي وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن عمر التيمي وعلى خراسان عبد الله بن خازم وفيها مات شداد بن أوس بن ثابت وهو ابن اخي حسان بن ثابت وفيها توفي المسور بن مخرمة بمكة في اليوم الذي ورد فيه خبر موت يزيد بن معاوية وكان سبب موته ان أصابته فلقة حجر منجنيق في جانب وجهه فمرض اياما ومات وفيها توفي أبو برزة الاسلمي بخراسان وفيها توفي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان في قول وفي ايام يزيد مات أبو ثعلبة الخشني وقيل مات سنة خمس وسبعين له صحبة وفي أيامه أيضا مات عائذ بن عمرو المزني بالبصرة وشهد بيعة الرضوان وفي ايام ابن زياد بالكوفة مات قيس بن خرشة وهو صحابي وخبر موته عجيب مع ابن زياد لانه كان قوالا بالحق وفي أيامه مات نوفل بن معاوية بن عمرو الدؤلي وفي أيامه مات أبو خيثمة الانصاري شهد أحدا وذكره في تبوك مشهور وفي ايامه مات عتبان بن مالك وهو بدري وفي هذه السنة توفي شقيق بن ثور السدوسي

(ثم دخلت سنة خمس وستين)

(ذكر مسير التوابين وقتلهم)

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعي الشخوص سنة خمس وستين بعث الى رؤس أصحابه فأتوه

اخوته وأرسلهم الى السرايا العتيقة وأمر لهم بما يكفيهم من الجوامك والرواتب وكانوا شيأ كثيرا فصاروا كان لم يكونوا شيأ مذكورا (ومن محاسنه) أنه وفى دين والده ومن جملته ما وفى ثمن خضروات المطبخ ثمانين ألف دينار ذهبا وقس على ذلك ما يناسبه ولما استقر على سرير الملك وجد الحرب قائمة بين المسلمين والكفرة على ساق ورأى ان يشاور العلماء والوزراء في قتال اجناد الشقاوة والشقاق احياء لسنة الجهاد وقطعا لدابر أهل الكفر والعناد فأشار الجميع بذلك وحسنوا له السير في هاتيك المسالك فنادى بالسير في الغزاة وعزم بنفسه على الجهاد في سبيل الله فنهض نهضة الاسد الضاري وأعاد ماء السلطنة الى ما كان له من المجاري وأخرج الاموال الكثيرة وابرز كل اسد باسل يحشي الاسود زئيره ووافقه في الجهاد شيخه ... الدين وقال أنا مملوك أسير حتى اخلاص وجودي من الذنوب فانني بها أسير ففرح باستصحاب المذكور وعين له من المؤن ما يكفي الجمهور وخرج بهما كرجس روره بالفتح المبين مصروفة الى

الحجاج بن يوسف فضحك وقال لله دره أي رجل دينا ومسعر حروب ومقارع اعداء كان ثم قدم المختار على ابن الزبير فكتم عنه ابن الزبير أمره ففارقه وغاب عنه سنة ثم سأل عنه ابن الزبير فقيل انه بالطائف وانه يزعم انه صاحب الغضب ومبير الجبارين فقال ابن الزبير ماله قاتله الله لقد انبعث كذابا متكهنا ان يهلك الله الجبارين يكن المختار أولهم فهو في حديثه اذ دخل المختار المسجد فطاف وصلى ركعتين وجلس فأتاه معارفه يحدثونه ولم يأت ابن الزبير فوضع ابن الزبير عليه عباس بن سهل بن سعد فأتاه وسأله عن حاله ثم قال له مثلك يغيب عن الذي قد اجتمع عليه الاشراف من قريش والانصار وثقيف ولم تبق قبيلة الا وقد اتاه زعيمها فبايع هذا الرجل فقال اني اتيته العام الماضي وكتم عني خبره فلما استغنى عني احببت ان اريه اني مستغن عنه فقال له العباس القه الليلة وانا معك فاجابه الى ذلك ثم حضر عند ابن الزبير بعد العتمة فقال المختار ابايعك على ان لا تقضي الامور دوني وعلى ان أكون أول داخل واذا ظهرت استعنت بي على افضل عملك فقال ابن الزبير ابايعك على كتاب الله وسنة رسوله فقال وشر غلماني تبايعه على ذلك والله لا ابايعك ابدا الا على ذلك فبايعه فأقام عنده وشهد معه قتال الحصين بن نمير وأبلى احسن بلاء وقاتل اشد قتال وكان اشد الناس على أهل الشام فلما هلك يزيد بن معاوية واطاع أهل العراق ابن الزبير اقام عنده خمسة اشهر فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه احد من أهل الكوفة الا سأله عن حال الناس فاخبره هانئ بن جبة الوداعي باتساق أهل الكوفة على طاعة ابن الزبير الا ان طائفة من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم من يجمعهم على رأيهم اكل بهم الارض الى يوم فقال المختار انا أبو اسحق انا والله لهم ان اجمعهم على الحق والقى بهم ركبان الباطل واهلك بهم كل جبار عنيد ثم ركب راحلته نحو الكوفة فوصل الى نهر الحيرة يوم الجمعة فاغتسل ولبس ثيابه ثم ركب فرسه حتى السكون وجبانة كندة لا يمر على مجلس الا سلم على أهله وقال ابشروا بالنصرة والفلج اتاكم ما تحبون ومر ببني بدء فلقي عبيدة بن عمرو البدي من كندة فسلم عليه وقال له ابشر بالنصر والفلج انك أبو عمرو على رأي حسن لن يدع الله لك معه اثما الا غفره لك ولا ذنبا الا ستره وكان عبيدة من اشجع الناس واشعرهم واشدهم تشيعا وحبا لعلي وكان لا يصبر عن الشراب فقال له بشرك الله بالخير فهل انت مبين لنا قال نعم القني الليلة ثم سار في بني هند فلقي اسمعيل بن كثير فرحب به وقال له القني انت واخوك الليلة فقد اتيتكم بما تحبون ومر على حلقة من همدان فقال قد قدمت عليكم بما يسركم ثم اتى المسجد واستشرف له الناس فقام الى سارية فصلى عندها حتى اقيمت الصلاة وصلى مع الناس ثم صلى ما بين الجمعة والعصر ثم انصرف الى داره واختلف اليه الشيعة واتى اسمعيل بن كثير واخوه وعبيدة بن عمرو فسألهم فاخبروه خبر سليمان بن صرد وانه على المنبر فحمد الله ثم قال ان المهدي ابن الوصي بعثني اليكم امينا ووزيرا وشيخا وأميرا وأمرني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء فكونوا أول خلق الله اجابة فضربوا على يده وبايعوه وبعث الى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد وقال لهم نحو ذلك وقال لهم ان سليمان ليس له بصر بالحرب ولا تجربة بالامور وانما يريد ان يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه وانا اعمل على مثال مثل لي وأمر بين لي أعين وليكم واقتل عدوكم واشفي صدوركم فاسمعوا قولي واطيعوا امري ثم انتشروا وما زال بهذا ونحوه حتى

خنق اخوته فخنقوهم وصلوا عليهم مع أبيهم ودفنوهم معه تجاه اياصوفيه وجلس على سرير الملك خليفة الله على كافة العباد وظل الشامل لجميع البلاد وهو سلطان هذا الزمان خلاصة خواقين آل عثمان

(السلطان المجاهد الغازي محمد خان ابن المرحوم السلطان مراد خان)

لا زال أمره ماضيا بلا مضارع ونافذا في الاقطار بدون منازع جلس على سرير الملك نهار الجمعة وقت الضحى سادس عشر جمادى الاولى سنة ثلاث بعد الالف فهو امام عصرنا وغمام شامنا ومصرنا ففي ثامن يوم من جلوسه أمر بقتل ابراهيم باشا الشهير بدالي ابراهيم باشا الذي كان باتبايار بكر فظلم العباد واضعف البلاد وكان محبوسا في احدى القلل البحرية وكان حبسه ابوه المرحوم السلطان مراد خان عليه الرحمة والرضوان بسبب انه ظلم العباد وقتل في البلاد حتى ان الناس جلوا عن اماكنهم وخلوا من مساكنهم من ديار بكر في ايامه وبرز أمره العالي باخراج كل من كان بدار السلطنة الجديدة من السراري والجواري وامهات

الاخيا الا ان الله كره انبعاثهم فثبطهم واختصكم بفضل ذلك ثم ساروا فاتوا الى قبر الحسين فلما وصلوا صاحوا صيحة واحدة فما رؤى أكثر باكيا من ذلك اليوم فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه وترك القتال معه وأقاموا عنده يوما وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه وكان من قولهم عند ضريحه اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد المهدى ابن المهدى الصديق ابن الصديق اللهم انا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم واعداء قاتليهم وأولياء محبيهم اللهم انا خذلنا ابن بنت نبينا صلى الله عليه وسلم فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا فارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين وانا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وزادهم النظر اليه حنقا ثم ساروا بعد ان كان الرجل يعود الى ضريحه كالمودع له فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الاسود ثم ساروا على الانبار وكتب اليهم عبد الله بن يزيد كتابا منه يا قومنا لا تطيعوا عدوكم انتم في أهل بلادكم خيار كلكم ومتى يصبكم عدوكم يعلموا انكم اعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم يا قومنا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم وان تفلحوا اذا أبدا يا قوم ان أيدينا وأيديكم واحدة وعدونا وعدوكم واحد ومتى تجتمع كلمتنا على عدونا نظهر على عدونا ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا يا قومنا لا تستغشوا نصحى ولا تخالفوا أمرى وأقبلوا حين يقرأ كتابي عليكم والسلام فقال سليمان وأصحابه قد أتانا هذا ونحن في مصرنا فحين وطأنا أنفسنا على الجهاد ودنونا من أرض عدونا ما هذا برأى فكتب اليه سليمان يشكره ويثنى عليه ويقول ان القوم قد استبشروا ببيعهم انفسهم من ربهم وانهم قد تابوا من عظيم ذنبهم وتوجهوا الى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله عليهم فلما جاء الكتاب الى عبد الله قال استمات القوم أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم والله ليقتلن كراما مسلمين ثم سار واحتى انتهوا الى قرقيسيا على تعبية وبها زفر بن الحرث الكلابي قد تحصن بها منهم ولم يخرج اليهم فارسل اليه المسيب بن نجبة يطلب اليه أن يخرج اليه سوقا فأتى المسيب الى باب قرقيسيا فعرفهم نفسه وطلب الاذن على زفر فأتى هذيل بن زفر أباه فقال هذا رجل حسن الهيئة اسمه المسيب بن نجبة يستأذن عليك فقال أبوه أما تدرى يا بنى من هذا هذا فارس مضر الحمراء كلها اذا عد من اشرافها عشرة كان أحدهم هو وهو متعبد رجل ناسك له دين ايذن له فاذن له فلما دخل عليه اجلسه الى جانبه وسأله فعرفه المسيب حاله وما عزموا عليه فقال زفر انا لم نغلق أبواب المدينة الا لنعلم ايانا تريدون ام غيرنا وما بنا عجز عن الناس وما نحب قتالكم وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة ثم أمر ابنه فاخرج لهم سوقا وامر للمسيب بألف درهم وفرس فرد المال وأخذ الفرس وقال اعلى احتاج اليه اذا عرج فرسى وبعث زفر اليهم بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق الا ان كان الرجل يشترى سوطا أو ثوبا ثم ارتحلوا من الغد وخرج اليهم زفر يشيعهم وقال لسليمان انه قد سار خمسة أمراء من الرقة هم الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذى الكلاع وادهم بن محرز وجبلة بن عبد الله الخثعمى وعبيد الله بن زياد في عدد كثير مثل الشوك والشجر فان شئتم دخلتم مدينتنا وكانت أيدينا واحدة فاذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعا فقال سليمان قد طلب أهل مصرنا ذلك منا فأبينا عليهم قال زفر فبادروهم الى عين الوردة

افواجا واشعلوا من نور الايمان في ظلمة الكفر سراجا فلما تم ذلك جاء الخبر من جواسيس الاسلام أن الكفار مرادهم من المسلمين الانتقام فنهض اليهم السلطان في جموعه قبل ان يقابلوه في جموعه فوقعت بينهم وقعة ما سمع بمثلها في غابر الازمان ولم يحدث مثلها في حوادث الحدثان فوقع بين الفريقين ودارت رحى الحرب بين العسكرين وكان عزم المسلمين قد فتر عن الكفار وضعفت القوى وتخاذلت الانصار فهجم الكفار على سرادق السلطان هجمة واحدة ودخلوا الى خيمه بهمة ليست راقدة حتى ان علجا من الكفار دخل الى الخيم وركز رمحه فوق الخزينة وعندها خيم فرآه واحد من خواص السلطان فثار اليه ثورة الاسد الغضبان وضربه بالسيف فقده وقطع جثته قطعه وبعد ساعة أو ساعتين نادى على الكفار منادى الحين وسمعوا من هاتف الغيب كسر الكافرون من غير ريب وتراجعت الوزراء وأكابر الامراء خوفا على وجود السلطان من أصحاب النيران لانهم سمعوا دخولهم اليه وهجومهم عليه وفر غالب العسكر

فلما أهل ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه وكانوا تواعدوا للخروج تلك الليلة فلما أتى النخيلة
دار في الناس فلم يعجبه عددهم فارسل حكيم بن منقذ الكندى والوليد بن عصير الكنانى فناديا
في الكوفة يالثارات الحسين فكانا أول خلق الله دعا يالثارات الحسين فاصبح من الغد وقد
أتاه نحو مما في عسكره ثم نظر في ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفا ممن بايعه فقال سبحان الله
ما وافانا من ستة عشر ألفا الا أربعة آلاف فقيل له ان المختار يثبط الناس عنك انه قد تبعه
ألفان فقال قد بقى عشرة آلاف أما هؤلاء بمؤمنين أما يذكرون الله والعهود والمواثيق فاقام
بالنخيلة ثلاثا يبعث الى من تخلف عنه فخرج اليه نحو من ألف رجل فقام اليه المسيب بن نجبة
فقال رحمك الله انه لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية فلا تنتظر أحدا وجد
في أمرك قال نعم ما رأيت ثم قام سليمان في أصحابه فقال أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه
وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيا وميتا ومن كان انما يريد الدنيا
فوالله ما يأتى فيء نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع
ما هو الا سيوفنا على عواتقنا وزاد قدر البلغة فمن كان ينوى هذا فلا يصحبنا فتنادى أصحابه
من كل جانب انا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا انما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت
رسول الله نبينا صلى الله عليه وسلم فلما اعزم سليمان على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل انى
قد رأيت رأيا ان يكن صوابا فالله الموفق وان يكن ليس صوابا فمن قبلى انا خرجنا نطلب بدم
الحسين وقتلته كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد ورؤس الارباع والقبائل فاين نذهب من هنا
وندع الاوتار فقال أصحابه كلهم هذا هو الرأى فقال سليمان لكن انا لا أرى ذلك ان الذى قتله
وعبى الجنود اليه وقال لا امان له عندى دون ان يستسلم فامضى فيه حكمى هذا الفاسق ابن
الفاسق عبيد الله بن زياد فسيروا اليه على بركة الله فان يظهركم الله عليه رجونا ان يكون من
بعده أهون علينا منه ورجونا ان يدين لكم أهل مصركم في عافية فينظرون الى كل من شرك في
دم الحسين فيقتلونه ولا يغشون وان تستشهدوا فانما قاتلتم المحلين وما عند الله خير للابرار انى
لا احب ان تجعلوا جدكم بغير المحلين ولو قاتلتم أهل مصركم ما عدم رجل ان يرى رجلا قد قتل
أخاه وأباه وحميمه ورجلا يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا وبلغ عبد الله بن يزيد وابراهيم بن
محمد بن طلحة خروج ابن صرد فاتياه في اشراف أهل الكوفة ولم يصحبهم من شرك في دم الحسين
خوفا منه وكان عمر بن سعد تلك الايام يبيت في قصر الامارة خوفا منهم فلما أتياه قال عبد الله بن
يزيد ان المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه وأنتم اخواننا وأهل بلدنا واحب اهل مصر خلقه
الله الينا فلا تفجعونا بانفسكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتهيأ فاذا
سار عدونا الينا خرجنا اليه بجماعتنا فقاتلناه وجعل لسليمان وأصحابه خراج جوخى ان أقاموا
وقال ابراهيم بن محمد مثله فقال سليمان لهما قد محضتما النصيحة واجتهدتما في المشورة فنحن بالله
وله ونسأل الله العزيمة على الرشد ولا نرانا الا سائرين فقال عبد الله فاقيموا حتى نعبى معكم جيشا
كثيفا فتلقوا عدوكم بجمع كثيف وكان قد بلغهم اقبال عبيد الله بن زياد من الشأم في جنود
كثيرة فلم يقم سليمان فسار عشية الجمعة لخمس مضين من ربيع الآخر سنة خمس وستين فوصل دار
الاهواز وقد تخلف عنه ناس كثير فقال ما احب ان تخلفوا ولو خرجوا فيكم ما زادوكم

ذكر رجوع الكفار
بلطف الله المعين فوقعت
الصواعق في هاتيك الديار
وعلموا انه قد وقع بهم البلاء
والدمار فتجهزوا بما يقدرون
عليه من العساكر وبرزوا
لجنود الاسلام بجندهم
الكافر وقد وصل السلطان
المذكور بعسكره المنصور
الى مدينة بامراد ومنها
يتقرب الى معاقل الكفار
في هاتيك البلاد ثم استمر
يتقدم بعساكره المنصورة
ورايته المنشورة الى ان
نزل على حصن عظيم يقال
له اكرى ومعناه الاعوج
وهو حصن مشهور بالمتانة
معروف عند العراة بالحصانة
قد قهر من نازله وغلب من
يحاوله وعلت شرفاته الى
مقارنة النجوم وما عهد
طائر هناك يحوم ومع ذلك
فأبطال المسلمين قد ثبتوا
حتى كانهم في مواقف حربهم
قد نبتوا الى ان اضمحل
عمرانها وتداعى بنيانها فعلم
أهلها انها صائرة الى الخراب
راجعة الى ان توصف
بالتباب فصاحوا الامان
الامان على سلامة الارواح
والابدان واعطاهم
السلطان امانا من المهالك
فخرجوا من حصن اكرى
وأعناقهم اليه ملتوية
واجسامهم الى مشاهدته
منحنية ودخل المساوون اليها

جيش مع ابن ذى الكلاع ثمانية آلاف امدهم بهم عبيد الله بن زياد وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالا لم يكن أشد منه جميع النهار لم يحجز بينهم الا الصلاة فلما أمسوا تحاجزوا وقد كثرت الجراح فى الفريقين وطاف القصاص على أصحاب سليمان يحرضونهم فلما أصبح اهل الشام اتاهم أدهم بن محرز الباهلى فى نحو من عشرة آلاف من ابن زياد فاقتتلوا يوم الجمعة قتالا شديدا الى ارتفاع الضحى ثم ان أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب ورأى سليمان مالقى أصحابه فنزل ونادى عباد الله من أراد البكور الى ربه والتوبة من ذنبه فالى ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه فقاتلوهم فقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فاكثروا الجراح فلما رأى الحصين صبرهم وبأسهم بعث الرجالة ترميهم بالنبل واكتنفهم الخيل والرجال فقتل سليمان رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع فلما قتل سليمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحم على سليمان ثم تقدم فقاتل بها ساعة ثم رجع ثم حمل فعل ذلك مرارا ثم قتل رضى الله عنه بعد أن قتل رجالا فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل وترحم عليهما ثم قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وحف به من كان معه من الازد فبيناهم فى القتال أتاهم فرسان ثلاثة من سعد بن حذيفة يخبرون بمسيره فى سبعين ومائة من أهل المدائن ويخبرون أيضا بمسير أهل البصرة مع المثنى بن مخربة العبدى فى ثلثمائة فسر الناس فقال عبد الله بن سعد ذلك لو جاؤنا ونحن احياء فلما نظر الرسل الى مصارع اخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم وقتل عبد الله بن سعد بن نفيل قتله ابن أخى ربيعة بن مخارق وحمل خالد بن سعد بن نفيل على قاتل أخيه فطعنه بالسيف واعتنقه الآخر فحمل أصحابه عليه فخلصوه بكثرتهم وقتلوا خالدا وبقيت الراية ليس عندها أحد فنادوا عبد الله بن وال فاذا هو قد اصطلى الحرب فى عصابة معه فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام عنه فأتى فاخذ الراية وقاتل مليا ثم قال لاصحابه من أراد الحياة التى ليس بعدها موت والراحة التى ليس بعدها نصب والسرور الذى ليس بعده حزن فليتقرب الى الله بقتال هؤلاء المحلين الرواح الى الجنة وذلك عند العصر فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالا وكشفوهم ثم ان أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردوهم الى المكان الذى كانوا فيه وكان مكانهم لا يؤتى الا من وجه واحد فلما كان المساء تولى قتالهم ادهم بن محرز الباهلى فحمل عليهم فى خيله ورجله فوصل ابن محرز الى ابن وال وهو يتلو ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية فغاظ ذلك ادهم بن محرز فحمل عليه فضرب يده فابانها ثم تنحى عنه وقال انى أظنك وددت انك عند اهلك قال ابن وال بئسما ظننت الله ما أحب ان يدك مكانها الا ان يكون لى من الاجر مثل ما فى يدى ليعظم وزرك ويعظم اجرى فغاظه ذلك أيضا فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول وكان ابن وال من الفقهاء العباد فلما قتل أتوا رفاعة بن شداد البجلى وقالوا لتأخذ الراية فقال ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا ليوم شرهم فقال له عبد الله بن عوف بن الاحمر هلكنا والله لئن انصرفنا ليركبنا اكتافنا فلا نبلغ فرسخا حتى نهلك عن آخرنا وان نجا منا ناج أخذته العرب يتقربون به اليهم فقتل صبرا هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا فاذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ونعرف الوجه الذى

باشا الشهير باليمشجى فى الوزارة العظمى فتأهب اسفر الجرفبعد مدة رجع ولم ينتج له طائل مع وجود العساكر والابطال وتوفى المرحوم السلطان محمد خان عليه الرحمة والغفران نهار الاحد ثامن عشر رجب سنة اثنى عشرة وألف ومدة ملكه تسع سنين وشهران ويومان وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وتولى مكانه بعده ولده

* (السلطان الاسعد والخاقان الامجد السلطان أحمد خان) *

ثبت الله قواعد سلطنته وجعل ملائكة السماء من انصاره واعوانه جلس على سرير الملك نهار الاثنين تاسع عشر رجب سنة اثنى عشرة وألف وهو ثانى يوم وفاة والده ولم يسبق لغيره ان يتسلطن وهو عند والده لان العادة المعروفة والطريقة المسلوكة المألوفة فى ملوك آل عثمان أدام الله دولتهم الى انقضاء الدوران انه اذا كبر ولدهم ولوه السنجق الشريف وأخرجوه من عندهم الى المقام المنيف وكان عمره حين جلوسه على كرسى الملك ما يقرب من خمس عشرة سنة فسار سيرة الاكابر من الملوك وتعجب الناس مما شاهدوه من

وهي رأس عين فاجعلوا المدينة في ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم وما بيننا وبينكم فانتم آمنون منه فاطووا المنازل فوالله ما رأيت جماعة قط اكرم منكم فاني ارجو أن تسبقوهم وان قاتلتموهم فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم فانهم أكثر منكم ولا آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم فيصرعوكم ولا تصفوا لهم فاني لا أرى معكم رجالة ومعهم الرجالة والفرسان بعضهم يحمي بعضا ولكن القوهم في الكتائب والمقانب ثم بثوها فيما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة أخرى الى جانبها فان حمل على احدى الكتيبتين رحلت الاخرى فنفست عنها ومتى شاءت كتيبة ارتفعت ومتى شاءت كتيبة انحطت ولو كنتم صفا واحدا فزحفت اليكم الرجالة فدفعتم عن الصف انتقض فكانت الهزيمة ثم ودعهم ودعا لهم ودعوا له واثنوا عليه ثم ساروا مجدين فانتهوا الى عين الوردة فنزلوا غربيها وأقاموا خمسا فاستراحوا وأراحوا واقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة فقام سليمان في أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال اما بعد فقد أتاكم عدوكم الذي دأبتم اليه في السير آناء الليل والنهار فاذا لقيتموهم فاصدقوهم القتال واصبروا ان الله مع الصابرين ولا يولينهم امرؤ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة ولا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم الا ان يقاتلكم بعد ان تأسروه فان هذه كانت سيرة علي في اهل هذه الدعوة ثم قال ان أنا قتلت فامير الناس مسيب بن نجبة فان قتل فالامير عبد الله بن سعد بن نفيل فان قتل فالامير عبد الله بن وال فان قتل فالامير رفاعة بن شداد رحم الله امرأ صدق ما عاهد الله عليه ثم بعث المسيب في اربعمائة فارس ثم قال سر حتى تلقى أول عساكرهم فشن عليهم فان رأيت ما تحبه والا رجعت واياك ان تنزل واحدا من أصحابك أو تستقبل آخر حتى لا تجد منه بدا فسار يومه وليلته ثم نزل السحر فلما أصبحوا ارسل أصحابه في الجهات ليأتوه بمن يلقون فأتوه باعرابي فسأله عن أدنى العساكر منه فقال ادنى عسكر من عساكرهم منك عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع وهو منك على رأس ميل وقد اختلف هو والحصين ادعى الحصين أنه على الجماعة وأبى شرحبيل ذلك وهما ينتظران أمر ابن زياد فسار المسيب ومن معه مسرعين فاشرفوا عليهم وهم غارون فحملوا في جانب عسكرهم فانهزم العسكر واصاب المسيب منهم رجالا فاكثروا فيهم الجراح واخذوا الدواب وخلى الشاميون معسكرهم وانهزموا فغنم منه اصحاب المسيب ما أرادوا ثم انصرفوا الى سليمان موفورين وبلغ الخبر ابن زياد فسرح الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل في اثني عشر ألفا فخرج أصحاب سليمان اليه لاربع بقين من جمادى الاولى وعلى ميمنتهم عبد الله بن سعد وعلى ميسرتهم المسيب بن نجبة وسليمان في القلب وجعل الحصين على ميمنته جبلة بن عبد الله وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي فلما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام الى الجماعة على عبد الملك بن مروان ودعاهم أصحاب سليمان الى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد اليهم وانهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثم يرد الامر الى أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فأبى كل منهم فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين والميسرة أيضا على الميمنة وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فانهزم اهل الشام الى معسكرهم ومازال الظفر لاصحاب سليمان الى ان حجز بينهم الليل فلما كان الغد صبح الحصين

ولم يلاحظوا فزع اليوم الاكبر فقال المولى سعد الدين اثبت أيها الملك فانك منصور بعون مولاك الذي أعطاك وبالنعم أولاك فركب السلطان جواده فطلب من مولاه اسعافه واسعاده وتضرع الى مولاه بعدما تحقق ان لا ناصر له سواه فما مضت ساعة من النهار الا وقد هب نسيم الانتصار وارتفع علم الاسلام وانخفض اعلام الكفار الى الرغام ولولا لطف الله بهذه الدولة السعيدة اتزلزلت قواعدها السديدة ولكن ردها الله تعالى ردا جميلا وما جعل عليها للكافرين سبيلا ولعمري انها دولة ترف ظلالها ويظهر اعتدالها لما فيها من اتباع الشرائع التي هي الى دخول الجنة أقوى الذرائع وكان السلطان أعز أنصاره الرحمن عزل ابراهيم باشا من الوزارة العظمى وولى مكانه سنان باشا ابن جغال فلما رجع الى دار الملك قسطنطينية المحمية اعاد الوزارة لابراهيم باشا واعاده لمحاربة المجر ففتح في تلك السنة حصن فتحه واستقام حاله حتى أحبه العساكر محبة عظيمة واستمر يجاهد في سبيل الله الى ان توفاه الله وولى مكانه حسن

ويزداد ما احببته من عتابنا * لعابا ويبقى الخدين المقارب
فانى وان لم انسهن لذاكر * رويته محبات كريم المناصب
توسل بالتقوى الى الله صادقا * وتقوى الاله خير تكساب كاسب
وخلى عن الدنيا فلم يلتبس بها * وتاب الى الله الرفيع المراتب
تخلى عن الدنيا وقال طرحتها * فلست اليها ما حييت بآيب
وما أنا فيما يكره الناس فقده * ويسعى له الساعون فيها براغب
توجهه نحو الثوية سائرا * الى ابن زياد فى الجموع الكتائب
بقوم هم أهل التقية والنهى * مصاليت انجاد سراة مناجب
مضوا تاركى رأى ابن طلحة حسبة * ولم يستجيبوا للامير المخاطب
فساروا وهم ما بين ملتمس التقى * وآخر مما جرّ بالامس تائب
فلاقوا بعين الوردة الجيش ناضلا * اليهم فحسوهم ببيض قواضب
يمانية تذرى الاكف وتارة * بخيل عتاق مقربات سلاهب
فجاءهم جمع من الشام بعده * جموع كموج البحر من كل جانب
فما برحوا حتى أبيدت سراتهم * فلم ينج منهم ثم غير عصائب
وغودر أهل الصبر صرعى فاصبحوا * تعاورهم ريح الصبا والجنائب
فاضحى الخزاعى الرئيس مجدلا * كان لم يقاتل مرة ويحارب
ورأس بنى شمخ وفارس قومه * شنوأة والتيمى هادى الكتائب
وعمرو بن بشر والوليد وخالد * وزيد بن بكر والحليس بن غالب
وضارب من همدان كل مشيع * اذا شد لم ينكل كريم المكاسب
ومن كل قوم قد اصيبت زعيمهم * وذا حسب فى ذروة المجد ثاقب
أبوا غير ضرب يفلق الهام وقعه * وطعن باطراف الاسنة صائب
وان سعيدا يوم يدمر عامرا * لاشجع من ليث بدرب مواثب
فيا خير جيش بالعراق وأهله * سقيتم روايا كل أسحم ساكب
فلا يبعدن فرساننا وحماتنا * اذا البيض ابدت عن خدام الكواعب
وما قتلوا حتى أثاروا عصابة * تجلين نورا كالشموس الضوارب

وقيل قتل سليمان ومن معه فى شهر ربيع الآخر (الخزاعى الذى هو فى هذا الشعر هو سليمان ابن صرد الخزاعى ورأس بنى شمخ هو المسيب بن نجبة الفزارى وفارس شنوأة هو عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى ازد شنوأة والتيمى هو عبد الله بن وال التيمى من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل والوليد ابن عصير الكنانى وخالد هو خالد بن سعد بن نفيل أخو عبد الله * نجبة بالنون والجيم والباء الموحدة المفتوحات)

(ذكر بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان بولاية العهد)

فى هذه السنة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وكان السبب فى ذلك ان عمرو بن سعيد بن العاص لما هزم مصعب بن الزبير حين وجهه أخوه عبد الله الى فلسطين

بحيث لا يحصيه العد ولا يحصره الحد فمشوا على ممالك الاسلام وأرادوا اطفاء نور الايمان من ظلمهم بظلام فادهشوا سكانها وأمسكوا أهلها ومدّوا الى ذخائرها النهب العام بعد ان قتلوا غالب الخواص والعوام فقتلوا الرجال واسروا النساء والاطفال وبعض أهل البلدان الذين أظهروا عدم الطاعة والايمان أمروا بهدمها والاحراق واعدام عينها على الاطلاق ولم يبق على طريقهم من الرعايا ديار ولا نافخ نار وانمحت من الوجود امهات الامصار وشملها البوار واما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فاكثر من ان تحصر وتضبط بحساب دفتر فابيدكاه وأبير فالحكم لله العلى الكبير فانمحت مراسم نقوشها فهى خاوية على عروشها وانقطعت الطرقات مدة فلم يسلك الى بلاد الروم فيها نفس واحدة واما ما فعله على باشا ابن جانبولاد فى الشام من النهب العام وتخريب البلاد فانه لما ولى نيابة حلب جمع كل شقى من القبائل والعشائر مقدار ما رام وطلب وتوجه الى الديار الشامية لياخذ ثاره

نأخذه فقال رفاعة ثم ما رأيت وأخذ الراية وقاتلهم قتالا شديدا ورام أهل الشام اهلاكهم قبل الليل فلم يصلوا الى ذلك لشدة قتالهم وتقدم عبد الله بن عزيز الكنانى فقاتل أهل الشام ومعه ولده محمد وهو صغير فنادى بنى كنانة من أهل الشام وسلم ولده اليهم ليوصلوه الى الكوفة فعرضوا عليه الامان فأبى ثم قاتلهم حتى قتل وتقدم كرب بن يزيد الحميرى عند المساء فى مائة من أصحابه فقاتلهم أشد قتال فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذى الكلاع الحميرى الامان قال قد كنا آمنين فى الدنيا وانما خرجنا لطلب أمان الآخرة فقاتلوهم حتى قتلوا وتقدم صخر بن هلال المزنى فى ثلاثين من مزينة فقاتلوا حتى قتلوا فلما أمسوا ارجع اهل الشام الى معسكرهم ونظر رفاعة الى كل رجل قد عقر به فرسه وجرح فدفعه الى قومه ثم سار بالناس ليلته وأصبح الحصين لملتقيهم فلم يرهم فلم يبعث فى آثارهم وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زفر الاقامة فأقاموا ثلاثا فأضافهم ثم زودهم وساروا الى الكوفة ثم أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان فى أهل المدائن فبلغ هيت فأتاه الخبر فرجع فلقى المثنى بن مخربة العبدى فى اهل البصرة يصدود فاخبره فأقاموا حتى أتاهم رفاعة فاستقبلوه وبكى بعضهم الى بعض وأقاموا يوما وليلة ثم تفرقوا فسار كل طائفة الى بلدهم ولما بلغ رفاعة الكوفة كان المختار محبوسا فارسل اليه اما بعد فرحبا بالعصبة الذين عظم الله لهم الاجر حين انصرفوا ورضى فعلهم حين قتلوا أما ورب البيت ما خطا خاط منكم خطوة ولا ربا ربوة الا كان ثواب الله له اعظم من الدنيا ان سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله وجعل روحه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذى به تنصرون انى أنا الامير المأمور والامين المأمون وقاتل الجبارين والمنتقم من اعداء الدين المقيد من الاوتار فاعدوا واستعدوا وابشروا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدم اهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام * وكان قتل سليمان ومن معه فى شهر ربيع الآخر ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل سليمان وانهزام أصحابه صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله قد اهلك من رؤس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وان السيوف تركن رأس المسيب خذاريف وقد قتل الله منهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله بن سعد الازدى وعبد الله بن وال البكرى ولم يبق بعدهم من عنده امتناع وفى هذا انظر فان أباه كان حيا قال اعشى همدان فى ذلك وهى مما يكتم ذلك الزمان

ألم خيال منك يا أم غالب * فحييت عنا من حبيب مجانب
وما زلت فى شجو وما زلت مقصدا * لهم عرانى من فراقك ناصب
فما أنس لا انس انفتالك فى الضحى * الينا مع البيض الحسان الخراعب
تراءت لنا هيفاء مهضومة الحشا * لطيفة طى الكشح ريا الحقائب
مبتلة غراء رود بسيمها * كشمس الضحى تنكل بين السحائب
فلما تغشاها السحاب وحوله * بدا حاجب منها وضنت بحاجب
فتلك النوى وهى الجوى لى والمنى * فاحبب بها من خلة لم تصاقب
ولا يبعد الله الشباب وذكره * وحب تصافى المعصرات الكواعب

حسن السلوك حتى كانه تعلم سير الملوك من عالم الارواح وتكمل فى علمه وفهمه وعدله قبل التصور فى عالم الاشباح أذعنت له رقاب الاكاسرة ودانت لحكمه عرانين القياصرة فهو البدر الكامل فى السلطنة العلية الطالع فى مطالع أربعة عشر من ملوك العثمانية فراتب سلاطين الزمان دون مراتبه ومواكبهم تابعة فى النصر لمواكبه التجؤا الى بابه باذلين الطاعة وخدموه اختيارا منهم بقدر الاستطاعة وراسلوه طلبا للامان وان لم يكن بعضهم من أهل الايمان لازالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى سلسلة انتهاء الدوران وارواح اسلافه متنزهة فى الروضة والرضوان وكانت الطغاة والبغاة فى زمانه قاموا والغير استحقاقهم من غارات بلاد الاسلام راموا فخالطوا طاعة الملك العلام ونبذوا طاعة سلطان الاسلام واستحلوا من دماء المسلمين واعراضهم وأموالهم الحرام وكانوا قد تمكنوا فى بلاد اناطولى وقرمان وغلب بعضهم من ديار العرب الى حدود حوران فاجتمع عندهم من القبائل والشعوب أصناف وضروب

الناس يذمونه لذلك قيل انه اجتمع عنده قوم من الاشرف فقال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري بلغني انك لاتشبه اباك فقال بلى والله انى لاشبه به من الماء بالماء والقرات بالقرات ولكن ان شئت اخبرتك بمن لم تنضجه الارحام ولم يولد بالتمام ولم يشبه الاخوال والاعمام قال من ذاك قال سويد بن منجوف فلما خرج عبيد الله وسويد قال له سويد ماسرني بمقالتك له حمر النعم فقال عبيد الله وماسرني والله باحتمالك اياى وسكوتك سودها

(ذكر صفته ونسبه واخباره)

هو مروان بن الحكم بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان ابن أمية من كنانة وكان مولده سنة اثنتين من الهجرة وكان أبوه قد اسلم عام الفتح ونفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف لانه يتجسس عليه ورآه النبى صلى الله عليه وسلم يوما يمشى ويتخلج فى مشيه كأنه يحكيه فقال له كن كذلك فمازال كذلك حتى مات ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم عثمان ابابكر فى رده لانه عمه فلم يفعل فلما توفى أبو بكر وولى عمر كلمه أيضا فى رده فلم يفعل فلما ولى عثمان رده وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى ان يرده الى المدينة فكان ذلك مما انكر الناس عليه وتوفى فى خلافة عثمان فصلى عليه وقد رويت اخبار كثيرة فى لعنه ولعن من فى صلبه رواها الحافظ وفى اسانيدها كلام وكان مروان قصيرا أحمر أوقص يكنى ابا الحكم واباعبد الملك واعتق فى يوم واحد مائة رقبة وولى المدينة لمعاوية مرات فكان اذا ولى يبالغ فى سب على واذا عزل وولى سعيد بن العاص كف عنه فسئل عنه محمد ابن على الباقر وعن سعيد فقال كان مروان خيرا لنا فى السر وسعيد خيرا لنا فى العلانية وقد أخرج حديث مروان فى الصحيح وكان الحسن والحسين يصليان خلفه ولا يعيدان الصلاة وهو اول من قدم الخطبة فى صلاة العيد قبل الصلاة ولما مات بويع لولده عبد الملك بن مروان فى اليوم الذى مات فيه وكان يقال له ولولده بنو الزرقاء يقول ذلك من يريد ذمهم وعيبهم وهى الزرقاء بنت موهب جدة مروان بن الحكم لابيه وكانت من ذوات الروايات التى يستدل بها على ثبوت البغاء فلهذا كانوا يذمون بها ولعل هذا كان منها قبل ان يتزوجها ابو العاص بن أمية والد الحكم فانه كان من اشراف قريش ولا يكون هذا من امرأة له وهى عنده والله أعلم (حبيش ابن دلجة بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة المفتوحة ثم الياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة ودلجة بفتح الدال واللام)

(ذكر مقتل نافع بن الازرق)

فى هذه السنة اشتدت شوكة نافع بن الازرق وهو الذى ينتسب اليه الازارقة من الخوارج وكان سبب قوته اشتغال أهل البصرة واختلافهم بسبب مسعود بن عمرو وقتله وكثرت جموعه واقبل نحو الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحرث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة فخرج اليه فدفعه عن ارض البصرة حتى بلغ دولاب من ارض الاهواز فاقتتلوا هنالك وجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحميرى وعلى ميسرته حارثة بن بدر الغدانى وجعل ابن الازرق على ميمنته عبيدة بن هلال وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمى واشتد قتالهم فقتل مسلم أمير اهل البصرة وقتل نافع بن الازرق امير الخوارج فى جمادى الآخرة فأمر اهل البصرة عليهم

الديان فلما كان نهار الاحد ثامن عشرى جمادى الاولى اجتمع الفريقان وامتزج الجمران فما كان غير ساعة من نهار حتى رأوا ان لاطاقة لهم على القرار ولم يكن لهم الا الفرار فتفرق عنهم القبائل والعشائر ورجع الى المدينة بعض العساكر والغالب منهم توجهوا نحو البلاد فوصل ابن جانبولاد بمن معه الى خيمهم واستولوا على أموالهم وارزاقهم ونصب خيمه بارض قرية المزة فلما رأى أهل دمشق ماحل بهم من البوار ودخل القلعة نائبها محمد باشا الطواشى فاراخص من أسوار المدينة واغلق أبوابها وعين مايكفيه من الرجال لحفظها وحراستها وكان قاضيها بدر الموالى وصدر العلماء الاعالى ابراهيم افندى وصحبته أمير الامراء الكرام حسن باشا ومحمد باشا بن منصك البوسنى فكانوا يتاوفون داخل السور ويتفقدون البلاونهارا الذى يحفظهم من أمور فهم بحيش الاشقياء فنهبوا محلة القبيبات والميدان وسويقة المحروقة الى ان وصلوا سوق ساروجا ومحلة السودان حتى وصلوا الى الصالحيه فما ابقوا شيأ لاصحابها فارسل ابن

رجع الى مروان وهو بدمشق قد غلب على الشام ومصر فبلغ مروان ان عمرا يقول ان الامر لى بعد مروان فدعا مروان حسان بن ثابت بن بجدل فاخبره انه يريد ان يبايع لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وأخبره بما بلغه عن عمرو فقال انا أكفيك عمرا فلما اجتمع الناس عند مروان عشيا قام حسان فقال انه قد بلغنا ان رجالا يتمنون امانى قوموا فبايعوا لعبد الملك وعبد العزيز من بعده فبايعوا عن آخرهم

(ذكر بعث ابن زياد وحبيش)

فى هذه السنة سير مروان بن الحكم بعثين أحدهما مع عبيد الله بن زياد الى الجزيرة ومحاربة زفر ابن الحرث بقرقيسيا واستعمله على كل ما يفتحه فاذا فرغ من الجزيرة توجه لقصد العراق وأخذه من ابن الزبير فلما كان بالجزيرة بلغه موت مروان وأتاه كتاب عبد الملك بن مروان يستعمله على ما استعمله عليه أبوه ويحثه على المسير الى العراق والبعث الآخر الى المدينة مع حبيش بن دلجة القينى فسار بهم حتى انتهى الى المدينة وعليها جابر بن الاسود بن عوف ابن أخى عبد الرحمن بن عوف من قبل ابن الزبير فهرب منه جابر ثم ان الحرث بن أبى ربيعة وهو أخو عمرو بن أبى ربيعة وجه جيشا من البصرة وكان واليا عليها لابن الزبير وجعل عليهم الحنيف بن السجف التميمى لحرب حبيش فلما سمع بهم حبيش سار اليهم من المدينة وأرسل عبد الله بن الزبير العباس بن سهل بن سعد الساعدى الى المدينة أميرا وأمره ان يسير فى طلب حبيش حتى يوافى الجند من أهل البصرة الذين عليهم الحنيف وأقبل عباس فى آثارهم حتى لحقهم بالربذة فقاتلهم حبيش فرماه يزيد بن سنان بسهم فقتله وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم وابنه الحجاج وهما على جمل واحد وانهزم أصحابه فتحرز منهم خمسمائة بالمدينة فقال العباس بن سهل انزلوا على حكمى فنزلوا فقتلهم ورجع فل حبيش الى الشام ولما دخل يزيد بن سنان المدينة كان عليه ثياب بيض فاسودت مما مسحه الناس ومما صبوا عليه من الطيب

(ذكر موت مروان بن الحكم وولاية ابنه عبد الملك)

فى شهر رمضان من هذه السنة مات مروان بن الحكم وكان سبب موته ان معاوية بن يزيد لما حضرته الوفاة لم يستخلف احدا وكان حسان بن بجدل يريد ان يجعل الامر من بعده فى أخيه خالد بن يزيد وكان صغيرا وحسان خال ابيه يزيد فبايع حسان مروان بن الحكم وهو يريد ان يجعل الامر بعده لخالد فلما بايعه هو وأهل الشام قيل لمروان تزوج أم خالد وهى بنت ابى هاشم ابن عتبة حتى يصغر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد يوما على مروان وعنده جماعة وهو يمشى بين صفين فقال مروان والله انك لاحمق فقال يا ابن الرطبة الاست تقصر به ليسقطه من اعين أهل الشام فرجع خالد الى امه فاخبرها فقالت له لا يعلمن ذلك منك الا انا انا أكفيكه فدخل عليها مروان فقال لها هل قال لك خالد فى شيأ قالت لا انه اشد لك تعظيما من ان يقول فيك شيأ فصدقها ومكث اياما ثم ان مروان نام عندها يوما فغطته بوسادة حتى قتلته فمات بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل احدى وستين واراد عبد الملك قتل أم خالد فقيل له يظهر عند الخلق ان امرأة قتلت اباك فتركها ولما توفى مروان قام بامر الشام بعده ابنه عبد الملك وكان عهد الى ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملك وكان عبد الملك ولد لسبعة أشهر فكان

من جماعة الينكجرية فلما بلغهم ذلك استقبلوه الى مدينة حماه ومعهم محمد باشا الطواشى نائب الشام وعامة الجيوش من العكاه فالتقى الجمعان وتلاطم البحران فما كان غير ساعة حتى دهمهم خلق ليس بهم لقاومتهم طاقة فولوا على أدبارهم منهزمين وقالوا الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين فغنم الاشقياء اموالهم وأرزاقهم وخيمهم ودوابهم وكانت ساعة الله بها عليم مما شاهدوه من العذاب الاليم واستمر ابن جانبولاد فى أثرهم حتى وصل الى حدود الشام فاستقبله الامير فخر الدين بن معن بمن معه من الدروز وطائفة السكمانية فوصل الى البقاع وأناخ هناك مدة وجعل يراسل طائفة الينكجرية وهم لا يتحركون بحركة فجعل يقدم رجلا ويؤخر أخرى حتى قوى قلبه بعض الاشقياء فنهض نهضة أنام منها الانام وقام قومة أقام بها ساعات القيام فتوجه نحو مدينة الشام فلما بلغ العساكر الشامية ذلك خرجوا الى أرض العراق ومعهم من العشائر والقبائل والعربان وعامة الرعايا ومشايخ البلدان بحيث لا يحصيهم الا الملك

الحرس بنفسه فلما نازل الخوارج بسولاف ركبوا ووقفوا له واقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان ثم حملت الخوارج حملة صادقة على المهلب واصحابه فانهزموا وقتل منهم وثبت المهلب والى ابنه المغيرة يومئذ بلاء حسنا ظهر فيه اثره ونادى المهلب اصحابه فعادوا اليه معهم جمع كثير نحو اربعة آلاف فارس فلما كان الغد اراد القتال من معه فمنعه بعض اصحابه لضعفهم وكثرة الجراح فيهم فترك القتال وسار وقطع دجيل ونزل بالعاقول وهو لا يؤتى الا من جهة واحدة وفي يوم سولاف يقول ابن قيس الرقيات

الا طرقت من آل مية طارقه * على انها معشوقة الدل عاشقه

تبيت وارض السوس بيني وبينها * وسولاف رستاق حمته الازارقه

اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة * حرورية اضحت من الدين مارقه

اجادت الينا العسكرين كليهما * فباتت لنا دون اللحاف معانقه

وقال فيه بعض الخوارج

وكائن تركنا يوم سولاف منهم * اسارى وقتلى في الجحيم مصيرها

واكثر الشعراء فيه فلما وصل المهلب الى العاقول نزل فيه واقام ثلاثة ايام ثم ارتحل وسار نحو الخوارج وهم بسلى وسلبرى فنزل قريبا منهم وكان كثيرا ما يفعل اشياء يحدث بها الناس لينشطوا الى القتال فلا يرون لها اثرا حتى قال الشاعر

انت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

وسماه بعضهم الكذاب وبعض الناس يظن انه كذاب في كل حال وليس كذلك انما كان يفعل ذلك مكايدة للعدو فلما نزل المهلب قريبا من الخوارج خندق عليه ووضع المسالح وأذكى العيون والحرس والناس على راياتهم ومواقفهم وأبواب الخندق محفوظة فكان الخوارج اذا أرادوا بياته وغرته وجدوا أمرا محكما فرجعوا فلم يقاتلهم انسان كان أشد عليهم منه ثم ان الخوارج ارسلوا عبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز في عسكر ليلا الى عسكر المهلب ليبيتوه فصاحوا بالناس عن يمينهم ويسارهم فوجدوهم على تعبية قد حذروا فلم ينالوا منهم شيئا وأصبح المهلب فخرج اليهم في تعبية وجعل الازد وتميما ميمنة وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة وأهل العالية في القلب وخرجت الخوارج وعلى ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكري وعلى ميسرتهم الزبير بن الماحوز وكانوا أحسن عدة وأكرم خيلا من أهل البصرة لانهم حووا الارض وجردوا ما بين كرمان الى الاهواز فالتقى الناس واقتتلوا أشد قتال وصبر الفريقان عامة النهار ثم ان الخوارج شدت على الناس شدة منكرة فاجفلوا وانهزموا لا يلوي أحد على احد حتى بلغت الهزيمة البصرة وخاف أهلها السباء واسرع المهلب حتى سبق المنهزمين الى مكان مرتفع ثم نادى الي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثة آلاف اكثرهم من قومه من الازد فلما رآهم رضي عدتهم خطبهم وحثهم على القتال ووعدهم النصر وأمرهم ان يأخذ كل رجل منهم عشرة احجار وقال سيروا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم في طلب اخوانكم والله اني لارجو ان لا يرجع اليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا اميرهم ففعلوا فاقبل بهم راجعا فما شعرت الخوارج الا والمهلب يقاتلهم في جانب عسكرهم فلقيهم عبد الله بن الماحوز

وعددا كالجبال ومعه من الآلات النارية والمدافع الرعدية كجبال النيران الطامية وجنود كالبحار الطامية فلما تكاملت الآلات والاسباب المتعلقة بالقتال نهض من مدينة اسكدار بعسكر كثير وجيش كبير وعزم صارم ورأي حازم في اسعد أوقات الحركات متوكلا على فاتح ابواب الخير والبركات بنية اصلاح البلاد وقمع أهل الضلال والفساد نحو مدينة حلب الشهباء لما بلغه ان علي باشا ابن جانبولاد الهب قلوب الخلائق ابها فسار نحوها فلما نزل في مرحلة الاوضع العساكر بين يديه حميه رؤسا كالتلال واحراء بعضهم على بعض كالجبال والاشقياء متباعدون عنه وهو لا يلتفت الى وجودهم واستمر الحال على هذا المنوال حتى وصل الى مدينة اذنة فبلغه ان ابن جانبولاد بعد ان وضع اثقاله بقلعة حلب وحصن أسوار البلد لئلا يصيبه المكر ذهب الى ملاقاة العساكر وأرسل جندا من أجناده لتحصين جبل قراص ليمنعوا العساكر من المرور فلما رحل الوزير المذكور شكر الله سعيه المشكور من مدينة اذنة اعرض عن

الحجاج بن باب الحميرى وامرت الخوارج عبد الله بن الماحوز التميمى واقتتلوا فقتل عبد الله والحجاج فامر اهل البصرة عليهم ربيعة بن الاجذم التميمى وامرت الخوارج عبيد الله بن الماحوز التميمى ثم عادوا فاقتتلوا حتى امسوا وقد كره بعضهم بعضا وملوا القتال فبيناهم كذلك متواقفون متحاجزون اذ جاءت الخوارج سرية مستريحة لم تشهد القتال فحملت على الناس من ناحية عبد القيس فانهزم الناس وقتل أمير اهل البصرة ربيعة بعد ان قتل أيضا دغفل بن حنظلة الشيبانى النسابة وأخذ الراية حارثة بن زيد فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل وحمى الناس ومعه جماعة من أهل البصرة ثم اقبل حتى نزل بالاهواز وبلغ ذلك اهل البصرة فافزعهم وبعث عبد الله بن الزبير الحرث بن ابى ربيعة وعزل عبد الله بن الحرث فاقبلت الخوارج نحو البصرة

(ذكر محاربة المهلب الخوارج)

لما قربت الخوارج من البصرة اتى اهلها الاحنف بن قيس وسألوه ان يتولى حربهم فاشار بالمهلب بن أبى صفرة لما يعلم فيه من الشجاعة والرأى والمعرفة بالحرب وكان قد قدم من عند ابن الزبير وقد ولاه خراسان فقال الاحنف ما لهذا الامر غير المهلب فخرج اليه اشراف اهل البصرة فكلموه فابى فكلمه الحرث بن ابى ربيعة فاعتذر بعهده على خراسان فوضع الحرث واهل البصرة كتابا اليه عن ابن الزبير يامره بقتال الخوارج واتوه بالكتاب فلما قرأه قال والله لا اسير اليهم الا ان تجعلوا لى ما غلبت عليه وتقطعونى من بيت المال ما اقوى به من معى فاجابوه الى ذلك وكتبوا له به كتابا وارسلوا الى ابن الزبير فامضاه فاختار المهلب من اهل البصرة من يعرف نجدته وشجاعته اثنى عشر الفا منهم محمد بن واسع وعبد الله بن رياح الانصارى ومعاوية ابن قرة المزنى وأبو عمران الجونى وخرج المهلب الى الخوارج وهم عند الجسر الاصغر فحاربهم وهو فى وجوه الناس واشرافهم فدفعهم عن الجسر ولم يكن بقى الا ان يدخلوا فارتفعوا الى الجسر الاكبر فسار اليهم فى الخيل والرجال فلما رأوه وقد قاربهم ارتفعوا فوق ذلك ولما بلغ حارثة بن زيد تأمير المهلب على قتال الازارقة قال لمن معه من الناس كرنبوا ودولبوا حيث شئتم فاذهبوا واقبل بمن معه نحو البصرة فرده الحرث بن ابى ربيعة الى المهلب وركب حارثة فى سفينة فى نهر دجيل يريد البصرة فاتاه رجل من تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه فصاح التميمى بحارثة يستغيث به ليحمله معه فقرب السفينة الى شاطئ النهر وهو جرف فوثب التميمى اليها فغاصت بجميع من فيها فغرقوا واما المهلب فانه سار حتى نزل بالخوارج وهم بنهر تيرى فتنحوا عنه الى الاهواز فسير المهلب الى عسكرهم الجواسيس تأتيه باخبارهم فلما اتاه خبرهم سار نحوهم واستخلف اخاه المعارك بن ابى صفرة على نهر تيرى فلما وصل الاهواز قاتلت الخوارج مقدمته وعليهم ابنه المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة فجال اصحابه ثم عادوا فلما رأى الخوارج صبرهم ساروا عن سوق الاهواز الى مناذر فسار يريدهم فلما قاربهم سير الخوارج جمعا عليهم واقدم ولى ابى صفرة الى نهر تيرى وبها المعارك فقتلوه وصلبوه وبلغ الخبر الى المهلب فسير ابنه المغيرة الى نهر تيرى فانزل عمه المعارك ودفنه وسكن الناس واستخلف بها جماعة وعاد الى أبيه وقد نزل ولاف وكان المهلب شديد الاحتياط والحذر لا ينزل الا فى خندق وهو على تعبية ويتولى

الحرس

جانبولاد يطلب من اهلها مائتين وخمسين الف غرش حتى يرحل عنهم فاجتمع به حسن باشا ولم يزل يتلطف معه فى الكلام حتى ارضاه بمائة وعشرين الف غرش وكان يوسف باشا ابن سيفا اذ ذاك بدمشق وكان مقصوده ان يأخذ أهله ويرحل تلك الليلة الى بلاده فاجتمع به بدر الموالى ابراهيم أفندى والاعيان ومنعوه من السفر ما لم يعط ما هو المراد فاعطاهم ذلك ورحل ابنته نحو حصن الاكراد فلما قبض المبلغ المذكور ابن جانبولاد رحل من ساعته مع من معه من الرجال وكفى الله المؤمنين القتال ولما حصل لبلاد الاسلام هذه الوعكة واندعكت اجسام رعاياها أقوى دعكة بلغ ذلك سلطان الاسلام ممن يثق به من الخواص والعوام وأمر عبده المقتدر بالقدرة الربانية وزيره الاعظم الاعز بالعزة السبحانية القائم بخدمة العباد بطريق النصيحة والسداد المشير بأنه أمير البلاد وغفير العباد الباشا مراد لازالت آيات جلاله فى صحائف الايام مسطورة ورايات اقباله فى صنابق الاعلام منشورة وعين معه من العساكر عددا كالرمال

الى البحرين سنة سبع وستين فقالت الازد نجدة احب الينا من ولاتنا لانه ينكر الجور وولاتنا يجوزونه فعزموا على مسالمته واجتمعت عبد القيس ومن بالبحرين غير الازد على محاربته فقال بعض الازد نجدة اقرب اليكم منه الينا لانكم كلكم من ربيعة فلا تحاربوه وقال بعضهم لا ندع نجدة وهو حروري مارق تجري علينا احكامه فالتقوا بالقطيف فانهزمت عبد القيس وقتل منهم جمع كثير وسبى نجدة من قدر عليه من اهل القطيف فقال الشاعر

نصحت لعبد القيس يوم قطيفها * وما نفع نصح قيل لا يتقبل

واقام نجدة بالقطيف ووجه ابنه المطرح في جمع الى المنهزمين من عبد القيس فقاتلوه بالثوير فقتل المطرح بن نجدة وجماعة من اصحابه وارسل نجدة سرية الى الخط فظفر باهله واقام نجدة بالبحرين فلما قدم مصعب بن الزبير الى البصرة سنة تسع وستين بعث اليه عبد الله بن عمير الليثي الاعور في اربعة عشر الفا فجعل يقول اثبت نجدة فانا لا افر فقدم ونجدة بالقطيف فاتى نجدة عسكر ابن عمير وهو غافل فقاتلهم طويلا وافترقوا واصبح ابن عمير فهاله ما رأى في عسكره من القتلى والجرحى وحمل عليهم نجدة فلم يلبثوا ان انهزموا فلم يبق عليهم نجدة وغنم ما في عسكرهم واصاب جواري فيهن ام ولد لابن عمير فعرض عليها ان يرسلها الى مولاها فقالت لا حاجة لي الى من فر عني وتركني وبعث نجدة ايضا بعد هزيمة ابن عمير جيشا الى عمان واستعمل عليهم عطية بن الاسود الحنفي وقد غلب عليها عباد بن عبد الله وهو شيخ كبير وابناه سعيد وسليمان يعشران السفن ويجبيان البلاد فلما اتاهم عطية قاتلوه فقتل عباد واستولى عطية على البلاد فاقام بها اشهرا ثم خرج منها واستخلف رجلا يكنى أبا القاسم فقتله سعيد وسليمان ابنا عباد واهل عمان ثم خالف عطية نجدة على ما نذكره ان شاء الله فعاد الى عمان فلم يقدر عليها فركب في البحر واتى كرمان وضرب بها دراهم سماها العطوية واقام بكرمان فارسل اليه المهلب جيشا فهرب الى سجستان ثم الى السند فلقيه خيل المهلب بقندابيل فقتلته وقيل قتله الخوارج ثم بعث نجدة الى البوادي بعد هزيمة ابن عمير أيضا من يأخذ من أهلها الصدقة فقاتل اصحابه بني تميم بكاظمة واعان أهل طويلع بني تميم فقتلوا من الخوارج رجلا فارسل نجدة الى أهل طويلع من اغار عليهم وقتل منهم نيفا وثلاثين رجلا وسبى ثم انه دعاهم بعد ذلك فاجابوه فاخذ منهم الصدقة ثم سار نجدة الى صنعاء في خف من الجيش فبايعه اهلها وظنوا ان وراءه جيشا كثيرا فلما لم يروا مددا يأتيه ندموا على بيعته وبلغه ذلك فقال ان شئتم اقلتكم بيعتكم وجعلتكم في حل منها وقاتلتكم فقالوا لا نستقيل بيعتنا فبعث الى مخاليفها فاخذ منهم الصدقة وبعث نجدة ابا فديك الى حضرموت فجبى صدقات أهلها وحج نجدة سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين وهو في ثمانمائة وستين رجلا وقيل في الفي رجل وستمائة رجل وصالح ابن الزبير على ان يصلي كل واحد باصحابه ويقف بهم ويكف بعضهم عن بعض فلما صدر نجدة عن الحج سار الى المدينة فتأهب أهلها لقتاله وتقلد عبد الله بن عمر سيفا فلما كان نجدة بنخل اخبر بلبس ابن عمر السلاح فرجع الى الطائف واصاب بنتا لعبد الله بن عمرو بن عثمان كانت عند ظئرها فضمها اليه فقال بعض اصحابه ان نجدة ليتعصب لهذه الجارية فامتحنوه فسأله بعضهم بيعها منه فقال قد اعتقت نصيبي منها فهي حرة قال فزوجنيها قال هي بالغ وهي املك بنفسها فانا استأمرها

واما ما كان من أمر ابن جانبولاد فانه في عصر الجمعة سبع وعشرين ... بقول من نجا برأسه فقد ربح فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها وأخذ من الاموال ما استخف حملها وتوجه الى بلاد الروم فالتجا الى العتبة العلية السلطانية فارسل يقول انه رجع وتاب عما فعله وقال أنا عبد من عبيد هذا الباب فقال السلطان عفا الله عما سلف ولو كان ذنبه يستحق به الخنق والتلف فولاه نيابة مدينة دمشوار من اعمال روم ايلي وفي نهار السبت سابع رجب دخل الوزير مدينة حلب وتسلم قلعتها من غير نكد ولا تعب واستولى على ما ادخره ابن جانبولاد من الذخائر ونفائس الاموال التي جمعها من العباد وأقام بها الى ان بلغه ان الشقي قره سعيد ومن معه من كل طريد وعنيد عليهم مقامع من حديد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد عازمين على لقائه فمتع الله المسلمين ببقائه بمحاربة جيوش الموحدين فتوجه الى لقائهم في سابع عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة وتلاقيا نهار الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر بأرض

والخوارج فرماهم أصحاب المهلب بالاحجار حتى اثخنوهم ثم طعنوهم بالرماح وضربوهم بالسيوف فاقتتلوا ساعة فقتل عبد الله بن الماحوز وكثير من أصحابه وغنم المهلب عسكرهم واقبل من كان فى طلب اهل البصرة راجعا وقد وضع المهلب لهم خيلا ورجالا فتخطفهم وقتلهم وانكفؤا راجعين مذلولين مغلوبين فارتفعوا الى كرمان وجانب اصبهان وقال بعض الخوارج لما رأى قتال أصحاب المهلب بالحجارة

اتانا بأحجار ليقتلنا بها * وهل تقتل الاقران ويحك بالحجر

ولما فرغ المهلب منهم اقام مكانه حتى قدم مصعب بن الزبير على البصرة أميرا وعزل الحرث بن ابى ربيعة وفى هذا اليوم يقول الصلتان العبدى

بسلى وسلبرا مصارع فتية * كرام وقتلى لم توسد خدودها

فلما قتل عبد الله بن الماحوز استخلف الخوارج الزبير بن الماحوز وكتب المهلب الى الحرث ابن ابى ربيعة يعرفه ظفره فارسل الحرث الكتاب الى ابن الزبير بمكة ليقرأه على الناس هنالك وكتب الحرث الى المهلب اما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه نصر الله وظفر المسلمين فهنيأ لك يا أخا الازد شرف الدنيا وعزها وثواب الآخرة وفضلها فلما قرأ المهلب كتابه ضحك وقال اما يعرفنى الا بأخى الازد فما هو الا اعرابى جاف وقيل ان عثمان بن عبيد الله بن معمر قاتل الخوارج ونافع بن الازرق قبل مسلم فقتل عثمان وانهزم اصحابه بعد ان قتل من الخوارج خلق كثير فسير اليهم من البصرة بعده حارثة بن زيد العبدانى فلما رآهم عرف انه لا طاقة له بهم فقال لاصحابه كربنوا ودولبوا كيف شئتم فاذهبوا يعنى ماشاء ثم سار بعده مسلم بن عبيس وقيل ان المهلب لما دفع الخوارج من البصرة الى ناحية الاهواز أقام بقية سنته يجبى كور دجلة ورزق أصحابه واتاه المدد من البصرة حتى بلغ أصحابه ثلاثين الفا فعلى هذا يكون هزيمة الخوارج سنة ست وستين

(ذكر نجدة بن عامر الحنفى)

هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنفى كان مع نافع بن الازرق ففارقه لاحداثه فى مذهبه ما تقدم ذكره وسار الى اليمامة ودعا أبو طالوت الى نفسه فمضى الى الخضارم فنهبها وكانت لبنى حنيفة فاخذها منهم معاوية بن أبى سفيان فجعل فيها من الرقيق ما عدتهم وعدة ابنائهم ونسائهم اربعة آلاف فغنم ذلك وقسمه بين اصحابه وذلك سنة خمس وستين فكثر جمعه ثم ان عيرا خرجت من البحرين وقيل من البصرة تحمل مالا وغيره يراد بها ابن الزبير فاعترضها نجدة فاخذها وساقها حتى اتى بها ابا طالوت بالخضارم فقسمها بين اصحابه وقال اقتسموا هذا المال وردوا هؤلاء العبيد واجعلوهم يعملون الارض لكم فان ذلك انفع فاقتسموا المال وقالوا نجدة خير لنا من ابى طالوت فخلعوا ابا طالوت وبايعوا نجدة وبايعه ابو طالوت وذلك فى سنة ست وستين ونجدة يومئذ ابن ثلاثين سنة ثم سار فى جمع الى بنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فلقيهم بذى المجاز فهزمهم وقتلهم قتلا ذريعا وصبر كلاب وعطيف ابنا قرة بن هبيرة القشيريان وقاتلا حتى قتلا وانهزم قيس بن الرقاد الجعدى فلحقه أخوه لابيه معاوية فسأله ان يحمله ردفا فلم يفعل ورجع نجدة الى اليمامة فكثر اصحابه فصاروا ثلاثة آلاف ثم سار نجدة

السلوك على بقراص وتوجه نحو جبل فازفا شعر ابن جانبولاد الا والجيوش قد أحاطت بالجنود كاحاطة الاساور بالزنود وكان الحرب والقتال نهار الثلاثاء ثالث رجب سنة ست عشرة وألف بارض مرج دابق من أعمال قنسرين وكان من الجانبين عسكر ضخم كثير لا يعدون وجيش كبير عرمرم لا يعدون واقتتل الفريقان وامتزج الهيجان وتصاول الاسود واختلط الاعلام والبنود وارتجت السماء بالعجاج والارض بالفجاج والوزير المكرم كالسيف الصارم والشجاع الحازم قد أطال السجود ومرغ وجهه على التراب وهو يبكى ويتضرع ويطلب النصر من الملك الوهاب واستمر الحرب الى آخر النهار فانتصرت العساكر الاسلامية المحمدية والجيوش الاحمدية فلم يبق لابن جانبولاد مجال للقرار فصوب عنان فرسه للفرار فجعل الجيوش العثمانية يطردونهم ويقتلونهم ويأسرونهم فقتلوا من عسكره ما تفرست المفاوز بجيفهم وأبدانهم وجرت الشعاب والاودية بدمائهم فوصلوا الى خيمهم واستولوا على اموالهم وخيولهم

ولما قتل نجدة سخط قتله قوم من اصحاب ابي فديك فثار قوم وثار به مسلم بن جبير فضربه اثني عشر ضربة بسكين فقتل مسلم وحمل أبو فديك الى منزله فبرئ

(ذكر استعمال مصعب على المدينة)

في هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه عبيدة بن الزبير عن المدينة واستعمل اخاه مصعبا وسبب ذلك ان عبيدة خطب الناس فقال لهم قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسة دراهم فسمي مقوم الناقة فبلغ ذلك اخاه عبد الله فعزله واستعمل مصعبا

(ذكر بناء ابن الزبير الكعبة)

لما احترقت الكعبة حين غزا أهل الشام عبد الله بن الزبير ايام يزيد تركها ابن الزبير يشنع بذلك على اهل الشام فلما مات يزيد واستقر الامر لابن الزبير شرع في بنائها فامر بهدمها حتى الحقت بالارض وكانت قد مالت حيطانها من حجارة المنجنيق وجعل الحجر الاسود عنده وكان الناس يطوفون من وراء الاساس وضرب عليها السور وادخل فيها الحجر واحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على اساس ابراهيم وأزيد فيها الحجر فحفر ابن الزبير فوجد اساسا امثال الجمال فحركوا منها صخرة فبرقت بارقة فقال اقروها على أساسها وبناها وجعل لها بابين يدخل من احدهما ويخرج من الآخر وقيل كانت عمارتها سنة اربع وستين

(ذكر الحرب بين ابن خازم وبني تميم)

في هذه السنة كانت الحرب بين ابن خازم السلمي وبني تميم بخراسان وسبب ذلك ان من كان بخراسان من بني تميم اعانوا ابن خازم على من بها من ربيعة وقد تقدم ذكر ذلك فلما صفت له خراسان جفا بني تميم وكان قد جعل ابنه محمدا على هراة وجعل على شرطته بكير بن وشاح وضم اليه شماس بن دثار العطاردي وكانت ام محمد تميمية فلما جفا ابن خازم بني تميم اتوا ابنه محمدا بهراة فكتب ابن خازم الى ابنه محمد والى بكير وشماس يأمرهم بمنعهم عن هراة فاما شماس فصار مع بني تميم واما بكير فانه منعهم فاقاموا ببلاد هراة فارسل بكير الى شماس اني اعطيتك ثلاثين الفا فأعط كل رجل من بني تميم ألفا على ان ينصرفوا فابوا عليه واقاموا يترصدون محمدا فخرج يتصيد فاخذوه وشدوه وثاقا وشربوا ليلتهم وجعلوا يبولون عليه كلما أرادوا البول فقال لهم شماس اما اذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط وكان قد ضرب رجلين من تميم بالسياط حتى ماتا فقاموا اليه ليقتلوه فنهاهم عنه حيان بن مشجعة الضبي والقى نفسه عليه فلم يقبلوا منه وقتلوا محمدا فشكر ابن خازم لحيان ذلك ولم يقتله فيمن قتل وكان الذي تولى قتل محمد رجلين اسم أحدهما عجلة واسم الآخر كسيب فقال ابن خازم بئس ما اكتسب كسيب لقومه ولقد عجل عجلة لقومه شرا واقبلت تميم الى مرو وأمروا عليهم الحريش بن هلال القريعي واجمع اكثرهم على قتال ابن خازم فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم سنتين فلما طالت الحرب خرج الحريش فنادى ابن خازم وقال له طالت الحرب بيننا فعلام نقتل قومي وقومك ابرز الي فاينا قتل صاحبه صارت الارض له فقال له ابن خازم قد انصفت وبرز اليه فتضاربا وتصاولا تصاول الفحلين لا يقدر أحدهما على صاحبه ثم غفل ابن خازم فضربه الحريش على

أسرف هذا الشقي وأخوه من قبله في قتل الرجال ونهب الاموال وافتضاض البكور وانتهاك الستور من النساء المخدرات والكواعب الناهدات عاملهما الله بما يقتضيه عدلا وجلالا لا بما يرتضيه فضلا وجمالا فلما مهد البلاد ورجعت الى اوطانها العباد وامنت الطرقات وسكنت الدهماء وأمنت الشهباء توجه الوزير المذكور الى دار السلطنة ايدها الله تعالى وابدها وفي اثناء سنة ثماني عشرة والف خرج الوزير الاعظم المذكور عامله الله بالطافه المشكور الى مدينة اسكدار ونصب خيمه هنالك واجتمع عليه العساكر ومقصوده تطهير الارض ممن بقي من الاشقياء والطغاة وهو يوسف باشا ورفقاه فاطاعوه وتشرفوا بتقبيل اقدامه راغبين ولاحسانه شاكرين

(الباب الثامن والاربعون في ذكر دولة آق قوينلي و وقائع قره قوينلي)

وهم طائفتان من التركمان وكانت مساكنهم القديمة بلاد تركستان ثم تحولوا منها في زمن ارغون خان الالك الى بلاد اذربيجان ثم تحولت طائفة قره قوينلي

فقام من مجلسه ثم عاد فقال قد استأمرتها فكرهت الزواج فقيل ان عبد الملك او عبد الله بن
الزبير كتب اليه والله لئن احدثت فيها حدثا لاطأن بلادك وطأة لا يبقى معها بكرى وكتب نجدة
الى ابن عمر يسأله عن اشياء فقال سلوا ابن عباس فسألوه ومسائله لابن عباس مشهورة ولما سار
نجدة من الطائف اتاه عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي فبايعه عن قومه ولم يدخل نجدة الطائف
فلما قدم الحجاج الطائف لمحاربة ابن الزبير قال لعاصم ياذا الوجهين بايعت نجدة قال اى والله
وذو عشرة اوجه اعطيت نجدة الرضا ودفعته عن قومى و بلدى واستعمل الحاروق وهو حراق
على الطائف وتبالة والسراة واستعمل سعد الطلائع على مايلى نجران ورجع نجدة الى البحرين
فقطع الميرة عن اهل الحرمين منها ومن اليمامة فكتب اليه ابن عباس ان ثمامة بن اثال لما اسلم
قطع الميرة عن اهل مكة وهم مشركون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل مكة
اهل الله فلا تمنعهم الميرة فجعلها لهم وانك قطعت الميرة عنا ونحن مسلمون فجعلها نجدة لهم ولم يزل
عمال نجدة على النواحى حتى اختلف عليه أصحابه فطمع فيهم الناس فاما الحاروق فطلبوه
بالطائف فهرب فلما كان فى العقبة فى طريقه لحقه قوم يطلبونه فرموه بالحجارة حتى قتلوه

(ذكر الاختلاف على نجدة وقتله وولاية ابى فديك)

ثم ان اصحاب نجدة اختلفوا عليه لاسباب نقموها منه فمنها ان أبا سنان حيى بن وائل أشار على
نجدة بقتل من أجابه تقية فشتمه نجدة فهم بالفتك به فقال له نجدة كلف الله أحدا علم الغيب قال
لا قال فانما علينا ان نحكم بالظاهر فرجع أبو سنان الى نجدة ومنها ان عطية بن الاسود خالف على
نجدة وسببه ان نجدة سير سرية بحرا وسرية برا فاعطى سرية البحر اكثر من سرية البر فنازعه
عطية حتى اغضبه فشتمه نجدة فغضب عليه والب الناس عليه وكلم نجدة فى رجل يشرب الخمر فى
عسكره فقال هو رجل شديد النكاية على العدو وقد استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمشركين وكتب عبد الملك الى نجدة يدعوه الى طاعته ويوليه اليمامة ويهدر له ما أصاب من
الاموال والدماء فطعن عليه عطية وقال ما كاتبه عبد الملك حتى علم منه دهانا فى الدين وفارقه
الى عمان ومنها ان قوما فارقوا نجدة واستتابوه فحلف ان لا يعود ثم ندموا على استتابته وتفرقوا
ونقموا عليه أشياء أخر فخالف عليه عامة من معه وانحازوا عنه وولوا امرهم ابا فديك عبد الله
ابن ثور احد بنى قيس بن ثعلبة واستخفى نجدة فارسل أبو فديك فى طلبه جماعة من اصحابه وقال ان
ظفرتم به فجيئونى به وقيل لابى فديك ان لم تقتل نجدة تفرق الناس عنك فالح فى طلبه وكان نجدة
مستخفيا فى قرية من قرى حجر وكان للقوم الذين اختفى عندهم جارية يخالف اليها راع لهم
فاخذت الجارية من طيب كان مع نجدة فسألها الراعى عن أمر الطيب فاخبرته فاخبر الراعى
اصحاب أبى فديك بنجدة فطلبوه فنذر بهم فاتى اخواله من بنى تميم فاستخفى عندهم ثم أراد المسير
الى عبد الملك فاتى بيته ليعهد الى زوجته فعلم به الفديكية وقصدوه فسبق اليه رجل منهم فاعلمه
فخرج وبيده السيف فنزل الفديكى عن فرسه وقال ان فرسى هذا لا يدرك فاركبه فلعلك تنجو
عليه فقال ما احب البقاء ولقد تعرضت للشهادة فى مواطن ما هذا باحسنها وغشيه اصحاب أبى
فديك فقتلوه وكان شجاعا كريما وهو يقول

وان جرّ مولانا علينا جريرة * صبرنا لها ان الكرام الدعائم

اكوكسون من اعمال مدينة
مرعش فتقابل العسكران
وتلاطم الجمعان فاطلقوا
بعد ان وضعت الحرب
اوزارها المدافع الكبار
فاظلم الافق فصار لها دوى
بقفات الخيل وهربت
الغلمان فهزموهم وحصدوهم
بالسيف فشق المطرود
سعيد وتمزق جلد رفيقه ابن
قلندر وهو حقيق بعبد ولم
تزل الطرد والعسكر فى
اعقابهم وقطع السيوف
وطعن الرماح فى مناكبهم
ورقابهم حتى خرجوا من
حدود البلاد والتجؤا الى
حلة الالحاد فاجتمعوا
باشياعهم من اهل الضلال
وكفى الله المؤمنين القتال
فصارت المملكة الاحمدية
منهم مطهرة وبعد ظلامهم
مبتسمة منورة ثم توجه الى
قتال ابن الطويل فاجتمعا
بمحل يقال لها كل وارش تابع
قضاء شروان فاجتمعا نهار
الثلاثاء ثانى عشر جمادى
الاولى من السنة المذكورة
فالتحم القتال وتكسرت
النصال على النصال ولم ينج
منهم الا من طول الله عمره
وطاردتهم عساكر الاسلام
ونالوا منهم ما راموا من
القتل والنهب وسائر المرام
ماشيا كبيرهم الاجهد
جهد فلحق برفقائه من
بن قلندر وقرمسعيد فلما

هذه وكان المختار قد أرسل الى ابن عمر يقول له انى قد حبست مظلوما ويطلب اليه ان يشفع
فيه الى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة فكتب اليهما ابن عمر فى أمره فشفعاه
وأخرجاه من السجن وضمناه وحلفاه انه لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان
فان فعل فعليه ألف بدنة ينحرها عند الكعبة ومماليكه احرار ذكرهم واناثهم فلما خرج نزل
بداره فقال لمن يثق به قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون انى أفى لهم اما حلفى بالله فانى اذا حلفت
على يمين فرأيت خيرا منها ان أكفر عن يمينى وخروجى عليهم خير من كفى عنهم واما هدى البدن
وعتق المماليك فهو اهون على من بصقة فوددت أن تم لى امرى ولا أملك بعده مملوكا أبدا ثم
اختلفت اليه الشيعة واتفقوا على الرضا به ولم يزل اصحابه يكثرون وأمره يقوى حتى عزل
ابن الزبير عبد الله بن يزيد الخطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة واستعمل عبد الله بن مطيع على
عملهما بالكوفة فلقيه بحير بن ريسان الحميرى عند مسيره الى الكوفة فقال له لا تسر الليلة فان
القمر بالناطح فلا تسر فقال له وهل نطلب الا النطح فلقى نطحا كما يريد فكان البلاء موكلا
بمنطقه وكان شجاعا وسار ابراهيم الى المدينة وكسر الخراج وقال كانت فتنة فسكت عنه ابن
الزبير وكان قدوم ابن مطيع فى رمضان لخمس بقين منه وجعل على شرطته اياس بن ابى مضارب
العجلى وأمره بحسن السيرة والشدة على المريب * ولما قدم صعد المنبر فخطبهم وقال اما بعد فان
أمير المؤمنين بعثنى على مصركم وثغوركم وأمرنى بجباية فيئكم وان لا أحمل فضل فيئكم عنكم
الا برضا منكم وان اتبع وصية عمر بن الخطاب التى أوصى بها عند وفاته وسيرة عثمان بن عفان
فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدى سفهائكم فان لم تفعلوا فلوموا أنفسكم
فوالله لاوقعن بالسقيم العاصى ولاقيمن درء الاصعر المرتاب فقام اليه السائب بن مالك
الاشعرى فقال اما حمل فيئنا برضانا فانا نشهد انا لا نرضى ان يحمل عنا فضله وان لا يقسم الا
فينا وان لا يسار فينا الا بسيرة على بن أبى طالب التى سار بها فى بلادنا هذه حتى هلك ولا حاجة لنا
فى سيرة عثمان فى فيئنا ولا فى أنفسنا ولا فى سيرة عمر بن الخطاب فينا وان كانت اهون السيرتين
علينا وقد كان يفعل بالناس خيرا فقال يزيد بن أنس صدق السائب وبر فقال ابن مطيع نسير
فيكم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل وجاء اياس بن مضارب الى ابن مطيع فقال له ان السائب بن
مالك من رؤس أصحاب المختار فابعث الى المختار فاذا جاءك فاحبسه حتى يستقيم أمر
الناس فان أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر فبعث ابن مطيع الى المختار زائدة بن
قدامة وحسين بن عبد الله البرسمى من همدان فقالا أجب الامير فعزم على الذهاب فقرأ زائدة
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية فالقى المختار ثيابه وقال
ألقوا على قطيفة فقد وعكت انى لاجد بردا شديدا ارجعا الى الامير فأعلماه حالى فعادا الى ابن
مطيع فاعلماه فتركه ووجه المختار الى أصحابه فجمعهم حوله فى الدور وأراد ان يثب فى
الكوفة فى المحرم فجاء رجل من أصحاب شبام وشبام حى من همدان وكان شريفا اسمه عبد
الرحمن بن شريح فلقى سعيد بن منقذ الثورى وسعر بن أبى سعر الحنفى والاسود بن جراد
الكندى وقدامة بن مالك الجشمى فقال لهم ان المختار يريد يخرج بنا ولا ندرى ارسله ابن
الحنفية أم لا فانهضوا بنا الى ابن الحنفية نخبره بما قدم علينا به المختار فان رخص لنا فى اتباعه

الروم فات وكان يبلغ من
العمر التسعين بل زاد عليها
قد دفنوه هنالك ثم اخرجه
اسكندر المذكور من قبره
بعد ثلاثة أيام وحز رأسه
وأرسله الى القاهرة فنصب
رأسه على باب زويلة وفرح
أهل مصر بذلك لان الناس
كانوا فى خوف من جهته
لكثرة حروبه وشدة فتكه
فلما هلك ملك بعده ولده حمزة
بك وبقى ولده يعقوب فى
ارزن الروم وجهانكير بن
على بك بن عثمان شريكا
له فى الامر وفى سنة ثمان
وأربعين وثمانمائة توفى حمزة
بك المذكور وكان مثل
أبيه فى قبح سيرته وكثرة
شروره وفسقه وملك بعده
ولد أخيه
(جهانكير) بن على بك وفى
سنة خمس وخمسين وثمانمائة
وجه اخاه حسنا الطويل
صاحب العجم مع عسكره
فالتقى مع الشيخ حسن فقتله
وهذا أول ظهور حسن
الطويل وقتل جماعة من
عسكر جهان شاه وتأكدت
عداوته مع جهان شاه ثم
ان حسنا الطويل مازال
يطمع فى الملك حتى وثب
على آمد فأخذها بالحيلة
مع وجود جهانكير
المذكور وهو احسن هذه
الطائفة خيرا ودينا وعفة
وعدلا وفى سنة احدى

رأسه فالق قروة رأسه على وجهه وانقطع ركاب الحريش وانتزع السيف ولزم ابن خازم عنق فرسه راجعا الى أصحابه ثم عاد اهم القتال فبقوا بذلك بعد الضربة اياما ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق فرقة الى نيسابور مع بحير بن ورقاء وفرقة الى ناحية أخرى وفرقة فيها الحريش الى مرو الروذ فاتبعه ابن خازم الى قرية تسمى الملحمة والحريش فى اثنى عشر رجلا وقد تفرقت عنه أصحابه وهم فى خربة فلما انتهى اليه ابن خازم خرج اليه فى اصحابه فحمل مولى لابن خازم على الحريش فضربه فلم يصنع شيأ فقال الحريش لرجل معه ان سيفى لا يصنع فى سلاحه شيأ فأعطنى خشبة فاعطاه عودا من عناب فحمل على المولى فضربه فسقط وقيذا ثم قال لابن خازم ماتريد منى وقد خليتك والبلاد قال انك تعود اليها قال لا عودفصالحه على ان يخرج من خراسان ولا يعود الى قتاله فاعطاه ابن خازم أربعين ألفا وفتح له الحريش باب القصر فدخله ابن خازم وضمن له وفاء دينه وتحدثا طويلا وطارت قطنة عن الضربة التى برأس بن خازم فاخذها الحريش ووضعها مكانها فقال له ابن خازم مسك اليوم ألين من مسك امس فقال الحريش معذرة الى الله واليك أما والله لولا ركابى انقطع انخالط السيف رأسك وقال الحريش فى ذلك

أزال عظم ذراعى عن مركبه * حمل الرديني فى الادلاج بالسحر
حولين ما اغتمضت عينى بمنزلة * الاوكفى وساد لى على حجر
برى الحديد وسربالى اذا هجعت * عنى العيون مجال القالح الذكر

(بحير بن ورقاء بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة المكسورة والحريش بالحاء والراء المهملتين والشين المعجمة)

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة وعليها عبيد الله بن معمر فهلك به خلق كثير فماتت ام عبيد الله فلم يجدوا لها من يحملها حتى استأجروا من حملها وهو الامير وحج بالناس عبد الله ابن الزبير وكان على المدينة مصعب وعلى الكوفة ابن مطيع وعلى البصرة الحرث بن ربيعة المخزومى وعلى خراسان عبد الله بن خازم وفيها توفى عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى وكان قد عمى آخر عمره وكانت وفاته بمصر وقيل توفى سنة ثمان وستين

(ثم دخلت سنة ست وستين)

(ذكر وثوب المختار بالكوفة)

فى هذه السنة رابع عشر ربيع الاول وثب المختار بالكوفة وأخرج عنها عبد الله بن مطيع عامل عبد الله بن الزبير وسبب ذلك ان سليمان بن صرد لما قتل قدم من بقى من أصحابه الكوفة فلما قدموا وجدوا المختار محبوسا قد حبسه عبد الله بن يزيد الخطمى وابراهيم بن محمد بن طلحة وقد تقدم ذكر ذلك فكتب اليهم من الحبس يثنى عليهم ويمنيهم الظفر ويعرفهم انه هو الذى أمره محمد بن على المعروف بابن الحنفية بطلب الثار فقرأ كتابه رفاعة بن شداد والمثنى بن مخربة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط الاحمسى وعبد الله بن شداد البجلى وعبد الله بن كامل فلما قرؤا كتابه بعثوا اليه ابن كامل يقولون له انا بحيث يسرك فان شئت ان نأتيك ونخرجك من الحبس فعلنا فاتاه فاخبره فسر بذلك وقال لهم انى اخرج فى ايامى

الى نواحى ارزنكان وسيواس واستقبل بها أمرهم وتحولت طائفة آق قوينلى الى ديار بكر واستولوا على الملك والسلطنة وأول من ظهر منهم وتأمر فى البلاد (علاء الدين طور على بك) التركمانى وكان قد تأمر فى حدود آمد وموصل ثم توفى وقام مقامه (فخر الدين قتلى بك) بن طور على ثم توفى وتولى بعده (قره ايلوك عثمان) وكان شجاعا وله مع الترك والعرب وقائع ولما تصرف تيمور فى البلاد وحضر معه الشام انتمى اليه ودخل فى طاعته ودله على مسالك الروم واستنابه تيمور فى بلاده وكان له من البلاد آمد وأرزنجان وماردين والرها وعامة ديار بكر ثم استولى على غير تلك البلاد وكانت له وقعة مع برسباى صاحب مصر قبل ان يلى الملك وهو يومئذ أمير طرابلس انكسر فيها برسباى وسبب هذه الوقعة انه غزا برسباى فى سلطنته بلاد آمد وكانت وقعة أخرى مع برهان الدين صاحب سيواس فقتل بها برهان الدين واستولى قره ايلوك على سيواس وفى سنة تسع وثمانمائة اقتتل قره ايلوك واسكندر بن قره يوسف وانهزم قره ايلوك فوقع فى خندق بارض ارزن

الفراش واجلس المختار عليه وبايعه ثم خرجوا من عنده وقال ابراهيم للشعبي قد رأيتك لم تشهد مع القوم أنت ولا ابوك افترى هؤلاء شهدوا على حق فقال له هؤلاء سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا يقول مثلهم الا حقا فكتب اسماءهم وتركها عنده ودعا ابراهيم عشيرته ومن اطاعه واقبل يختلف الى المختار كل عشية عند المساء يدبرون أمورهم واجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لاربع عشرة من ربيع الاول سنة ست وستين فلما كانت تلك الليلة عند المغرب صلى ابراهيم باصحابه ثم خرج يريد المختار وعليه وعلى أصحابه السلاح وقد أتى اياس ابن مضارب عبد الله بن مطيع فقال له ان المختار خارج عليك باحدى هاتين الليلتين وقد بعثت ابني الى الكناسة فلو بعثت في كل جبانة عظيمة بالكوفة رجلا من اصحابك في جماعة من أهل الطاعة لهاب المختار وأصحابه الخروج عليك فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني الى جبانة السبيع وقال اكفني قومك ولا تحدثن بها حدثا وبعث كعب بن أبي كعب الخثعمي الى جبانة بشر وبعث زحر بن قيس الجعفي الى جبانة كندة وبعث عبد الرحمن بن مخنف الى جبانة الصائديين وبعث شمر بن ذي الجوشن الى جبانة سالم وبعث يزيد بن رويم الى جبانة المراد واوصى كلا منهم ان لا يؤتى من قبله وبعث شبث بن ربعي الى السبخة وقال اذا سمعت صوت القوم فوجههم وكان خروجهم الى الجبانين يوم الاثنين وخرج ابراهيم بن الاشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء وقد بلغه ان الجبانين قد ملئت رجالا وان اياس بن مضارب في الشرط قد أحاط بالسوق والقصر فاخذ معه من أصحابه نحو مائة دارع وقد لبسوا عليها الاقبية فقال له أصحابه تجنب الطريق فقال والله لامرن وسط السوق بجنب القصر ولارعبن عدونا ولارينهم هوانهم علينا فسار على باب الفيل ثم على دار عمرو بن حريث فلقيهم اياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح فقال من أنتم فقال ابراهيم انا ابراهيم بن الاشتر فقال اياس ما هذا الجمع الذي معك وما تريد ولست بتاركك حتى آتي بك الامير فقال ابراهيم خل سبيلا قال لا افعل وكان مع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن وكان يكرمه وكان صديقا لابن الاشتر فقال له ابن الاشتر ادن مني يا أبا قطن فدنا منه وهو يظن ان ابراهيم يطلب منه ان يشفع فيه الى اياس فلما دنا منه أخذ رمحا كان معه وطعن به اياسا في ثغرة نحره فصرعه وامر رجلا من قومه فاخذ رأسه وتفرق أصحاب اياس ورجعوا الى ابن مطيع فبعث مكانه ابنه راشد بن اياس على الشرط وبعث مكان راشد الى الكناسة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد واقبل ابراهيم بن الاشتر الى المختار وقال له انا اتعدنا للخروج القابلة وقد جاء أمر لا بد من الخروج الليلة واخبره الخبر ففرح المختار بقتل اياس وقال هذا أول الفتح ان شاء الله تعالى ثم قال اسعيد بن منقذ قم فاشعل النيران في الهوادي والقصب وارفعها وسر أنت يا عبد الله بن شداد فناد يا منصور أمت وقم أنت يا سفيان بن ليلى وأنت يا قدامة بن مالك فناديا يا لثارات الحسين ثم لبس سلاحه فقال له ابراهيم ان هؤلاء الذين في الجبانين يمنعون أصحابنا من اتياننا فلو سرت الى قومي بني نخع ودعوت من أجابني وسرت بهم في نواحي الكوفة ودعوت بشعارنا لخرج الينا من أراد الخروج ومن أتاك حبسته عندك الى من معك فان عوجلت كان عندك من يمنعك الى ان آتيك فقال له افعل وعجل واياك ان تسير الى أميرهم فتقاتله

ثم مسيره الى بلاد قرمان وكان بها السلطان مصطفى ابن السلطان محمد خان فاتح القسطنطينية فكبسه السلطان مصطفى وظفر به فاسره وقتل غالب عسكره ثم بعث به الى أبيه السلطان محمد خان كاسر وفي سنة ثمان وسبعين وثمانمائة نهض كل من الملكين السلطان محمد خان وحسن الطويل الى قتال الآخر فالتقى العسكران بقرب مدينة باورد فوقع بينهما قتال شديد ثم نزل النصر للسلطان محمد خان فانهزم حسن الطويل وقتل ولده زينل على يد السلطان مصطفى كما ذكر في محله وفي سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة توفي حسن الطويل في ليلة عيد الفطر وخلف خمسة اولاد وهم خليل ميرزا وكان حاكم فارس ومقصود بك وكان حاكم بغداد ويعقوب ومسيح ويوسف وملك بعد أبيه (خليل بن حسن الطويل) بن علي بك بن عثمان بن قطلو بك بن طور على التركماني بعهد من أبيه اليه وكان أكبر أولاده وأحبهم اليه فملك جميع ما كان علكه أبوه من البلاد الشرقية الا انه لم يتهن بالملك لانه لما تولى أخذ بالعنف والشدة وقتل كثيرا

تبعناه وان نهانا عنه اجتنبناه فوالله ما ينبغي ان يكون شيء من الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا قالوا له أصبت فخرجوا الى ابن الحنفية فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فاخبروه عن حالهم وما هم عليه وأعلموه حال المختار وما دعاهم اليه واستأذنوه في اتباعه فلما فرغوا من كلامهم قال لهم بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر فضيلة أهل البيت والمصيبة بقتل الحسين ثم قال لهم واما ما ذكرتم من دعا كم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ولو كره اقال لا تفعلوا فعادوا وناس من الشيعة ينتظرونهم ممن اعلموه بحالهم وكان ذلك قد شق على المختار وخاف ان يعودوا بامر يخذل الشيعة عنه فلما قدموا الكوفة دخلوا على المختار قبل دخولهم الى بيوتهم فقال لهم ما وراءكم فقد فتنتم وارتبتم فقالوا له انا قد أمرنا بنصرك فقال الله أكبر اجمعوا الى الشيعة فجمع من كان قريبا منهم فقال لهم ان نفرا قد أحبوا ان يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا الى الامام المهدى فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم انى وزيره وظهيره ورسوله وأمركم باتباعى وطاعتى فيما ادعوتكم اليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين فقام عبد الرحمن بن شريح واخبرهم بحالهم ومسيرهم وان ابن الحنفية أمرهم بمظاهرته وموازرته وقال لهم ليبلغ الشاهد الغائب واستعدوا وتأهبوا وقام جماعة من اصحابه فقالوا نحوا من كلامه فاستجمعت له الشيعة وكان من جملتهم الشعبى وابوه شراحيل فلما تهيأ امره للخروج قال له بعض أصحابه ان أشراف أهل الكوفة مجمعون على قتالكم مع ابن مطيع فان اجابنا الى امرنا ابراهيم بن الاشتر رجونا القوة على عدونا فانه فتى رئيس وابن رجل شريف له عشيرة ذات عز وعدد فقال لهم المختار فائتوه وادعوه فخرجوا اليه ومعهم الشعبى فاعلموه حالهم وسألوه مساعدتهم عليه وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء على واهل بيته فقال لهم انى قد أجبتكم الى الطلب بدم الحسين واهل بيته على ان تولونى الامر فقالوا له انت لذلك أهل ولكن ليس الى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدى وهو المأمور بالقتال وقد امرنا بطاعته فسكت ابراهيم ولم يجبهم فانصرفوا عنه فاخبروا المختار فمكث ثلاثا ثم سار فى بضعة عشر من أصحابه والشعبى وابوه فيهم الى ابراهيم فدخلوا عليه فالقى لهم الوسائد فجلسوا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال له المختار هذا كتاب من المهدى محمد بن على أمير المؤمنين وهو خير أهل الارض اليوم وابن خير أهلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله وهو يسألك ان تنصرنا وتوازرنا قال الشعبى وكان الكتاب معى فلما قضى كلامه قال لى ادفع الكتاب اليه فدفعه اليه الشعبى فقرأه فاذا فيه من محمد المهدى الى ابراهيم بن مالك الاشتر سلام عليك فانى احمد الله اليك الذى لا اله الا هو اما بعد فانى قد بعثت اليكم وزيرى وأمينى الذى ارتضيته لنفسى وأمرته بقتال عدوى والطلب بدماء اهل بيتى فانهض معهم بنفسك وعشيرتك ومن اطاعك فانك ان تنصرنى واجبت دعوتى كانت لك بذلك عندى فضيلة ولك اعنة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة واقصى بلاد الشام فلما فرغ من قراءة الكتاب قال قد كتب الى ابن الحنفية قبل اليوم وكتبت فلم يكتب الى الا باسمه واسم ابيه قال المختار ان ذلك زمان وهذا زمان قال فمن يعلم ان هذا كتابه فشهد جماعة ممن معه منهم زيد بن انس واحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم الا الشعبى فلما شهدوا تأخر ابراهيم عن صدر

وسبعين وثمانمائة وقع بين حسن الطويل صاحب ديار بكر وبين جهان شاه صاحب العراقين حروب كثيرة انتصر فيها حسن الطويل المذكور فقتله وقتل أولاده وكثيرا من عسكره واستولى على بلاد العراق واذربيجان وفى سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة قصد صاحب ماوراء النهر الملك أبو سعيد بن مير شاه ابن تيمور ان يسترد ما كان بيد جهان شاه من البلاد من حسن الطويل فقابله بحدود اذربيجان فالتحم الحرب بينهما الى ان قتل خلقا كثيرا من عظماء خراسان واسر الملك أبو سعيد فى يد زينل بن حسن الطويل ثم أمر بقتله فقتل وارسل براسه الى صاحب مصر فامر به صاحب مصر فدفن اجلالا له لانه كان من اكابر ملوك الاسلام وارسل معه كتابا سلك فيه طريقة الملوك وابرق فيه وارعد وكان قبله يتلطف بهم واستولى حسن الطويل على ما كان بيد أبى سعيد المذكور على ملك سمرقند وغيره وفى سنة ست وسبعين وثمانمائة وصل يوسفجه بك بعسكر حسن الطويل الى مدينة توقات فنهبها وخرب اسواقها ثم

الوقت سعر بن أبي سعر الحنفي وهو من أصحابه لم يقدر على اتيانه الا تلك الساعة فرأى راشد بن اياس في طريقه فأخبر المختار خبره أيضا فبعث المختار ابراهيم بن الأشتر الى راشد في سبعمائة وقيل في ستمائة فارس وستمائة راجل وبعث نعيم بن هبيرة اخا مصقلة بن هبيرة في ثلثمائة فارس وستمائة راجل وأمره بقتال شبث بن ربعي ومن معه وأمرهما بتعجيل القتال وان لا يستهدفا لعدوهما فانه أكثر منهما فتوجه ابراهيم الى راشد وقدم المختار يزيد بن انس في موضع مسجد شبث بن ربعي في تسعمائة أمامه فتوجه نعيم الى شبث فقاتله قتالا شديدا فجعل نعيم سعر بن أبي سعر على الخيل ومشى هو في الرجالة فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت فانهزم أصحاب شبث حتى دخلوا البيوت فناداهم شبث وحرضهم فرجع اليه منهم جماعة فحملوا على أصحاب نعيم وقد تفرقوا فهزمهم وصبر نعيم فقتل وأسر سعر بن أبي سعر وجماعة من أصحابه فأطلق العرب وقتل الموالي وجاء شبث حتى أحاط بالمختار وكان قد وهن لقتل نعيم وبعث ابن مطيع يزيد ابن الحرث بن رويم في ألفين فوقفوا في أفواه السكك وولى المختار يزيد بن أنس خيله وخرج هو في الرجالة فحملت عليه خيل شبث فلم يبرحوا مكانهم فقال لهم يزيد بن أنس يا معشر الشيعة انكم كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وارجلكم وتسمل أعينكم وترفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم اذا ظهروا عليكم اليوم والله لا يدعون منكم عينا تطرف وليقتلنكم صبرا وليرون منهم في اولادكم وازواجكم واموالكم ما الموت خير منه والله لا ينجيكم منهم الا الصدق والصبر والطعن الصائب والضرب الدارك فتهيؤا للحملة فتيسروا ينتظرون أمره وجثوا على ركبهم وأما ابراهيم بن الاشتر فانه لقي راشدا فاذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لأصحابه لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لرب رجل خير من عشرة والله مع الصابرين وقدم خزيمة بن نصر اليهم في الخيل ونزل هو يمشي في الرجالة وأخذ ابراهيم يقول لصاحب رايته تقدم برايتك امض بهؤلاء وبهؤلاء واقتتل الناس قتالا شديدا وحمل خزيمة بن نصر العبسي على راشد فقتله ثم نادى قتلت راشدا ورب الكعبة وانهزم أصحاب راشد واقبل ابراهيم وخزيمة ومن معهما بعد قتل راشد نحو المختار وارسل البشير الى المختار بقتل راشد فكبر هو وأصحابه وقويت نفوسهم ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل وأرسل ابن مطيع حسان بن فائد بن بكر العبسي في جيش كثيف نحو الفين فاعترض ابراهيم ليرده عن السبخة من أصحاب ابن مطيع فتقدم اليهم ابراهيم فانهزموا من غير قتال وتأخر حسان يحمي أصحابه فحمل عليه خزيمة فعرفه فقال يا حسان لولا القرابة لقتلتك فانج بنفسك فعثر به فرسه فوقع فابتدره الناس فقاتل ساعة فقال له خزيمة انت آمن فلا تقتل نفسك وكف عنه الناس وقال لابراهيم هذا ابن عمي وقد امنته فقال احسنت وأمر بفرسه فأحضر فاركبه وقال الحق باهلك واقبل ابراهيم نحو المختار وشبث بن ربعي محيط به فلقيه يزيد بن الحرث وهو على أفواه السكك التي تلي السبخة فاقبل الى ابراهيم ليصده عن شبث واصحابه فبعث ابراهيم اليه طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر وسار نحو المختار وشبث فيمن بقي معه فلما دنا منهم ابراهيم حمل على شبث وحمل يزيد بن أنس فانهزم شبث ومن معه الى أبيات الكوفة وحمل خزيمة بن نصر على يزيد ابن الحرث فهزمه وازدحموا على افواه السكك وفوق البيوت واقبل المختار فلما انتهى الى افواه

في سنة ثلاث بعسكر كثير كثيف فاوقعوا بجيش المذكور فقتلوه واعادوا شروان شاه الى مقر ملكه شماخي وفي سنة اربع وتسعين وثمانمائة تحيل يعقوب شاه بحيلة غريبة حتى استولى على بلاد ديار بكر ونزعها من يد الاكراد والتركمان والتصر عليهم وفي سنة ست وتسعين وثمانمائة ماتت أم يعقوب شاه وكان موتها سببا لاختلاف حصل بين أهل هذا البيت وكان دأبها ان تجمع في كل أسبوع اهل هذا البيت بمكان اعتدته لهم وتتكلم بكل ما يناسب الحال التي فيها اتصال البعض الى البعض وانها لما ماتت انقطع هذا التدبير وتفرقت الكلمة فكان سببا ووسيلة لدس السم على يعقوب شاه بعد وفاة والدته بثمانية عشر يوما وأخيه ميرزا يوسف بك وكان وفاتهم في نواحي قره باغ وكانت مدة ملك يعقوب شاه اثنتي عشرة سنة وشهرين وخلف ثلاثة اولاد وهم باي سنقر وحسن ومراد وتسلطن بعده اخوه (مسيح بك) ابن حسن الطويل فوقع بين الامراء خلاف الى أن آل الحال

ولاتقاتل احدا وانت تستطيع ان لاتقاتله الا ان يبدأك أحد بقتال فخرج ابراهيم وأصحابه
حتى أتى قومه واجتمع اليه جل من كان أجابه وسار بهم في سكك المدينة ليلا طويلا وهو يتجنب
المواضع التي فيها الامراء الذين وضعهم ابن المطيع فلما انتهى الى مسجد السكون أتاه جماعة
من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس عليهم أمير فحمل عليهم ابراهيم فكشفهم حتى ادخلهم جبانة
كندة وهو يقول اللهم انك تعلم انا غضبنا لاهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا على هؤلاء ثم رجع
ابراهيم عنهم بعد ان هزمهم ثم سار ابراهيم حتى اتى جبانة أثير فشدوا بشعارهم فوقف فيها فاتاه
سويد بن عبد الرحمن المنقري ورجا ان يصيبهم فيحظى بها عند ابن مطيع فلم يشعر به ابراهيم الا
وهو معه فقال ابراهيم لاصحابه ياشرطة الله انزلوا فانكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين
خاضوا في دماء أهل بيت نبيكم فنزلوا ثم حمل عليهم ابراهيم حتى أخرجهم الى الصحراء فانهزموا
فركب بعضهم بعضا وهم يتلاومون وتبعهم حتى ادخلهم الكناسة فقال لابراهيم أصحابه اتبعهم
واغتنم مادخلهم من الرعب فقال لا ولكن نأتي صاحبنا يؤمن الله بنا وحشته ويعلم ما كان من
نصرنا له فيزداد هو وأصحابه قوة مع اني لا آمن ان يكون قد اوتي ثم سار ابراهيم حتى اتى باب
المختار فسمع الاصوات عالية والقوم يقتتلون وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة فعبى له
المختار يزيد بن انس وجاء حجار بن ابجر العجلي فجعل المختار في وجهه احمر بن شميط فبينما الناس
يقتتلون اذ جاء ابراهيم من قبل القصر فبلغ حجارا وأصحابه ان ابراهيم قد اتاهم من ورائهم
فتفرقوا في الازقة قبل ان يأتيهم وجاء قيس بن طهفة النهدي في قريب من مائة وهو من أصحاب
المختار فحمل على شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا واقبل
شبث الى ابن مطيع وقال له اجمع الامراء الذين بالجبانين وجميع الناس ثم انفذ الى هؤلاء القوم
فقاتلهم فان امرهم قد قوي وقد خرج المختار وظهر واجتمع له أمره فلما بلغ قوله المختار خرج
في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دير هند في السبخة وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في
شاكر وهم مجتمعون في دورهم يخافون ان يظهروا لقرب كعب الخثعمي منهم وكان قد أخذ
عليهم افواه السكك فلما أتاهم أبو عثمان في جماعة من أصحابه نادى يالثارات الحسين يامنصور
امت أمت ياأيها الحي المهتدون ان أمين آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند وبعثني اليكم
داعيا ومبشرا فاخرجوا رحمكم الله فخرجوا يتداعون يالثارات الحسين وقاتلوا كعبا حتى
خلى لهم الطريق فاقبلوا الى المختار فنزلوا معه وخرج عبد الله بن قتادة في نحو من مائتين فنزل
مع المختار وكان قد تعرض لهم كعب فلما عرف أنهم من قومه خلى عنهم وخرجت شبام وهم حي
من همدان من آخر ليلتهم فبلغ خبرهم عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فارسل اليهم ان كنتم
تريدون المختار فلا تمروا على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار فتوافى الى المختار ثلاثة آلاف
وثمانمائة من اثنى عشر ألفا كانوا بايعوه فاجتمعوا له قبل الفجر فاصبح وقد فرغ من تعبيته وصلى
باصحابه بغلس وارسل ابن مطيع الى الجبانين فامر من بها ان يأتوا المسجد وأمر راشد بن اياس
فنادى في الناس برئت الذمة من رجل لم يأت المسجد الليلة فاجتمعوا فبعث ابن مطيع شبث
ابن ربعي في نحو ثلاثة آلاف الى المختار وبعث راشد بن اياس في اربعة آلاف من الشرط فسار
شبث الى المختار فبلغه خبره وقد فرغ من صلاة الصبح فارسل من أتاه بخبرهم وأتى الى المختار ذلك

من الامراء وقتل أخاه وخلقا
كثيرا من أقاربه ومع ذلك
أشتغل باللهو والملاهي
وكانت الفتن قائمة في اطراف
البلاد بسبب بعض الملوك
ولم يكن احد أن يعرض
عليه شيأ من ذلك لسوء
خلقه وشدة جبروته
فاتفقوا على خلعه وتولية
أخيه الملك الصغير (يعقوب
بك) صاحب ديار بكر فخلع
خليل واستولى يعقوب
بك على ملكه وكانت مدة
سلطنته ستة أشهر ونصف
شهر واستولى على سرير
الملك بعده اخوه يعقوب
المذكور وفي سنة تسع
وثمانين وثمانمائة بعث
يعقوب شاه عسكرا كثيرا
الى بلاد المشعشع فكسروه
كسرا شنيعا وكان المشعشع
يعد نفسه علويا ثم تغالى
حتى قال انتقلت روح علي
ابن أبي طالب رضي الله
عنه الي واستفحل امره
واستولى على بلاد ابن علان
وفي سنة ثلاث وتسعين
وثمانمائة ظهر الشيخ حيدر
ابن الشيخ صفي الدين بن
جنيد الاردبيلي شيخ
الصوفية بعرديه وهجم على
شروان شاه صاحب شماخي
فغلب عليه واستنجد
صاحب شماخي يعقوب
شاه المذكور وكان بينهما
علاقة المصاهرة فاستنجده

أراذلكم واخساؤكم وان اشرافكم واهل الفضل منكم سامعون مطيعون وانا مبلغ ذلك صاحبي ومعلمه طاعتكم وجهادكم حتى كان الله الغالب على أمره فاثنوا عليه خيرا وخرج عنهم واتى دار أبي موسى فجاء ابن الاشتر ونزل القصر ففتح اصحابه الباب وقالوا يا ابن الاشتر آمنون نحن قال انتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار ودخل المختار القصر فبات فيه واصبح اشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه فقال الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعله فيه الى آخر الدهر وعدا مفعولا وقضاء مقضيا وقد خاب من افترى ايها الناس انا رفعت لنا راية ومدت لنا غاية فقيل لنا في الراية ان ارفعوها وفي الغاية ان اجروا اليها ولا تعدوها فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي فكم من ناع وناعية لقتلى في الواغية وبعدا لمن طغى وادبر وعصى وكذب وتولى الا فادخلوا ايها الناس وبايعوا بيعة هدى فلا والذي جعل السماء سقفا مكفوفا والارض فجاجا سبلا ما بايعتم بعد بيعة علي بن ابي طالب وآل علي اهدى منها ثم نزل ودخل عليه اشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء اهل البيت وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا وكان ممن بايعه المنذر بن حسان وابنه حسان فلما خرجا من عنده استقبلهما سعيد بن منقذ الثوري في جماعة من الشيعة فلما رأوهما قالوا هذان والله من رؤس الجبارين فقتلوا المنذر وابنه حسان فنهاهم سعيد حتى يأخذوا امر المختار فلم ينتهوا فلما سمع المختار ذلك كرهه واقبل المختار يمني الناس ويستجر مودة الاشراف ويحسن السيرة وقيل له ان ابن مطيع في دار ابي موسى فسكت فلما امسى بعث له بمائة الف درهم وقال تجهز بهذه فقد علمت مكانك وانك لم يمنعك من الخروج الا عدم النفقة وكان بينهما صداقة ووجد المختار في بيت المال تسعة آلاف الف فأعطى اصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة وخمسمائة لكل رجل منهم خمسمائة درهم واعطى ستة آلاف من اصحابه اتوه بعد ما احاط بالقصر واقاموا معه تلك الليلة وتلك الايام الثلاثة مائتين مائتين واستقبل الناس بخير وجعل الاشراف جلساءه وجعل على شرطته عبد الله بن كامل الشاكري وعلى حرسه كيسان ابا عمرة فقام ابو عمرة على رأسه ذات يوم وهو مقبل على الاشراف بحديثه ووجهه فقال لابي عمرة بعض اصحابه من الموالي اما ترى ابا اسحق قد اقبل على العرب ما ينظر الينا فسأله المختار عما قالوا له فاخبره فقال قل لهم لا يشق عليهم ذلك فانتم مني وانا منكم وسكت طويلا ثم قرأ انا من المجرمين منتقمون فلما سمعوها قال بعضهم لبعض أبشروا كأنكم والله قد قتلتم يعني الرؤساء وكان أول راية عقدها المختار لعبد الله بن الحرث اخي الاشتر على أرمينية وبعث محمد بن عمير بن عطارد على اذربيجان وبعث عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس على الموصل وبعث اسحق بن مسعود على المدائن وارض جوخى وبعث قدامة بن أبي عيسى بن زمعة النصري حليف ثقيف على بهقباذ الاعلى وبعث محمد بن كعب بن قرظة على بهقباذ الاوسط وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان وأمره بقتال الاكراد واقامة الطرق وكان ابن الزبير قد استعمل على الموصل محمد بن الاشعث بن قيس فلما ولي المختار وبعث عبد الرحمن بن سعيد الى الموصل اميرا سار محمد عنها الى تكريت ينظر ما يكون من الناس ثم

وسياسة الملك على ما شاهده في الروم فلم يعجب ذلك امراء تلك البلاد المطبوعين على الظلم واراقة الدم فثقل عليهم ذلك واتفقوا على خلعه فارسلوا الى مراد بن يعقوب شاه فجاء وقاتل أحمد ميرزا وهزمه ثم ظفر به فقتله وكانت مدة ملك أحمد نحو سنة ثم اتفق الامراء والعساكر وارسلوا الى الوند ميرزا ابن يوسف بن حسن الطويل وكان في بعض بلاد الاكراد وعده بالملك فحضر واجتمع عليه الامراء والعساكر فقاتلوا مراد ميرزا فكسروه واستقر مكانه في سرير تبريز ولما مضى من ملكه مدة سنة واحدة خرج عليه محمد ميرزا بن يوسف بك وادعى الملك لنفسه واستقل امره بعراق العجم فخرج الوند لقتاله فلم يلبث ساعة حتى انهزم الى طرف فارس وتمكن بالملك (محمد ميرزا) فعند ذلك خرج السلطان مراد بن يعقوب شاه وكان محبوسا وجلس على سرير الملك وذلك بعد ان تمكن محمد ميرزا من التخت ثم انه التقى مع محمد ميرزا فقاتله وهزمه ثم ظفر به فقتله ثم سار منها الى ديار بكر وانتزعها من ايدي اعمامه وفي سنة ثمان وتسعمائة قصد شاه

السكك رمته الرماة بالنبل فصدوه عن الدخول الى الكوفة من ذلك الوجه ورجع الناس
من السبخة منهزمين الى ابن مطيع وجاء قتل راشد بن اياس فسقط فى يده فقال له عمرو بن الحجاج
الزبيدى ايها الرجل لا تلق بيدك واخرج الى الناس واندبهم الى عدوك فان الناس كثير وكلهم
معك الا هذه الطائفة التى خرجت والله يخزيها وانا اول منتدب فانتدب معى طائفة ومع غيرى
طائفة فخرج ابن مطيع فقام فى الناس ووبخهم على هزيمتهم وأمرهم بالخروج الى المختار
وأصحابه ولما رأى المختار انه قد منعه يزيد بن الحرث من دخول الكوفة عدل الى بيوت مزينة
وأحمس وبارق وبيوتهم منفردة فسقوا أصحابه الماء ولم يشرب هو فانه كان صائما فقال أحمر بن
شميط لابن كامل اتراه صائما قال نعم قال لو افطر كان أقوى له قال انه معصوم وهو اعلم بما يصنع
فقال أحمر صدقت استغفر الله فقال المختار نعم المكان للقتال هذا فقال ابراهيم ان القوم قد
هزمهم الله وأدخل الرعب فى قلوبهم سر بنا فوالله ما دون القصر مانع فترك المختار هنالك كل شيخ
ضعيف ذى علة وثقلهم واستخلف عليهم اباعثمان النهدى وقدم ابراهيم امامه وبعث ابن مطيع
عمرو بن الحجاج فى الفين فخرج عليهم فارسل المختار الى ابراهيم أن اطوه ولا تقم عليه فطواه واقام
وأمر المختار يزيد بن أنس ان يواقف عمرو بن الحجاج فمضى اليه وسار المختار فى اثر ابراهيم ثم وقف
فى موضع مصلى خالد بن عبد الله ومضى ابراهيم ليدخل الكوفة من نحو الكناسة فخرج اليه
شمر بن ذى الجوشن فى الفين فسرح اليه المختار سعيد بن منقذ الهمدانى فواقعه وارسل الى
ابراهيم يأمره بالمسير فسار حتى انتهى الى سكة شبث فاذا نوفل بن مساحق فى الفين وقيل خمسة
آلاف وهو الصحيح وقد أمر ابن مطيع مناديا فنادى فى الناس ان الحقوا بابن مساحق وخرج
ابن مطيع فوقف بالكناسة واستخلف شبث بن ربعى على القصر فدنا ابن الاشتر من ابن مطيع
فامر اصحابه بالنزول وقال لهم لا يهولنكم ان يقال جاء شبث وآل عتيبة بن النهاس وآل الاشعث
وآل يزيد بن الحرث وآل فلان فسمى بيوتات أهل الكوفة ثم قال ان هؤلاء لو وجدوا حر
السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المعزى من الذئب ففعلوا ذلك وأخذ ابن الاشتر اسفل
قبائه فادخله فى منطقته وكان القباء على الدرع فلم يلبثوا حين حمل عليهم ان انهزموا يركب
بعضهم بعضا على افواه السكك وازدحموا وانتهى ابن الاشتر الى ابن مساحق فاخذ بعنان
دابته ورفع السيف عليه فقال له يا ابن الاشتر انشدك الله هل بينى وبينك من احنة او تطلبنى
بثار فخلى سبيله وقال اذكرها فكان يذكرها له ودخلوا الكناسة فى آثارهم حتى دخلوا السوق
والمسجد وحصروا ابن مطيع ومعه الاشراف من الناس غير عمرو بن حريث فانه اتى داره ثم
خرج الى البر وجاء المختار حتى نزل جانب السوق وولى ابراهيم حصار القصر ومعه يزيد بن انس
واحمر بن شميط فحصروهم ثلاثا فاشتد الحصار عليهم فقال شبث لابن مطيع انظر لنفسك ولمن
معك فوالله ما عندهم غنى عنك ولا عن انفسهم فقال اشيروا على فقال شبث الرأى ان تأخذ
لنفسك ولنا امانا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك فقال ابن مطيع انى لاكره ان آخذ منه امانا
والامور لامير المؤمنين مستقيمة بالحجاز والبصرة قال فتخرج ولا يشعر بك أحد فتنزل بالكوفة
عند من تثق اليه حتى تلحق بصاحبك واشار بذلك عبد الرحمن بن سعيد واسماء بن خارجة وابن
مخنف واشراف الكوفة فأقام حتى أمسى وقال لهم قد علمت ان الذين صنعوا هذا بكم انهم

الى تولية على بك ابن خليل
بك ابن حسن الطويل ثم
لم ينتظم به الامر أيضا حتى
اقاموا باى سنقر بن يعقوب
ابن حسن الطويل صبيا
صغيرا دون عشر سنين ثم وقع
بين الامراء عدة حروب
وتشاجر بسبب أن كل جماعة
منهم اختاروا واحدا من
أهل بيت الملك ومالوا اليه
وقتل جماعة منهم ثم اتفق
الامر أن قتل باى سنقر فى
بعض الحروب بعد ان ملك
سنة وثمانية أشهر واستقر
على سرير الملك (رستم ميرزا
ابن مقصود بن حسن
الطويل) وكان رستم هذا
مغرما بحب النساء مغلوبا
لهن فاستولت كل واحدة
منهن على امور المملكة
واركانها فاختل نظام الملك
وارسلوا الى الروم يدعون
السلطان أحمد وكان قد
هرب من عمه يعقوب شاه
بعد قتل ابيه والتجأ الى
السلطان السعيد بايزيد خان
العثمانى فصاهره السلطان
المذكور وزوجه ابنته
فوصل الى بلاد العجم وقتل
رستم المذكور بعد ان ملك
خمسة أعوام ونصف عام
واستولى مكانه (السلطان
أحمد ابن اوغورلى محمد بن
حسن الطويل) ورام أحمد
المذكور ان يجرى فى تلك
البلاد نواب الشرع

مخارق فقتله عبد الله بن ورقاء الاسدي وعبد الله بن ضمرة العذري فلم يسر المنهزمون غير ساعة
حتى لقيهم عبد الله بن جلة في ثلاثة آلاف فرد معه المنهزمين ونزل بزيد بياتلي فباتوا ليلهم
يتحارسون فلما أصبحوا يوم الاضحى خرجوا الى القتال فاقتتلوا قتالا شديدا ثم نزلوا فصلوا
الظهر ثم عادوا الى القتال فانهزم أهل الشام وترك ابن جلة في جماعة فقاتل قتالا شديدا فحمل
عليه عبد الله بن قراد الخثعمي فقتله وحوى أهل الكوفة عسكرهم وقتلوا فيهم قتلا ذريعا
وأسروا منهم ثلثمائة أسير وامر يزيد بن أنس بقتلهم وهو بآخر رمق فقتلوا ثم مات آخر النهار
فدفنه أصحابه وسقط في أيديهم وكان قد استخلف ورقاء بن عازب الاسدي فصلى عليه ثم قال
لاصحابه ماذا ترون انه قد بلغني ان ابن زياد قد اقبل اليكم في ثمانين ألفا وانما انا رجل منكم
فاشيروا على فاني لا أرى لنا باهل الشام طاقة على هذه الحال وقد هلك يزيد وتفرق عنا بعض من
معنا فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا لقالوا انما رجعنا عنهم لموت أميرنا ولم يزالوا لنا هائبين
وان لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فان هزمونا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا اياهم بالامس فقالوا نعم
ما رأيت فانصرفوا فبلغ ذلك المختار وأهل الكوفة فارجف الناس بالمختار وقالوا ان يزيد قتل
ولم يصدقوا انه مات فدعا المختار ابراهيم بن الاشتر وأمره على سبعة آلاف وقال له سر فاذا
لقيت جيش يزيد بن أنس فانت الامير عليهم فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد وأصحابه فتناجزهم
فخرج ابراهيم فعسكر بحمام أعين وسار فلما سار اجتمع أشراف الكوفة عند شبث بن ربعي
وقالوا والله ان المختار تأمر علينا بغير رضا منا ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم
فيئنا وكان شبث شيخهم وكان جاهليا اسلاميا فقال لهم شبث دعوني حتى القاه فذهب اليه فلم
يدع شيئا انكروه الا ذكره له فاخذ لا يذكر خصلة الا قال له المختار انا أرضيهم في هذه الخصلة
وآتي لهم كل ما أحبوا وذكر له الموالي ومشاركتهم في الفيء فقال له ان أنا تركت موالي كم وجعلت
فيئكم لكم تقاتلون معي بني أمية وابن الزبير وتعطوني على الوفاء عهد الله وميثاقه وما
أطمئن اليه من الايمان فقال شبث حتى أخرج الى أصحابي فاذ كر لهم ذلك فخرج اليهم فلم
يرجع اليه وأجمع رأيهم على قتاله فاجتمع شبث بن ربعي ومحمد بن الاشعث وعبد الرحمن بن سعيد
ابن قيس وشمر حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي فكلموه في ذلك فاجابهم اليه
فخرجوا من عنده حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف الازدي فدعوه الى ذلك فقال لهم ان
اطعتموني لم تخرجوا فقالوا له لم فقال لاني أخاف ان تتفرقوا وتختلفوا ومع الرجل شجعانكم
وفرسانكم مثل فلان وفلان ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمة هؤلاء واحدة ومواليكم أشد حنقا
عليكم من عدوكم فهم مقاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم وان انتظرتموه قليلا كفيتموه
بقدوم أهل الشام ومجيء أهل البصرة فيكفونه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم فقالوا ننشدك الله
ان تخالفنا وتفسد علينا رأينا وما أجمعنا عليه فقال انما أنا رجل منكم فاذا شئتم فاخرجوا
فوثبوا بالمختار بعد مسير ابراهيم بن الاشتر وخرجوا بالجبانين كل رئيس بجبانة فلما بلغ المختار
خروجهم أرسل قاصدا مجدا الى ابراهيم بن الاشتر فلحقه وهو بساباط فأمره بالرجوع
والسرعة وبعث المختار اليهم في ذلك أخبروني ماذا تريدون فاني صانع كل ما أحببتم قالوا نريد
ان تعتزلنا فانك زعمت ان ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك قال فارسلوا اليه وفدا من قبلكم وأرسل

الروم وبلاد سيس وفارس
وضمانق واودية عمق وكوند
زلي وغير ذلك وهم يزعمون
ان نسبهم ينتهي الى كسرى
انوشروان العادل ملك
فارس ويعرفون من بين
التركمان بالشهامة
والشجاعة واول من ظهر
منهم (قرجا بن ذي القادر)
في نواحي البستان تأمر بين
قومه فلما توفي قام مقامه
ابنه (خليل بن قرجا) بن ذي
القادر واستفحل أمره
وكان من شانه ان مبارك شاه
الطازي نائب البستان
نازل خليلا المذكور ليقاتله
في سنة ثمانين وسبعمائة
فانكسر خليل وتبعه عسكر
مبارك شاه المذكور ثم عاد
عليه خليل المذكور ومع
طائفة من التركمان فكسروه
وظفروا به فقتلوه وفي سنة
ثلاث وثمانين وسبعمائة
جمع خليل واخوته جموعا
كثيرة فوصلوا الى تبريز
وخاف أهل حلب منهم فامر
الملك الصالح صاحب مصر
نائب حلب والشام بالسير
على التركمان فسار العسكر
من حلب الى مرعش ثم الى
البستان ثم الى ملطية
والتركمان تفر منهم وتحصن
بالجبال المنيعة ثم رجع
التركمان فهزموا العسكر
وشرعوا في النهب وفي سنة
ثمان وثمانين وسبعمائة

سار الى المختار فبايعه فلما فرغ المختار مما يريد صار يجلس للناس ويقضي بينهم ثم قال ان لي فيما احاول لشغلا عن القضاء ثم اقام شريحا يقضي بين الناس ثم خافهم شريح فتمارض وكانوا يقولون انه عثماني وانه شهد على حجر بن عدي وانه لم يبلغ هانئ بن عروة ما ارسله به وان عليا عزله عن القضاء فلما بلغ شريحا ذلك منهم تمارض فجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم ان عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي

(ذكر قتل المختار قتلة الحسين عليه السلام)

وفي هذه السنة وثب المختار بمن بالكوفة من قتلة الحسين وكان سبب ذلك ان مروان بن الحكم لما استوسق له الشام بعث جيشين أحدهما الى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القيني وقد ذكرنا أمره وقتله والجيش الآخر الى العراق مع عبيد الله بن زياد وقد ذكرنا ما كان من أمره وامر التوابين وكان قد جعل لابن زياد ما غلب عليه وأمره ان ينهب الكوفة ثلاثا فاحتبس بالجزيرة وبها قيس عيلان مع زفر بن الحرث على طاعة ابن الزبير فلم يزل عبيد الله بن زياد مشتغلا بهم عن العراق نحو سنة فتوفي مروان وولي بعده ابنه عبد الملك بن مروان فأقر ابن زياد على ما كان أبوه ولاه وأمره بالجد في امره فلما لم يمكنه في زفر ومن معه من قيس شيء أقبل الى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار الى المختار يخبره بدخول ابن زياد ارض الموصل وانه قد تنحى له عن الموصل الى تكريت فدعا المختار يزيد بن أنس الاسدي وأمره ان يسير الى الموصل فينزل بادانى أرضها حتى يمده بالجنود فقال له يزيد خلني انتخب ثلاثة آلاف فارس وخلني مما توجهني اليه فان احتجت كتبت اليك استمدك فأجابه المختار فانتخب له ثلاثة آلاف وسار عن الكوفة وسار معه المختار والناس يشيعونه فلما ودعه قال له اذا لقيت عدوك فلا تناظرهم واذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها وليكن خبرك كل يوم عندي وان احتجت الى مدد فاكتب الي مع اني ممدك وان لم تستمد لانه أشد لعضدك وارعب لعدوك ودعا له الناس بالسلامة ودعا لهم فقال لهم سلوا الله لي الشهادة فوالله لئن فاتني النصر لا تفوتني الشهادة فكتب المختار الى عبد الرحمن ابن سعيد أن خل بين يزيد وبين البلاد فسار يزيد الى المدائن ثم سار الى ارض جوخى والراذانات الى ارض الموصل فنزل بباقلي وبلغ خبره ابن زياد فقال لابعثن الى كل ألف ألفين فارسل ربيعة ابن مخارق الغنوي في ثلاثة الاف وعبد الله بن جملة الخثعمي في ثلاثة آلاف فسار ربيعة قبل عبد الله بيوم فنزل بيزيد بن أنس بباقلي فخرج يزيد بن انس وهو مريض شديد المرض راكب على حمار يمسكه الرجال فوقف على اصحابه وعباهم وحثهم على القتال وقال ان هلكت فاميركم ورقاء ابن العازب الاسدي فان هلك فاميركم عبد الله بن ضمرة العذري فان هلك فاميركم سعر بن أبي سعر الحنفي وجعل على ميمنته عبد الله وعلى ميسرته سعرا وعلى الخيل ورقاء ونزل هو فوضع بين الرجال على سرير وقال قاتلوا عن أميركم ان شئتم أو فروا عنه وهو يأمر الناس بما يفعلونه ثم يغمى عليه ثم يفيق واقتتل الناس عند فلق الصبح يوم عرفة واشتد قتالهم الى ارتفاع الضحى فانهزم أهل الشام وأخذ عسكرهم وانتهى أصحاب يزيد الى ربيعة بن مخارق وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادي يا أولياء الحق انا ابن مخارق انما تقاتلون العبيد الاباق ومن ترك الاسلام وخرج منه فاجتمع اليه جماعة فقاتلوا معه فاشتد القتال ثم انهزم أهل الشام وقتل ربيعة بن

إسمعيل ابن الشيخ حيدر الصفوي بغداد وبها السلطان مراد المذكور وكانت قد ضعفت دولتهم جدا وقويت شوكة الاسماعيلية الاردبيلية جدا وكانوا قد استولوا على غالب بلادهم التي بأيديهم فلم يطق مراد المقاومة فترك بغداد وأتى الى الروم مستغيثا مستجيرا فلم ينل بها قبولا ثم ذهب والتجأ الى علاء الدولة بن ذى الغادر وأخذ منه مددا وذهب الى بغداد واستردها واستقر على سريرها وكان اسمعيل مشغولا بحرب بعض الملوك ثم قضى اربه وهجم على مراد المذكور ببغداد وطرده عنها واستولى عليها واضمحل حال مراد ميرزا ولم يعلم له خبر وهو آخر من ملك عراق العجم من أهل هذا البيت

(الباب التاسع والاربعون في ذكر دولة الغادرية ذوى الهمم العالية المرضية)

وهم طائفة من التركمان توطنوا في نواحي البستان ومرعش ثم كثروا واستقل امرهم حتى ملكوا مرعش والبستان وملطية وعينتاب وعزاز وخربوت وبهسنى ودارنده وقيرشهري وقيسارية وحصن المنصور وقلعة

تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فساروا ومعه مخو أهل اليمن فلما خرجوا الى جبانة السبيع لقيهم على فم السكة الاعسر الشاكرى فقتلوه ونادوا فى الجبانة وقد دخلوها يا ثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير بن ذى مران الهمدانى فقال يا ثارات عثمان فقال لهم رفاعة بن شداد ما لنا ولعثمان لا اقاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له ناس من قومه جئت بنا وأطعناك حتى اذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت انصرفوا ودعوهم فعطف عليهم وهو يقول شعر

انا ابن شداد على دين على ✱ لست لعثمان بن اروى بولى

لاصلين اليوم فيمن يصطلى ✱ بحر نار الحرب غير مؤتلى

فقاتل حتى قتل وكان رفاعة مع المختار فلما رأى كذبه أراد قتله غيلة قال فمنعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم من ائتمنه رجل على دمه فقتله فانا منه برىء فلما كان هذا اليوم قاتل مع اهل الكوفة فلما سمع يزيد بن عمير يقول يا ثارات عثمان عاد عنهم فقاتل مع المختار حتى قتل وقتل يزيد بن عمير بن ذى مران والنعمان بن صهبان الجرمى وكان ناسكا وقتل الفرات بن زحر بن قيس وجرح أبو زحر وقتل عبد الله بن سعيد بن قيس وقتل عمر بن مخنف وقاتل عبد الرحمن ابن مخنف حتى جرح وحملته الرجال على أيديهم وما يشعر وقاتل حوله رجال من الازد وانهزم أهل اليمن هزيمة قبيحة وأخذ من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأمر المختار باحضارهم وعرضهم عليه وقال انظروا من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى فقتل كل من شهد قتل الحسين فقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين قتيلا وأخذ أصحابه يقتلون كل من كان يؤذيهم فلما سمع المختار بذلك أمر باطلاق كل من بقى من الاسارى وأخذ عليهم المواثيق ان لا يجامعوا عليه عدوا ولا يبغوه وأصحابه غائلة ونادى منادى المختار من أغلق بابه فهو آمن الا من شرك فى دماء آل محمد صلى الله عليه وسلم وكان عمرو بن الحجاج الزبيدى ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته وأخذ طريق واقصة فلم يرله خبر حتى الساعة وقيل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه ولما قتل فرات بن زحر بن قيس أرسلت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين الى المختار تسأله أن يأذن لها فى دفنه ففعل فدفنته وبعث المختار غلاما له يدعى زربى فى طلب شمر بن ذى الجوشن ومعه أصحابه فلما دنوا منه قال شمر لاصحابه تباعدوا عنى لعله يطمع فى فتباعدوا عنه فطمع زربى فيه ثم حمل عليه شمر فقتله وسار شمر حتى نزل ساتيدما ثم سار حتى نزل قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر الى جانب تل ثم ارسل الى أهل تلك القرية فأخذ منهم علجا فضربه وقال امض بكتابى هذا الى مصعب بن الزبير فمضى العلج حتى دخل القرية وفيها ابو عمرة صاحب المختار وكان قد أرسله المختار الى تلك القرية ليكون مسلحة بينه وبين أهل البصرة فلقى ذلك العلج علجا آخر من تلك القرية فشكا اليه ما لقى من شمر فبينما هو يكلمه اذ مر به رجل من أصحاب أبى عمرة اسمه عبد الرحمن بن أبى الكنود فرأى الكتاب وعنوانه لمصعب بن الزبير من شمر فقال للعلج أين هو فأخبره فاذا ليس بينه وبينهم الا ثلاثة فراسخ قال فاقبلوا يسيرون اليه وكان قد قال لشمر أصحابه لو ارتحلت بنا من هذه القرية فانا نتخوف منها فقال كل هذا فزعا من الكذاب والله لا أتحول منها ثلاثة أيام ملأ الله قلوبهم رعبا فانهم لنيام اذ سمع وقع الحوافر

مصر نيابة قيسارية وطرابلس الى ناصر الدين المذكور مضافا الى نيابة البستان وفى هذه السنة كسر ناصر الدين محمد بن قرمان وابراهيم ابن رمضان على قيسارية كسرا منكرا وقتل مصطفى ابن محمد بن قرمان فى المعركة وقبض على أبيه محمد بن قرمان فاعتقله وارسله مقيدا الى مصر مع رأس ولده صحبة ابنه داود بن ناصر الدين محمد فخلع عليه واكرم نزله وفى سنة ست وأربعين وثمانمائة توفى ناصر الدين وقرر صاحب مصر مكانه (ملك ارسلان ابن سليمان) وفى سنة سبعين وثمانمائة قدم ارسلان المذكور الى القاهرة فقتله صاحب مصر لكونه سلم بلاد خربوت لحسن الطويل وعين مكانه لاخيه شاه بداق بن سليمان واعتضد اخوه شاه سوار بك بسلطان الروم فاستولى على البستان ولما بلغ ذلك صاحب مصر أرسل لقتاله جيشا كثيرا من العسكر فهزمهم شاه سوار وافناهم بالقتل وفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة التقى شاه سوار بابن رمضان التركمانى صاحب اذنه فهزمه الى قلعة اياس وشاه سوار فى اثره فلما بلغ صاحب

أ بالبه وفدا ثم انظروا في ذلك حتى يظهر لكم وهو يريد ان يثبطهم بهذه المقالة حتى يقدم عليه ابراهيم بن الاشتر وأمر أصحابه فكفوا أيديهم وقد أخذ عليهم أهل الكوفة بأفواه السكك فلا يصل اليهم شئ الا القليل وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان فقاتله بنو شاكر قتالا شديدا فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى ردهم عنه ثم أقبل فنزل عقبة مع شمر ومعه قيس عيلان في جبانة سلول ونزل عبد الله بن سبيع مع أهل اليمن في جبانة السبيع ولما سار رسول المختار وصل الى ابن الاشتر عشية يومه فرجع ابن الاشتر بقية عشيته تلك الليلة ثم نزل حتى أمسى وأراحوا دوابهم قليلا ثم سار ليلته كلها ومن الغد فوصل العصر وبات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة ولما اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلوات فكره كل رأس من أهل اليمن ان يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف هذا أول الاختلاف قدموا الرضى فيكم سيد القراء رفاعة بن شداد البجلي ففعلوا فلم يزل يصلي بهم حتى كانت الوقعة ثم ان المختار عبى أصحابه في السوق وليس فيه بنيان فأمر ابن الاشتر فسار الى مضر وعليهم شبث بن ربعي ومحمد بن عمير بن عطارد وهم بالكناسة وخشي ان يرسله الى أهل اليمن فلا يبالغ في قتال قومه وسار المختار نحو أهل اليمن بجبانة السبيع ووقف عند دار عمرو بن سعيد وسرح بين يديه أحمر بن شميط البجلي وعبد الله بن كامل الشاكري وأمر كلا منهما بلزوم طريق ذكره له يخرج الى جبانة السبيع وأسر اليهما أن شباما قد أرسلوا اليه يخبرونه انهم يأتون القوم من ورائهم فمضيا كما أمرهما فبلغ أهل اليمن مسيرهما فافترقوا اليهما واقتتلوا أشد قتال رآه الناس ثم انهزم أصحاب احمر بن شميط وأصحاب ابن كامل ووصلوا الى المختار فقال ما وراءكم قالوا هزمنا وقد نزل احمر بن شميط ومعه ناس من أصحابه وقال أصحاب ابن كامل ما ندري ما فعل ابن كامل فاقبل بهم المختار نحو القوم حتى بلغ دار أبي عبد الله الجدلي فوقف ثم ارسل عبد الله بن قراد الخثعمي في اربعمائة الى ابن كامل وقال له ان كان قد هلك فانت مكانه وقاتل القوم وان كان حيا فاترك عنده ثلثمائة من اصحابك وامض في مائة حتى تأتي جبانة السبيع فتأتي أهلها من ناحية حمام قطن فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة من اصحابه قد صبروا معه فترك عنده ثلثمائة رجل وسار في مائة حتى أتى مسجد عبد القيس وقال لاصحابه اني أحب ان يظهر المختار وأكره ان تهلك أشراف عشيرتي اليوم ووالله لان اموت احب الي من ان يهلكوا على يدي ولكن قفوا فقد سمعت ان شباما يأتونهم من ورائهم فلعلهم يفعلون ذلك وننافى نحن منه فاجابوه الى ذلك فبات عند مسجد عبد القيس وبعث المختار مالك بن عمرو النهدي وكان شجاعا وعبد الله بن شريك النهدي في أربعمائة الى أحمر بن شميط فانتهوا اليه وقد علاه القوم وكثروه فاشتد قتالهم عند ذلك واما ابن الاشتر فانه مضى الى مضر فلقي شبث بن ربعي ومن معه فقال لهم ابراهيم ويحكم انصرفوا فما أحب ان يصاب من مضر على يدي فأبوا وقاتلوه فهزمهم وجرح حسان بن فائد العبسي فحمل الى أهله فمات فكان مع شبث وجاءت البشارة الى المختار بهزيمة مضر فارسل الى احمر بن شميط وابن كامل يبشرهما فاشتد امرهما فاجتمع شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ليأتوا اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض لو جعلتم جدكم على مضر وربيعة لكان اصوب وأبو القلوص ساكت فقالوا ما تقول فقال قال الله

قتل خليل بن قرجا والده من العمر ستون سنة قتلته بعض امراء التركمان في جماعة تواطأ صاحب مصر وارسل رأسه الى مصر فعند ذلك امر صاحب مصر نواب الشام بالتوجه الى قتال التركمان فوصلوا الى طنون ما بين مرعش والبستان فالتقى بهم سولي ابن قراجا بن ذي الغادر فكسرهم وقتل من جماعة صاحب مصر سودون العلائي نائب حماة وكذا نائب بهسنى فبلغ ذلك صاحب مصر فشق عليه ولم يزل يعمل الحيلة حتى دس على سولي بن قراجا من يقتله كما قتل أخاه فقتله رجل يقال له علي خان ضربه بسكين في خاصرته وهو نائم في مكان بقرب مرعش وهرب القاتل وذلك في سنة ثمانمائة ولما قتل توجه ولده الى الملك الظاهر فقرره مكان ابيه وكان ناصر الدين محمد بن خليل بن قرجا قد استقر في الملك عوض عمه فوقع بينه وبين ابن عمه الذي ولاه الملك الظاهر مقتلة عظيمة قتل فيها خلق كثير من التركمان وفي سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة توفي الملك المؤيد شيخ صاحب

بالله عليهم فسموهم لى ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم فانى لا يسوغ الى الطعام والشراب حتى أطهر الارض منهم فدل على عبد الله بن أسيد الجهنى ومالك بن بشير البدى وحمل بن مالك المحاربى فبعث اليهم المختار فاحضرهم من القادسية فلما رآهم قال يا أعداء الله ورسوله أين الحسين بن على أدوا الى الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليهم فقالوا رحمك الله بعثنا كارهين فامنن علينا واستبقنا فقال لهم هلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم فاستبقيتموه وسقيتموه وكان البدى صاحب برنسه فأمر بقطع يديه ورجليه وترك يضطرب حتى مات وقتل الآخرين وأمر بزياد بن مالك الضبعى وبعمران بن خالد القشيرى وبعبد الرحمن بن أبى خشارة البجلى وبعبد الله بن قيس الخولانى فاحضروا عنده فلما رآهم قال يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة قد أقاد الله منكم اليوم لقد جاءكم الورس فى يوم نحس وكانوا نهبوا من الورس الذى كان مع الحسين ثم أمر بهم فقتلوا وأحضروا عنده عبد الله وعبد الرحمن ابنى صلخت وعبد الله بن وهب بن عمرو الهمدانى وهو ابن عم اعشى همدان فأمر بقتلهم فقتلوا وأحضر عنده عثمان بن خالد بن أسيد الدهمانى الجهنى وأبو أسماء بشر بن شميط القانصى وكانا قد اشتركا فى قتل عبد الرحمن بن عقيل و فى سلبه فضرب أعناقهما وأحرقا بالنار ثم أرسل الى خولى بن يزيد الاصبحى وهو صاحب رأس الحسين فاختفى فى مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتشون عليه فخرجت امرأته واسمها العيوف بنت مالك وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقالت لهم ما تريدون فقالوا لها أين زوجك قالت لا أدرى وأشارت بيدها الى المخرج فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قوصرة فاخرجوه وقتلوه الى جانب أهله وأحرقوه بالنار

(ذكر مقتل عمر بن سعد وغيره ممن شهد قتل الحسين)

ثم ان المختار قال يوما لاصحابه لاقتلن غدا رجلا عظيم القدمين غائر العينين مترف الحاجبين يسر قتله المؤمنين والملائكة المقربين وكان عنده الهيثم بن الاسود النخعى فعلم انه يعنى عمر بن سعد فرجع الى منزله وأرسل الى عمر مع ابنه العريان يعرفه ذلك فلما قاله له قال جزى الله أباك خيرا كيف يقتلنى بعد العهود والمواثيق وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة اكرم الناس على المختار لقرابته بعلى وكلمه عمر بن سعد ليأخذ له أمانا من المختار ففعل وكتب له المختار أمانا وشرط فيه ان لا يحدث وعنى بالحدث دخول الخلاء ثم ان عمر بن سعد خرج من بيته بعد عود العريان عنه فاتى حمامه فاخبر مولى له بما كان منه وبأمانه فقال له مولاه وأى حدث أعظم مما صنعت تركت أهلك ورحلك وأتيت الى ههنا ارجع ولا تجعل عليك سبيلا فرجع وأتى المختار فاخبره بانطلاقه فقال كلا ان فى عنقه سلسلة سترده وأصبح المختار فبعث اليه أبا عمرة فاتاه وقال أجب الامير فقام عمر فعثر فى جبة له فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فاحضره عند المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر وهو جالس عنده أتعرف من هذا قال نعم ولا خير فى العيش بعده فامر به فقتل وقال المختار هذا بحسين وهذا بعلى بن الحسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة ارباع قريش ما وفوا انملة من انامله وكان السبب فى تهيج المختار على قتله ان يزيد بن شراحيل الانصارى اتى محمد بن الحنفية وسلم عليه وجرى الحديث الى أن تذاكرا المختار فقال ابن الحنفية انه يزعم انه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسى يحدثونه فلما

الى ان أخذها منه السلطان سليم خان بن بايزيد خان فى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ولما توجه السلطان المذكور لقتال شاه اسمعيل وجاوز حدود البستان أغار جماعة من عسكر علاء الدولة صحبة بعض أولاده على احمال ذخائر عسكر السلطان المبرور وأخذ منه شيأ كثيرا فلم يلتفت اليهم السلطان حتى عاد من غزو العجم وشتى بمدينة اماسية وعين جماعة من العسكر صحبة سنان باشا الطواشى الى قتال علاء الدولة واقتتل الفريقان بقرب البستان فانهزم عسكر علاء الدولة وقتل هو وكان عمره اكثر من تسعين سنة فعين مكانه السلطان المبرور الامير (على بك بن شاهسوار) بن علاء الدولة وفى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة أرسل السلطان فرهاد باشا الوزير امامه فلما وصل بقرب مدينة توقات أرسل الى على بك يدعوه اليه ليدبر معه فلما وصل اليه على بك مع ابنه البطل الصارم صارو أرسلان وعدة أولاد له قبض عليهم وأمر بخنقهم فخنقوا ولم يبق منهم أحد ودخلت بلادهم جميعا تحت

فقالوا في انفسهم هذا صوت الدبي ثم اشتد فذهب أصحابه ليقوموا فاذا بالخيل قد أشرفت من التل فكبروا واحاطوا بالابيات فولى أصحابه هاربين وتركوا خيولهم وقام شمر وقد اتزر ببرد وكان ابرص فظهر بياض برصه من فوق البرد وهو يطاعنهم بالرمح وقد عجلوه عن لبس ثيابه وسلاحه وكان أصحابه قد فارقوه فلما أبعدوا عنه سمعوا التكبير وقائلا يقول قتل الخبيث قتله ابن ابي الكنود وهو الذي رأى الكتاب مع العلج والقيت جثته للكلاب قال وسمعته بعد ان قاتلنا بالرمح ثم القاه وأخذ السيف فقاتلنا به وهو يرتجز شعر

نبهتم ليث عرين باسلا * جهما محياه يدق الكاهلا
لم يرَ يوما عن عدوٍ ناكلا * الا كذا مقاتلا أو قاتلا
يبرحهم ضربا ويروي العاملا

واقبل المختار الى القصر من جبانة السبيع ومعه سراقة بن مرداس البارقي اسيرا فناداه شعر

امنن علي اليوم يا خير معد * وخير من حلّ بتجر والجند * وخير من لبى وحيا وسجد

فارسله المختار الى السجن ثم احضره من الغد فاقبل اليه وهو يقول شعر

ألا أبلغ أبا اسحق انا * نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيأ * وكان خروجنا بطرا وحينا
لقيناهم ضربا باطلقا * وطعنا صائبا حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم * بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر * ويوم الشعب اذ لاقى حنينا
فأسجح اذ ملكت فلو ملكنا * لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فاني * ساشكر اذ جعلت النقد دينا

قال فلما انتهى الى المختار قال أصلح الله الامير احلف بالله الذي لا اله الا هو لقد رأيت الملائكة تقاتل معك على الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار اصعد المنبر فاعلم الناس فصعد فاخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به فقال له اني قد علمت انك لم ترَ شيأ وانما أردت ما قد عرفت ان لا اقتلك فاذهب عني حيث شئت لا تفسد على أصحابي فخرج الى البصرة فنزل عند مصعب وقال شعر

* الا أبلغ أبا اسحق أني * رأيت البلق دهما مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * على قتالكم حتى الممات
أرى عينيّ ما لم تبصراه * كلانا عالم بالترهات

وقتل يومئذ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وادّعى قتله سعر بن أبي سعر وأبو الزبير الشبامي وشبام من همدان ورجل آخر فقال ابن عبد الرحمن لابي الزبير الشبامي أتقتل أبي عبد الرحمن سيد قومك فقرأ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه وكان اكثر القتل ذلك اليوم في أهل اليمن وكانت الوقعة لست ليال بقين من ذي الحجة سنة ست وستين وخرج أشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين وقال ما من ديننا ان نترك قتلة الحسين احياء بئس ناصر آل محمد صلى الله عليه وسلم أنا اذا في الدنيا انا اذا الكذاب كما سموني واني أستعين

بمضراهتم في امره فجهز عسكرا ضخما الى قتاله صحبتهم شاه بداق بن ذي الغادر فوصلوا الى مدينة البستان فهرب شاه سوار فقبض عليه بالامان فاتي به الى مصر في السلسلة وامر به صاحب مصر فصلب حيا مكلبا بكلاليب من حديد في لوحي اكتافه وكان عمره دون الخمسين سنة وكان أديبا عاقلا ذا رأي وشجاعة وضرب اسمه على سكة الدراهم والدنانير ودعى له على المنابر بمدينة البستان وما والاها من الممالك واستقر في الامرة شاه بداق ابن سليمان الى أن غلب عليه اخوه (علاء الدولة) بن سليمان ثم لم يزل يضخم أمره حتى ملك بلادا لم يملكها آباؤه الاقدمون واستمر في الملك وبعد صيته واستولى على مدينة سيس وطرسوس ثم على مدينة آمد وسائر بلاد ديار بكر وفي سنة اثنتي عشرة وتسعمائة قصد صاحب اذربيجان شاه اسمعيل استرداد ديار بكر من أيدي ذي الغادرية فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسر بعض أولاد علاء الدولة وقتل بعضهم في المعركة واستولى شاه إسمعيل على آمد وغيرها

السين المهملة وأبجر بن شميط بالحاء المهملة والراء المهملة وشميط بالشين المعجمة وشبث بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة جبانة أثير بضم الهمزة وبالثاء المثلثة وبالياء المثناة من تحت وبالراء المهملة عتيبة بن النهاس بالعين المهملة وبالتاء المثناة من فوق ثم بالياء المثناة من تحت وبالباء الموحدة حسان بن فائد بالفاء)

(ذكر بيعة المثنى العبدى للمختار بالبصرة)

وفي هذه السنة دعا المثنى بن مخربة العبدى بالبصرة الى بيعة المختار وكان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع فبايع للمختار فسيره الى البصرة يدعو بها اليه فقدم البصرة ودعا بها فاجابه رجال من قومه وغيرهم ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الميرة بالمدينة فوجه اليهم القباع أمير البصرة ودعا بهاء عباد بن حصين وهو على شرطته وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة فخرجوا الى السبخة ولزم الناس بيوتهم فلم يخرج احد وأقبل عباد فيمن معه فتواقف هو والمثنى فسار عباد نحو مدينة الرزق وترك قيسا مكانه فلما أتى عباد مدينة الرزق أصعد على سورها ثلاثين رجلا وقال لهم اذا سمعتم التكبير فكبروا ورجع عباد الى قيس وانشبوا القتال مع المثنى وسمع الرجال الذين في دار الرزق التكبير فكبروا وهرب من كان بالمدينة وسمع المثنى التكبير من ورائهم فهرب فيمن معه فكف عنهم قيس وعباد ولم يتبعوهم وأتى المثنى قومه عبد القيس فارسل القباع عسكرا الى عبد القيس ليأتوه بالمثنى ومن معه فلما رأى زياد بن عمرو العتكى ذلك أقبل الى القباع فقال له اتردن خيلك عن اخواننا أو لنقاتلنهم فارسل القباع الاحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومى ليصلحا بين الناس فاصلح الاحنف الامر على ان يخرج المثنى واصحابه عنهم فاجابوه الى ذلك واخرجوهم عنهم فسار المثنى الى الكوفة في نفر يسير من أصحابه (مخربة بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء وكسرها ثم باء مفتوحة)

(ذكر مكر المختار بابن الزبير)

فلما أخرج المختار عامل ابن الزبير عن الكوفة وهو ابن مطيع سار الى البصرة وكره ان يأتى ابن الزبير مهزوما فلما استجمع للمختار أمر الكوفة أخذ يخادع ابن الزبير فكتب اليه قد عرفت مناصحتى اياك وجهدى على أهل عداوتك وما كنت أعطيتنى اذا أنا فعلت ذلك فلما وفيت لك لم تف بما عاهدتنى عليه فان ترد مراجعتى ومناصحتى فعلت والسلام وكان قصد المختار ان يكف ابن الزبير عنه ليتم أمره والشيعة لا يعلمون بشئ من أمره فاراد ابن الزبير ان يعلم أسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى فولاه الكوفة وقال له ان المختار سامع مطيع فتجهز بما بين ثلاثين ألف درهم الى أربعين ألفا وسار نحو الكوفة وأتى الخبر الى المختار بذلك فدعا المختار زائدة بن قدامة وأعطاه سبعين ألف درهم وقال له هذا ضعف ما أنفق عمر بن عبد الرحمن فى طريقه الينا وأمره ان يأخذ معه خمسمائة فارس ويسير حتى يلقاه بالطريق ويعطيه النفقة ويأمره بالعود فان فعل والا فاره الخيل فاخذ زائدة بن قدامة المال وسار حتى لقى عمر فاعطاه المال وأمره بالانصراف فقال له ان امير المؤمنين قد ولانى الكوفة ولابد من اتيانها فدعا زائدة الخيل وكان قد كمنها فلما رآها قد اقبلت أخذ المال وسار

فانكسر التركمان واسر اخو احمد بن رمضان وابنه وامه فقتلهم يلبغا الناصرى ثم تجمع التركمان وواقعوا يلبغا عند اذنه فكسروه وقلعت عين الناصرى وجرح ولما كانت الفتنة الكبرى فى حدود الثمانمائة رجع تيمور الى العراق واستقرت قدم احمد فى الامرة ولم يزل فى ذلك الى ان مات فى أواخر سنة تسع عشرة وثمانمائة وكان شجاعا مهابا ثم اختلف أولاده بعده حتى استقر فى الامرة (داود بك بن رمضان) فاستمر الى ان توفى ثم قام مكانه ولده (محمود بك) فمات واستقر بعده اخوه (خليل بك) بن داود وكان شهما شجاعا عاقلا وقورا صاحب خيرات ومبرات بنى فى مدينة اذنة جامعا كبيرا للمعاش جامعا وهو من نوادر الدنيا حسنا واتقانا ثم توفى فى حدود سنة ست عشرة وتسعمائة ففوض السلطان سليمان خان امرة ولاية اذنة وسيس وتوابعهما الى ولده النجيب (بيرى بك) ثم ولاه السلطان المبرور نيابة حلب ثم الشام ثم رده الى مكان أبيه وجده بطلبه ولم يزل بها الى ان مات فى حدود سنة سبعين وتسعمائة

تمادى يزيد اخبر المختار بذلك فقتل عمر بن سعد وبعث برأسه ورأس ابنه الى ابن الحنفية وكتب
اليه يعلمه انه قد قتل من قدر عليه وانه فى طلب الباقين ممن حضر قتل الحسين قال عبد الله
ابن شريك أدركت اصحاب الاردية المعلمة وأصحاب البرانس السود من أصحاب السوارى اذا
مر بهم عمر بن سعد قالوا هذا قاتل الحسين وذلك قبل ان يقتله وقال ابن سيرين قال على لعمر
ابن سعد كيف أنت اذا قمت مقاما تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار ثم أن المختار أرسل الى
حكيم بن طفيل الطائى وكان أصاب سلب العباس بن على ورمى الحسين بسهم وكان يقول تعلق
سهمى بسرباله وما ضره فأتاه أصحاب المختار فأخذوه وذهب أهله فشفعوا بعدى بن حاتم
فكلمهم عدى فيه فقالوا ذلك الى المختار فمضى عدى الى المختار ليشفع فيه وكان المختار قد
شفعه فى نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع فقالت الشيعة انا نخاف ان يشفعه المختار
فيه فقتلوه رميا بالسهام كما رمى الحسين حتى صار كأنه القنفذ ودخل عدى بن حاتم على المختار
فأجلسه معه فشفع فيه عدى فقال المختار أتستحل ان تطلب فى قتلة الحسين فقال عدى انه
مكذوب عليه قال اذا ندعه لك فدخل ابن كامل فأخبر المختار بقتله فقال ما أعجلكم الى ذلك
الا أحضرتموه عندى وكان قد سره قتله فقال ابن كامل غلبتنى عليه الشيعة فقال عدى لابن
كامل كذبت ولكن ظننت ان من هو خير منك سيشفعنى فقتلته فسبه ابن كامل فنهاه المختار
عن ذلك وبعث المختار الى قاتل على بن الحسين وهو مرة بن منقذ من عبد القيس وكان شجاعا
فأحاطوا بداره فخرج اليهم على فرسه وبيده رمحه فطاعنهم فضرب على يده وهرب منهم فنجا
ولحق بمصعب بن الزبير وشلت يده بعد ذلك وبعث المختار الى زيد بن رقاد الجنبى كان يقول
لقد رميت فتى منهم بسهم وكفه على جبهته يتقى النبل فأثبت كفه فى جبهته فما استطاع ان يزيل
كفه عن جبهته وكان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل وانه قال حين رميته اللهم انهم
استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا ثم انه رمى الغلام بسهم آخر وكان يقول جئته وهو ميت
فنزعت سهمى الذى قتلته به من جوفه ولم أزل انضنض الآخر عن جبهته حتى أخذته وبقى
النصل فلما أتاه أصحاب المختار خرج اليهم بالسيف فقال لهم ابن كامل لا تطعنوه ولا تضربوه
بالسيف ولكن ارموه بالنبل والحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فأحرقوه حيا وطلب المختار سنان بن
أنس الذى كان يدعى قتل الحسين فرآه قد هرب الى البصرة فهدم داره وطلب عبد الله بن عقبة
الغنوى فوجده قد هرب الى الجزيرة فهدم داره وكان قد قتل منهم غلاما وطلب آخر من بنى
أسد يقال له حرملة بن الكاهن كان قد قتل رجلا من أهل الحسين ففاته وطلب أيضا رجلا
من خثعم اسمه عبد الله بن عروة الخثعمى كان يقول رميت فيهم باثنى عشر سهما ففاته ولحق
بمصعب بن الزبير فهدم داره وطلب أيضا عمرو بن الصبيح الصدائى كان يقول لقد طعنت فيهم
وجرحت وما قتلت منهم أحدا فأتى ليلا فأخذ وأحضر عند المختار فأمر باحضار الرماح وطعن
بها حتى مات وأرسل الى محمد بن الاشعث وهو فى قرية له الى جنب القادسية فطلبوه فلم يجدوه
وكان قد هرب الى مصعب فهدم المختار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدى الكندى
كان زياد قد هدمها (بحير بن ريسان) بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة شبام بكسر الشين
المعجمة والباء الموحدة بطن من همدان وهمدان بسكون الميم وبالدال المهملة وسعر بكسر

تصرف الملوك العثمانية
وسبحان من لا يزول ملكه
وكل شئ هالك الا وجهه
*(الباب الخمسون فى ذكر
الدولة الرمضانية ذوى
المحاسن السنية)*
وهم من طائفة التركمان
الذين تغلبوا على بعض بلاد
الروم واول من ظهر منهم
واشتهر واستفحل أمره
(احمد بن رمضان) وكان له
من البلاد اذنه وبيس
واياس وتوابعها ولى الامارة
من قبل الثمانين وسبعمائة
واستمر يشاقق العساكر
الشامية تارة ويصالحونه
اخرى وفى سنة ثمانين
وسبعمائة سار تمربك نائب
حلب بعساكر ضخمة على
بلاد اذنه فنهب أموالهم
وسبى نساءهم فانهكت
حسادهم فلما رجعوا
أخذت التركمان عليهم
مضيقا من طرف الجبل
فقتلوا منهم غالب العسكر
فلم ينج منهم الا الشارد
النادر واسروا تمربك
نائب حلب وملكوا اسيس
واستعدوا لقتال أهل
حلب ونهبها وفى سنة خمس
وثمانين وسبعمائة تجمع
عسكر الشام وحلب صحبة
الامير يلبغا فساروا الى
جهة التركمان فتواقعوا
عند الجسر على الفرات

وعرفت تعظيمك لحقي وما تنوء به من سروري وان أحب الامور كلها الي ما أطيع الله فيه فاطع الله ما استطعت واني لو أردت القتال لوجدت الناس الي سراعا والاعوان لي كثيرا ولكن أعتزلكم واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأمره بالكف عن الدماء

(ذكر حال ابن الحنفية مع ابن الزبير ومسير الجيش من الكوفة)

ثم ان ابن الزبير دعا محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة له صحبة ليبايعوه فامتنعوا وقالوا لا نبايع حتى تجتمع الامة فاكثر الوقيعة في ابن الحنفية وذمه فأغلظ له عبد الله بن هانئ الكندي وقال انه لم يضرك الا تركنا بيعتك لا يضرك شيء وان صاحبنا يقول لو بايعتني الامة كلها غير سعد مولى معاوية ما قبلته وانما عرض بذكر سعد لان ابن الزبير أرسل اليه فقتله فسبه عبد الله وسب أصحابه واخرجهم من عنده فاخبروا ابن الحنفية بما كان منهم فامرهم بالصبر ولم يلح عليهم ابن الزبير فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس الى الرضا به فالح عليه وعلى أصحابه في البيعة له فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والاحراق وأعطاه الله عهدا ان لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به وضرب لهم في ذلك أجلا فاشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث الى المختار يعلمه حالهم فكتب الى المختار بذلك وطلب منه النجدة فقرأ المختار الكتاب على الناس وقال ان هذا مهدي بكم وصريح أهل بيت نبيكم قد تركوه ومن معه محصورا عليهم كما يحصر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار لست أبا اسحق ان لم انصرهم نصرا مؤزرا وان لم أسرب الخيل في اثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل يعني ابن الزبير وذلك ان أم خويلد أبي العوام زهرة بنت عمرو من بني كاهل بن أسد بن خزيمة فبكى الناس وقالوا سرحنا اليه وعجل فوجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين راكبا من أهل القوة ووجه ظبيان بن عمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة وبعث معه لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم وسير أبا المعمر في مائة وهانئ بن قيس في مائة وعمير بن طارق في أربعين ويونس بن عمران في أربعين فوصل أبو عبد الله الجدلي الى ذات عرق فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس في ثمانين راكبا فبلغوا مائة وخمسين رجلا فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون يا لثارات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقي من الاجل يومان فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير فقال لهم اني لا أستحل القتال في الحرم فقال ابن الزبير واعجبا لهذه الخشبية ينعون الحسين كأني أنا قتلته والله لو قدرت على قتلته لقتلتهم وانما قيل لهم خشبية لانهم دخلوا مكة وبأيديهم الخشب كراهة اشهار السيوف في الحرم وقيل لانهم أخذوا الحطب الذي أعده ابن الزبير وقال ابن الزبير أتحسبون اني أخلي سبيلهم دون أن يبايع ويبايعون فقال الجدلي اي ورب الركن والمقام لتخلين سبيله أو لنجالدنك باسيافنا جلادا لا يرتاب منه المبطلون فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ثم قدم باقي الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام فكبروا وقالوا يا لثارات الحسين فخافهم ابن الزبير وخرج محمد بن الحنفية ومن معه الى شعب علي وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون

(الباب الحادي والخمسون في ذكر دولة الدربندية ملوك شروان السابقة الاعيان المشرقة اللمعان)

وأول من ملك من هذه الطائفة (الشيخ ابراهيم) الدربندي ونسبه على ما قيل يتصل بالملك كسرى أنوشروان وكان لهم الملك في تلك البلاد الى أن أتى الله بالاسلام وكان الشيخ ابراهيم المذكور أبوه وعشائره من أهل الفلاحة يسكنون في قرية من قرى شروان فاتفق أن تعصب أهل المملكة على من يسوسهم فاجتمعت كلمتهم على تقليد الملك الشيخ ابراهيم المذكور فساروا اليه بالمطايا السلطانية والركائب الملوكية فوجدوه قد حرث وتعب ونام في طرف الحرث فنصبوا عليه شركاه ووقفوا له من بعيد كهيئة الملوك وحرمتهم ولم ينبهوه فلما انتبه سلموا عليه وبايعوه بالملك وجاؤا به الى المدينة وأجلسوه على سرير الملك وجعل يفتح البلاد ويعدل بين العباد ويؤلف القلوب ويحسن الى الناس حتى عظم ملكه واشتهر في الآفاق فذكروه من جملة الملوك الذين تحمد سيرتهم. وفي سنة سبع وتسعين وسبعمائة قصد تيمور المسير الى دشت قبچاق وجعل

نحو البصرة فاجتمع هو وابن مطيع في امارة الحرث بن أبي ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة وقيل ان المختار كتب الى ابن الزبير اني اتخذت الكوفة دارا فان سوغتني ذلك وأمرت لي بالف ألف درهم سرت الى الشام فكفيتك ابن مروان فقال ابن الزبير الى متى أماكر كذاب ثقيف ويماكرني ثم تمثل شعر

عاري الجواعر من ثمود أصله * عبد ويزعم انه من يقدم

وكتب اليه والله ولا درهم

ولا آمتري عبد الهوان ببدرتي * واني لآتي الحتف مادمت أسمع

ثم ان عبد الملك بن مروان بعث عبد الملك بن الحرث بن أبي الحكم بن أبي العاص الى وادي القرى وكان المختار قد وادع ابن الزبير ليكف عنه ليتفرغ لاهل الشام فكتب المختار الى ابن الزبير قد بلغني ان ابن مروان قد بعث اليك جيشا فان أحببت أمددتك بمدد فكتب اليه ابن الزبير ان كنت على طاعتي فبايع لي الناس قبلك وعجل انفاذ الجيش ومرهم ليسيروا الى من بوادي القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم والسلام فدعا المختار شرحبيل بن ورس الهمداني فسيره في ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالي وليس منهم من العرب الا سبعمائة رجل وقال سر حتى تدخل المدينة فاذا دخلتها فاكتب الي بذلك حتى يأتيك أمري وهو يريد اذا دخلوا المدينة ان يبعث عليهم أميرا ثم يأمر ابن ورس بمحاصرة ابن الزبير بمكة وخشي ابن الزبير أن يكون المختار انما يكيده فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد في الفين وأمره ان يستنفر الاعراب وقال له ان رأيت القوم على طاعتي والا فكايدهم حتى تهلكهم فاقبل عباس ابن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه وأتى عباس وقد تقطع أصحابه ورأى ابن ورس على الماء وقد عبى اصحابه فدنا منهم وسلم عليهم ثم قال لابن ورس سرا ألستم على طاعة ابن الزبير قال بلى قال فسر بنا على عدوه الذي بوادي القرى فقال ابن ورس ما أمرت بطاعتكم انما أمرت ان آتي المدينة فاذا أتيتها رأيت رأيي فقال له عباس ان كنتم في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن اسيركم الى وادي القرى فقال لا أتبعك اقدم المدينة وأكتب الى صاحبي فيأمرني بامره فقال عباس رأيك أفضل وفطن لما يريد وقال أما انا فسائر الى وادي القرى ونزل عباس أيضا وبعث الى ابن ورس بجزائر وغنم مسلخة وكانوا قد ماتوا جوعا فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وجمع عباس من اصحابه نحو ألف رجل من الشجعان وأقبل نحو فسطاط ابن ورس فلما رآهم نادى في اصحابه فلم يجتمع اليه مائة رجل حتى انتهى اليه عباس واقتتلوا يسيرا فقتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ورفع عباس راية امان لاصحاب ابن ورس فاتوها الا نحوا من ثلثمائة رجل مع سليمان بن حمير الهمداني وعباس بن جعدة الجدلي فظفر ابن سهل منهم بنحو من مائتين فقتلهم وافلت الباقون فرجعوا فمات اكثرهم في الطريق وكتب المختار بخبرهم الى ابن الحنفية يقول اني أرسلت اليك جيشا ليذلوا لك الاعداء ويحوزوا البلاد فلما قاربوا الطيبة فعل بهم كذا وكذا فان رأيت ان أبعث الى المدينة جيشا كثيفا وتبعث اليهم من قبلك رجلا حتى يعلموا اني في طاعتك فافعل فانك ستجدهم بحقكم اعرف وبكم اهل البيت أرأف منهم بآل الزبير والسلام فكتب اليه ابن الحنفية أما بعد فقد قرأت كتابك

وكان على جانب عظيم من الصلاح وكان كثير الخيرات والمبرات وقد بنى بمدينة اذنه جامعا حسنا وعمارة لطيفة يفرق منها الطعام للفقراء وابناء السبيل وبنى بها حماما وخانا وسوقا وخلف ولدين درويش بك وابراهيم بك ثم توفي درويش بك بعد أبيه بستة أشهر تقريبا وفوض السلطان الامرة لاخيه (ابراهيم بك) مكان أبيه ثم توفي وتولى مكانه ولده (محمد بك بن ابراهيم) فاما قباد باشا فهو اخو بيري بك المقدم ذكره تولى امرة طرابزون اولا ثم ولي أمير الامراء بحلب في حدود سنة ست وستين وتسعمائة ثم تولى مدينة وان فتوفي بها وخلف ولدا اسمه سليمان ولاه السلطان سليمان امرة الكرك والشوبك ثم انتقل الى امرة نابلس ثم الى بيت المقدس وفعل فعلته التي فعل ثم ولي أمير الامراء بمدينة بغداد وكان سفاكا فتاكا لا يصبر عن قتل النفس عامله الله بما يستحق وتولى نيابة مدينة دمشق مدة شهرين فعزل قيل قتله عبيده وهو نائم على فراشه بداره التي انشأها بدمشق في محلة عيسى القاري

فى منزله وأراد احراقهما فارسل المختار جيشا كما تقدم فازال عنهما حصر ابن الزبير فلما قتل المختار قوى عليهما ابن الزبير وقال لا تبايعا و رأى نفر بالى الطائف وأرسل ابن عباس ابنه عليا الى عبد الملك بالشام وقال لأن يربنى بنو عمى أحب الى من أن يربنى رجل من بنى أسد يعنى ببنى عمه بنى أمية لانهم جميعهم من ولد عبد مناف ويعنى برجل من بنى أسد ابن الزبير فانه من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى ولما وصل على بن عبد الله بن عباس الى عبد الملك سأله عن اسمه وكنيته فقال اسمى على والكنية أبو الحسن فقال لا يجتمع هذا الاسم وهذه الكنية فى عسكرى أنت أبو محمد ولما وصل ابن عباس الى الطائف توفى به وصلى عليه ابن الحنفية

(ذكر الفتنة بخراسان)

فى هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من بنى تميم بسبب قتلهم ابنه محمدا وقد تقدم ذكره فلما تفرقت بنو تميم بخراسان على ما تقدم أتى قصره قريبا عدة من فرسانهم ما بين السبعين الى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المازنى ومعه شعبة بن ظهير النهشلى وورد بن الفلق العنبرى و زهير بن ذؤيب العدوى و جيهان بن مشجعة الضبى والحجاج بن ناشب العدوى ورقبة بن الحر فى فرسان من تميم وشجعانهم فحاصرهم ابن خازم فكانوا يخرجون اليه فيقاتلونه ثم يرجعون الى القصر فخرج ابن خازم يوما فى ستة آلاف وخرج اليه أهل القصر فقال لهم بشر ارجعوا فلن تطيقوه فحلف زهير بن ذؤيب بالطلاق انه لا يرجع حتى يعترض صفوفهم فاستبطن نهرا قد يبس فلم يشعر به أصحاب عبد الله حتى حمل عليهم فحط اولاهم على آخرهم واستدار وكر راجعا واتبعوه يصيحون به ولم يجسر أحد ينزل اليه حتى رجع الى موضعه فحمل عليهم فافرجوا له حتى رجع فقال ابن خازم لاصحابه اذا طاعنتم زهيرا فاجعلوا فى رماحكم كلاليب ثم علقوها فى سلاحه فخرج اليهم يوما فطاعنهم فاعلقوا فيه أربعة ارماح بالكلاليب فالتفت اليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم وخلوا رماحهم فعاد يجر اربعة أرماح حتى دخل القصر فارسل ابن خازم الى زهير يضمن له مائة ألف وميسان طعمة ليناصحه فلم يجبه فلما طال الحصار عليهم أرسلوا الى ابن خازم ليمكنهم من الخروج ليتفرقوا فقال لا الا على حكمى فاجابوا الى ذلك فقال زهير ثكلتكم أمهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم وان طبتم بالموت نفسا فموتوا كراما اخرجوا بنا جميعا فاما أن تموتوا كراما واما أن ينجو بعضكم و يهلك بعضكم وايم الله لئن شددتم عليهم شدة صادقة ليفرجن لكم فان شئتم كنت أمامكم وان شئتم كنت خلفكم فأبوا عليه فقال سأريكم ثم خرج هو و رقبة بن الحر وغلام تركى وابن ظهير فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا فاما زهير فرجع ونجا أصحابه فلما رجع زهير الى من بالقصر قال قد رأيتم اطيعونى قالوا انا نضعف عن هذا ونطمع فى الحياة فقال لا اكون أعجزكم عند الموت فنزلوا على حكم ابن خازم فارسل اليهم فقيدهم وحملوا اليه رجلا رجلا فاراد أن يمن عليهم فأبى عليه ابنه موسى وقال له ان عفوت عنهم قتلت نفسى فقتلهم الا ثلاثة أحدهم الحجاج بن ناشب فشفع فيه بعض من معه فاطلقه والآخر جيهان بن مشجعة الضبى الذى ألقى نفسه على محمد بن عبد الله كما تقدم والآخر رجل من بنى سعد من تميم وهو الذى رد الناس عن ابن خازم يوم سلقوه وقال انصرفوا عن فارس مضر وقال ولما ارادوا حمل زهير بن ذؤيب وهو مقيد أبى

الى بلاده مستبشرا ببلوغ الامنية وفى سنة احدى وعشرين وثمانمائة مات صاحب شروان الشيخ ابراهيم المذكور وتولى مكانه ولده الجليل (أو لو سلطان خليل) ابن الشيخ ابراهيم فقصده قره يوسف التركمانى بستة آلاف فارس فسار الى شماخى فواقعه بعسكر شروان فهزمه وقتل من عسكره أناسا كثيرة ومكث السلطان خليل فى الملك مدة متطاولة مع ماله من الخير والعدل والنصر حتى توفى وتولى مكانه ولده الحسيب (شروان شاه) ابن خليل ابن الشيخ ابراهيم وفى أيامه ظهر الشيخ حيدر الصوفى الاردبيلى صاحب عراق العجم واستفحل أمره وجعل يركب فى عشرة آلاف مقاتل فملك بعض البلاد ثم ظهر فى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وحاصر بلاد شروان فاستنجد عليه صاحب شروان من صاحب العراق السلطان يعقوب بن حسن الطويل فانجده بجيش كثيف فسار الى قتال حيدر المذكور فقاتله وهزمه وظفر به فقتله وقتل عدة أولاده وكان شاه اسمعيل ابن حيدر مع أبيه فى الوقعة فكان عمره كافهم شروان شاه بقتله أيضا فشفع فيه

محمدا فيه فأبي عليهم فاجتمع مع محمد في الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال وعزوا وامتنعوا فلما قتل المختار تضعضعوا واحتاجوا ثم ان البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار فارسل الى ابن الحنفية ادخل في بيعتي والا نابذتك وكان رسوله عروة بن الزبير فقال ابن الحنفية بؤسا لاخيك ما ألجه فيما اسخط الله وأغفله عن ذات الله وقال لاصحابه ان ابن الزبير يريد أن يثور بنا وقد أذنت لمن احب الانصراف عنا فانه لا ذمام عليه منا ولا لوم فاني مقيم حتى يفتح الله بيني وبين ابن الزبير وهو خير الفاتحين فقام اليه أبو عبد الله الجدلي وغيره فأعلموه انهم غير مفارقيه وبلغ خبره عبد الملك بن مروان فكتب اليه يعلمه انه ان قدم عليه أحسن اليه وانه ينزل الى الشام ان أراد حتى يستقيم أمر الناس فخرج ابن الحنفية وأصحابه الى الشام وخرج معه كثير عزة وهو يقول شعر

هديت يا مهدينا ابن المهتدي * أنت الذي نرضى به ونرتجي
أنت ابن خير الناس من بعد النبي * أنت امام الحق لسنا نمتري
يا ابن علي سر ومن مثل علي

فلما وصل مدين بلغه غدر عبد الملك بعمرو بن سعيد فندم على اتيانه وخافه فنزل أيلة وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة عبادته وزهده وحسن هديه فلما بلغ ذلك عبد الملك ندم على اذنه له في قدومه بلده فكتب اليه انه لا يكون في سلطاني من لم يبايعني فارتحل الى مكة ونزل شعب أبي طالب فارسل اليه ابن الزبير يأمره بالرحيل عنه وكتب الى أخيه مصعب بن الزبير يأمره أن يسير نساء من مع ابن الحنفية فسير نساء منهن امرأة أبي الطفيل عامر بن واثلة فجاءت حتى قدمت عليه فقال الطفيل شعر

ان يك سيرها مصعب * فاني الى مصعب متعب
أقود الكتيبة مستلئما * كأني أخو عزة أجرب

وهي عدة أبيات وألح ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال الى مكة فاستأذنه أصحابه في قتال ابن الزبير فلم يأذن لهم وقال اللهم ألبس ابن الزبير لباس الذل والخوف وسلط عليه وعلى أشياعه من يسومهم الذي يسوم الناس ثم سار الى الطائف فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره وخرج ابن عباس ايضا فلحق بالطائف ثم توفي فصلى عليه ابن الحنفية وكبر عليه أربعا وبقي ابن الحنفية حتى حصر الحجاج ابن الزبير فأقبل من الطائف فنزل الشعب فطلبه الحجاج ليبايع عبد الملك فامتنع حتى يجتمع الناس فلما قتل ابن الزبير كتب ابن الحنفية الى عبد الملك يطلب منه الامان له ولمن معه وبعث اليه الحجاج يأمره بالبيعة فأبي وقال قد كتبت الى عبد الملك فاذا جاءني جوابه بايعت وكان عبد الملك كتب الى الحجاج يوصيه بابن الحنفية فتركه فلما قدم رسول ابن الحنفية وهو أبو عبد الله الجدلي ومعه كتاب عبد الملك بامانه وبسط حقه وتعظيم أهله حضر عند الحجاج وبايع لعبد الملك بن مروان وقدم عليه الشام وطلب منه أن لا يجعل للحجاج عليه سبيلا فأزال حكم الحجاج عنه وقيل ان ابن الزبير أرسل الى ابن عباس وابن الحنفية أن يبايعا فقالا حتى يجتمع الناس على امام ثم نبايع فانك في فتنة فعظم الامر بينهما وغضب من ذلك وحبس ابن الحنفية في زمزم وضيق على ابن عباس

طريقه الى بلاد الشيخ ابراهيم المذكور فاستشار الشيخ ابراهيم قومه في أمر تيمور وما يفعله قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فقال لا أجعل عسكري عرضة للسيف ولا أترك رعيتي تحت سنابك افايل ولا يكون ذلك ولا أقاتل ولكني أتوجه اليه بنفسي وامتثل بين يديه سامعا مطيعا فان ردني الى مكاني فهو غاية الاماني وان قتلني فقد سلمت رعيتي من القتل والخسار والنهب والاسار ثم أمر بالتقادمات فجمعت وأذن للجيوش فتفرقت وأمر باقامة الخطبة باسم تيمور وبضرب السكة باسمه ثم حمل التقادم وورد عليه وتمثل بين يديه وكان من عادة الجغتاي في تقديم الخدم أن يقدموا من كل جنس تسعة فقدم الشيخ ابراهيم المذكور من كل جنس من أصناف ماقدم من الهدايا والتحف وأنواع الغرائب والطرف تسعة ومن المماليك ثمانية فقال له المتسلمون لذلك وأين التاسع من المماليك فقال التاسع نفسي القابنية فلما بلغ تيمور هذا الكلام أعجبه و [illegible] من قلبه بمكان ومقام وقال له أنت رفيقي وخليفتي في هذه البلاد ومعتمدي وخلع عليه خلع الملوك ورده

مثله وانه كان فى بنى إسرائيل التابوت وان هذا فينا مثل التابوت فكشفوا عنه وقامت السبئية فكبروا ثم لم يلبثوا ان أرسل المختار الجند لقتال ابن زياد وخرج بالكرسى على بغل وقد غشى فقتل أهل الشام مقتلة عظيمة فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا حتى تعاطوا الكفر فندمت على ماصنعت وتكلم الناس فى ذلك فغيبه وقيل ان المختار قال لآل جعدة بن هبيرة وكانت أم جعدة ام هانى أخت على بن أبى طالب لابويه ائتونى بكرسى على فقالوا والله ماهو عندنا فقال لتكونن حمقى اذهبوا فأتونى به قال فظنوا أنهم لا يأتونه بكرسى الا قال هذا هو وقبله منهم فأتوه بكرسى وقبضه منهم وخرجت شبام وشاكر وغيرهم من أصحاب المختار وقد جعلوا عليه الحرير وكان اول من سدنه موسى بن أبى موسى الاشعرى كان يلم بالمختار لان أمه ام كلثوم بنت الفضل بن العباس فعتب الناس على موسى فتركه وسدنه حوشب البرسمى حتى هلك المختار وقال أعشى همدان فى ذلك شعر

شهدت عليكم انكم سبئية * وانى بكم ياشرطة الشرك عارف

فأقسم ما كرسيكم بسكينة * وان كان قد لفت عليه اللفائف

وان ليس كالتابوت فينا وان سعت * شبام حواليه ونهد وخارف

وانى امرؤ أحببت آل محمد * وتابعت وحيا ضمنته المصاحف

وبايعت عبد الله لما تتابعت * عليه قريش شمطها والغطارف

وقال المتوكل الليثى

أبلغ ابا اسحق ان جئته * انى بكرسيكم كافر

تنزو شبام حول أعواده * وتحمل الوحى له شاكر

محمرة أعينهم حوله * كانهن الحامض الخاثر

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على المدينة مصعب بن الزبير عاملا لاخيه عبد الله وعلى البصرة عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى لابن الزبير أيضا وكان بالكوفة المختار متغلبا عليها وبخراسان عبد الله بن خازم وفى هذه السنة توفى أسماء بن حارثة الاسلمى وله صحبة وهو من أصحاب الصفة وقيل بل مات بالبصرة فى امارة ابن زياد وتوفى جابر بن سمرة وهو ابن أخت سعد بن أبى وقاص وقيل مات فى امارة بشر بن هرون وتوفى أسماء بن خارجة بن حصن ابن حذيفة بن بدر الفزارى سيد قومه (حارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة)

(ثم دخلت سنة سبع وستين)

(ذكر مقتل ابن زياد)

ولما سار ابراهيم بن الاشتر من الكوفة أسرع السير ليلقوا ابن زياد قبل أن يدخل ارض العراق وكان ابن زياد قد سار فى عسكر عظيم من الشام فبلغ الموصل وملكها كما ذكرناه اولا فسار ابراهيم وخلف أرض العراق وأوغل فى ارض الموصل وجعل على مقدمته الطفيل بن لقيط النخعى وكان شجاعا فلما دنا من ابن زياد عبى اصحابه ولم يسر الا على تعبية واجتماع الا أنه يبعث الطفيل على الطلائع حتى يلغ نهر الخازر من بلاد الموصل فنزل بقرية بارشيا وأقبل ابن زياد

عليه وأحسن السيرة وعدل بين الرعية وبعد ان مضى على ذلك مدة رجع السلطان محمود من بلاد العجم ومعه جماعة من العسكر فحاصر أخاه شيخ شاه بقلعة كلستان اكثر من ثلاثة أشهر فاتفق ان مملوكا من مماليك السلطان محمود ذبح مخدومه على فراشه تحت الليل وبعث برأسه الى أخيه شيخ شاه فسر به الشيخ شاه وأمر بالطبول فضربت وبالاعلام فنشرت ولما أصبحوا فتحوا باب القلعة وهجموا على الذين أتوا مددا لخادمهم حصدا وطردا وشردا ولم يتركوا منهم أحدا أبدا واستمر شيخ شاه فى الملك الى أن توفى فى حدود سنة خمس وعشرين وتسعمائة وكان ملكا دينا منصورا حسن السيرة محبا للعلوم والعلماء والمشايخ وخلف سبعة أولاد ذكور وتسلطن منهم بعده ولده (خليل باد شاه) ودام فى الملك نحو عشرين سنة ولم يخلف من الاولاد من يصلح للملك فسلطنوا بعده ابن أخيه (شاه رخ بادشاه) ابن فرخ سيرزا بن الشيخ شاه ابن شروان بن خليل بن شيخ ابراهيم وكان سنه خمس عشرة سنة وكان قد ضعفت فى زمانه شوكة الدربندية

واعتمد على رمحه فوثب الخندق ثم اقبل الى ابن خازم يحجل فى قيوده فجلس بين يديه فقال له ابن خازم كيف شكرك ان اطلقتك واطعمتك ميسان قال لو لم تصنع بى الا حقن دمى لشكرتك فلم يكن ابنه موسى من اطلاقه فقال له ابوه ويحك نقتل مثل زهير من اقتال عدو المسلمين من لحى نساء العرب فقال والله لو شركت فى دم اخى لقتلتك فأمر بقتله فقال زهير ان لى حاجة لا تقتلنى ويخلط دمى بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتهم عما صنعوا وامرتهم ان يموتوا كراما ويخرجوا عليكم مصلتين وايم الله لو فعلوا لاذعروا بنيك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب ثار أخيه فأبوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالا فامر به ابن خازم فقتل ناحية فلما بلغ الحريش قتلهم قال

أعاذل انى لم ألم فى قتالهم * وقد عض سيفى كبشهم ثم صمما
أعاذل ماوليت حتى تبددت * رجال وحتى لم أجد متقدما
أعاذل افنانى السلاح ومن يطل * مقارعة الابطال يرجع مكلما
أعينى ان انزفتما الدمع فاسكبا * دما لازما لى دون ان تسكبا دما
أبعد زهير وابن بشر متابعا * وورد أرجى فى خراسان مغنما
أعاذل كم من يوم حرب شهدته * اكر اذا ما فارس السوء أحجما

يعنى زهير بن ذؤيب وابن بشر هو عثمان وورد بن الفلق

(ذكر مسير ابن الاشتر الى قتال ابن زياد)

وفى هذه السنة لثمان بقين من ذى الحجة سار ابراهيم بن الاشتر لقتال عبيد الله بن زياد وكان مسيره بعد فراغ المختار من وقعة السبيع بيومين وأخرج المختار معه فرسان أصحابه ووجوههم وأهل البصائر منهم ممن له تجربة وخرج معه المختار يشيعه فلما بلغ دير عبد الرحمن ابن أم الحكم لقيه أصحاب المختار ومعهم الكرسى يحملونه على بغل أشهب وهم يدعون الله له بالنصر ويستنصرونه وكان سادن الكرسى حوشب البرسمى فلما رآهم المختار قال

أما ورب المرسلات عرفا * لنقتلن بعد صف صفا * وبعد ألف قاسطين ألفا

ثم ودعه المختار وقال له خذ عنى ثلاثا خف الله عز وجل فى سر أمرك وعلانيتك وعجل السير واذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ورجع المختار وسار ابراهيم فانتهى الى أصحاب الكرسى وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم الى السماء يدعون الله فقال ابراهيم اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء هذه سنة بنى اسرائيل والذى نفسى بيده اذ عكفوا على عجلهم ثم رجعوا وسار الى قصده

(ذكر حال الكرسى الذى كان المختار يستنصر به)

قال الطفيل بن جعدة بن هبيرة أضقنا اضاقة شديدة فخرجت يوما فاذا جار لى زيات عنده كرسى ركبه الوسخ فقلت فى نفسى لو قلت للمختار فى هذا شيأ فأخذته من الزيات وغسلته فخرج عود نضار قد شرب الدهن وهو يبض قال فقلت للمختار انى كنت اكتمك شيأ وقد بدا لى أن اذكره لك ان أبى جعدة كان يجلس على كرسى عندنا ويروى ان فيه أثرا من على قال سبحان الله أخرته الى هذا الوقت ابعث به فاحضرته عنده وقد غشى فامر لى باثنى عشر ألفا ثم دعا الصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال المختار انه لم يكن فى الامم الخالية أمر الا وهو كائن فى هذه الامة

بعض أمرائه وقال أيها الملك استبقه فانه مثال أمه كانت بنت حسن بك الطويل فعفا عنه شروان شاه وطرده عن حوزة ملكه وفناء فلما تخلص شاه اسمعيل من هذه الوقعة تغرب بوادى الحيرة ثم سار الى بلاد لاهيجان وتعلم فيها الرفض ثم سار منها الى اذربيجان وهو دائما يدعو الخلق اليه فاجتمع عليه من أسافل الناس وأشرارهم خلق كثير فسار بهم فى سنة ست وتسعمائة الى طرف شروان ليأخذ بثار أبيه حيدر فخرج اليه شروان شاه فقاتله فانهزم فظفر به شاه اسمعيل فقتله واستولى على بلاد شروان ودخلها وجلس على سريرها ثم تركها بعد ان مكث مدة شهر ثم استولى الملك (غازى بك) ابن شروان شاه ابن خليل بك فلما مضى من ملكه ستة أشهر بغى عليه ولده السلطان محمود بن غازى فقتله واستولى على ملك أبيه وكان ظالما غشوما فاسقا وامتنع الناس عن طاعته وأرسلوا الى أخيه صاحب كيلان شيخ شاه ابن غازى فلما أحس السلطان محمود بقدوم شيخ شاه انهزم الى شاه اسمعيل صاحب اذربيجان فوصل شيخ شاه ورأى التخت خاليا فجلس

اصحاب ابن زياد وقتل من الفريقين قتلى كثيرة وقيل ان عمير بن الحباب أول من انهزم وانما
كان قتاله أولا تعذيرا فلما انهزموا قال ابراهيم انى قد قتلت رجلا تحت راية منفردة على شاطئ
نهر الخازر فالتمسوه فانى شممت منه رائحة المسك شرقت يداه وغربت رجلاه فالتمسوه فاذا هو
ابن زياد قتيلا بضربة ابراهيم فقد قدته بنصفين وسقط كما ذكر ابراهيم فاخذ رأسه وأحرقت
جثته وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يظنه عبيد الله بن زياد
فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فنادى التغلبي اقتلونى وابن الزانية فقتلوا الحصين وقيل ان
الذى قتل ابن زياد شريك بن جدير وكان هذا شريك شهد صفين مع على وأصيبت عينه
فلما انقضت أيام على لحق شريك ببيت المقدس فأقام به فلما قتل الحسين عاهد الله تعالى ان ظهر
من يطلب بدمه ليقتلن ابن زياد أوليموتن دونه فلما ظهر المختار للطلب بثار الحسين أقبل اليه
وسار مع ابراهيم بن الاشتر فلما التقوا حمل على خيل الشام يهتكها صفا صفا مع أصحابه من
ربيعة حتى وصلوا الى ابن زياد وثار الرهج فلا تسمع الا وقع الحديد فانفرج عن الناس وهما
قتيلان شريك وابن زياد والاول أصح وشريك هو القائل

كل عيش قد أراه باطلا * غير ركز الرمح فى ظل الفرس

قال وقتل شرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى وادعى قتله سفيان بن يزيد الازدى وورقاء بن
عازب الاسدى وعبيد الله بن زهير السلمى وكان عيينة بن اسماء مع ابن زياد فلما انهزم أصحابه حمل
أخته هند بنت أسماء وكانت زوجة عبيد الله بن زياد فذهب بها وهو يرتجز

ان تصرمى حبالنا فربما * أرديت فى الهيجا الكمى المعلما

ولما انهزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب ابراهيم فكان من غرق اكثر ممن قتل وأصابوا
عسكرهم وفيه من كل شئ وأرسل ابراهيم البشارة الى المختار وهو بالمدائن وأنفذ ابراهيم عماله
الى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله الى نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاهما
من أرض الجزيرة فولى زفر بن الحرث قرقيسيا وحاتم بن النعمان الباهلى حران والرها
وسميساط وناحيتها وولى عمير بن الحباب السلمى كفرتوثا وطور عبدين وأقام ابراهيم بالموصل
وانفذ رأس عبيد الله بن زياد الى المختار ومعه رؤس قواده فألقيت فى القصر فجاءت حية دقيقة
فتخللت الرؤس حتى دخلت فى فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره ودخلت فى منخره
وخرجت من فيه فعلت هذا مرارا أخرج هذا الترمذى فى جامعه وقال المغيرة أول من ضرب
الزيوف فى الاسلام عبيد الله بن زياد وقال بعض حجاب ابن زياد دخلت معه القصر حين قتل
الحسين فاضطرم فى وجهه نارا فقال بكمه هكذا على وجهه وقال لا تحدثن بهذا أحدا وقال
المغيرة قالت مرجانة لابنها عبيد الله بعد قتل الحسين يا خبيث قتلت ابن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا ترى الجنة أبدا وقال ابن مفرغ حين قتل ابن زياد

ان المنايا اذا ما زرن طاغية * هتكن أستار حجاب وأبواب
أقول بعدا وسحقا عند مصرعه * لابن الخبيثة وابن الكودن الكابى
لا أنت زوحمت عن ملك فتمنعه * ولا متت الى قوم بأسباب
لا من نزار ولا من جذم ذى يمن * جلمود ذا ألقيت من بين ألهاب

وصل الى حدود شروان
فرأى ان العدو قد تقوى
وتمكن من البلاد واكثر
من العدد فانحاز الى طرف
داغستان ومكث بها نحو
ثلاثة أعوام فلما سار الملك
الغازى السلطان سليمان
خان فى سنة خمس وخمسين
وتسعمائة انتقال طهماسب
المذكور انتقل طهماسب
الى أقصى بلاده فوجد
برهان الدين غنيمة الفرصة
فنزل عن مكانه واستولى
على بلاد شروان وانتزعها
من أيدى نواب طهماسب
فبقى واليا بها مدة سنين ثم
توفى ولم يترك من يصلح
للملك فرجعت أولاده
وعياله الى طرف بلاد
داغستان خوفا من الشاه
واسترد طهماسب جميع
بلاد شروان وخلف برهان
الدين المذكور ولدين
أحدهما اخلاف ميرزا توفى
صغيرا والآخر أبو بكر
ميرزا وهو الآن حى فى
الجبل وكانت مدة تمكنه
اكثر من عشرين سنة
ثم انه اتصل الى حاكم التاتار
دولة كراى خان وتزوج ابنته
وأرسل يشفع فيه فقبل
السلطان سليمان خان سؤاله
وعين له كل يوم وظيفة
جليلة ولم يزل فى عزة مع
صاحب الدشت حتى سار
معه الى فتح شروان وتولى

اليه حتى نزل قريبا منهم على شاطئ الخازر وأرسل عمير بن الحباب السلمى وهو من اصحاب ابن زياد الى ابن الاشتر أن القنى وكانت قيس كلها مضطغنة على ابن مروان من وقعة مرج راهط وجند عبد الملك يومئذ كلب فاجتمع عمير وابن الاشتر فاخبره عمير انه على ميسرة ابن زياد وواعده أن ينهزم بالناس فقال له ابن الاشتر ما رأيك أخندق على وأتوقف يومين أو ثلاثة فقال عمير لا تفعل وهل يريدون الا هذا فان المطاولة خير لهم هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير فى المطاولة ولكن ناجز القوم فانهم قد ملؤا منكم رعبا وان هم شاموا أصحابك وقاتلوهم يوما بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم واجترؤا عليهم فقال ابراهيم الآن علمت انك لى مناصح وبهذا أوصانى صاحبى قال عمير أطعه فان الشيخ قد ضرسته الحرب وقاسى منها ما لم يقاسه أحد واذا اصبحت فناهضهم وعاد عمير الى أصحابه واذكى ابن الاشتر حرسه ولم يدخل عينه غمض حتى اذا كان السحر الاول عبى اصحابه وكتب كتائبه وامر أمراءه فجعل سفيان بن يزيد الازدى على ميمنته وعلى بن مالك الجشمى على ميسرته وهو أخو الاحوص وجعل عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو ابراهيم بن الاشتر لامه على الخيل وكانت خيله قليلة وجعل الطفيل بن لقيط على الرجالة وكانت رايته مع مزاحم بن مالك فلما انفجر الفجر صلى الصبح بغلس ثم خرج فصف أصحابه والحق كل أمير بمكانه ونزل ابراهيم يمشى ويحرض الناس ويمنيهم الظفر وسار بهم رويدا فاشرف على تل عظيم مشرف على القوم واذا أولئك القوم لم يتحرك منهم احد فارسل عبد الله بن زهير السلولى ليأتيه بخبر القوم فعاد اليه وقال له قد خرج القوم على دهش وفشل لقينى رجل منهم وليس له كلام الا يا شيعة أبى تراب يا شيعة المختار الكذاب قال فقلت له الذى بيننا أجل من الشتم وركب ابراهيم وسار على الرايات يحثهم ويذكرهم فعل ابن زياد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من السبى والقتل ومنع الماء وحرضهم على قتله وتقدم القوم اليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكونى وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمى وعلى الخيل شرحبيل بن ذى الكلاع الحميرى فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير فى ميمنة أهل الشام على ميسرة ابراهيم فثبت له على بن مالك الجشمى فقتل ثم أخذ رايته قرة بن على فقتل فى رجال من أهل البأس وانهزمت الميسرة فأخذ الراية عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولى ابن أخى حبشى بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل المنهزمين فقال الى يا شرطة الله فاقبل اليه اكثرهم فقال هذا أميركم يقاتل ابن زياد ارجعوا بنا اليه فرجعوا واذا ابراهيم كاشف رأسه ينادى الى يا شرطة الله أنا ابن الاشتر ان خير فراركم كراركم ليس مسيئا من أعتب فرجع اليه اصحابه وحملت ميمنة ابراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير بن الحباب كما زعم فقاتلهم عمير قتالا شديدا وأنف من الفرار فلما رأى ذلك ابراهيم قال لاصحابه اقصدوا هذا السواد الاعظم فوالله ان هزمناه لانجفل من ترون يمنة ويسرة انجفال طير ذعرتها فمشى أصحابه اليهم فتطاعنوا ثم صاروا الى السيوف والعمد فاضطربوا بها مليا وكان صوت الضرب بالحديد كصوت القصارين وكان ابراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم فيقول ليس لى متقدم فيقول بلى فاذا تقدم شد ابراهيم بسيفه فلا يضرب رجلا الا صرعه وكر ابراهيم الرجالة بين يديه كانهم الحملان وحمل أصحابه حملة رجل واحد واشتد القتال فانهزم

اصحاب

جدا وقويت دولة بنى حيدر الصوفى وفى سنة خمس عشرة وتسعمائة بعث شاه طهماسب بن اسمعيل بن حيدر الصوفى أخاه القاسب ميرزا الى فتح شروان فانتزعها من يد شاه رخ بادشاه فحاصر القاسب مدينة شماخى مدة سبعة أشهر ولم ينل منها بطائل فلما طال أمر الحصار نهض طهماسب بنفسه فى جيش كثيف وارسل الى صاحبها بالامان وبذل الايمان ووعده بالاقطاعات والمواهب وكانت كاذبة فاغتر بظاهر ذلك شاه رخ فخرج طائعا ولما وعده طامعا فلم ير منه الا خلاف ما وعد وشرط ثم أمر بمن فى القلعة من كبار القوم فقتل غالبهم وعين طهماسب لاخيه القاسب إمرة شروان ورجع هو الى تبريز واستصحب معه صاحب شروان شاه رخ وكان يمشيه ويوقفه بين يديه كالعبد واستخدمه فى نعله ثم غدر به فقتله ثم ان برهان الدين على سلطان وهو من أعمام شاه رخ جمع جيشا كثيرا فسار الى شروان لقتال القاسب ميرزا فقاتله مرارا فلم يظفر به وأتى الى الروم يستمد من سلطانها المرحوم سليم خان فأكرم نزله وقواه ببعض العسكر فسار بهم الى أن

فى اصحابه فاعلمهم ذلك وندبهم الى الخروج مع أحمر بن شميط فخرج وعسكر بحمام أعين ودعا المختار رؤس الارباع الذين كانوا مع ابن الاشتر فبعثهم مع احمر بن شميط فساروعلى مقدمته ابن كامل الشاكرى فوصلوا الى المذار وأتى مصعب فعسكر قريبا منه وعبى كل واحد منهما جنده ثم تزاحفا فجعل ابن شميط ابن كامل على ميمنته وعلى الميسرة عبدالله بن وهب الجشمى وجعل أباعمرة مولى عرينة على الموالى فجاء عبدالله بن وهب الجشمى الى ابن شميط فقال له ان الموالى والعبيد أولو خور عند المصدوقة وان معهم رجالا كثيرا على الخيل وأنت تمشى فمرهم فليمشوا معك فانى اتخوف ان يطيروا عليها ويسلموك وكان هذا غشامنه للموالى لما كان لقى منهم بالكوفة فاحب ان كانت عليهم الهزيمة وان لا ينجو منهم أحد فلم يتهمه ابن شميط ففعل ما اشار به فنزل الموالى معه وجاء مصعب وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فدنا عباد من أحمر واصحابه وقال انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة المختار والى ان نجعل هذا الامر شورى فى آل الرسول فرجع عباد فأخبر مصعبا فقال له ارجع فاحمل عليهم فرجع وحمل على ابن شميط وأصحابه فلم ينزل منهم أحد ثم انصرف الى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل فجال بعضهم فى بعض فنزل ابن كامل فانصرف عنه المهلب ثم قال المهلب لاصحابه كروا عليهم كرة صادقة فحملوا عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل فى رجال من همدان ساعة ثم انهزم وحمل عمر بن عبيدالله على عبدالله بن أنس فصبر ساعة ثم انصرف وحمل الناس جميعا على ابن شميط فقاتل حتى قتل وتنادوا يامعشر بجيلة وخثعم الصبر فناداهم المهلب الفرار اليوم انجى لكم علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبيد ثم قال والله ماارى كثرة القتل اليوم الا فى قومى ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فانهزمت وبعث مصعب عبادا على الخيل فقال أيما أسير اخذته فاضرب عنقه وسرح محمد بن الاشعث فى خيل عظيمة من أهل الكوفة فقال دونكم ثاركم فكانوا اشد على المنهزمين من أهل البصرة لايدركون منهزما الاقتلوه ولا يأخذون اسيرا فيعفون عنه فلم ينج من ذلك الجيش الا طائفة أصحاب الخيل واما الرجالة فأبيدوا الا قليلا قال معاوية بن قرة المزنى انتهيت الى رجل منهم فادخلت السنان فى عينه فاخذت اخضخض عينه به فقيل له أفعلت هذا فقال نعم انهم كانوا عندنا أحل دما من الترك والديلم وكان معاوية هذا قاضى البصرة فلما فرغ مصعب منهم أقبل حتى قطع من تلقاء واسط ولم يكن بنيت بعد فأخذ فى كسكر ثم حمل الرجال اثقالهم والضعفاء فى السفن فاخذوا فى نهر خرشاد ثم خرجوا الى نهر قوسان ثم خرجوا الى الفرات وأتى المختار خبر الهزيمة ومن قتل بها من فرسان أصحابه فقال مامن الموت بد ومامن ميتة أموتها أحب الى من ان أموت ميتة ابن شميط فعلموا انه ان لم يبلغ ما يريد يقاتل حتى يقتل ولما بلغه ان مصعبا قد أقبل اليه فى البر والبحر سار حتى وصل السيلحين ونظر الى مجتمع الانهار نهر الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر يوسف فسكر الفرات فذهب ماؤها فى هذه الانهار وبقيت سفن أهل البصرة فى الطين فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن الى ذلك السكر فاصلحوه وقصدوا الكوفة وسار المختار اليهم فنزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة وكان قد حصن القصر والمسجد وادخل اليه عدة الحصار وأقبل مصعب وقد جعل على ميمنته المهلب وعلى ميسرته عمر بن عبيدالله وعلى الخيل عباد بن الحصين وجعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد

يبك صاحب بتر رقبض عليهما وحبسهما فى قلعة اصطخر فسكانا بها مدة حياة يعقوب بيك فلما توفى يعقوب بيك واستولى على ملكه رستم ميرزا عفا عنهما وأطلقهما وقال لهما اذهبا فلازما قبرا بيكما وكونا كانكما من زمرة الفقراء فلم يزالا كذلك مدة حياة رستم ميرزا فلما توفى رستم ميرزا تولى مكانه (أحمد بيك) ابن أوغورلو فخافا من صولته وشدة بأسه فهربا الى كيلان والتجآ الى الملك الشريف حسن خان فالسمع أحمد بيك بفرارهما والتجائهما الى صاحب كيلان ارسل يطلبهما منه فانكر صاحب كيلان كونهما عنده فعين جماعة من العلماء والاعيان ليستحلفوه بالكلام المنزل انهما ليسا فى أرضه فلما تحقق ذلك سلك صاحب كيلان مسلك الحيلة واصطنع عريشا من الاخشاب فى محل خفى ثم أمر ابنى الشيخ حيدر فصعدا عليه ولما قدم الذين بعثهم أحمد ميرزا باستحلاف صاحب كيلان بادر بالحلف فحلف بالله العظيم والكلام المنزل القديم انهما ليسا فى أرضه ثم استمر اسمعيل وأخوه يار على عند صاحب كيلان حتى قتل أحمد بيك

لاتقبل الارض موتاهم اذا قبروا * وكيف تقبل رجسا بين أثواب

وقال سراقة البارقي يمدح ابراهيم بن الاشتر

أتاكم غلام من عرانين مذحج * جري على الاعداء غير نكول

فيا ابن زياد بؤ بأعظم هالك * وذق حد ماضي الشفرتين صقيل

جزى الله خيرا شرطة الله انهم * شفوا من عبيد الله أمس غليلي

وقال عمير بن الحباب السلمي يذم جيش ابن زياد

وما كان جيش يجمع الخمر والزنا * محلا اذا لاقى العدو لينصرا

(ذكر ولاية مصعب بن الزبير البصرة)

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير الحرث بن أبي ربيعة وهو القباع عن البصرة واستعمل عليها أخاه مصعبا فقدمها مصعب متلثما ودخل المسجد وصعد المنبر فقال الناس أمير أمير وجاء الحرث بن أبي ربيعة وهو الامير فسفر مصعب لثامه فعرفوه وأمر مصعب الحرث بالصعود اليه فاجلسه تحته بدرجة ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون الى قوله من المفسدين فأشار بيده نحو الشام ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وأشار نحو الحجاز ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار نحو الكوفة وقال يا أهل البصرة بلغني انكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسي بالجزار

(ذكر مسير مصعب الى المختار وقتل المختار)

ولما هرب اشراف الكوفة من وقعة السبيع أتى جماعة منهم الى مصعب فأتاه شبث بن ربعي على بغلة قد قطع ذنبها وطرف أذنها وشق قباءه وهو ينادي يا غوثاه فرفع خبره الى مصعب فقال هذا شبث بن ربعي فأدخل عليه فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما اجتمعوا عليه وسألوه النصر لهم والمسير الى المختار معهم وقدم عليه محمد بن الاشعث أيضا واستحثه على المسير فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه وقال لاهل الكوفة حين أكثروا عليه لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة وكتب اليه وهو عامله على فارس يستدعيه ليشهد معهم قتال المختار فأبطأ المهلب واعتل بشيء من الخراج لكراهية الخروج فأمر مصعب محمد بن الاشعث ان يأتي المهلب يستحثه فأتاه محمد ومعه كتاب مصعب فلما قرأه قال له أما وجد مصعب بريدا غيرك فقال ما أنا بريد لاحد غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبتنا عليهم عبيدنا فاقبل المهلب معه بجموع كثيرة وأموال عظيمة فقدم البصرة وأمر مصعب بالعسكر عند الجسر الاكبر وأرسل عبد الرحمن بن مخنف الى الكوفة فأمره أن يخرج اليه من قدر عليه وان يثبط الناس عن المختار ويدعوهم الى بيعة ابن الزبير سرا ففعل ودخل بيته مستترا ثم سار مصعب فقدم امامه عباد بن الحصين الحبطي التميمي وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته والمهلب على ميسرته وجعل مالك بن مسمع على بكر ومالك بن المنذر على عبد القيس والاحنف بن قيس على تميم وزياد بن عمرو العتكي على الازد وقيس بن الهيثم على أهل العالية وبلغ الخبر المختار فقام

بهنالك الامرة حسين الشيخ البلاد الشروانية الوزير الاعظم مصطفى باشا وهو الآن هنالك والله أعلم

(الباب الثاني والخمسون في ذكر ملوك العجم من آل حيدر الصوفي الاردبيلي الاسماعيلي)

وأول من قام من هذه الطائفة وجمع العسكر (الشيخ جنيد) بن الشيخ ابراهيم بن خواجه علي بن الشيخ صدر الدين بن الشيخ صفي الدين بن جبرائيل قيل كان جنيد هذا من العلوية الحسينية الاسماعيلية والله أعلم بصحته وانه جمع طائفة من محبيه ومحبي آبائه فغزا الكرج وقاتلهم وغنم منهم شيأ كثيرا ثم ان ابنه الشيخ حيدر بن جنيد سلك مسالك أبيه في جمع العسكر ومباشرة الغزاة واجتمع عنده من العسكر نحو ستة آلاف أو اكثر فغزا الكرج واتخذ التاج من الجوخ الاحمر باثنتي عشرة رقعة وسمي بتاج الحيدرية ثم هجم على صاحب شروان ووقع بينهما حروب واشتباك عن انهزام الشيخ حيدر المذكور وقتله هو وأولاده سوى ولديه اسمعيل ويار علي فسارا الى طرف لاهجان فاجتمع عليهما من مردة أبيهما فلما بلغ ذلك يعقوب

قال للسائب ماذا ترى قال ما ترى أنت قال ويحك يا احمق انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز ورأيت ابن نجدة وثب باليمامة ومروان بالشام وكنت فيها كاحدهم الا اني قد طلبت بثار أهل البيت اذ نامت عنه العرب فقاتل على حسبك ان لم يكن لك نية فقال انا لله وانا اليه راجعون ما كنت أصنع ان اقاتل على حسبي ثم تقدم المختار فقاتل حتى قتل قتله رجلان من بني حنيفة اخوان أحدهما طرفة والآخر طراف ابنا عبد الله بن دجاجة فلما كان الغد من قتله دعاهم بجير بن عبد الله المسلي ومن معه بالقصر الى ما دعاهم المختار فأبوا عليه وامكنوا أصحاب مصعب من أنفسهم ونزلوا على حكمه فاخرجوهم مكتفين فاراد اطلاق العرب وقتل الموالي فأبى أصحابه عليه فعرضوا عليه فامر بقتلهم وعرض عليه بجير المسلي فقال لمصعب الحمد لله الذي ابتلانا بالاسر وابتلاك بان تعفو عنا هما منزلتان احداهما رضا الله والاخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاده عزا ومن عاقب لم يأمن القصاص يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم ولسنا تركا ولا ديلما فان خالفنا اخواننا من أهل مصرنا فاما ان يكن اصبنا أو اخطأنا فاقتتلنا بيننا كما اقتتل اهل الشام بينهم ثم اجتمعوا وكما اقتتل أهل البصرة واصطلحوا واجتمعوا وقد ملكتم فاسجحوا وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول حتى رق لهم الناس ومصعب وأراد ان يخلي سبيلهم فقام عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال اتخلي سبيلهم اخترنا أو اخترهم وقام محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني فقال مثله وقام اشراف الكوفة فقالوا مثلهما فامر بقتلهم فقالوا له يا ابن الزبير لا تقتلنا واجعلنا على مقدمتك الى أهل الشام غدا فما بكم عنا غنى فان قتلنا لم نقتل حتى نضعفهم لكم وان ظفرنا بهم كان ذلك لكم فابى عليهم فقال بجير المسلي لا تخلط دمي بدمائهم اذ عصوني فقتلهم وقال مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي ما تقول يا ابن الزبير لربك غدا وقد قتلت أمة من المسلمين حكموك في أنفسهم صبرا اقتلوا منا بعدة من قتلنا منكم ففينا رجال لم يشهدوا موطنا من حربنا يوما واحدا كانوا في السواد وجباية الخراج وحفظ الطرق فلم يسمع منه وأمر بقتله ولما أراد قتلهم استشار مصعب الاحنف بن قيس فقال أرى ان تعفوا فان العفو أقرب للتقوى فقال اشراف أهل الكوفة اقتلهم وضجوا فقتلهم فلما قتلوا قال الاحنف ما ادركتم بقتلهم ثارا فليته لا يكون في الآخرة وبالا وبعثت عائشة بنت طلحة امرأة مصعب اليه في اطلاقهم فوجدهم الرسول قد قتلوا وأمر مصعب بكف المختار ابن أبي عبيد فقطعت وسمرت بمسمار الى جانب المسجد فبقيت حتى قدم الحجاج فنظر اليها وسأل عنها فقيل هذا كف المختار فامر بنزعها وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول له ان أطعتني فلك الشام وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وأعطاه عهد الله على ذلك وكتب عبد الملك بن مروان الى ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول ان أنت اجبتني فلك العراق فاستشار ابراهيم أصحابه فاختلفوا فقال ابراهيم لو لم أكن اصبت ابن زياد واشراف الشام لاجبت عبد الملك مع اني لا اختار على اهل مصري وعشيرتي غيرهم فكتب الى مصعب بالدخول معه فكتب اليه مصعب أن اقبل فاقبل اليه بالطاعة فلما بلغ مصعبا اقباله اليه بعث المهلب على عمله بالموصل والجزيرة وارمينية واذربيجان ثم ان مصعبا دعا أم ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وعمرة بنت النعمان بن

واستولى على جميع العراق وعدى على صاحب خراسان وماوراء النهر ويشبك خان بن اوزبك خان فكسره وقتله وجعل جمجمة رأسه مثل القدح فكان يشرب منه الخمر مدة حياته وتيسر له فتح بلاد خراسان وفي سنة عشرين وتسعمائة وقع بينه وبين المرحوم السلطان سليم خان قتال شديد كما مر آنفا وتوفي في سنة ثلاثين وتسعمائة وكان عمره الى يوم وفاته ثمانيا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ومدة ملكه أربع وعشرون سنة وكان مقداما شجاعا ماشيا باسلا وكان مشغولا باللعب والملاهي وترك عدة أولاد وتولى الملك أكبرهم (شاه طهماسب) وكان فيه من الرأي وحسن التدبير والحزم ما لا مزيد عليه وكان شفوقا على الرعية مراعيا لاحوال المملكة وقد وقع بينه وبين سلطان الروم وقهرمان القروم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان وقائع آل ذلك الى انهزامه وأخذ غالب بلاده ووقع بينه وبين اوزبك خان وقائع وحروب بطول شرحها حتى توفي في سابع صفر سنة أربع وثمانين وتسعمائة مسموما سمته زوجته أم حيدر في النورة

الكندي وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني وعلى الخيل عمرو بن عبد الله النهدي وعلى الرجالة مالك بن عبد الله النهدي وأقبل محمد بن الاشعث فيمن هرب من أهل الكوفة فنزل بين مصعب والمختار فلما رأى ذلك المختار بعث الى كل جيش من أهل البصرة رجلا من أصحابه وتدانى الناس فحمل سعيد بن منقذ على بكر وعبد القيس وهم في ميمنة مصعب فاقتتلوا قتالا شديدا فارسل مصعب الى المهلب ليحمل على من بازائه فقال ما كنت لاجزر الازد خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتي وبعث المختار الى عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي فحمل على من بازائه وهم أهل العالية فكشفهم فانتهوا الى مصعب فجثا مصعب على ركبته وبرك الناس عنده فقاتلوا ساعة وتحاجزوا ثم ان المهلب حمل في أصحابه على من بازائه فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم وقال عبد الله بن عمرو النهدي وكان ممن شهد صفين اللهم اني على ما كنت عليه بصفين اللهم ابرأ اليك من فعل هؤلاء لاصحابه وابرأ اليك من انفس هؤلاء يعني أصحاب مصعب ثم جالد بسيفه حتى قتل وانفضت أصحاب المختار كانهم اجمة قصب فيها نار وحمل مالك بن عبد الله النهدي وهو على الرجالة ومعه نحو خمسين رجلا وذلك عند المساء على أصحاب ابن الاشعث حملة منكرة فقتل ابن الاشعث وقتل عامة أصحابه وقاتل المختار على فم سكة شبث عامة ليلته وقاتل معه رجال من أهل البأس وقاتلت معه همدان أشد قتال فتفرق الناس عن المختار فقال له من معه أيها الامير اذهب الى القصر فجاء حتى دخله فقال له بعض أصحابه الم تكن وعدتنا الظفر وانا سنهزمهم فقال اما قرأت في كتاب الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب فقيل ان المختار أول من قال بالبداء فلما أصبح مصعب اقبل يسير فيمن معه نحو السبخة فمر بالمهلب فقال له المهلب يا له فتحا ما أهنأه لو لم يقتل محمد بن الاشعث قال صدقت ثم قال مصعب للمهلب ان عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل فاسترجع المهلب فقال مصعب قد كنت أحب ان يشهد هذا الفتح أتدري من قتله انما قتله من يزعم انه شيعة لابيه ثم نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وقاتلهم المختار وأصحابه قتالا ضعيفا واجترأ الناس عليهم فكانوا اذا خرجوا رماهم الناس من فوق البيوت وصبوا عليهم الماء القذر وكان أكثر معاشهم من النساء تأتي المرأة متخفية ومعها القليل من الطعام والشراب الى أهلها ففطن مصعب بالنساء فمنعهن فاشتد على المختار وأصحابه العطش وكانوا يشربون ماء البئر يعملون فيه العسل فكان ذلك ما يروي بعضهم ثم ان مصعبا أمر أصحابه فاقتربوا من القصر واشتد الحصار عليهم فقال لهم المختار ويحكم ان الحصار لا يزيدكم الا ضعفا فانزلوا بنا فنقاتل حتى نقتل كراما ان نحن قتلنا فوالله ما انا بآيس ان صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا ولم يفعلوا فقال لهم اما انا فوالله لا أعطي بيدي ولا احكمكم في نفسي واذا خرجت فقتلت لم تزدادوا الا ضعفا وذلا فان نزلتم على حكمهم وثب اعداؤكم فقتلوكم وبعضكم ينظر الى بعض فتقولون يا ليتنا أطعنا المختار ولو انكم خرجتم معي كنتم ان اخطأتم الظفر متم كراما فلما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة ما عزم عليه المختار تدلى من القصر فلحق بناس من اخوانه فاختفى عندهم ثم ان المختار تطيب وتحنط وخرج من القصر في تسعة عشر رجلا منهم السائب بن مالك الاشعري وكانت تحته عمرة بنت أبي موسى الاشعري فولدت له غلاما اسمه محمد فلما أخذ القصر وجد صبيا فتركوه فلما خرج المختار

وتولى مكانه (الوندميرزا) فخرج عند ذلك شاه اسمعيل وأتى الى لاهيجان وكان بها شيعة من احباء والده فهيئوه وشيعوه وعلموه الرفض وعضدوه بالنصر وقالوا الآن نحن قليل مستضعفون ولابيك احباء في بعض بلاد الروم وعرفوه مكانهم فارسل اليهم واتفق معهم فان أطاعوك وتبعوا واعتدلت فاتتهم الينا فترى منا ما يسرك ويشرح به صدرك فسار شاه اسمعيل الى الروم واستصحب بعضا من الخلق معه وعاد الى لاهيجان وفي اواسط محرم سنة خمس وتسعمائة توجه شاه اسمعيل من لاهيجان بطائفة من العسكر فقصد بلاد أذربيجان وغلب على صاحبها الوندميرزا بن يوسف ابن حسن الطويل وقتل عدة ماولك منهم وهم اخواله حتى استولى على بلاد اذربيجان وسمي بالشاه وخطب له على منابرها وهو أول من تجبر وطغى من هذه الطائفة وفي سنة ست وتسعمائة قصد صاحب شروان وقتله واستولى على بلاده ثم سار الى ديار بكر فقاتل صاحبها واستولى على غالب بلاده وتوجه الى العراق واستولى بغداد

الكوفة وجاء أصحابه حين اصبحوا فوقفوا مليا فلم يروا المختار فقالوا لقد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب فاختفوا بدور الكوفة وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف فوجدوا المختار في القصر فدخلوا عليه وكانوا قد قتلوا تلك الليلة من أصحاب مصعب خلقا كثيرا منهم محمد بن الاشعث واقبل مصعب فاحاط بالقصر وحاصرهم أربعة أشهر يخرج المختار كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة فلما قتل المختار بعث من في القصر يطلب الامان فأبى مصعب فنزلوا على حكمه فقتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم وكان عدة القتلى ستة آلاف رجل ولما قتل المختار كان عمره سبعا وستين سنة وكان قتله لاربع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وستين قيل ان مصعبا لقي ابن عمر فسلم عليه وقال له أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة غير ما بدا لك فقال مصعب انهم كانوا كفرة سحرة فقال والله لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا وقال ابن الزبير لعبد الله بن عباس ألم يبلغك قتل الكذاب قال ومن الكذاب قال ابن أبي عبيد قال قد بلغني قتل المختار قال كانك نكرت تسميته كذابا ومتوجع له قال ذاك رجل قتل قتلتنا وطلب ثارنا وشفى غليل صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة وقال عروة بن الزبير لابن عباس قد قتل الكذاب المختار وهذا رأسه فقال ابن عباس قد بقيت لكم عقبة كؤد فان صعدتموها فانتم أنتم والا فلا يعني عبد الملك ابن مروان وكانت هدايا المختار تأتي ابن عمر وابن الحنفية فيقبلانها وقيل رد ابن عمر هديته

(ذكر عزل مصعب بن الزبير وولاية حمزة بن عبد الله بن الزبير)

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا عن العراق بعد ان قتل المختار وولى مكانه ابنه حمزة بن عبد الله وكان حمزة جوادا مخلطا يجود احيانا حتى لا يدع شيأ يملكه ويمنع احيانا ما لا يمنع مثله وظهر منه بالبصرة خفة وضعف فيقال انه ركب يوما فرأى فيض البصرة فقال ان هذا الغدير ان رفقوا به ليكفينهم صيفتهم فلما كان بعد ذلك رآه جازرا فقال قد قلت لو رفقوا به لكفاهم وظهر منه غير ذلك فكتب الاحنف الى أبيه وسأله ان يعزله عنهم ويعيد مصعبا فعزله فاحتمل مالا كثيرا من مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال له لا ندعك تخرج بعطايانا فضمن له عبيد الله بن عبيد الله العطاء فكف عنه وشخص حمزة بالمال وأتى المدينة فاودعه رجالا فجحدوه الارجلا واحدا فوفى له وبلغ ذلك اباه فقال أبعده الله اردت ان أباهي به بني مروان فنكص وقيل ان مصعبا أقام بالكوفة سنة بعد قتل المختار معزولا عن البصرة عزله أخوه عبد الله واستعمل عليها ابنه حمزة ثم ان مصعبا وفد على أخيه عبد الله فرده على البصرة وقيل بل انصرف مصعب الى البصرة بعد قتل المختار واستعمل على الكوفة الحرث بن ابي ربيعة فكانا في عمله فعزله أخوه عن البصرة واستعمل ابنه حمزة ثم عزل حمزة بكتاب الاحنف وأهل البصرة ورد مصعبا

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس عبد الله بن الزبير وكان عامله على الكوفة والبصرة من تقدم ذكره وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وبالشام عبد الملك بن مروان وبخراسان عبد الله بن خازم * وفي هذه السنة مات الاحنف بن قيس بالكوفة مع

رضوان الله عليهم أجمعين فاقبل نحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ليظهر له المحبة فاعرض عنه الامام ولم يلتفت اليه فسأله عن سبب اعراضه فقال له الامام لبغضك لابي بكر فأقبل نحو الصديق واعتذر عنده وقبل رجليه وتاب ورجع عن بغضه اياه فبشره الصديق بالفرج من هذا المضيق بعد سنتين وعين له في شهر كذا ويوم كذا وأخبره بان يأتيه رجل يخبره بموت أبيه ويدعوه الى الملك وأوصاه بان لا يجتمع بذلك الرجل ولا يلتفت الى كلامه ثم بعد ذلك يأتيه رجل آخر في ذلك اليوم بعد الظهر فيجتمع بذلك الرجل ويصدق كلامه ويتوجه معه فلما توفي والده وتولى الملك جده ارسل من يقتله فلما قتل جده في تلك الساعة أرسلت اليه اخته فصدق كلامها وخرج واستولى على سرير الملك ورجع عن اعتقاده وصار من أهل السنة والجماعة وقتل غالب الروافض وكان متجبرا متعاظما الى الغاية فتحجب عن الخلق على خلاف قاعدة اسلافه وفوض الامر الى وكيله وهو الوزير الاعظم عندهم فكل من له حاجة يعرضها

بشير الانصارية امرأته الاخرى فاحضرهما وسألهما عن المختار فقالت أم ثابت نقول فيه بقولك أنت فاطلقها وقالت عمرة رحمه الله كان عبد الله صالحا فحبسها وكتب الى أخيه عبد الله ابن الزبير انها تزعم انه نبي فأمره بقتلها فقتلت ليلا بين الكوفة والحيرة قتلها بعض الشرط ضربها ثلاث ضربات بالسيف وهي تقول يا ابتاه يا عترتاه فرفع رجل يده فلطم القاتل وقال يا ابن الزانية عذبتها ثم تشحطت فماتت فتعلق الشرطي بالرجل وحمله الى مصعب فقال خلوه فقد رأى امرا فظيعا فقال عمرو بن أبي ربيعة المخزومي في ذلك

ان من أعجب العجائب عندي * قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم * ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جر الذيول

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري في ذلك أيضا

أتى راكب بالامر ذي النبا العجب * بقتل ابنة النعمان ذي الدين والحسب
بقتل فتاة ذات دل ستيرة * مهذبة الاخلاق في الخيم والنسب
مطهرة من نسل قوم أكارم * من المؤثرين الخير في سالف الحقب
خليل النبي المصطفى ونصيره * وصاحبه في الحرب والضرب والكرب
أتاني بان الملحدين توافقوا * على قتلها لا أحسنوا القتل والسلب
فلا هنأت آل الزبير معيشة * وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب
كأنهم اذ أبرزوها وقطعت * بأسيافهم فازوا بمملكة العرب
ألم تعجب الاقوام من قتل حرة * من المحصنات الدين محمودة الادب
من الغافلات المؤمنات بريئة * من الذم والبهتان والشك والكذب
علينا دبات القتل والبأس واجب * وهن العفاف في الحجال وفي الحجب
على دين اجدادلها وابوة * كرام مضت لم تخز اهلا ولم ترب
من الخفرات لا خروج بزنة * ولا دمة تبغي على جارها الجنب
ولا الجار ذي القربى ولم تدر ما الخنا * ولم تزدلف يوما بسوء ولم تجب *
عجبت لها اذ كتفت وهي حية * الا ان هذا الخطب من أعجب العجب

وقيل ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وان مصعبا لما سار اليه فبلغه مسيره ارسل اليه أحمر بن شميط وأمره ان يواقعه بالمذار وقال ان الفتح بالمذار لانه بلغه ان رجلا من ثقيف يفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظن انه هو وانما كان ذلك للحجاج في قتال عبد الرحمن بن الاشعث وأمر مصعب عبادا الحطمي بالمسير الى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علي بن أبي طالب وبقي مصعب على نهر البصريين وخرج المختار في عشرين ألفا وزحف مصعب ومن معه فوافوه مع الليل فقال المختار لاصحابه لا يبرحن أحد منكم حتى يسمع مناديا ينادي يا محمد فاذا سمعتموه فاحملوا فلما طلع القمر أمر مناديا فنادى يا محمد فحملوا على اصحاب مصعب فهزموهم وأدخلوهم عسكرهم فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده احد وأصحابه قد اوغلوا في أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزما حتى دخل قصر

وكان مغترا في مأكله ومشربه من هذه الجهة فاتفق ان دخل الحمام فتنور بغسل السم في النورة فتقطعت مذاكيره فدعا * ابنه حيدرا فقال لم فعلت بي هذا يا حيدر ولم صبرت على حياتك ملكت ووصلت الى ما رمت فهل تتمتع بعدي فلما مات أخذت بنته بيري خان خانم أخيها حيدر فقالت يا أخي ادخل الى الخزانة وانظر الى ما فيها فان الملك لا يتم الا بالمال وكانت دست فيها رجالا مسلحين فهجموا عليه فقتلوه وأخرجت جنازته مع جنازة أبيه طهماسب وكانت مدة ملك طهماسب المذكور أربعا وخمسين سنة ثم ركبت بيري خان وسارت الى أخيها اسمعيل وكان محبوسا في قلعة الموت مدة حياة أبيه وهي خمس وعشرون سنة وكانت هي واسمعيل من أب واحد وأم واحدة فعمدت اليه فاخرجته وفوضت الامر اليه جميعا ثم ان اسمعيل قتلها ولم يمهلها وكان اسمعيل المذكور شيعيا ثم صار سنيا وسببه انه ذات يوم ضاق صدره وهو محبوس فاراد ان يقتل نفسه فغلب عليه النوم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه الاربعة

في اثرهم بجدابر جوان يلحقهم قبل ان يدخلوا العراق وخرج مصعب فعسكر عند الجسر الاكبر وعسكر الناس معه وبلغ الخوارج وهم بالاهواز اقبال عمر اليهم وان مصعبا قد خرج من البصره اليهم فقال لهم الزبير بن الماحوز من سوء الرأى وقوعكم بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا الى عدونا نلقهم من وجه واحد فسار بهم فقطع بهم أرض جوخى والنهروانات فأتى المدائن وبها كردم بن مرثد الفزارى فشنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان ويشقون اجواف الحبالى فهرب كردم وأقبلوا الى ساباط ووضعوا السيف فى الناس يقتلون وارسلوا جماعة الى الكرخ فلقوا أبابكر بن مخنف فقاتلهم قتالا شديدا فقتل أبو بكر وانهزم أصحابه وافسد الخوارج فى الارض فأتى أهل الكوفة أميرهم وهو الحرث بن أبى ربيعة ولقبه القباع فصاحوا به وقالوا اخرج فان العدو قد أطلنا ليست له بقية فخرج حتى نزل النخيلة فاقام اياما فوثب اليه ابراهيم بن الاشتر فحثه على المسير فسار حتى نزل دير عبد الرحمن فاقام به حتى دخل اليه شبث بن ربعى فأمره بالمسير فلما رأى الناس بطء مسيره رجزوا به فقالوا

سار بنا القباع سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

فسار من ذلك المكان فكان كلما نزل منزلا أقام به حتى يصيح به الناس فبلغ الفرات فى بضعة عشر يوما فأتاها وقد انتهى اليها الخوارج فقطعوا الجسر بينهم وبينه واخذوا رجلا اسمه سماك بن يزيد ومعه بنت له فاخذوها ليقتلوها فقالت لهم يا أهل الاسلام ان أبى مصاب فلا تقتلوه وأما أنا فجارية والله ما أتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لى ولا تطلعت ولا تشرفت قط فلما أرادوا قتلها سقطت ميتة فقطعوها بأسيافهم وبقى سماك معهم حتى اشرفوا على الصراة فاستقبل أهل الكوفة فناداهم اعبروا اليهم فانهم قليل خبيث فضربوا عنقه وصلبوه فقال ابراهيم بن الاشتر للحرث اندب معى الناس حتى أعبر الى هؤلاء الكلاب فأجيئك برؤسهم فقال شبث واسماء بن خارجة ويزيد بن الحرث ومحمد بن عمير وغيرهم أصلح الله الامير دعهم فليذهبوا وكانهم حسدوا ابراهيم فلما رأى الخوارج كثرة الناس قطعوا الجسر واغتنم ذلك الحرث فحبس ثم جلس للناس فقال اما بعد فان أول القتال الرمية بالنبل واشراع الرماح والطعن ثم الطعن شزرا ثم السلة آخر ذلك كله فقال له رجل قد أحسن الامير الصفة ولكن متى نصنع هذا وهذا البحر بيننا وبينهم فرمر بهذا الجسر فليعقد ثم عبرنا اليهم فان الله سيريك ما تحب فعقد الجسر وعبر الناس فطارد الخوارج حتى أتوا المدائن وطاردت بعض خيلهم عند الجسر طرادا ضعيفا فرجعوا فاتبعهم الحرث عبد الرحمن بن مخنف فى ستة آلاف ليخرجهم من أرض الكوفة وقال له اذا وقعوا فى أرض البصرة فاتركهم فسار عبد الرحمن يتبعهم حتى وقعوا فى أرض اصبهان فرجع عنهم ولم يقاتلهم وقصدوا الرى وعليها يزيد بن الحرث بن رويم الشيبانى فقاتلهم فأعان أهل الرى الخوارج فقتل يزيد وهرب ابنه حوشب ودعاه أبوه ليدفع عنه فلم يرجع فقال بعضهم

فلو كان حرا حوشب ذا حفيظة * رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

يعنى ان عيسى بن مصعب لم يفر عن أبيه بل قاتل عنه معه حتى قتل وقال بشر بن مروان يوما وعنده حوشب هذا وعكرمة بن ربعى من يدلنى على فرس جواد فقال عكرمة فرس حوشب

مرادخان أيده الله تعالى واستقر على قاعدة أخيه من الخلاف ووقوع النزاع والقتال بين الفئتين وآل ذلك الى دخول وهجوم عساكر الروم الى بلاد العجم وعاثوا فيها نهبا وتخريبا وسبيا وقتلا كما مر آنفا وانجلى الامر عن استيلائهم على غالب بلاد العجم والآن وقع الصلح بينهما ولله الحمد وكان محمد خدابنده هذا أعمى لا يبصر شيأ ولذلك أخره أخوه شاه اسمعيل عن القتل مع انه قتل من يصلح للسلطنة من أولاد طهماسب فاقتضت الحكمة الربانية انه تسلطن سنين عديدة وتولى الملك بعده (شاه عباس) بن خدابنده وهو اليوم صاحب بلاد العجم

(الباب الثالث والستون فى ذكر دولة الازبكية والدوسة البشبكية)

ماوك ماوراء النهر وخراسان فهو (أوزبك) بن طقطاى القاآن بن القاآن صاحب بلاد اوزبك ومملكته من بحر القسطنطينية الى نهر أرس مسافة ثمانمائة فرسخ وعرضها من باب الابواب مدينة بلغار نحو ستمائة فرسخ ولكن أكثر ذلك مراعى وقرى واهيا

مصعب وقيل مات سنة احدى وسبعين بالكوفة لما سار مصعب الى قتال عبد الملك بن مروان وقتل هبيرة بن مريم مولى الحسين بن على بالخازر وهو من أصحاب المختار وثقات المحدثين * وفيها توفى جنادة بن أبى أمية وادرك الجاهلية وليست له صحبة وقتل مصعب عبد الرحمن وعبد الرب ابنى حجر بن عدى وعمران بن حذيفة بن اليمان قتلهم صبرا بعد قتل المختار وبعد قتل أصحابه

(ثم دخلت سنة ثمان وستين)

(ذكر عزل حمزة وولاية مصعب البصرة)

وفى هذه السنة ردّ عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا الى العراق وسببه ان الاحنف رأى من حمزة ابن عبد الله اختلاطا وحمقا فكتب الى أبيه فعزله ورد مصعبا واستعمل على الكوفة الحرث ابن أبى ربيعة وقيل كان سبب عزله حمزة انه قصر بالاشراف وبسط يده ففزعوا الى مالك بن مسمع فضرب خيمته على الجسر ثم أرسل الى حمزة الحق بابيك واخرجه عن البصرة فقال العديل العجلى

اذا ما خشينا من أمير ظلامة * دعونا ابا سفيان يوما فعسكرا

(ذكر حروب الخوارج بفارس والعراق)

فى هذه السنة استعمل مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس وولاه حرب الازارقة وكان المهلب على حربهم ايام مصعب الاولى وايام حمزة بن عبد الله بن الزبير فلما عاد مصعب أراد ان يولى المهلب بلاد الموصل والجزيرة وارمينية ليكون بينه وبين عبد الملك بن مروان فكتب اليه وهو بفارس فى القدوم عليه فقدم واستخلف على عمله ابنه المغيرة ووصاه بالاحتياط وقدم البصرة فعزله مصعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس واستعمل عليهما عمر بن عبيد الله بن معمر فلما سمع الخوارج به قال قطرى بن الفجاءة قد جاءكم شجاع وهو شجاع وبطل وجاء يقاتل لدينه وملكه بطبيعة لم أر مثلها لاحد ما حضر حربا الا كان أوّل فارس يقتل قرنه وكان الخوارج قد استعملوا عليهم بعد قتل عبيد الله بن الماحوز الزبير بن الماحوز على ماذكرنا سنة خمس وستين فجاءت الخوارج الى اصطخر فقدم اليهم عمر ابنه عبيد الله فى خيل فاقتتلوا فقتل عبيد الله بن عمر وأراد الزبير بن الماحوز قتال عمر فقال له قطرى ان عمر موتور فلا تقاتله فابى فقاتله فقتل من فرسان الخوارج تسعون رجلا وطعن عمر صالح بن مخارق فشتر عينه وضرب قطريا على جبينه فثلقه وانهزمت الخوارج وسار والى سابور فقاد عمر واقيهم بها ومعه مجاعة بن سعر فقتل مجاعة بعمود كان معه اربعة عشر رجلا من الخوارج وكاد عمر يهلك فى هذه الوقعة فدافع عنه مجاعة فوهب له عمر تسعمائة ألف درهم فقيل فى ذلك

قد ذدت عادية الكتيبة عن فتى * قد كاد يترك لحمه اقطاعا

وظهر عليهم فساروا وقطعوا القنطرة بينهم ما يمتنع من طلبهم وقصدوا نحو اصبهان فاقاموا عندها حتى قووا واستعدوا ثم اقبلوا حتى مروا بفارس وبها عمر فقطعوها فى غير الموضع الذى هم به اخذوا على سابور ثم على أرّجان حتى أتوا الاهواز فقال مصعب العجب لعمر قطع هذا العدوّ الذى هو بصدد محاربته أرض فارس فلم يقاتلهم ولو قاتلهم وفرّ كان اعذر له وكتب اليه يا ابن معمر ما انصفتنى تجبى الفئ وتحيد عن العدو فلا كفنى أمرهم فسار عمر من فارس

الى الوكيل فيرفعه الوكيل اليه وكان يرى منه حالات كثيرة من الشجاعة والشهامة وكان يخاف منه أهل البلاد فلما تولى الملك صار احجب الخلق وعجز عن ضبط المملكة وكان أخوه محمد خدابنده بخراسان ما أطاعه وكذلك أكثر القبائل هنالك وكان عمره جاوز خمسين سنة وتوفى فى ثالث عشر رمضان سنة خمس وثمانين وتسعمائة مسموما لانه كان يتعاطى أكل الترياق ويبالغ فيه دسوه فى الترياق فمات وقيل هجم عليه خواص ملكه فى صورة النساء فقتلوه لانه كان متغضبا على عسكر أبيه حيث يزعم انهم صاروا سببا لحبسه فشرع فى قتلهم حتى بلغ من قتل ثلاثين الفا وكان يقول اذا تجدد رأس الخيمة ينبغى ان تجدد الاطناب أيضا فأبغضوه وملوا منه ثم تولى الملك بعده أخوه الكبير صاحب خراسان (محمد خدابنده) بن طهماسب فلما بلغه موت أخيه قدم من خراسان الى قزوين واستقر على سرير الملك وكان يرى منه الخير والعدل ثم ظهر منه ما يخالف ذلك وطغى وتجبر عن قبول الهدنة بينه وبين السلطان

فيا

فى هذه السنة قتل عبيد الله بن الحر الجعفى وكان من خيار قومه صلاحا وفضلا واجتهادا فلما قتل عثمان ووقعت الحرب بين على ومعاوية قصد معاوية فكان معه لمحبته عثمان وشهد معه صفين هو ومالك بن مسمع وأقام عبيد الله عند معاوية وكان له زوجة بالكوفة فلما طالت غيبته زوجها أخوها رجلا يقال له عكرمة بن الخبيص وبلغ ذلك عبيد الله فاقبل من الشام فخاصم عكرمة الى على فقال له ظاهرت علينا عدونا فقال له ايمنعنى ذلك من عدلك قال لا فقص عليه قصته فرد عليه امرأته وكانت حبلى فوضعها عند من يثق اليه حتى وضعت فالحق الولد بعكرمة ودفع المرأة الى عبيد الله وعاد الى الشام فاقام به حتى قتل على فلما قتل اقبل الى الكوفة فاتى اخوانه فقال ما أرى احدا ينفعه اعتزاله كنا بالشام فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقالوا وكان من أمر على كيت وكيت وكانوا يلتقون بذلك فلما مات معاوية وقتل الحسين بن على لم يكن عبيد الله فيمن حضر قتله يغيب عن ذلك تعمدا فلما قتل جعل ابن زياد يتفقد الاشراف من أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه فقال له أين كنت يا ابن الحر قال كنت مريضا قال مريض القلب أم مريض البدن فقال اما قلبى فلم يمرض واما بدنى فقد من الله على بالعافية فقال ابن زياد كذبت ولكنك كنت مع عدونا فقال لو كنت معه لرؤى مكانى وغفل عنه ابن زياد فخرج فركب فرسه ثم طلبه ابن زياد فقالوا ركب الساعة فقال على به فاحضر الشرط خلفه فقالوا اجب الامير فقال ابلغوه عنى انى لا آتيه طائعا ابدا ثم اجرى فرسه واتى منزل احمد بن زياد الطائى فاجتمع اليه اصحابه ثم خرج حتى اتى كربلاء فنظر الى مصارع الحسين ومن قتل معه فاستغفر لهم ثم مضى الى المدائن وقال فى ذلك

يقول أمير غادر وابن غادر * الا كنت قاتلت الحسين بن فاطمه
ونفسى على خذلانه واعتزاله * وبيعة هذا الناكث العهد لائمه
فيا ندمى ان لا أكون نصرته * الا كل نفس لا تسدد نادمه
وانى لانى لم أكن من حماته * لذو حسرة ان لا تفارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تبادروا * الى نصره سحا من الغيث دائمه
وقفت على أجداثهم ومحالهم * فكاد الحشا ينقض والعين ساجمه
لعمرى لقد كانوا مصاليت فى الوغى * سراعا الى الهيجا حماة خضارمه
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم * باسيافهم آساد غيل ضراغمه
فان يقتلوا فى كل نفس بقية * على الارض قد اضحت لذلك واجمه
وما ان رأى الراؤن أفضل منهم * لدى الموت سادات وزهر قماقمه
يقتلهم ظلما ويرجو ودادنا * فدع خطة ليست لنا بملائمه
لعمرى لقد راغمتمونا بقتلهم * فكم ناقم منا عليكم وناقمه
اهم مرارا ان اسير بجحفل * الى فئة زاغت عن الحق ظالمه
فكفوا والا ذدتكم فى كتائب * أشد عليكم من زحوف الديالمه

وأقام ابن الحر بمنزلة على شاطئ الفرات الى ان مات يزيد ووقعت الفتنة فقال ما أرى قرشيا ينصف اين ابناء الحرائر فاتاه كل خليع ثم خرج الى المدائن فلم يدع مالا قدم به للسلطان الا أخذ

تركستان ثم وصل الى خدمة السلطان أحمد ميرزا ابن السلطان أبى سعيد حاكم ماوراء النهر فوقع بينهما منافرة آلت الى مفارقته فرجع الى تركستان وجمع العساكر وهجم على السلطان أحمد ميرزا المذكور وأخذ بعض بلاده ولما مات السلطان حسين ميرزا حاكم خراسان وقعت المخالفة بين أولاده فهجم عليهم واستولى على بلاد خراسان وفى سنة ست وتسعمائة جمع الجموع الشاه اسمعيل وحاربه عند مدينة مرو فقتل يشبك المذكور وجعل جمجمة رأسه مثل القدح فكان يشرب فيه الخمر مدة حياته وكان يشبك نقاشا ماهرا وكان حسن الخط ولما قتل يشبك خان هجم عبيد الله خان ابن السلطان محمود ابن أخى يشبك خان المذكور وتحارب مع الشاه اسمعيل وانتصف منه وهذا ما انتهى الينا من اخبارهم

(الباب الرابع والخمسون فى ذكر السلاطين المتقدمين والاساطين المقدمين وفيه عدة فصول)

(الفصل الاول فى ذكر ملوك الفرس الاولى والثانية وسيرهم المتوافقة والمتباينة)

فانه شجاع عليه يوم الري وقال بشر أيضا يوما من يدلني على بغلة قوية الظهر فقال حوشب بغلة واصل بن مسافر وكان عكرمة يتهم بامرأة واصل فتبسم بشر وقال لقد انتصفت ولما فرغ الخوارج من الري انحطوا الى أصبهان فحاصروها وبها عتاب بن ورقاء فصبر لهم وكان يقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والحجارة وكان مع عتاب رجل من حضرموت يقال له أبو هريرة فكان يحمل عليهم ويقول

كيف ترون يا كلاب النار ✽ شد أبي هريرة الهرار
يهركم بالليل والنهار ✽ يا ابن أبي ماحوز والاشرار
✽ كيف ترى حربي على المضمار ✽

فلما طال ذلك على الخوارج كمن له رجل منهم ذات يوم فضربه بالسيف على حبال عاتقه فصرعه فاحتمله أصحابه وداووه حتى برأ وخرج اليهم على عادته ثم ان الخوارج أقامت عليهم أشهرا حتى نفدت اطعمتهم واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد فقال لهم عتاب أيها الناس قد نزل بكم من الجهد ما ترون وما بقي الا ان يموت أحدكم على فراشه فيدفنه أخوه ان استطاع ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه والله ما أنتم بالقليل وانكم الفرسان الصلحاء فاخرجوا بنا الى هؤلاء وبكم قوة وحياة قبل ان تضعفوا عن الحركة من الجهد فوالله اني لارجو ان صدقتموهم أن تظفروا بهم فاجابوه الى ذلك

✽(ذكر قتل ابن الماحوز وامارة قطري بن الفجاءة)✽

لما أمر عتاب أصحابه بقتال الخوارج وأجابوه الى ذلك جمع الناس وأمر لهم بطعام كثير ثم خرج حين أصبح فأتى الخوارج وهم آمنون فحملوا عليهم فقاتلوهم حتى أخرجوهم من عسكرهم وانتهوا الى الزبير بن الماحوز فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل وانحازت الازارقة الى قطري بن الفجاءة المازني وكنيته أبو نعامة فبايعوه وأصاب عتاب وأصحابه من عسكره ما شاؤا وجاء قطري فنزل في عسكر الزبير ثم سار عن اصبهان وتركها وأتى ناحية كرمان وأقام بها حتى اجتمعت اليه جموع كثيرة وجبى المال وقوي ثم أقبل الى اصبهان ثم أتى الى أرض الاهواز فاقام بها والحرث بن أبي ربيعة عامل مصعب على البصرة فكتب الى مصعب يخبره بالخوارج وانهم ليس لهم الا المهلب فبعث الى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فامره بقتال الخوارج وبعث الى الموصل ابراهيم بن الاشتر وجاء المهلب الى البصرة وانتخب الناس وسار بهم نحو الخوارج ثم اقبلوا اليه حتى التقوا بسولاف فاقتتلوا بها ثمانية أشهر اشد قتال رآه الناس

✽(ذكر حصار الري)✽

وفيها أمر مصعب عتاب بن ورقاء الرياحي عامله على اصبهان بالمسير الى الري وقتال أهلها لمساعدتهم الخوارج على يزيد بن الحرث رويم وامتناعهم من مدينتهم فسار اليهم عتاب فنازلهم وقاتلهم وعليهم الفرخان وألح عليهم عتاب بالقتال ففتحها عنوة وغنم ما فيها وافتتح سائر قلاع نواحيها وفيها كان بالشام قحط شديد حتى انهم لم يقدروا من شدته على الغزو وفيها عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان وهو قريب قنسرين وشتى بها ثم رجع الى دمشق

✽(ذكر خبر عبيد الله بن الحر ومقتله)✽

في ايديهم ما ينيف على المائة سنة وكان أوزبك خان ذا بأس شديد وعبادة في المحراب ولما أسلم وحسن اسلامه اسلم غالب رعيته ولم يلبس سراقوجا ولا شيأ من شعارهم ولا رغب في درههم ولا في دينارهم وكان يستعمل حياصة من فولاذ من غير ذهب وكان يؤثر الفقراء ويحبهم ويتردد الى بعض مشايخ الصوفية وكان السلطان الملك الناصر قد خطب ابنته أو اخته فأجابه الى ذلك وجهزها في البحر الى الاسكندرية وتوجه القاضي كريم الدين للقائها الى الاسكندرية وعمل لها ضيافة في الميدان تحت القلعة وبعد ذلك طلعت الى القلعة وجرى من امرها ما جرى ولم يزل القاآن اوزبك على حاله الى ان خانته امدفر وامتلأ فمه وعينيه من العفر وكانت وفاته سنة اثنتين واربعين وسبعمائة ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة هذا ما وصل الينا من اخباره (واما يشبك خان) بن برق خان بن ابي الخير فينتهي نسبه الى اوزبك خان ابن طقطاي بن طغربلجه بن تقوقا آن بن باتوى بن جوجي بن جنكزخان وكان بلاده وحاله في بلاد

قد قلبت لكم ظهر المجن واظهرت لهم العداوة ولا قوة الا بالله وخرج عن الكوفة وحاربهم
واغار فارسل اليه مصعب سيف بن هانئ المرادى فعرض عليه خراج بادوريا وغيرها ويدخل
فى الطاعة فلم يجب الى ذلك فبعث اليه مصعب الابرد بن قرة الرياحى فقاتله فهزمه عبيد الله
وضربه على وجهه فبعث اليه أيضا حريث بن يزيد فقتله عبيد الله فبعث اليه مصعب الحجاج
ابن جارية الخثعمى ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهما فهزمهما فارسل اليه مصعب
يدعوه الى الامان والصلة وان يوليه أى بلد شاء فلم يقبل وأتى نرسى ففر دهقانها بمال الفلوجة
فتبعه ابن الحر حتى عين تمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى فالتجأ اليهم الدهقان
فخرجوا الى عبيد الله فقاتلوه وافاهم الحجاج بن جارية الخثعمى فحمل على عبيد الله فأسره
عبيد الله واسر أيضا بسطام بن مصقلة وناسا كثيرا وبعث ناسا من اصحابه فأخذوا المال الذى
مع الدهقان واطلق الاسرى ثم ان عبيد الله أتى تكريت فاقام يجبى الخراج فبعث اليه مصعب
الابرد بن قرة الرياحى والجون بن كعب الهمدانى فى الف وامدهم المهلب بيزيد بن المغفل
فى خمسمائة فقال لعبيد الله رجل من أصحابه قد أتاك جمع كثير فلا تقاتلهم فقال

يخوفنى بالقتل قومى وانما * أموت اذا جاء الكتاب المؤجل
لعل القنا تدلى باطرافها الغنى * فنحيى كراما نجتدى ونؤمل
ألم تران الفقر يزرى باهله * وان الغنى فيه العلى والتجمل
وانك الا تركب الهول لا تنل * من المال ما يرضى الصديق ويفضل

وقاتلهم عبيد الله يومين وهو فى ثلثمائة ولما كان عند المساء تحاجزوا وخرج عبيد الله من
تكريت وقال لاصحابه انى سائر بكم الى عبد الملك بن مروان فتجهزوا وقال انى خائف ان
اموت ولم اذعر مصعبا واصحابه وساروا نحو الكوفة فبلغ كسكر فاخذ بيت مالها ثم أتى الكوفة
فنزل بحمام جرير فبعث اليه مصعب عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتله فخرج الى دير الاعور وبعث
اليه مصعب حجار بن ابجر فانهزم حجار فشتمه مصعب وضم اليه الجون بن كعب الهمدانى وعمر
ابن عبيد الله بن معمر فقاتلوه باجمعهم وكثرت الجراحات فى عسكر عبيد الله بن الحر وعقرت
خيولهم وانهزم حجار ثم رجع فقتلوا قتالا شديدا حتى امسوا وخرج ابن الحر من الكوفة
وكتب مصعب الى يزيد بن الحرث بن رويم الشيبانى وهو بالمدائن يأمره بقتال ابن الحر فقدم
ابنه حوشبا فلقيه بباجسرى فهزمه عبيد الله وقتل فيهم واقبل ابن الحر الى المدائن فتحصنوا منه
فخرج عبيد الله فوجه اليه الجون بن كعب الهمدانى وبشر بن عبد الله الاسدى فنزل الجون
بحولايا وقدم بشر الى تامرا فلقى ابن الحر فقتله ابن الحر وهزم أصحابه ثم اتى الجون بن كعب
بحولايا فخرج اليه عبد الرحمن بن عبد الله فقتله ابن الحر وهزم اصحابه وخرج اليه بشير بن عبد
الرحمن بن بشير العجلى فقاتله بسوراء قتالا شديدا فرجع عنه بشير واقام ابن الحر بالسواد يغير
ويجبى الخراج ثم لحق بعبد الملك بن مروان فلما صار اليه أكرمه واجلسه معه على السرير
وأعطاه مائة ألف درهم واعطى أصحابه مالا فقال له ابن الحر وجه معى جندا أقاتل بهم مصعبا
فقال له سر باصحابك وادع من قدرت عليه وانا ممدك بالرجال فسار باصحابه نحو الكوفة فنزل
بقرية الى جانب الانبار فاستأذنه اصحابه فى اتيان الكوفة فأذن لهم وأمرهم ان يخبروا أصحابه

العالم وكانت مدة ملك
كيومرث مائتى سنة وثلاثا
وعشرين سنة وعمره ألف
سنة وكان فى عهد آدم عليه
السلام ولما مات بقيت
الدنيا بغير ملك زمانا طويلا
وقد نقل عنه اشياء يأباها
العقل واختلفوا فى مدة
ملك الفيشداذية وعددهم
فاوردنا منها ما يقرب الى
الذهن صحته وهم تسعة
أنفار أولهم (هوشنج) تولى
الملك بعد وفاة كيومرث فى
عهد آدم عليه السلام وهو
اول من رتب الملك ونظم
الاعمال ووضع الخراج وكان
ملكه اربعين سنة وهو الذى
بنى بابل والسوس وكان
فاضلا محمود السيرة والسياسة
ونزل الهند وتنقل فى البلاد
وعقد على رأسه التاج
وجلس على سرير الملك كذا
ذكره صاحب المختصر فى
اخبار البشر وفى نظام
التواريخ ان اول الملوك
كيومرث وهو الذى ابتنى
مدينة اصطخر ومدينة
دماوند وهو أول من بنى
وسكن الدور وكانوا قبل
ذلك يسكنون الكهوف
والمغاير وكان ملكه قريبا
من مائتين وأربعين سنة
وعمره ألف سنة كما مر وولى
بعده (طهمورث) وهو سبط

منه عطاءه وعطاء أصحابه ويكتب لصاحب المال بذلك ثم جعل ينقص الكرر على مثل ذلك الا انه لم يتعرض لمال أحد ولا ذمة فلم يزل كذلك حتى ظهر المختار وسمع مايعمل في السواد فاخذ امرأته فحبسها فاقبل عبيد الله في اصحابه الى الكوفة فكسر باب السجن واخرجها واخرج كل امرأة فيه وقال في ذلك

الم تعلمي ياام توبة انني * انا الفارس الحامي حقائق مذحج
واني صبحت السجن في سورة الضحى * بكل فتى حامي الذمار مدجج
فما ان برحنا السجن حتى بدالنا * جبين كقرن الشمس غير مشنج
وخد اسيل عن فتاة حيية * الينا سقاها كل دان مثجج
فما العيش الا ان ازورك آمنا * كعادتنا من قبل حربي ومخرجي
ومازلت محبوسا لحبسك واجما * واني بما تلقين من بعده شجي

وهي طويلة وجعل يبعث بعمال المختار واصحابه فأحرقت همدان داره ونهبوا ضيعته فسار عبيد الله الى ضياع همدان فنهبها جميعها وكان يأتي المدائن فيمر بعمال جوخى فيأخذ مامعهم من المال ثم يميل الى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار وقيل انه بايع المختار بعد امتناع واراد المختار ان يسطو به فامتنع لاجل ابراهيم بن الاشتر ثم سار مع ابن الاشتر الى الموصل ولم يشهد معه قتال ابن زياد اظهر المرض ثم فارق ابن الاشتر واقبل في ثلثمائة الى الانبار فاغار عليها واخذ مافي بيت مالها فلما فعل ذلك امر المختار بهدم داره واخذ امرأته ففعل ماتقدم ذكره وحضر مع مصعب قتال المختار وقتله فلما قتل المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية انا لانأمن ان يثب ابن الحر بالسواد كما كان يفعل بابن زياد والمختار فحبسه فقال

فمن مبلغ الفتيان ان اخاهم * اتى دونه باب شديد وحاجبه
بمنزلة ماكان يرضى بمثلها * اذا قام عنته كبول تجاذبه
على الساق فوق الكعب اسود صامت * شديد يداني خطوه ويقاربه
وما كان ذا من عظم جرم جرمته * ولكن سعى الساعي بما هو كاذبه
وقد كان في الارض العريضة مسلك * وأي امرئ ضاقت عليه مذاهبه

وقال

باي بلاء ام باية نعمة * تقدم قبلي مسلم والمهلب

يعني مسلم بن عمرو والد قتيبة والمهلب بن ابي صفرة وكلم عبيد الله قوما من وجوه مذحج ليشفعوا له الى مصعب وارسل الى فتيان مذحج وقال البسوا السلاح واستروه فان شفعهم مصعب فلا تعترضوا لاحد وان خرجوا ولم يشفعهم فاقصدوا السجن فاني ساعينكم من داخل فلما شفع اولئك النفر فيه شفعهم مصعب واطلقه فأتى منزله وأتاه الناس يهنونه فقال لهم ان هذا الامر لايصلح الا بمثل الخلفاء الماضين الاربعة ولم نر لهم فينا شبيها فنلقي اليه أزمتنا فان كان من عز بز فعلام نعقد في اعناقنا بيعة وليسوا باشجع منا لقاء ولا اعظم مناعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاطاعة لمخلوق في معصية الله تعالى وكلهم عاص مخالف قوي الدنيا ضعيف الآخرة فعلام تستحل حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند نلقى الاسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا ثم لايعرف حقنا وفضلنا فقاتلوا عن حريمكم فاني

قال

اتفق المحققون من أصحاب التواريخ ان اول ملوك الفرس أربع طبقات الاولى الفيشدادية والثانية الكيانية والثالثة الاشغانية والرابعة الساسانية وهم الاكاسرة وكانت قاعدة ملكهم المدائن بالعراق ومدة ملكهم أربعة آلاف ومائة واحدى وثمانون سنة وشهور وهؤلاء من نسل كيومرث أولهم كيومرث وآخرهم يزدجرد المقتول في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه (الطبقة الاولى) الفيشدادية لكل واحد منهم يقال فيشداد ومعناه أول سيرة العدل وهذه الطبقة قديمة وقد نقل ان سلاطين الدنيا صنفان الصنف الاول قبل نبينا والصنف الثاني بعد ظهور الاسلام وفي سير الملوك للغزالي رحمه الله ان آدم عليه السلام لما كثرت أولاده وبلغ عددهم أربعين ألفا اختار من جميعهم اثنين احدهما شيث عليه السلام والآخر كيومرث فولى شيثا لحفظ أمور الدين والآخرة وجعله ولي عهده واعطاه أربعين صحيفة وولى كيومرث لحفظ أمور ونظام الدين والسياسة وتعمير

ولواء لبني امية ولواء لنجدة الحروري ولم يجر بينهم حرب ولا فتنة وكان اصحاب ابن الحنفية اسلم الجماعة وكان العامل لابن الزبير على المدينة هذه السنة جابر بن الاسود بن عوف الزهري وعلى البصرة والكوفة مصعب اخوه وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم وكان عبد الملك بن مروان بالشام مشاققا لابن الزبير ومات عبد الله بن عباس سنة ثمان وستين وعمره اربع وسبعون سنة وقيل غير ذلك وفيها مات عدي بن حاتم الطائي وقيل سنة ست وستين وعمره مائة وعشرون سنة ومات ابو واقد الليثي واسمه الحرث بن مالك وفيها توفي ابو شريح الخزاعي واسمه خويلد بن عمرو وهو الكعبي (شريح بالشين المعجمة) وعبد الرحمن بن حاطب بن ابي بلتعة وقيل انه ولد زمن النبي صلى الله عليه وسلم (حاطب بالحاء المهملة وبلتعة بالباء الموحدة والتاء المثناة من فوق والعين المهملة المفتوحات)

ثم دخلت سنة تسع وستين

(ذكر قتل عمرو بن سعيد الاشدق)

في هذه السنة خالف عمرو بن سعيد عبد الملك بن مروان وغلب على دمشق فقتله وقيل كانت هذه الحادثة سنة سبعين وكان السبب في ذلك أن عبد الملك بن مروان اقام بدمشق بعد رجوعه من قنسرين ماشاء الله ان يقيم ثم سار يريد قرقيسيا وبها زفر بن الحرث الكلابي وكان عمرو بن سعيد مع عبد الملك فلما بلغ بطنان حبيب رجع عمرو ليلا ومعه حميد بن حريث الكلبي وزهير بن الابرد الكلبي فاتى دمشق وعليها عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب عنها ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنه وهدم دار ابن ام الحكم واجتمع الناس اليه فخطبهم ومناهم ووعدهم واصبح عبد الملك وقد فقد عمرا فسأل عنه فاخبر خبره فرجع الى دمشق فقاتله اياما وكان عمرو واذا أخرج حميد بن حريث على الخيل اخرج اليه عبد الملك سفيان بن الابرد الكلبي واذا أخرج عمرو زهير بن الابرد أخرج اليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل ثم ان عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا وامنه عبد الملك فخرج عمرو في الخيل الى عبد الملك فاقبل حتى اوطأ فرسه أطناب عبد الملك فانقطعت وسقط السرادق ثم دخل على عبد الملك فاجتمعا ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فلما كان بعد دخول عبد الملك باربعة أيام ارسل الى عمرو ان ائتني وقد كان عبد الملك استشار كريب بن ابرهة الحميري في قتل عمرو فقال لا ناقة لي في هذا ولا جمل في مثل هذا هلكت حمير فلما اتى الرسول عمرا يدعوه صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية فقال لعمرو يا ابا أمية انت احب الي من سمعي ومن بصري واري لك ان لا تأتيه فقال عمرو ولم قال لان تبيعا ابن امرأة كعب الاحبار قال ان عظيما من ولد اسمعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث ان يقتل فقال عمرو والله لو كنت نائما ما انبهني ابن الزرقاء ولا اجترأ علي اما اني رأيت عثمان البارحة في المنام فالبسني قميصه وكان عبد الله بن يزيد زوج ابنة عمرو ثم قال عمرو للرسول انا آتيه العشية فلما كان العشاء لبس عمرو درعا ولبس عليها القباء وتقلد سيفه وعنده حميد بن حريث الكلبي فلما نهض متوجها عثر بالبساط فقال له حميد والله لو اطعتني لم تأته وقالت له امرأته الكلبية كذلك فلم

جمشيد وتنكر خواصه عليه فقصده بعد ان كثرت اتباعه وقويت شوكته وهرب جمشيد وتبعه بيوراسب حتى ظفر به فقتله بأن وضعه بين دفتين ونشره بمنشار ثم ملك (بيوراسب الضحاك) وكان يقال له الدهاك ومعناه عشر آفات فلما عرب قيل الضحاك وملك الارض كلها وسار فيها بالجور والعسف وبسط يده بالقتل وسن الاعشار والمكوس واتخذ المغنين والملهين ويقال انه هو النمرود لعنه الله وكان اول من سن الصلب والقطع وكان على منكبيه سلعتان ويدعي انهما حيتان تضطربان اذا جاعتا فلا تسكنان حتى تطعما بدماغ انسان وكان يذبح لهما كل يوم رجلين من الذين كانوا يستحقون القتل فلما تم من كان في حبسه امر بأن يجمع من العامة من كان مجرما وغير مجرم وكانوا يقرعون القرعة على اهل الامصار والقرى فمن وقع عليه أخذوه فلم تزل الناس في هذا البلاء نحوا من خمسمائة سنة حتى اراد الله اهلاكه وكان لرجل حداد من اهل اصبهان يقال له كابي

بقدومه اضربوا اليه فبلغ ذلك القيسية فأتوا الحرث بن ابى ربيعة عامل ابن الزبير بالكوفة فسألوه ان يرسل معهم جيشا يقاتلون عبيد الله ويغتنمون الفرصة فيه بتفرق اصحابه فبعث معهم جيشا كثيفا فساروا فلقوا ابن الحر فقال لابن الحر أصحابه نحن نفر يسير وهذا الجيش لا طاقة لنا به فقال ما كنت لادعهم وحمل عليهم وهو يقول

يا لك يوما فات فيه نهبى * وغاب عنى ثقتى وصحبى

ثم عطفوا عليه فكشفوا أصحابه وحاولوا أن يأسروه فلم يقدروا على ذلك وأذن لاصحابه فى الذهاب فذهبوا فلم يعرض لهم أحد وجعل يقاتل وحده فحمل عليه رجل من باهلة يكنى أبا كدية فطعنه وجعلوا يرمونه ويكتبون عليه ولا يدنون منه وهو يقول أهذه نبل ام مغازل فلما اثخنته الجراح خاض الى معبر هنالك فدخله ولم يدخل فرسه فركب السفينة ومضى به الملاح حتى توسط الفرات فاشرفت عليه الخيل وكان معه فى السفينة نبط فقالوا لهم ان فى السفينة طلبة أمير المؤمنين فان فاتكم قتلنا كم فوثب ابن الحر ليرمى نفسه فى الماء فوثب اليه رجل عظيم الخلق فقبض على يديه وجراحاته تجرى دما وضربه الباقون بالمجاذيف فلما رأى انه يقصد به نحو القيسية قبض على الذى معه وألقى نفسه معه فى الماء فغرقا وقيل فى قتله انه كان يغشى مصعب بن الزبير بالكوفة فرآه يقدم عليه غيره فكتب الى عبد الله بن الزبير قصيدة يعاتب فيها مصعبا ويخوفه مسيره الى ابن مروان يقول فيها

ابلغ أمير المؤمنين رسالة * فلست على رأى قبيح اواربه
افى الحق ان اجفى ويجعل مصعب * وزيراله من كنت فيه احاربه
فكيف وقد آتيتكم حق بيعتى * وحقى يلوى عندكم واطالبه
وابليتكم ما لا يضيع مثله * وآسيتكم والامر صعب مراتبه
فلما استنار الملك وانقادت العدى * وادرك من ملك العراق رغائبه
جفا مصعب عنى ولو كان غيره * لاصبح فيما بيننا لا اعاتبه
لقد رابنى من مصعب ان مصعبا * ارى كل ذى غش لنا هو صاحبه
وما انا ان خليتمونى بوارد * على كدر قد غص بالماء شاربه
وما الامرء الا الذى الله سائق * اليه وما قد خط فى الزبر كاتبه
اذا قمت عند الباب ادخل مسلما * فيمنعنى ان ادخل الباب حاجبه

فحبسه مصعب وله معه معاتبات من الحبس ثم انه قال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان منها

الم تر قيسا قيس عيلان برقعت * لحاها وباعت نبلها بالمغازل

فارسل زفر بن الحرث الكلابى الى مصعب انى قد كفيتك قتال ابن الزرقاء يعنى عبد الملك ابن مروان وابن الحر يهجو قيسا ثم ان نفرا من بنى سليم أسروا ابن الحر فقال انما قلت

الم تر قيسا قيس عيلان اقبلت * وسارت الينا فى القنا والقبائل

فقتله رجل منهم يقال له عياش

(ذكر عدة حوادث)

قيل فى هذه السنة وافى عرفات أربعة ألوية لواء لابن الحنفية واصحابه ولواء لابن الزبير واصحابه

ولواء

هو ثانى ملوك الاقاليم السبعة وسلك سيرة جده وهو اول من أمر بالصوم وسبب ذلك انه ظهر الغلاء والقحط فى زمانه فامر الاغنياء بطعام واحد بعد غروب الشمس وبامساكهم فى النهار شفقة على الفقراء وايثارا عليهم بالطعام وهو اول من كتب بالفارسية وكان مطيعا لاوامر الله تعالى وكانت مدة ملكه نحو اربعين سنة ثم هلك وملك بعده (الملك جمشيد) معناه شعاع الشمس سمى بذلك لوضاءة وجهه وهو اخو طهمورث لابويه وملك جمشيد ايضا الاقاليم السبعة وسلك السيرة الصالحة المتقدمة وزاد عليها وهو اول من استخرج الحرير من ديدانه وتعلمه من الجن وكانوا مسخرين له كذا فى زبدة التواريخ ورتب الناس على طبقات كالحجاب والكتاب واحدث النيروز وجعله عيدا يتنعم الناس فيه ثم بعد ذلك بدل سيرته الصالحة بأن اظهر التكبر والجبروت على وزرائه وقواده وآثر اللذات وترك كثيرا من السياسات التى كان يتولاها بنفسه وعلم بيوراسب وكان من جملة عماله باستيحاش الناس من

قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة ودخل يحيى ومن معه على بنى مروان ومن كان من مواليهم فقاتلوا يحيى واصحابه وجاء عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفى فدفع اليه الرأس فالقاه الى الناس وقام عبد العزيز بن مروان واخذ المال فى البدر فجعل يلقيها الى الناس فلما رأى الناس الرأس والاموال تفرقوا وانتهبوا ثم امر عبد الملك بتلك الاموال فجبيت حتى عادت الى بيت المال وقيل ان عبد الملك انما امر بقتل عمرو حين خرج الى الصلاة غلامه ابن الزعيزعة فقتله والقى رأسه الى الناس ورمى يحيى بصخرة فى رأسه واخرج عبد الملك سريره الى المسجد وخرج وجلس عليه وفقد الوليد ابنه فقال والله وان كانوا قتلوه لقد ادركوا ثارهم فاتاه ابراهيم ابن عربى الكنانى فقال الوليد عندى وقد جرح وليس عليه بأس واتى عبد الملك بيحيى بن سعيد وامر به ان يقتل فقام اليه عبد العزيز بن مروان فقال جعلت فداك يا امير المؤمنين اتراك قاتلا بنى امية فى يوم واحد فامر بيحيى فحبس واراد قتل عنبسة بن سعيد فشفع فيه عبد العزيز ايضا واراد قتل عامر بن الاسود الكلبى فشفع فيه عبد العزيز وامر ببنى عمرو بن سعيد فحبسوا ثم اخرجهم مع عمهم يحيى فالحقهم بمصعب بن الزبير ثم بعث عبد الملك الى امرأة عمرو الكلبية ابعثى الى كتاب الصلح الذى كتبته لعمرو فقالت لرسوله ارجع فاعلمه ان ذلك الصلح معه فى اكفانه ليخاصمك عند ربه وكان عبد الملك وعمرو يلتقيان فى النسب فى امية هذا عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابى العاص بن امية وذاك عمرو بن سعيد بن العاص بن امية وكانت ام عمرو ام البنين بنت الحكم عمة عبد الملك ولما قتل عبد الملك مصعبا واجتمع الناس عليه دخل اولاد عمرو على عبد الملك وهم اربعة امية وسعيد واسمعيل ومحمد فلما نظر اليهم قال لهم انكم اهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم وان الذى كان بينى وبين ابيكم لم يكن حديثا ولكن كان قديما فى انفس اوليائكم على اوليائنا فى الجاهلية فاقطع بامية وكان اكبرهم فلم يقدر ان يتكلم فقام سعيد بن عمرو وكان الاوسط فقال يا امير المؤمنين ما تبغى علينا امرا كان فى الجاهلية وقد جاء الله بالاسلام فهدم ذلك ووعد جنة وحذر نارا واما الذى كان بينك وبين عمرو فانه كان ابن عمك وانت اعلم بما صنعت وقد وصل عمرو الى الله وكفى بالله حسيبا ولعمرى انك اخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الارض خير لنا من ظهره فرق لهم عبد الملك وقال ان اباكم خيرنى بين ان يقتلنى او اقتله فاخترت قتله على قتلى واما انتم فما ارغبنى فيكم واوصلنى لقرابتكم واحسن جائزتهم ووصلهم وقربهم وقيل ان خالد بن يزيد قال لعبد الملك ذات يوم عجبت كيف اصبت غرة عمرو فقال عبد الملك

ادنيته منى ليسكن روعه * واصول صولة حازم مستمكن

غضبا ومحمية لدينى انه * ليس المسىء سبيله كالمحسن

وقيل انما خلع عمرو وقتله حين سار عبد الملك نحو العراق لقتال مصعب فقال له عمرو انك تخرج الى العراق وقد كان ابوك جعل لى هذا الامر بعده وعلى ذلك قاتلت معه فاجعل هذا الامر لى بعدك فلم يجبه عبد الملك الى ذلك فرجع الى دمشق وكان من قتله ما تقدم وقيل بل كان عبد الملك قد استخلف عمرا على دمشق فخالفه وتحصن بها والله اعلم ولما سمع عبد الله بن الزبير بقتل عمرو قال ان ابن الزرقاء قتل لطيم الشيطان وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون

كانى أحسد اعوانه فلما استولى أفريدون على منازل الضحاك وجلس على سرير الملك تبع الضحاك مدة ثم أسره بدماوند فلما مثل بين يديه سأله كيف قتل جدته جمشيد قال وضعته بين دفتين وأمرت بنشره فعند ذلك غضب وأمر بأن يضعوا عمودا من حديد على فم بئر ويربطوا رجليه فى العمود ويعلقوه منكوسا وينزوا على فم البئر ففعلوا كما أمر واستدنوا المهرجان يوم قتله وكان ابراهيم الخليل عليه السلام فى أواخر أيام الضحاك وكان نمروذ عاملا من عماله استعمله على السواد وما اتصل به يمنة ويسرة وكانت مدة ملك الضحاك الف سنة ولما ملك افريدون سار فى الناس باحسن سيرة ورد جميع ما اغتصبه الضحاك على اصحابه وكان مؤثرا للعلم واهله وكان عارفا بعلم الطب والفلسفة والنجوم وكان لافريدون ثلاثة اولاد فقسم الارض بينهم اثلاثا خوفا من تفرق الشمل بعده احدهم ايرج فجعل له العراق والهند والحجاز وجعله صاحب التاج والسرير وفوض اليه الولاية على اخويه

يلتفت ومضى فى مائة من مواليه وقد جمع عبد الملك عنده بنى مروان فلما بلغ الباب اذن له فدخل فلم يزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى بلغ قاعة الدار وما معه الا وصيف له فنظر عمرو الى عبد الملك واذا حوله بنو مروان وحسان بن بحدل الكلبي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعى فلما رأى جماعتهم احس بالشر فالتفت الى وصيفه وقال انطلق الى أخى يحيى فقل له يأتينى فلم يفهم الوصيف فقال له لبيك فقال عمرو اعزب عنى فى حرق الله وناره واذن عبد الملك لحسان وقبيصة فقاما فلقيا عمرا فى الدار فقال عمرو لوصيفه انطلق الى يحيى فمره ان يأتينى فقال لبيك فقال عمرو اعزب عنى فلما خرج حسان وقبيصة أغلقت الابواب ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال هاهنا هاهنا يا أبا أمية فاجلسه معه على السرير وجعل يحادثه طويلا ثم قال يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو انا لله يا امير المؤمنين فقال عبد الملك اتطمع ان تجلس معى متقلدا بسيفك فاخذ السيف عنه ثم تحدثا ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية انك حيث خلعتنى آليت بيمين ان انا ملأت عينى منك وانا مالك لك ان أجعلك فى جامعة فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال نعم وما عسيت ان اصنع بابى امية فقال بنو مروان ابر قسم امير المؤمنين فقال عمرو وقد ابر الله قسمك يا أمير المؤمنين فاخرج من تحت فراشه جامعة وقال يا غلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو اذكرك الله يا امير المؤمنين ان تخرجنى فيها على رؤس الناس فقال عبد الملك أمكرا يا أبا أمية عند الموت لا والله ما كنا لنخرجك فى جامعة على رؤس الناس ثم جذبه جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو اذكرك الله يا أمير المؤمنين كسر عظم منى فلا تركب ما هو أعظم من ذلك فقال له عبد الملك والله لو اعلم انك تبقى على اذا أبقيت عليك وتصلح قريش لاطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان فى بلدة قط على ما نحن عليه الا اخرج أحدهما صاحبه فلما رأى عمرو انه يريد قتله قال اغدرا يا ابن الزرقاء وقيل ان عمرا لما سقطت ثنيتاه جعل يمسهما فقال عبد الملك يا عمرو أرى ثنيتك قد وقعتا منك موقعا لا تطيب نفسك لى بعدها واذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلى بالناس وأمر أخاه عبد العزيز ان يقتله فقام اليه عبد العزيز بالسيف فقال عمرو اذكرك الله والرحم ان تلى قتلى ليقتلنى من هو أبعد رحما منك فالقى السيف وجلس وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الابواب ورأى الناس عبد الملك حين خرج وليس معه عمرو فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فاقبل فى الناس ومعه ألف عبد لعمرو وناس من اصحابه كثير فجعلوا يصيحون بباب عبد الملك اسمعنا صوتك يا أبا أمية فاقبل مع يحيى حميد بن حريث وزهير بن الابرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وضرب الوليد بن عبد الملك على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربى صاحب الديوان فادخله بيت القراطيس ودخل عبد الملك حين صلى فرأى عمرا بالحياة فقال لعبد العزيز ما منعك ان تقتله فقال انه ناشدنى الله والرحم فرققت له فقال له اخزى الله امك البوالة على عقبيها فانك لم تشبه غيرها ثم اخذ عبد الملك الحربة فطعن بها عمرا فلم تجز ثم ثنى فلم تجز فضرب بيده على عضده فرأى الدرع فقال ودرع ايضا ان كنت لمعدا وأخذ الصمصامة وامر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول

يا عمرو ان لا تدع شتمى ومنقصتى * اضربك حيث تقول الهامة اسقونى

وانتفض عبد الملك رعدة فحمل عن صدره فوضع على سريره وقال ما رأيت مثل هذا قط

قتله

الحداد اربعون ولدا ولم يزالوا يذبحون من اولاده حتى لم يبق له سوى ولد واحد فلما ارادوا ذبح ذلك الولد اخذ كابى المذكور عصا طويلة وعلق بطرفها الجلد الذى يستتر به عند شغله ويتوقى به النار ورفعه وصاح فى الناس ودعاهم الى الجهاد مع الضحاك فاجتمع عنده خلق كثير وبقى ذلك العلم معظما عند الفرس ورصعوه بالجوهر وسموه درفش كابيان وجعلوه علمهم الاكبر الذى يتبركون به وهو الذى صار الى المسلمين فى وقعة القادسية وكانت الفرس لا ينشرونه الا فى أمور عظيمة ولما قوى أمر كابى قصد الضحاك فهرب منه الضحاك وسأل الناس كابى ان يتملك عليهم فابى لكونه ليس من بيت الملك فامرهم ان يملكوا أحدا من ولد جمشيد وكان (افريدون) بن اتفيان من أولاد جمشيد كان رجلا جسيما وسيما وهو من بقية العمالقة مقدار قامته سبعة ارماح وعرض صدره رمح وكان مستخفيا من الضحاك فاستبشر الناس به وولوه الامر فكان الضحاك وكان

فاجاره وارسل الى بكر بن وائل والازد فكان أول راية اتته راية بنى يشكر وأقبل عباد فى الخيل فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان الغد عدوا الى جفرة نافع بن الحرث ومع خالد رجال من تميم منهم صعصعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومرة بن محكان وغيرهم وكان أصحاب خالد جفرية ينتسبون الى الجفرة واصحاب ابن معمر زبيرية وكان من أصحاب خالد عبيد الله بن أبي بكرة وحمران بن أبان والمغيرة بن المهلب ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السلمى ووجه مصعب زحر بن قيس الجعفى مددا لابن معمر فى ألف ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبيان مددا لخالد فارسل عبيد الله الى البصرة من يأتيه بالخبر فعاد اليه فاخبره بتفرق القوم فرجع الى عبد الملك فاقتتلوا أربعة وعشرين يوما وأصيبت عين مالك بن مسمع وضجر من الحرب ومشت بينهم السفراء فاصطلحوا على ان يخرج خالد من البصرة فاخرجه مالك ثم لحق مالك بالثاج وكان عبد الملك قد رجع الى دمشق فلم يكن لمصعب همة الا البصرة وطمع ان يدرك بها خالدا فوجده قد خرج فسخط مصعب على ابن معمر وأحضر أصحاب خالد فشتمهم وسبهم فقال لعبيد الله بن أبي بكرة يا ابن مسروح انما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب فجاءت باحمر واصفر وأسود من كل كلب بما يشبهه وانما كان أبوك عبدا نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم ادعيتم ان أبا سفيان زنى بامكم والله لئن بقيت لالحقنكم بنسبكم ثم دعا حمران فقال له انما أنت ابن يهودية علج نبطى سبيت من عين التمر وقال للحكم بن المنذر بن الجارود ولعبد الله بن فضالة الزهرانى ولعلى بن اصمع ولعبد العزيز بن بشر وغيرهم نحو هذا من التوبيخ والتقريع وضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وهدم دورهم وصهرهم فى الشمس ثلاثا وحملهم على طلاق نسائهم وجمر أولادهم فى البعوث وطاف بهم فى أقطار البصرة وأحلفهم ان لا ينكحوا الحرائر وهدم دار مالك بن مسمع واخذ ما فيها فكان مما أخذ جارية ولدت له عمرو بن مصعب واقام مصعب بالبصرة ثم شخص الى الكوفة فلم يزل بها حتى خرج الى حرب عبد الملك بن مروان (المغيرة بضم الميم وبالغين والراء خالد بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين والجفرة بضم الجيم وسكون الفاء) وفى هذه السنة مات عاصم بن عمر بن الخطاب وهو جد عمر بن عبد العزيز لامه وولد قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين

(ذكر قتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمى)

فى هذه السنة قتل عمير بن الحباب بن جعدة السلمى ونحن نذكر سبب الحرب بين قيس وتغلب حتى آل الامر الى قتل عمير وكان سبب ذلك انه لما انقضى أمر مرج راهط وسار زفر بن الحرث الكلابى الى قرقيسيا على ما ذكرناه وبايع عمير مروان بن الحكم وفى نفسه ما فيها بسبب قتل قيس بالمرج فلما سير مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد الى الجزيرة والعراق كان عمير معه فلقوا سليمان بن صرد بعين الوردة وسار عبيد الله الى قرقيسيا لقتال زفر فثبطه عمير واشار عليه بالمسير الى الموصل قبل وصول جيش المختار اليها فسار اليها فلقى ابراهيم بن الاشتر بالخازر فمال عمير معه فانهزم جيش عبيد الله وقتل هو فاتى عمير قرقيسيا وصار مع زفر فجعلا يطلبان كلبا واليمانية بمن قتلوا من قيس وكان معهما قوم من تغلب يقاتلون معهما ويدلونهما وشغل عبد الملك عنهما بمصعب وتغلب عمير على نصيبين ثم انه مل المقام بقرقيسيا فاستأمن الى عبد الملك فآمنه ثم غدر به

الناس ثم ظهر (زوا) بن طهماسب وقيل زاب وهو من أولاد منوجهر فتنازع اليه الناس وطرد افراسياب عن مملكة فارس حتى رده الى بلاد الترك بعد حروب كثيرة وسار زاب المذكور باحسن سيرة حتى عمر البلاد واصلح ما كان أخربه من البلاد ووضع عن الناس الخراج سبع سنين فعمرت البلاد واستخرج للسواد نهرا وسماه الزاب وبنى على حافته مدينة وهى التى تسمى المدينة العتيقة ونقل اليها أنواع الرياحين والاشجار وهذا أول من اتخذ انواع الاطعمة وقسم الغنائم على جيوشه وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وكان لزاب بن طهماسب المذكور وزير يقال له كرشاسب من اولاد نوذر بن افريدون تولى الملك ويقال انهما اشتركا فى الملك وكان مسكنه ببابل ومدة ملكه عشرون سنة وبعض المؤرخين لم يذكره فى الملوك وهو آخر من تولى من طائفة الفيشدادية *(الطبقة الثانية الكيانية)* ولما هلك كرشاسب ملك بعده (كيقباذ) بن زاب وهو أول ملوك الكيانية سلك سيرة أبيه فى الخير وعمارة البلاد

وبلغ ذلك ابن الحنفية فقال ومن نكث فانما ينكث على نفسه يرفع له يوم القيامة لواء على قدر غدرته

(ذكر عصيان الجراجمة بالشأم)

لما امتنع عمرو بن سعيد على عبد الملك خرج أيضا قائد من قواد الضواحي في جبل اللكام واتبعه خلق كثير من الجراجمة والانباط واباق عبيد المسلمين وغيرهم ثم سار الى لبنان فلما فرغ عبد الملك من عمرو ارسل الى هذا الخارج عليه فبذل له كل جمعة الف دينار فركن الى ذلك ولم يفسد في البلاد ثم وضع عليه عبد الملك سحيم بن المهاجر فتلطف حتى وصل اليه متنكرا فاظهر له ممالأته وذم عبد الملك وشتمه ووعده ان يدله على عوراته وما هو خير له من الصلح فوثق اليه ثم ان سحيما عطف عليه وعلى اصحابه وهم غارون غافلون بجيش معه والى عبد الملك وبني امية وجند من ثقات جنده وشجعانهم كان اعدهم بمكان خفي قريب وأمر فنودي من اتانا من العبيد يعني الذين كانوا معه فهو حر ويثبت في الديوان فانفض اليه خلق كثير منهم فكانوا ممن قاتل معه فقتل الخارج ومن اعانه من الروم وقتل نفر من الجراجمة والانباط ونادى المنادي بالامان فمن بقي منهم فتفرقوا في قراهم وسد الخلل وعاد الى عبد الملك ووفى للعبيد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قتل زهير بن قيس امير افريقية وقد ذكرنا ذلك سنة اثنتين وستين وفيها حكم رجل من الخوارج بمنى وسل سيفه وكانوا جماعة فامسك الله ايديهم فقتل ذلك الرجل عند الجمرة وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على البصرة والكوفة له اخوه مصعب وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم وفيها توفي ابو الاسود الدؤلي وله خمس وثمانون سنة

(ثم دخلت سنة سبعين)

في هذه السنة اجتمعت الروم واستجاشوا على من بالشام فصالح عبد الملك ملكهم على ان يؤدي اليه كل جمعة الف دينار خوفا منه على المسلمين وفيها شخص مصعب الى مكة في قول بعضهم ومعه اموال كثيرة ودواب كثيرة فقسمها في قومه وغيرهم ونحر بدنا كثيرة وحج بالناس هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم

(ذكر يوم الجفرة)

وفي هذه السنة سار عبد الملك بن مروان يريد مصعبا فقال له خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد ان وجهتني الى البصرة واتبعتني خيلا يسيرة رجوت ان اغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا في خاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع وقيل نزل على علي بن اصمع الباهلي فارسل عمرو الى عباد بن الحصين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب قد استخلفه على البصرة ورجا ابن اصمع ان يبايعه عباد بن الحصين وقال له اني قد اجرت خالدا واحببت ان تعلم ذلك لتكون ظهرا لي فوافاه الرسول حين نزل عن فرسه فقال عباد قل له والله لا اضع لبد فرسي حتى آتيك في الخيل فقال ابن اصمع لخالد ان عبادا يأتينا الساعة ولا اقدر ان امنعك عنه فعليك بمالك بن مسمع فخرج خالد يركض قد اخرج رجليه من الركابين حتى اتى مالكا فقال اجرني

والثاني سلم وجعل له الروم وبلاد الشام ومصر والمغرب والثالث تور وجعل له الصين والترك والمشرق جميعه فلما مات افريدون وثب تور وسلم على ايرج فقتلاه واقتسما بلاده وملكا الارض ثم نشأ ابن ابن لايرج المقتول يقال له (منوجهر) بن ايران بن ايرج فحقد على عمي أبيه وجمع العسكر وتغلب على ملك جده ايرج فقوى امره وكان موصوفا بالعدل والاحسان في مملكته ويقال انه أول من حفر الخنادق وجمع آلة الحرب واول من وضع الدهقنة وجعل لكل قرية دهقانا ولما قوي منوجهر المذكور قتل عمي أبيه تور وسلم واخذ ثاره منهما ثم نشأ من ولد تور ابن افريدون المذكور (افراسياب) واليه تنسب الترك فجمع العسكر وحارب منوجهر المذكور وحاصره بطبرستان ثم اصطلحا وضربا بينهما حدا لا يتجاوزه أحد منهما وهو نهر بلخ وكان تغلب افراسياب المذكور على مملكة فارس في ايام منوجهر اثنتي عشرة سنة واكثر الفساد واخرب البلاد وطم الانهار فقحط

ثم ان قيسا تجمعت واستمدت واستعدت وعليها عمير بن الحباب واتاهم زفر بن الحرث من قرقيسيا وكان رئيس بنى تغلب والنمر ومن معهما ابن هوبر فالتقوا بالثرثار واقتتلوا اشد قتال اقتتلها الناس وانهزمت بنو عامر وكانت على مجنبة قيس وصبرت سليم واعصر حتى انهزمت تغلب ومن معها وقتل ابنا عبديشوع وغيرهما من اشراف تغلب فقال عمير بن الحباب

فدا الفوارس الثرثار نفسى * وما جمعت من أهل ومال
وان عامر عنا فاجلت * وحولى من ربيعة كالجبال
اكافحهم بهم من سليم * واعصر كالمصاعيب النهال

وقال زفر بن الحرث

الا من مبلغ عنى عميرا * رسالة ناصح وعليه زارى
اتترك حى ذى يمن وكلبا * وتجعل جدك بابك فى نزار
كمعتمد على احدى يديه * فخانته بوهن وانكسار

(يوم الفدين)

واغار عمير بن الحباب على الفدين وهى قرية على الخابور وقتل من بها من بنى تغلب فهزمهم فقال نفيع بن صفار المحاربى

لو تسأل الارض الفضاء عليكم * شهد الفدين بهلككم والصور

والصور قرية من الفدين

(يوم السكير)

وهو على الخابور ويسمى سكير العباس ثم اجتمعوا والتقوا بالسكير وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب والنمر يزيد بن هوبر فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت تغلب والنمر وهرب عمير بن جندل وهو من فرسان تغلب فقال عمير بن الحباب

وافلتنا يوم السكير ابن جندل * على سابح عوج اللبان مقابب
ونحن كررنا الخيل قدما شوازبا * دقاق الهوادى داميات الدوائر

وقال ابن صفار

صبحنا كم بهن على سكير * ولاقيتم هنالك الاقورينا

(يوم المعارك)

والمعارك بين الحضر والعقيق من أرض الموصل اجتمعت تغلب بهذا المكان فالتقوا هم وقيس فاقتتلوا به واشتد قتالهم فانهزمت تغلب وقال ابن صفار

ولقد تركنا بالمعارك منكم * والحضر والثرثار اجسادا جثا

فقال ان يوم المعارك والحضر واحد هزموهم الى الحضر وقتلوا منهم بشرا كثيرا وقال بعضهم هما يومان كانا لقيس والله أعلم والتقوا أيضا بلى فوق تكريت من أرض الموصل فتناصفوا فقيس تقول كان الفضل لنا وتغلب تقول كان الفضل لنا

(يوم الشرعبية)

ثم التقوا بالشرعبية وعلى قيس عمير بن الحباب وعلى تغلب وألفافها ابن هوبر فكان بينهم

اهلاكه فى يد العدو وخوفا من لحوق العار فى قتل ولده فكتب الى رستم فى ذلك وأرسله فى جيش كثيف فلما التقى سياوش بالعدو وانتظم الصلح بينهما من غير حرب كتب سياوش الى ابيه يخبره بأمر الصلح فلم يرض بذلك فرأى سياوش نقض العهد عارا عليه فامتنع من انفاذ أمر ابيه واجمع على الفرار الى افراسياب فلحق به بعد ان أخذ منه على نفسه الامان فاكرمه افراسياب وزوجه ابنته حتى اذا حبلت البنت من سياوش عدا افراسياب على سياوش فقتله خوفا منه على كرسيه لميل الناس اليه واجتهد افراسياب فى اسقاط الولد فلم يمكن وأمر قيران وهو اكبر امرائه وهو الذى استأمن لسياوش من افراسياب ان تكون ابنته عنده حتى اذا وضعت الحمل قتل الولد فلما ظهر الولد امتنع قيران من قتله وستر أمره فكان عند قيران حتى بلغ أشده فلما سمع كيكاوس بقتل ابنه سياوش وانه ولد له ولد من بنت افراسياب تحيل فى ذلك وارسل قوما شطارا فى زى التجار بالمال وأمرهم بسرقة ابن سياوش وزوجته فسرقوهما واحضروهما

شربه عند مولاه الريان فسقاه عمير ومن معه من الحرس خمرا حتى أسكرهم وتسلق فى السلم من حبال وخرج من الحبس وعاد الى الجزيرة ونزل على نهر البليخ بين حران والرقة فاجتمعت اليه قيس فكان يغير بهم على كلب واليمانية وكان من معه يستأو ون جوارى تغلب ويسخر ون مشايخهم من النصارى فهاج ذلك بينهم شرا لم يبلغ الحرب وذلك قبل مسير عبد الملك الى مصعب و زفر ثم ان عميرا أغار على كلب ثم رجع فنزل على الخابور وكانت منازل تغلب بين الخابور والفرات ودجلة وكانت بحيث نزل عمير امرأة من تميم ناكحة فى تغلب يقال لها أم دويل فاخذ غلام من بنى الحريش اصحاب عمير عنزا من عنها فشكت الى عمير فلم يمنع عنها فاخذوا الباقى فمانعهم قوم من تغلب فقتل رجل منهم يقال له مجاشع التغلبى وجاء دويل فشكت امه اليه وكان فارسا من فرسان تغلب فسار فى قومه وجعل يذكرهم ما تصنع بهم قيس ويشكوا اليهم ما أخذ من غنم امه فاجتمع منهم جماعة وأمروا عليهم شعيث بن مليك التغلبى واغاروا على بنى الحريش ومعهم قوم من نمير فقتل فيهم التغلبيون واستاقوا ذود الامرأة منهم يقال لها أم الهيثم فمانعهم القيسيون فلم يقدروا على منعهم فقال الاخطل

فان تسألونا بالحريش فاننا * منينا بنوك منهم وفجور
غداة تحامتنا الحريش كانها * كلاب بدت انيابها الهرير
وجاؤا بجمع ناصرى ام هيثم * فما رجعوا من ذودها ببعير

(يوم ماكسين)

ولما استحكم الشر بين قيس وتغلب وعلى قيس عمير وعلى تغلب شعيث غزا عمير بنى تغلب وجماعتهم بماكسين من الخابور فاقتتلوا قتالا شديدا وهى اول وقعة لهم فقتل من بنى تغلب خمسمائة وقتل شعيث وكانت رجله قطعت فقاتل حتى قتل وهو يقول

قد علمت قيس ونحن نعلم * ان الفتى يقتل وهو أجذم

(يوم الثرثار الاول)

والثرثار نهر أصل منبعه شرقى مدينة سنجار و بالقرب من قرية يقال لها سرق و يفرغ فى دجلة بين الكحيل ورأس الايل من عمل الفرج لما قتل بماكسين من ذكرنا استمدت تغلب وحشدت واجتمعت اليها النمر بن قاسط واتاها المشجر بن الحرث الشيبانى وكان من اداتهم بالجزيرة واتاها عبيد الله بن زياد بن ظبيان منجدا لهم على قيس فلذلك حقد عليه مصعب بن الزبير حتى قتل اخاه النابى بن زياد واستنجد عمير تميما وأسدا فلم ينجده منهم أحد فالتقوا على الثرثار وقد جعلت تغلب عليها بعد شعيث زياد بن هوبر و يقال يزيد بن هوبر التغلبى فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت قيس وقتلت تغلب ومن معها منهم مقتلة عظيمة و بقروا بطون ثلاثين امرأة من بنى سليم وقالت ليلى بنت الحرث التغلبية وقيل هى للاخطل

لما رأونا والصليب طالعا * ومارس جيش وسماناقعا
والخيل لا تحمل الا دارعا * والبيض فى اعياننا قواطعا
خلوا لنا الثرثار والمزارعا * وحنطة طيسا وكرمايانعا

(يوم الثرثار الثانى)

وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة وكان مقيما بقرب نهر بلخ وهو نهر جيحون يمنع الترك عن العبور الى ارض فارس وقيل كان فى زمانه من الانبياء حزقيل والياس واليسع وشمويل عليهم السلام ثم هلك كيقباذ بعد ان ملك مائة وعشرين سنة وقام مقامه بعده ابن ابنه (كيكاوس) بن كيبيه بن كيقباد المذكور فشدد على اعدائه وقتل خلقا كثيرا من عظماء البلاد وسكن مدينة بلخ و ولد له فيها ولد بديع فى الجمال وكان يفتن بحسنه سماه سياوش ثم انه سلمه الى رستم الشديد الذى كان نائبا على سجستان فرباه رستم وادبه حتى صار فى نهاية الادب والفروسية ولما قدم به الى ابيه امتحنه فاعجبه ثم انه كان لابيه الملك زوجة بارعة الجمال يقال لها آبرخ يقال انها ابنة افراسياب ملك الترك وهى غير ام سياوش فعشقت سياوش وأرادت منه المواصلة فابى سياوش وقال معاذ الله انه أبى ومولاى لا اخونه فى أهله فلما ثابت المراة واستشعرت من سياوش انه ينم بها الى الملك قصدت اهلاكه فذكرته عند الملك بسوء حتى تنفر الملك عنه فرام

رأس عمير بن الحباب الى عبد الملك بن مروان بدمشق فاعطى الوفد وكساهم فلما صالح عبد الملك زفر بن الحرث واجتمع الناس عليه قال الاخطل

بني أمية قد ناضلت دونكم * أبناء قوم هم آووا وهم نصروا
وقيس عيلان حتى اقبلوا رقصا * فبايعوا لك قسرا بعدما قهروا
ضجوا من الحرب اذ عضت غواربهم * وقيس عيلان من اخلاقها الضجر

في أبيات كثيرة فلما قتل عمير بن الحباب وقف رجل على أسماء بن خارجة الفزاري بالكوفة فقال قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب فقال لا بأس انما قتل الرجل في ديار القوم مقبلا غير مدبر ثم قال

يدي رهن على سليم بغارة * تشيب لها اصداغ بكر بن وائل
وتترك أولاد الفدوكس عالة * يتامى ايامى نهبة للقبائل

(يوم الكحيل)

وهو من أرض الموصل في جانب دجلة الغربي وسببه انه لما قتل عمير بن الحباب السلمي اتى تميم بن عمير زفر بن الحرث فسأله ان يطلب له بثاره فامتنع فقال الهذيل بن زفر لابيه والله لئن ظفرت بهم تغلب ان ذلك لعار عليك ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلتهم ان ذلك لاشد فاستخلف زفر على قرقيسيا اخاه أوس بن الحرث وعزم على ان يغير على بني تغلب ويغزوهم فوجه خيلا الى بني فدوكس بطن من تغلب فقتل رجالهم واستبيحت أموالهم ونساؤهم حتى لم يبق غير امرأة واحدة استجارت فاجارها يزيد بن حمران ووجه زفر بن الحرث ابنه الهذيل في جيش الى بني كعب بن زهير فقتل فيهم قتلا ذريعا وبعث زفر أيضا مسلم بن ربيعة العقيلي الى قوم تغلب مجتمعين فاكثر فيهم القتل ثم قصد زفر لبني تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من أرض الموصل فلما احست به ارتحلت تريد عبور دجلة فلما صارت بالكحيل لحقهم زفر في القيسية فاقتتلوا قتالا شديدا وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقي زفر على بغل له فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نسائهم وغرق في دجلة أكثر ممن قتل بالسيف فاتى فلهم لي فوجه زفر ابنه الهذيل فاوقع بهم الا من عبر فنجا وأسر زفر منهم مائتين فقتلهم صبرا فقال زفر

الا يا عين بكي بانسكاب * وبكي عاصما وابن الحباب
فان تك تغلب قتلت عميرا * ورهطا من غني في الحراب
فقد أفنى بني جشم بن بكر * ونمرهم فوارس من كلاب
قتلنا منهم مائتين صبرا * وما عدلوا عمير بن الحباب

وقال ابن صفار المحاربي

ألم تر حربنا تركت حبيبا * محالفها المذلة والصغار
وقد كانوا أولي عز فاضحوا * وليس لهم من الذل انتصار

وأسر القطامي التغلبي في يوم من أيامهم وأخذ ماله فقام زفر باصره حتى رد عليه ماله ووصله فقال فيه

اني وان كان قومي ليس بينهم * وبين قومك الا ضربة الهادي
مثن عليك بما اوليت من حسن * وقد تعرض لي من مقتل بادي

(حبيب الذي في الشعر هو بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وهو في نسب بني تغلب)

مكانه ابنه اولاق سنة واحدة ثم قتل وتولى مكانه ابنه باطاش سنتين ثم قتل وانقرضت به ذرية بختنصر وقد ذكرت قصته في ذكر ارميا عليه السلام وكان بهراسب المذكور شديد القمع للملوك وكانت ملوك الروم والعرب والهند يؤدون اليه الاتاوة في كل سنة ويقرون له انه ملك الملوك هيبة له ثم انه كبر سنه واحس بالضعف فتنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه (كيشتاسب) وقيل اسمه بشتاسف ولما تولى غضب على بختنصر بسبب تخريبه البلاد وقتله العباد فعزله وعين اقطاعه الى أمير عظيم يقال له كورس ثم أمر باطلاق اسارى بني اسرائيل فجهزهم الى بيت المقدس وظهر في ايامه زرادشت الحكيم وهو مؤلف كتاب دين المجوس وكان من تلامذة عزير النبي عليه السلام ... وقرأ عليه ثم خالفه فدعا عليه عزير عليه السلام فجذم ثم الف كتابه المذكور في اثني عشر مجلدا كل مجلد في جلد ثور فجعله مجلدا واحدة اباح في كتابه ترويج الام والاخت وأحل شرب الخمر وأمر بعبادة النيران فتوقف

قتال شديد قتل يومئذ عمار بن المهزم السلمي وكان لتغلب على قيس قال الاخطل

واقد بكى الجحاف لما أوقعت * بالشرعبية اذرأى الاهوالا

يعني أوقعت الخيل والشرعبية من بلاد تغلب والشرعبية أيضا بلاد منبج فبعضهم يقول ان هذه الوقعة كانت ببلاد منبج وذلك خطأ

(يوم البليخ)

واجتمعت تغلب وسارت الى البليخ وهناك عمير في قيس والبليخ نهر بين حران والرقة فالتقوا وانهزمت تغلب وكثر القتل فيها وبقرت بطون النساء كما فعلوا يوم الثرثار فقال ابن صفار

رزق الرماح ووقع كل مهند * زلزلن قلبك بالبليخ فزالا

(يوم الحشاك ومقتل عمير بن الحباب السلمي وابن هوبر التغلبي)

لما رأت تغلب الحاح عمير بن الحباب عليها جمعت حاضرتها وباديتها وساروا الى الحشاك وهو تل قريب من الشرعبية والى جنبه براق ودلف اليه عمير في قيس ومعه زفر بن الحرث الكلابي وابنه الهذيل بن زفر وعلى تغلب ابن هوبر واقتتلوا عند تل الحشاك أشد قتال وابرحه حتى جن عليهم الليل ثم تفرقوا واقتتلوا من الغد الى الليل ثم تحاجزوا وأصبحت تغلب في اليوم الثالث فتعاقدوا ان لا يفروا فلما رأى عمير جدهم وان نساءهم معهم قال لقيس يا قوم أرى لكم ان تنصرفوا عن هؤلاء فانهم مستقتلون فاذا اطمأنوا وساروا الى سرحهم وجهنا الى كل قوم منهم من يغير عليهم فقال له عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي قتلت فرسان قيس امس واول امس ثم ملئ سحرك وجبنت ويقال ان عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري قال له ذلك وكان أتاه منجدا فغضب عمير وقال كاني بك وقد حمي الوغى أول فار فنزل عمير وجعل يقاتل رجلا وهو يقول

انا عمير وأبو المغلس * قد أحبس القوم بضنك فاحبس

وانهزم زفر يومئذ وهو اليوم الثالث فلحق بقرقيسيا وذلك انه بلغه ان عبد الملك بن مروان قد عزم على الحركة اليه بقرقيسيا فبادر للتأهب وقيل انه ادعى ذلك حين فر اعتذارا وانهزمت قيس وركبت تغلب ومن معها اكتافهم وهم يقولون اما تعلمون ان تغلب تغلب وشد على عمير جميل ابن قيس من بني كعب بن زهير فقتله وقيل بل تعاوى على عمير غلامان من بني تغلب فرمياه بالحجارة وقد أعيياه فاثخناه وكر عليه ابن هوبر فقتله واصابت ابن هوبر يومئذ جراحة فلما انقضت الحرب اوصى بني تغلب بان يولوا أمرهم مراد بن علقمة الزهيري وقيل خرج ابن هوبر في اليوم الثاني من أيامهم هذه الثلاثة واوصى انهم يولوا أمرهم مرادا ومات من ليلته وكان مراد رئيسهم في اليوم الثالث فعباهم على راياتهم وأمر كل بني أب ان يجعلوا نساءهم خلفهم فلما أبصرهم عمير قال ما تقدم ذكره قال الشاعر

أرقت باثناء الفرات وشفني * نوائح أبكاها قتيل ابن هوبر

ولم تطلني ان تحت أم مغلس * قتيل النصارى في نوائح حسر

وقال بعض الشعراء يشكر قتل ابن هوبر عميرا

وان عميرا يوم لاقته تغلب * قتيل جميل لا قتيل ابن هوبر

وكثر القتل يومئذ في بني سليم وغني خاصة وقتل من قيس أيضا يومئذ بشر كثير وبعثت بنو تغلب

وكان اسم الولد المذكور كيخسرو وكان كيكاوس عقيما فقرر الملك لولد ولده (كيخسرو) المذكور ولما ملك كيخسرو وقوي أمره قصد ملك الترك افراسياب طالبا الثار أبيه سياوش فجرت بينهما حروب كثيرة وظفر كيخسرو بجده افراسياب واوثقه في حديد ثقيل وبخه على غدره بأبيه ثم ذبحه وقد غنم غنائم عظيمة فلما استقر في الملك مدة تزهد وخرج عن الدنيا وترك الملك وعين مكانه اعظم قواده (بهراسب) وفقد كيخسرو وكانت مدة ملكه ستين سنة وكان ذلك في ايام سليمان بن داود عليهما السلام ثم ملك بعده (بهراسب) ويقال انه ابن أخي كيكاوس فاتخذ سريرا من ذهب مرصعا بالجوهر وكان يجلس عليه وبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ الحسناء وسكنها لقتال الترك وكان بختنصر عاملا من جانبه على العراق والاهواز وعلى الروم وتولى سبعا وخمسين سنة وسبب تسميته بختنصر انه وجد وهو رضيع عند صنم اسمه نصر ولم يعلم له أبوان وكانت ترضعه اسمها بخت فسمي باسمهما فلما هلك بختنصر بعدما مسخ تولى

انهم هزمهم الجحاف فارسل اليه عبد الملك يؤمنه فسار وقصد البشر وبه حي من البشر وقد لبس أكفانه وقال قد جئت اليكم اعطى القود من نفسي وأراد شبابهم قتله فنهاهم شيوخهم فغفر عنه وحج فسمعه عبد الله بن عمر وهو يطوف ويقول اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل فقال ابن عمر لو كنت الجحاف ما زدت على هذا قال فانا الجحاف

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين)

(ذكر مقتل مصعب وملك عبد الملك العراق)

في هذه السنة قتل مصعب بن الزبير في جمادى الآخرة واستولى عبد الملك بن مروان على العراق وسبب ذلك ان عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد بن العاص كما تقدم ذكره وضع السيف فقتل من خالفه فصفا له الشام فلما لم يبق له مخالف فيه اجمع المسير الى مصعب بن الزبير بالعراق فاستشار أصحابه في ذلك فاشار يحيى بن الحكم بن ابي العاص عمه بان يقنع بالشام ويترك ابن الزبير والعراق وكان يقول عبد الملك من أراد صواب الرأي فليخالف يحيى وقال بعضهم ان العام جدب وقد غزوت سنتين فلم تظفر فاقم عامك هذا فقال عبد الملك الشام بلد قليل المال ولا آمن نفاده وقد كتب كثير من اشراف العراق يدعونني اليهم وقال أخوه محمد بن مروان الرأي ان تطلب حقك وتسير الى العراق فاني ارجو ان الله ينصرك وقال بعضهم الرأي ان تقيم وتبعث بعض أهلك وتمده بالجنود فقال عبد الملك انه لا يقوم بهذا الامر الا قرشي له رأي ولعلي ابعث من له شجاعة ولا رأي له واني بصير بالحرب شجاع بالسيف ان احتجت اليه ومصعب شجاع من بيت شجاعة ولكنه لا علم له بالحرب يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعي من ينصح لي فلما عزم على المسير ودع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فبكت وبكى جواريها لبكائها فقال قاتل الله كثير عزة لكانه يشاهدنا حين يقول

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها عقد در يزينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه * بكت وبكى مما عناها قطينها

وسار عبد الملك الى العراق فلما بلغ مصعبا مسيره وهو بالبصرة أرسل الى المهلب وهو يقاتل الخوارج يستشيره وقيل بل أحضره عنده فقال لمصعب اعلم ان أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فلا تبعدني عنك فقال له مصعب ان أهل البصرة قد أبوا ان يسيروا حتى اجعلك على قتال الخوارج وهم قد بلغوا سوق الاهواز وانا أكره اذ سار عبد الملك الي ان لا اسير اليه فاكفني هذا الثغر فعاد اليهم وسار مصعب الى الكوفة ومعه الاحنف فتوفي بالكوفة واحضر مصعب ابراهيم بن الاشتر وكان على الموصل والجزيرة فلما حضر عنده جعله على مقدمته وسار حتى نزل باجميرا وهي قريب من اوانا وهي من مسكن فعسكر هنالك وسار عبد الملك وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فنزلوا بقرقيسيا وحصر زفر بن الحرث الكلابي ثم صالحهم على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسير زفر ابنه الهذيل مع عبد الملك وكان معه ثم لحق بمصعب بن الزبير فلما اصطلحا سار عبد الملك ومن معه فنزلوا بمسكن قريبا من عسكر مصعب بين العسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان وكتب عبد الملك الى أهل العراق من كاتبه ومن لم يكاتبه وبذل لجميعهم اصبهان طعمة وقيل ان كل من كاتبه طلب منه امرة اصبهان فقال اي

وساست (جاني) المذكورة بعده أحسن سياسة ثم وضعت ولدا سمته داراب وهو ابنها وأخوها وكانت جاني صاحبة رأي وتدبير وعقل وحزم ولم تزل قائمة بأمر الملك ضابطة له واغزت الروم جيشا وظفرت فقمعت الاعداء واشغلتهم عن الطريق الى شيء من بلادها وكان ملكها سبع عشرة سنة ولما بلغ داراب رشده عزلت جاني نفسها وتولى (داراب بن بهمن) الملك فضبطه بشجاعة وحسن سياسة وكان صاحب العزيمة والفزع وولد له ولد سماه داراب باسمه وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة وتولى الملك بعده ابنه (داراب بن داراب) وكان حقودا ظالما فتنفرت منه قلوب الخاصة والعامة وفي زمنه تملك الاسكندر بن فيلقوس المشهور مملكة فارس لانه عرف بوحشة خواطر أصحاب داراب منه فقصده بجيشه فلحق بالاسكندر لما دنا من داراب بعض من يختص بداراب وشكوا اليه من داراب وشجعوه عليه وطال بينهما القتال وذكر الشيخ جمال الدين بن الجوزي في شرح القصيدة العبدونية ان الاسكندر ذا القرنين

(يوم البشر)

لما استقر الامر لعبد الملك واجتمع المسلمون عليه قدم عليه الاخطل الشاعر التغلبي وعنده الجحاف بن حكيم السلمي فقال له عبد الملك أتعرف هذا يا أخطل قال نعم هذا الذي أقول فيه

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر * بقتلى أصيبت من سليم وعامر

وانشد القصيدة حتى فرغ منها وكان الجحاف يأكل رطبا فجعل النوايتساقط من يده غيظا وأجابه وقال

بلى سوف نبكيهم بكل مهند * وننعى عميرا بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما كنت أظن ان تجترئ على بمثل هذا فارعد الاخطل من خوفه ثم قام الى عبد الملك وامسك ذيله وقال هذا مقام العائذ بك وانا لك جار ثم قام الجحاف ومشى وهو يجر ثوبه ولا يعقل به فتلطف لبعض كتاب الديوان حتى اختلق له عهدا على صدقات تغلب وبكر بالجزيرة وقال لاصحابه ان أمير المؤمنين قد ولانى هذه الصدقات فمن اراد اللحاق بى فليفعل ثم سار حتى أتى رصافة هشام فاعلم أصحابه ما كان من الاخطل اليه وانه افتعل كتابا وانه ليس بوال فمن كان أحب ان يغسل عنى العار وعن نفسى فليصحبنى فانى قد أقسمت ان لا اغسل رأسى حتى أوقع فى بنى تغلب فرجعوا عنه غير ثلثمائة قالوا له نموت بموتك ونحيا بحياتك فسار ليلته حتى صبح الرحوب وهو ماء لبنى جشم بن بكر من تغلب فصادف عليه جماعة عظيمة منهم فقتل فيهم مقتلة عظيمة وأسر الاخطل وعليه عباءة وسخة فظنه الذى أسره عبدا فسأله من هو فقال عبد فاطلقه فرمى بنفسه فى جب وخاف ان رآه من يعرفه ان يقتله فلما انصرف الجحاف خرج من الجب واسرف الجحاف فى القتل وبقر البطون عن الاجنة وفعل امرا عظيما فلما عاد عنهم قدم الاخطل على عبد الملك فانشده قوله

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة * الى الله منها المشتكى والمعول

وهرب الجحاف فطلبه عبد الملك فلحق ببلاد الروم وقال بعد وقعة البشر يخاطب الاخطل

أيا مالك هل لمتنى أو حضضتنى * على القتل أم هل لامنى كل لائم

ألم أفنكم قتلا واجدع انوفكم * بفتيان قيس والسيوف الصوارم

بكل فتى ينعى عميرا بسيفه * اذا اعتصمت ايمانهم بالقوائم

فان تطردونى تطردونى وقد جرى * بى الورد يوما فى دماء الاراقم

نكحت بسيفى فى زهير ومالك * نكاح اغتصاب لانكاح دراهم

فى أبيات ولم يزل الجحاف يتردد فى بلاد الروم من طرابزندة الى قالقلا وبعث الى بطانة عبد الملك من قيس حتى اخذوا له الامان فامنه عبد الملك فقدم عليه فالزمه ديات من قتل واخذ منه الكفلاء وسعى فيها فاتى الحجاج من الشام فطلب منه فقال له متى عهدتنى خائنا فقال له ولكنك سيد قومك ولك عالة واسعة فقال لقد الهمت الصدق فاعطاه مائة ألف درهم وجمع الديات فاوصلها ثم تنسك بعد وصلح ومضى حاجا فتعلق باستار الكعبة وجعل ينادى اللهم اغفر لى وما اظن تفعل فسمعه محمد بن الحنفية فقال يا شيخ قنوطك شر من ذنبك وقيل ان سبب عوده كان ان الجحاف أكرمه ملك الروم وقربه وعرض عليه النصرانية ويعطيه ما شاء فقال ما اتيتك رغبة عن الاسلام واتى الروم تلك السنة عساكر المسلمين صائفة فانهزم المسلمون واخبروا عبد الملك

كيشاسب عن الدخول فى دينه ثم صدقه فدخل فى دينه وجرى بين كيشاسب وبين خرزاسب ملك الترك حروب عظيمة قتل بينهما فيها خلق كثير بسبب دخوله فى دين زرادشت وكان لكيشاسب ولد يقال له اسفنديار هلك فى حياة أبيه وخلف ولدا يقال له اردشير بهمن فلما تولى اردشير بهمن) المذكور بسطت يده وتناول الممالك فى ملك الاقاليم السبعة وراعى وجوه بنى اسرائيل واحسن اليهم وكان كريما متواضعا علامة كتبه من اردشير بهمن عبد الله وخادمه والسائس لامركم وغزا رومية فى ألف ألف مقاتل ومعنى بهمن بالعربية الحسن النية وكان أردشير بهمن متزوجا بابنته خمانى وذلك حلال فى دين المجوس فتوفى بهمن وهى حاملة منه بدارا ب وكانت قد سألت بهمن ان يعقد التاج على ما فى بطنها ويخرج ابنه ساسان من الملك فاجابها بهمن الى ذلك واوصى اكابر دولته ففعلوا ذلك وعظم على ساسان تولية اخته فلحق باصطخر وتزهد وتجرد من حلية الملك واتخذ غنما وتولى رعيها بنفسه وساسان المذكور هو ابو الاكاسرة

ودعني فاني مقتول فقال لا اخبر عنك قريشا أبدا ولكن يا ابت الحق بالبصرة فانهم على الطاعة أو الحق بامير المؤمنين فقال مصعب لا تتحدث قريش أني فررت وقال لابنه عيسى تقدم اذن احتسبك فتقدم ومعه ناس فقتل وقتلوا وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى فحمل عليه مصعب فقتله وشد على الناس فانفرجوا له وعاد ثم حمل ثانية فانفرجوا له وبذل له عبد الملك الامان وقال انه يعز علي أن تقتل فاقبل اماني ولك حكمك في المال والعمل فابى وجعل يضارب فقال عبد الملك هذا والله كما قال القائل

ومدجج كره الكماة نزاله * لا ممعنا هربا ولا مستسلما

ودخل مصعب سرادقه فتحنط ورمى السرادق وخرج فقاتل فاتاه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فدعاه الى المبارزة فقال له يا كلب اعزب مثلي يبارز مثلك وحمل عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه فرجع وعصب رأسه وترك الناس مصعبا وخذلوه حتى بقي في سبعة انفس وأثخن مصعب بالرمي وكثرت الجراحات فيه فعاد الى عبيد الله بن زياد بن ظبيان فضربه مصعب فلم يصنع شيئا لضعفه بكثرة الجراحات وضربه ابن ظبيان فقتله وقيل بل نظر اليه زائدة بن قدامة الثقفي فحمل عليه فطعنه وقال يا لثارات المختار فصرعه وأخذ عبيد الله بن زياد رأسه وحمله الى عبد الملك فألقاه بين يديه وانشد

نعاطي الملوك الحق ما قسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

فلما رأى عبد الملك الرأس سجد قال ابن ظبيان لقد هممت ان اقتل عبد الملك وهو ساجد فأكون قد قتلت ملكي العرب واريحت الناس منهما وقال عبد الملك لقد هممت ان أقتل ابن ظبيان فأكون قد قتلت أفتك الناس بأشجع الناس وأمر عبد الملك لابن ظبيان بألف دينار فقال لم اقتله على طاعتك وانما قتلته على قتل أخي النابي بن زياد ولم يأخذ منها شيئا وكان قتل مصعب بدير الجاثليق عند نهر دجيل فأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا وقال كانت الحرمة بيننا قديمة ولكن الملك عقيم وكان سبب قتل النابي أنه قطع الطريق هو ورجل من بني نمير فأحضرا عند مطرف بن سيدان الباهلي صاحب شرطة مصعب فقتل النابي وضرب النميري وأطلقه فجمع عبيد الله جمعا وقصد مطرفا بعد أن عزله مصعب عن شرطته وولاه الاهواز وسار عبيد الله الى المطرف فقتله فبعث مصعب مكرم بن مطرف في طلب عبيد الله فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب اليه ولم يلق عبيد الله كان قد لحق بعبد الملك وقيل في قتله غير ذلك فلما أتى عبد الملك برأس مصعب نظر اليه وقال متى تغذو قرشية مثلك وكانا يتحدثان الى حبي وهما بالمدينة فقيل انها قتل مصعب فقالت تعس قاتله فقيل قتله عبد الملك بن مروان فقالت وا بأبي القاتل والمقتول ثم دعا عبد الملك بن مروان جند العراق الى بيعته فبايعوه وسار حتى دخل الكوفة فأقام بالنخيلة أربعين يوما وخطب الناس بالكوفة فوعد المحسن وتوعد المسيء فقال ان الجامعة التي وضعت في عنق عمرو بن سعيد عندي والله لا اضعها في عنق رجل فانتزعها الا صعدا لا افكها عنه فكا فلا يتقين امرؤ الا على نفسه ولا يولغني دمه والسلام ودعا الناس الى البيعة فبايعوه فحضرت قضاعة فقال لهم كيف سلمتم وأنتم قليل مع مضر فقال عبد الله بن يعلى النهدي نحن أعز منهم وامنع بك وبمن معك منا ثم جاءت مذحج فقال ما أرى لاحد مع ولاء بالكوفة شيئا

والصولجان فان الدنيا مثل الاكرة وسأعبث بها وأضيف ملكك الى ملكي واما السمسم فقد تبينت أيضا به فانه بعيد من الحرافة والمرارة واما الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض فقد ذبحتها وأكلت لها افغضب دارا وسار اليه بجموعه فصار من أمره ما صار والله أعلم (الطبقة الثالثة الاشغانية) وهم ملوك الطوائف وكان من أمرهم ان الاسكندر لما غلب على الفرس واسر ملوكهم وعظماءهم قتل منهم جماعة واراد قتل الباقين من آخرهم فمنعه ارسطاليس وقال له الراي ان تملك عدة منهم على الفرس فيقع بينهم التشاجر والتباغض فلا يتفقون فتأمن اليونان غائلتهم فمال الاسكندر الى ذلك وملك من كبار الفرس عشرين ملكا على الفرس وهم المسمون بملوك الطوائف واستمر بهم الحال على ذلك نحو خمسمائة واثنتي عشرة سنة حتى قام اردشير بن بابك وجمع ملك الفرس ولم يبق منهم ملك غيره وكانت عدة ملوك الطوائف تزيد على تسعين ملكا ولم يؤرخ في صحته ا امرهم اسماؤهم ولا عدد

شيء أصبهان هذه حتى كلهم يطلبها فكل منهم أخفى كتابه الا ابراهيم بن الاشتر فانه أحضر كتابه
عند مصعب مختوما فقرأه مصعب فاذا هو يدعوه الى نفسه و يجعل له ولاية العراق فقال له
مصعب أتدري ما فيه قال لا قال يعرض عليك كذا وكذا وان هذا لما يرغب فيه فقال ابراهيم
ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة ووالله ما عند عبد الملك من أحد من الناس بأيأس منه مني
ولقد كتب الى اصحابك كلهم مثل الذي كتب الى فاطعني واضرب اعناقهم قال اذا لا يناصحني
عشائرهم قال فاوقرهم حديدا وابعث بهم الى ابيض كسرى واحبسهم هنالك ووكل بهم من ان
غلبت وتفرقت عشائرهم عنك ضرب رقابهم وان ظهرت مننت على عشائرهم باطلاقهم فقال
اني لفي شغل عن ذلك فرحم الله أبا بحر يعني الاحنف بن قيس ان كان ليحذرني غدر أهل العراق
ويقول هم كالمومسة تريد كل يوم بعلا وهم يريدون كل يوم أميرا فلما رأى قيس بن الهيثم ما عزم
أهل العراق عليه من الغدر بمصعب قال لهم ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم فوالله لئن
يطعموا بعيشكم ليضيقن عليكم منازلكم والله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة
يفرح ان ارسله في حاجة ولقد رأيتنا في الصوائف وان زاد أحدنا على عدة اجمال وان الرجل
من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه فلم يسمعوا منه فلما تدانى العسكران أرسل عبد الملك
الى مصعب رجلا من كلب وقال له أقرئ ابن أختك السلام وكانت أم مصعب كلبية وقل له يدع
دعاءه الى أخيه وادع دعائي الى نفسي ويجعل الامر شورى فقال له مصعب قل له السيف بيننا
فقدم عبد الملك اخاه محمدا وقدم مصعب ابراهيم بن الاشتر فالتقيا فتناوش الفريقان فقتل
صاحب لواء محمد وجعل مصعب يمد ابراهيم فازال محمدا عن موقفه فوجه عبد الملك عبد الله بن
يزيد الى اخيه محمد فاشتد القتال فقتل مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة وهو من اصحاب مصعب
وامد مصعب ابراهيم بعتاب بن ورقاء فساء ذلك ابراهيم وقال قد قلت له لا تمدني بعتاب وضربائه
وانا لله وانا اليه راجعون فانهزم عتاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك وبايعه فلما انهزم صبر
ابن الاشتر فقتل قتله عبيد بن ميسرة مولى بني عذرة وحمل رأسه الى عبد الملك وتقدم أهل الشام
فقاتلهم مصعب وقال لقطن بن عبد الله الحارثي قدم خيلك أبا عثمان فقال اكره ان تقتل مذحج
في غير شيء فقال لحجار بن أبجر يا أبا أسيد قدم خيلك قال الى هؤلاء الانتان قال ما تتأخر اليه انتن
فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد مثل ذلك فقال ما فعل أحد هذا فافعله فقال مصعب
يا ابراهيم ولا ابراهيم لي اليوم ثم التفت فرأى عروة بن المغيرة بن شعبة فاستدناه فقال له اخبرني
عن الحسين بن علي كيف صنع بامتناعه عن النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فاخبره
فقال   الا ان الالى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا
قال عروة فعلمت انه لا يبرح حتى يقتل ثم دنا محمد بن مروان من مصعب وناداه انا ابن عمك محمد
ابن مروان فاقبل أمان أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين بمكة يعني أخاه عبد الله بن الزبير قال فان
القوم خاذلوك فابى ما عرض عليه فنادى محمد عيسى بن مصعب بن الزبير له فقال له مصعب
أنظر ما يريد منك فدنا منه فقال له اني لك ولابيك ناصح ولكما الامان فرجع الى ابيه فاخبره فقال
اني أظن القوم يفون لك فان احببت ان تأتيهم فافعل فقال لا تتحدث نساء قريش اني خذلتك
ورغبت بنفسي عنك قال فاذهب أنت ومن معك الى عمك بمكة فاخبره بما صنع اهل العراق

قد منع داراب من حمل
الجزية التي كانت تعطيها
الملوك بزمانه وكانت الملوك
تحمل الجزية في كل سنة
وتؤديها الى ملك فارس
وذلك مائة بيضة ذهبا وزن
كل بيضة ألف مثقال فلما
أظهر الاسكندر منع ذلك
وهو ان يؤدي الى ملوك
فارس ما كان غيره يحمله
فخرج داراب لقتاله فالتقيا
بنصيبين من بلاد الجزيرة
فاقتتلا سنة كاملة وكان
داراب قد مل قومه واحبوا
الراحة منه فلحق كثير منهم
بالاسكندر واطلعوه على
عورته وقووه عليه ثم وثب
على داراب حاجباه فقتلاه
وتقربا برأسه الى الاسكندر
فامر الاسكندر بقتلهما
وقال هذا جزاء من يتجرأ
على استاذه وصار ملك داراب
الى الاسكندر بن فيلقوس
اليوناني وفي شرح رسالة
ابن زيدون ان الاسكندر لما
امتنع من ارسال الاتاوة
لداراب بعث اليه كرة
وصولجانا وخرقة فيها سمسم
وقال أنت صبي فالعب بهذه
الكرة فان أديت الاتاوة
والا بعثت اليك بجنود بعدد
هذا السمسم واتيت بك في
وثاق فكتب اليه الاسكندر
اما بعد فقد تيمنت بالكرة
والصولجان فان

فكأن ما قد كان لم يك اذ مضى * وكأن ما هو كائن قد كان

ولما بلغ عبد الله بن خازم مسيره مصعب لقتال عبد الملك قال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال امعه المهلب قيل لا استعمله على الخوارج قال امعه عباد بن الحصين قيل استخلفه على البصرة قال وأنا بخراسان

خذيني فجريني جعار وأبشري * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

ولما قتل مصعب بعث عبد الملك رأسه الى الكوفة أو حمله معه اليها ثم بعث به الى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما رآه وقد قطع السيف انفه قال رحمك الله اما والله لقد كنت من أحسنهم خلقا واشدهم بأسا واسخاهم نفسا ثم سيره الى الشام فنصب بدمشق وأرادوا ان يطوفوا به فى نواحى الشام فأخذته عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة عبد الملك بن مروان وهى أم يزيد بن عبد الملك فغسلته ودفنته وقالت اما رضيتم بما صنعتم حتى تطوفوا به فى المدن هذا بغى وكان عمر مصعب حين قتل ستا وثلاثين سنة قال يوما عبد الملك لجلسائه من أشد الناس قالوا امير المؤمنين قال اسلكوا غير هذا الطريق قالوا عمير بن الحباب قال قبح الله عميرا الص ثوب ينازع عليه اعز عنده من نفسه ودينه قالوا فشبيب قال ان للحرورية اطريقا قالوا فمن قالوا مصعب كان عنده عقيلتا قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ثم هو أكثر الناس مالا جعلت له الامان وولاية العراق وعلم انى سأفى له للمودة التى كانت بيننا فحمى انفا وأبى وقاتل حتى قتل فقال رجل كان مصعب يشرب النبيذ قال كان ذلك قبل ان يطلب المروأة فاما مذ طلبها ولو علم ان الماء ينقص مروأته ماذاقه قال الاقشر الاسدى

حمى انفه ان يقبل الضيم مصعب * فمات كريما لم تذم خلائقه

ولو شاء أعطى الضيم من رام هضمه * فعاش ملوما فى الرجال طرائقه

ولكن مضى والبرق يبرق خاله * يشاوره مرا ومرا يعانقه

فولى كريما لم تنله مذمة * ولم يك رغدا لطيب مفارقه

وقال عرفجة بن شريك

مالابن مروان اعمى الله ناظره * ولا أصاب رغيبات ولا نفلا

يرجو الفلاح ابن مروان وقد قتلت * خيل ابن مروان حرفا ماجدا بطلا

يا ابن الحوارى كم من نعمة لكم * لو رام غيركم أمثالها شغلا

حملتم فحملتم كل معضلة * ان الكريم اذا حملته حملا

وقال عبد الله بن الزبير الاسدى فى ابراهيم بن الاشتر (هذا الزبير بفتح الزاى وكسر الباء)

سأبكى وان لم تبك فتيان مذحج * فتاها اذا الليل التمام تأوبا

فتى لم يكن فى مرة الحرب جاهلا * ولا بمطيع فى الوغى من تهيبا

ابان انوف الحى قحطان قتله * وانف نزار قد أبان فأوعبا

فمن يك امسى شامتا لامسيره * فاخان ابراهيم فى الموت مصعبا

وحين قتل مصعب كان المهلب يحارب الازارقة بسولاف بلد بفارس على شاطئ الجرغانية أشهر فبلغ قتله الازارقة قبل المهلب فصاحوا باصحاب المهلب ماقولهم فى مصعب قالوا أمير هدى

وثلاثين سنة ثم ملك بعده (خسرو الاشغانى) أربعين سنة وقال يوم ملك تسطع نارى مادامت مضطرمة ثم هلك وملك بعده (بلاش الاشغانى) اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (اردوان الاصغر) ثلاث عشرة سنة وظهر امر أردشير بن بابك وقتل اردوان وغيره من الاردوانيين واجتمع له ملك جميع الطوائف فيكون انقضاء ملك اردوان لمضى خمسمائة واثنتى عشرة سنة للاسكندر (الطبقة الرابعة الساسانية) وهم الاكاسرة أولهم (اردشير ابن بابك) وهو ولد ساسان بن اردشير بهمن المقدم ذكره وساسان المذكور هو الذى تزهد لما انتزعه أبوه من الملك وجعله دارا قبل ولادته حسبما تقدم وعدة ملوك الساسانية من اردشير الى يزدجرد المقتول فى زمن عثمان رضى الله عنه ثلاثون ملكا منهم امرأتان وقيل اثنان وثلاثون واردشير هذا هو أبو الملوك الساسانية جميعا وكان شجاعا عارفا طويل الفكر وكان ينزل اصطخر وكتب الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاختلاع فمنهم من اقر له بالطاعة ومنهم من تربص

ثم جاءت جعفى فقال ائتونى بابن اختكم يعنى يحيى بن سعيد وكانت امه مذحجية فقالوا هو آمن فقال وتشترطون أيضا فقال رجل منهم انما نشترط جهلا بحقك واتكالا على حلمك كما يتكل الولد على الوالد فقال نعم انتم الحى ان كنتم لفرسانا فى الجاهلية ليحضر فهو آمن فأتوه به فبايعه ثم أتته عدوان فقدموا بين أيديهم رجلا جميلا وسيما فقال عبد الملك

عذير الحى من عدوا * ن كانوا حية الارض

بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا على بعض

ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض

ثم أقبل على ذلك الرجل الجميل فقال ايه فقال لا أدرى فقال معبد بن خالد الجدلى وكان خلفه

ومنهم حكم يقضى * فلا ينقض ما يقضى

ومنهم من يجيز الحج * بالسنة والفرض

وهم من ولدوا اشبوا * بسر النسب المحض

فأقبل عبد الملك على ذلك الجميل فقال من هو فقال لا أدرى فقال معبد من ورائه هو ذو الاصبع فأقبل على الجميل فقال لم تسمى ذا الاصبع فقال لا أدرى فقال معبد لان حية نهشت اصبعه فقطعتها فأقبل على الجميل فقال ما كان اسمه قال لا أدرى فقال معبد حرثان بن الحرث فقال للجميل من أيكم هو قال لا ادرى فقال معبد من بنى ناج ثم قال للجميل كم عطاؤك قال سبعمائة قال لمعبد كم عطاؤك قال ثلاثمائة فقال الكاتبه اجعل معبدا فى سبعمائة وانقص من عطاء هذا أربعمائة ففعل ثم جاءت كندة فنظر الى عبد الله بن اسحق بن الاشعث فاوصى به أخاه بشر بن مروان وأقبل دواد بن قحذم فى جمع كثير من بكر بن وائل عليهم الاقبية الداودية وبه سميت فجلس مع عبد الملك على سريره فاقبل عليه عبد الملك ثم نهض ونهضوا معه فقال عبد الملك هؤلاء الفساق لولا أن صاحبهم جاءنى ما اعطانى أحد منهم طاعة ثم ولى قطن بن عبد الله الحارثى الكوفة ثم عزله فاستعمل أخاه بشر بن مروان ثم استعمل محمد بن عمير الهمدانى على همذان ويزيد بن رويم على الرى ولم يف لاحد شرط له اصبهان وقال على بهؤلاء الفساق الذين املوا الشام وافسدوا العراق فقيل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير على أحد وكان عبد الله بن يزيد بن أسد والد خالد القسرى قد لجأ الى على بن عبد الله بن عباس ولجأ اليه أيضا يحيى ابن معيوف الهمدانى ولجأ الهذيل بن زفر بن الحرث وكان مع عبد الملك على مائدة كره عمرو بن يزيد الحكمى الى خالد بن يزيد فأمنهم عبد الملك فظهروا واصطنع عمرو بن حريث لعبد الملك طعاما كثيرا وأمر به الى الخورنق واذن اذنا عاما فدخل الناس وأخذوا مجالسهم فدخل عمرو ابن حريث فاجلسه معه على سريره ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك ما الذ عيشنا لو دام ولكنا كما قال الاول

وكل جديد يا اميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

فلما فرغوا من الطعام طاف عبد الملك فى القصر وعمرو بن حريث معه وهو يسأله لمن هذا البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبد الملك

اعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك أيها الانسان

ملوكهم فانهم كانوا ملوكا صغارا فى الاطراف ولم يشتهر منهم الا الاشغانية فضبط أصحاب السير والتواريخ ايامهم وعدد ملوكهم وأساميهم فاول من اشتهر منهم (اشغا بن اشغان) ويقال اشك بن اشكان وكان أول ملك اشغا المذكور لمضى مائتين وأربعين سنة من غلبة الاسكندر وكان ملكه عشر سنين ثم ملك بعده (شابور بن اشغان) ستين سنة وكان مولد المسيح عليه السلام فى بضع وأربعين سنة خلت من ملك شابور فلما هلك ملك بعده (جور ابن اشغان) وقيل جودرز عشر سنين فلما هلك ملك بعده (بيزن الاشغانى) احدى وعشرين سنة وهلك ثم ملك بعده (جودرزد الاشغانى) تسع عشرة سنة وهلك ثم ملك بعده (نرسى الاشغانى) أربعين سنة وقال يوم ملك الى محب ومكرم من انفذ امرى وهلك ثم ملك بعده (هرمز الاشغانى) تسع عشرة سنة وقال يوم ملك يامعشر الناس اجتنبوا الذنوب كيلا تذلوا بالمعاذير ثم هلك وملك بعده (اردوان الاشغانى) اثنى عشرة سنة وهلك لمضى اربعمائة وسبع

وعلى مقدمته عبد الله بن زميت الطائى فواقع عبد الله زفر قبل وصول أبان وكثر فى أصحابه القتل قتل منهم ثلثمائة فلامه أبان على عجلته وأقبل أبان فواقع زفر فقتل ابنه وكيع بن زفر وادركت طى ثقل زفر ونساءه فاستوهب محمد بن حصين بن نمير النساء واطلقهن ثم نزل بقرقيسيا فقال زفر

علقن بحبل من حصين لوانه * تغيب حالت دونهن المصائر
أبوكم أبونا فى القديم وانى * لغايركم فى آخر الدهر شاكر

وكان يقال لزفر انه من كندة ثم ان عبد الملك لما اراد المسير الى مصعب سار الى قرقيسيا فحصر زفر فيها ونصب عليها المجانيق فأمر زفر أن ينادى فى عسكر عبد الملك لم نصبتم علينا المجانيق قال لنثلم ثلمة نقاتلكم عليها فقال زفر قولوا لهم فانا لا نقاتلكم من وراء الحيطان ولكنا نخرج اليكم وثلمت المنجنيق من المدينة برجا مما يلى حويث بن بحدل فقال زفر

لقد تركتنى منجنيق ابن بحدل * احيد عن العصفور حين يطير

وكان خالد بن يزيد بن معاوية مجدا فى قتالهم فقال رجل من أصحاب زفر من بنى كلاب لاقولن لخالد كلاما يعود عما يصنع فلما كان الغد خرج خالد للمعاربة فقال له الكلابى

ماذا ابتغاء خالد وهمه * اذ سلب الملك ونيكت أمه

فاستحيا وعاد ولم يرجع يقاتلهم وقالت كلب لعبد الملك انا اذا لقينا زفر انهزمت القيسية الذين معك فلا تخلطهم معنا ففعل فكتبت القيسية على نبلها انه ليس يقاتلكم غدا مضرى ورموا النبل الى قرقيسيا فلما أصبح زفر دعا ابنه الهذيل وبه كان يكنى وقيل كان يكنى ابا الكوثر فقال اخرج اليهم فشد عليهم شدة لا ترجع حتى تضرب فسطاط عبد الملك والله انى رجعت دون ان تطأ أطناب فسطاطه لاقتلنك فجمع الهذيل خيله وحمل عليهم فصبروا قليلا ثم انكشفوا وتبعهم الهذيل بخيله حتى وطئوا اطناب الفسطاط وقطعوا بعضها ثم رجعوا فقبل زفر رأس الهذيل وقال لا يزال عبد الملك يحبك بعدها أبدا فقال الهذيل والله لو شئت ان ادخل الفسطاط لفعلت فقال زفر

ألا لا ابالى من أتاه حمامه * اذا ما المنايا عن هذيل تجلت
تراه أمام الخيل أول فارس * ويضرب فى أعجازها ان تولت

ولما ثلم برج قرقيسيا قال لعبد الملك بعض أهله لو قاتلتهم بقضاعة الكلبيين ففعل وقاتلهم فلما كان عند المساء انكشفت قضاعة وكثر القتل فيهم واقبل روح بن زنباع الجذامى الى برج منها فسأل أهله وقال نشدتكم الله كم قتلنا منكم قالوا والله لم يقتل منا أحد ولم يجرح الا رجل واحد ولا بأس عليه ثم قالوا انشدناك الله كم قتل منكم قال عدة فرسان وجرحتم ما لا يحصى فلعن الله ابن بحدل ورجع روح الى عبد الملك وقال ان ابن بحدل يمنيك الباطل فاعرض عن هذا الرجل وكان رجل من كلب يقال له الذيال يخرج فيسب زفر فيكثر فقال زفر للهذيل ابنه أو لبعض أصحابه اما تكفينى هذا قال انا أجيئك به فدخل عسكر عبد الملك ليلا فجعل ينادى من يعرف بغلا من صفته كذا وكذا حتى انتهى الى خباء الرجل وقد عرفه فقال الرجل رد الله عليك ضالتك فقال يا عبد الله انى قد عييت فلو أذنت لى فاسترحت قليلا قال ادخل فدخل

تحت الارض وجعلها انية ثم عمد الى مذاكيره فجبها ووضعها فى حق وختم عليه ورجع الى الملك وقال قد أودعتها بطن الارض ودفع اليه الحق وقال ان لى فيه وديعة وتضرع اليه ان يرفعها له واقامت الجارية الى ان أخذت مدتها النهاية فوضعت ولدا ذكرا غصن بان مثمرا قمرا فسماه ذلك الشيخ سابور واقام بتربيته واصلاح رضاعه واغذيته الى ان بلغ سبع سنين وهو كبدر الافق المبين فركب كسرى ازدشير فى بعض الاوقات وخرج يصطاد فى بعض الجهات فتبدد العسكر وصار كالجيج اذا نفر ووقع ازدشير فى ناحية منفردا فصادف غزالين يسوقان ولدا فهجم عليهما فلما قصدهما ترك ولدهما ففوق السهم الى الضعيف نحو الخشف الضعيف فلما رأت امه السهم داخلها الوله والوهم فقصدت للسهم دون ولدها واستقبلت نصل كبد القوس بكبدها فاراد اطلاق السهم من الكبد اصيب به نحر أم الولد فاعترضه الفحل بصدره وتلقاه دون نحرها وجعل نفسه وقاية لام ولده وفداها بروحه وجسده فتذكر

وهو ولينا فى الدنيا والآخرة ونحن أولياؤه قالوا فما قولكم فى عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين نحن نبرأ الى الله منه وهو أحل دما منكم قالوا فان عبد الملك قتل مصعبا وستجعلون غدا عبد الملك امامكم فلما كان الغد سمع المهلب وأصحابه قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك ابن مروان فصاح بهم الخوارج يا أعداء الله ما تقولون فى مصعب قالوا يا أعداء الله لا نخبركم وكرهوا ان يكذبوا أنفسهم قالوا وما قولكم فى عبد الملك قالوا خليفتنا ولم يجدوا ابدا اذ بايعوه ان يقولوا ذلك قالوا يا أعداء الله أنتم بالامس تبرؤن منه فى الدنيا والآخرة وهو اليوم امامكم وقد قتل أميركم الذى كنتم تولونه فايهما المهتدى وأيهما المبطل قالوا يا أعداء الله رضينا بذلك اذ كان يتولى أمرنا ونرضى بهذا قالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وعبيد الدنيا وأما عبد الله ابن الزبير فلما انتهى اليه قتل أخيه مصعب قام فى الناس فخطبهم فقال الحمد لله الذى له الخلق والامر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء الا وانه لم يذل الله من كان الحق معه وان كان فردا ولم يعز من كان وليه الشيطان وان كان الناس معه طرا الا وانه قد أتانا من العراق خبر احزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب رحمه الله وأما الذى أفرحنا فعلمنا أن قتله شهادة واما الذى أحزننا فان لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة يرعوى بعدها ذوو الرأى الجميل الى الصبر وكريم العزاء وما مصعب الا عبد من عبيد الله وعون من اعوانى الا وان أهل العراق أهل الغدر والنفاق اسلموه وباعوه بأقل الثمن فان يقتل فه والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبى العاص والله ما قتل رجل منهم فى زحف فى الجاهلية ولا فى الاسلام ولا نموت الا قعصا بالرماح وتحت ظلال السيوف الا انما الدنيا عارية من الملك الاعلى الذى لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تقبل لا آخذها اخذ البطر وان تدبر لم أبك عليها بكاء الضرع المهين أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم (حجار بن ابجر بفتح الحاء المهملة وتشديد الجيم وكنيته أبو أسيد بضم الهمزة وفتح السين وحبى بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة المشددة الممالة وآخره ياء مثناة من تحتها وعبد الله بن خازم بالخاء المعجمة والزاى)

(ذكر ولاية خالد بن عبد الله البصرة)

وفى هذه السنة تنازع ولاية البصرة حمران بن أبان وعبيد الله بن أبى بكرة فقال ابن أبى بكرة أنا أعظم منك كنت انفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فقيل لحمران انك لا تقوى على ابن أبى بكرة فاستعن بعبد الله بن الاهتم فاستعان به فغلب على البصرة وعبد الله على شرطها وكان لحمران منزلة عند بنى أمية وكانت هذه المنازعة بعد قتل مصعب فلما استولى عبد الملك على العراق بعد قتله استعمل على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فوجه خالد عبيد الله بن أبى بكرة اليها خليفة له فلما قدم على حمران قال قد جئت لا جئت فكان عبيد الله عليها حتى قدم خالد ولما فرغ عبد الملك من أمر العراق عاد الى الشام

(ذكر أمر عبد الملك وزفر بن الحرث)

قد ذكرنا فى وقعة راهط مسير زفر الى قرقيسيا واجتماع قيس عليه والسبب فى استيلائه عليها وما كان منه بعد ذلك وكان على بيعة ابن الزبير وفى طاعته فلما مات مروان بن الحكم وولى ابنه عبد الملك كتب الى أبان بن عقبة بن أبى معيط وهو على حمص يأمره ان يسير الى زفر فسار اليه

حتى قدم عليه ومنهم من عصاه فلما غلب عليهم لم يبق أحد منهم الا من اخفى نفسه وكان قد أخذ فى جملة من اخذ منهم ابنة ملكهم تخجل البدر عند الكمال والشمس قبل الزوال فلما رآها قال لها انت من بنات ملوكهم قالت بل من خدمهم وكان اردشير قتل اباها وأخاها فاتخذها لنفسه واصطفاها فحملت منه فلما علمت بالحمل اشهرت نفسها وقالت أنا ابنة الملك فخاف اردشير من ضررها الا تتذكر قتلاها فيستولى طلب الثار عليها فامر شيخا من رجاله يقال له جندبان بأن يودعها بطن الارض اشارة الى قتلها فحملها الى منزله ووقع فى صعب الامر ومشكله ثم تدبر فى المآل ونادته ربة الخيال مهلا أيها الناصح المشير ذو الراى والتدبير هب انى انا اخطأت وعن مرضاة الملك ابطأت فما ذنب الذى فى بطن المودع من الملك ولم يجن فامهلنى الى ان اضع ثم تهلك الام ويبق التبع وانه لابد اذا برد قلبه وهمد كربه يطالبك بالفرع ان لم يطلب الاصل وبعد القطع لا يمكن الوصل فرأى الشيخ المشير الرأى فى التأخير فعمل لها سربا

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين)

(ذكر أمر الخوارج)

لما استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب استعمل خالد بن عبد الله على البصرة فلما قدمها خالد كان المهلب يحارب الازارقة فجعله على خراج الاهواز ومعونتها وسير أخاه عبد العزيز بن عبد الله الى قتال الخوارج وسير معه مقاتل بن مسمع فخرجا يطلبان الازارقة فاتت الخوارج من ناحية كرمان الى دارابجرد وأرسل قطري بن الفجاءة المازني مع صالح بن مخارق تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير مهلا على غير تعبية فانهزم بالناس ونزل مقاتل بن مسمع حتى قتل وانهزم عبد العزيز وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت فيمن يزيد فبلغت قيمتها مائة ألف فجاء رجل من قومها من رؤس الخوارج فقال تنحوا هكذا ما أرى هذه المشركة الا قد فتنتكم وضرب عنقها ولحق بالبصرة فرآه آل المنذر فقالوا والله ما ندري انحمدك أم نذمك فكان يقول مافعلته الا غيرة وحمية وانتهى عبد العزيز الى رامهرمز وأتى المهلب خبره فارسل اليه شيخا من الازد وقال له ان كان منهزما فعزه فاتاه الرجل فرآه نازلا في نحو ثلاثين فارسا كئيبا حزينا فابلغه الرسالة وعاد الى المهلب بالخبر فارسل المهلب الى أخيه خالد بن عبد الله يخبره بهزيمته فقال للرسول كذبت فقال والله ما كذبت فان كنت كاذبا فاضرب عنقي وان كنت صادقا فاعطني جبتك ومطرفك قال قد رضيت من الخطر العظيم بالخطر اليسير وحبسه وأحسن اليه حتى صح خبر الهزيمة قال ابن قيس الرقيات في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل

من بين ذي عطش يجود بنفسه * وملحب بين الرجال قتيل

هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منتكث القوى بأصيل

وتركت جيشك لا امير عليهم * فارجع بعار في الحياة طويل

ونسيت عرسك اذ تقاد سبية * تبكي العيون برنة وعويل

فكتب خالد الى عبد الملك يخبره بذلك فكتب اليه عبد الملك قد عرفت ذلك وسألت رسولك عن المهلب فاخبرني انه عامل على الاهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك اعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب يجبي الخراج وهو الميمون النقيبة المقاسي للحرب ابنها وابن ابنائها أرسل الى المهلب يستقبلهم وقد بعثت الى بشر بالكوفة ليمدك بجيش فسر معهم ولا تعمل في عدوك برأي حتى يحضره المهلب والسلام وكتب عبد الملك الى بشر أخيه بالكوفة يأمره بانفاذ خمسة آلاف مع رجل يرضاه لقتال الخوارج فاذا قضوا غزوتهم ساروا الى الري فقاتلوا عدوهم وكانوا مسلحة فبعث بشر خمسة آلاف وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فكتب له عهدا على الري عند الفراغ من قتاله وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الاهواز وقدمها عبد الرحمن ابن محمد في أهل الكوفة وجاءت الازارقة حتى دنوا من الاهواز فقال المهلب لخالد اني أرى ههنا سفنا كثيرة فضمها اليك فانهم سيحرقونها فلم يمض الا ساعة حتى ارسلوا اليها فاحرقوها وجعل خالد المهلب على ميمنته وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة ومر المهلب على عبد

امر الملك ازدشير بعقد التاج لولده وكان لسانهم الفهلوي وهي من اللغات التي لم يبق لها مترجم وكان ازدشير من اهل العقل والمعرفة وله اشياء رتبها واقتدى بها المتأخرون من الملوك وكان قد رتب أصحابه على ثلاث طبقات الطبقة الاولى على نحو من عشرة اذرع مجلسهم من مجلسه وهم بطانته وندماؤه ومحدثوه من اهل الشرف والعلم والطبقة الثانية على نحو من عشرة اذرع من هؤلاء وهم وجوه المرازبة والطبقة الثالثة على مقدار عشرة اذرع من الثانية وكان يقول ما من شئ اضر على نفس ملك او رئيس من معاشرة سخيف او مخالطة لئيم كما ان الريح اذا مرت بطيب حملت طيبا تحيا به النفوس وكانت مدة ملك ازدشير اربع عشرة سنة وعشرة اشهر ثم ملك بعده ابنه (سابور) المقدم ذكره احدى وثلاثين سنة وكان جميل الصورة حازما وظهر في ايامه ماني الزنديق وادعى النبوة وتبعه خلق كثير وكان جمع له كتب فلاسفة اليونانيين ونقلها الى اللغة الفارسية فرجع سابور عن مذهب المجوسية الى مذهب

والرجل وحده في خباء نه فرمى بنفسه ونام صاحب الخباء فقام اليه فايقظه وقال والله لئن تكلمت لاقتلنك قتلت أو سلمت فاذا يتفعك قتلي اذا قتلت أنت ولئن سكت وجئت معي الى زفر فلك عهد الله وميثاقه ان اردك الى عسكرك بعد ان يصلك زفر ويحسن اليك فخرجا وهو ينادي من دل على بغل من صفته كذا وكذا حتى أتى زفر والرجل معه فاعلمه انه قد أمنه فوهب له زفر دنانير وحمله على رحالة النساء وألبسه ثيابهن وبعث معه رجلا حتى دنوا من عسكر عبد الملك فنادوا هذه جارية قد بعث بها زفر الى عبد الملك وانصرفوا فلما نظر اليه أهل العسكر عرفوه واخبروا عبد الملك الخبر فضحك وقال لا يبعد الله رجالا نصر والله ان قتلهم لذل وان تركهم لحسرة وكف الرجل فلم يعد بسبب زفر وقيل انه هرب من العسكر ثم ان عبد الملك أمر أخاه محمدا ان يعرض على زفر وابنه الهذيل الامان على انفسهما ومن معهما ومالهم وان يعطيا ما احبا ففعل محمد ذلك فأجاب الهذيل وكلم أباه وقال له لو صالحت هذا الرجل فقد أطاعه الناس وهو خير لك من ابن الزبير فاجاب على ان له الخيار في بيعته سنة وان ينزل حيث شاء ولا يعين عبد الملك على قتال ابن الزبير فبينما الرسل تختلف بينهما اذ جاءه رجل من كلب فقال قد هدم من المدينة أربعة ابراج فقال عبد الملك لا اصالحهم وزحف اليهم فهزموا أصحابه حتى ادخلوهم عسكرهم فقال اعطوهم ما أرادوا فقال زفر لو كان قبل هذا لكان احسن واستقر الصلح على أمان الجميع ووضع الدماء والاموال وان لا يبايع عبد الملك حتى يموت ابن الزبير لبيعة له في عنقه وان يعطى مالا يقسمه في أصحابه وخاف زفر ان يغدر به عبد الملك كما غدر بعمرو بن سعيد فلم ينزل اليه فأرسل اليه بقضيب النبي صلى الله عليه وسلم امانا له فنزل اليه فلما دخل عليه اجلسه معه على سريره فقال ابن عضاة الاشعري أنا كنت احق بهذا المجلس منه فقال زفر كذبت هناك اني عاديت فضررت وواليت فنفعت ولما رأى عبد الملك قلة من مع زفر قال لو علمت انه في هذه القلة لحاصرته أبدا حتى نزل على حكمي فبلغ قوله زفر فقال ان شئت رجعنا ورجعت فقال بل نفي لك يا أبا الهذيل وقال له عبد الملك وما بلغني انك من كندة فقال وما خير من لا يبغي حسدا ولا يدعي رغبة وتزوج مسلمة بن عبد الملك الرباب بنت زفر فكان يؤذن لاخويها الهذيل والكوثر في أول الناس وأمر زفر ابنه الهذيل ان يسير مع عبد الملك الى قتال مصعب وقال له أنت لا عهد عليك فسار معه فلما قارب مصعبا هرب اليه وقاتل مع ابن الاشتر فلما قتل ابن الاشتر اختفى الهذيل بالكوفة حتى استؤمن له من عبد الملك فأمنه كما تقدم

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة افتتح عبد الملك قيسارية في قول الواقدي وفيها انزع ابن الزبير جابر بن الاسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف وهو آخر وال كان له على المدينة حتى أتاه طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بها حتى سار الى مكة لقتال ابن الزبير وفي امارة مصعب مات براء بن عازب بالكوفة ويزيد بن مفرغ الحميري الشاعر بها أيضا وعبد الله بن أبي حدرد الاسلمي شهد الحديبية وخيبر وفي ايامه مات شتير بن شكل القيسي الكوفي وهو من اصحاب علي وابن مسعود (شتير بضم الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان وبعدها ياء تحتها نقطتان وشكل بفتح الشين المعجمة والكاف وآخره لام)

ازدشير ولده وامه وضاعف حزنه عليهما همه وغمه ثم فاضت دموع عينيه فرمى القوس والسهم من يده ورجع متفكرا وعلى ما فرط منه متحسرا ودعا الشيخ وذكر له ذلك النكد وما رآه من الغزالين والولد وتحرق على فقد حظيته وتأرق لما اصاب فلذة كبده ولم يكن له ولد ولا من يرث الملك بعده احد ثم دعا له الشيخ وانصرف وعبى حملا من الهدايا والتحف والبس ابن الملك الفاخر ملبوس وجهز امه كما يجهز العروس واقبل بهما اليه وعرض كل ذلك عليه وقال متعك الله بهما ومتعهما بك فسر صدر ازدشير بذلك وانشرح واغمي عليه من شدة الفرح فدعا الشيخ بالحق المودع عند الملك ففض ختامه فاذا فيه مذاكير الشيخ وكتاب يقول فيه لما أمرني الملك بقتل المرأة التي علقت من ملك الملوك ازدشير لم ارأن ابطل زرع الملك الطيب فاودعتها بطن الارض كما امرني فبرئت اليه من نفسي لئلا يجد عائب الى عيبنا سبيلا فاعجب الملك منه ذلك وافاض عليه خلع الانعام والرضا والاكرام فعند ذلك

خازم وقيل ان ابن خازم انما قتل بعد قتل عبد الله بن الزبير وان عبد الملك أنفذ اليه رأس ابن الزبير ودعاه الى نفسه فغسل الرأس وكفنه وبعثه الى أهله بالمدينة واطعم الرسول الكتاب وقال لولا انك رسول لقتلتك وقيل بل قطع يديه ورجليه وقتله وحلف ان لا يطيع عبد الملك أبدا (بحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة)

(ذكر عدة حوادث)

كان العامل على المدينة طارقا لعبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان في قول بعضهم بكير بن وشاح وفي قول بعضهم عبد الله بن خازم وفي هذه السنة مات عبيدة السلماني وهو من أصحاب علي (عبيدة بفتح العين وكسر الباء الموحدة)

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين)

(ذكر قتل عبد الله بن الزبير)

لما بويع عبد الملك بالشام بعث الى المدينة عروة بن أنيف في ستة آلاف من أهل الشام وأمره ان لا يدخل المدينة وان يعسكر بالعرصة وكان عامل عبد الله بن الزبير على المدينة الحرث بن حاطب بن الحرث بن معمر الجمحي فهرب الحرث وكان ابن أنيف يدخل ويصلي بالناس الجمعة ثم يعود الى معسكره فأقام شهرا ولم يبعث اليهم ابن الزبير أحدا وكتب اليه عبد الملك بالعود اليه فعاد هو ومن معه وكان يصلي بالناس بعده عبد الرحمن بن سعد القرظي ثم عاد الحرث الى المدينة وبعث ابن الزبير سليمان بن خالد الزرقي الانصاري وكان رجلا صالحا عاملا على خيبر وفدك فنزل في عمله فبعث عبد الملك عبد الواحد بن الحرث بن الحكم وقيل اسمه عبد الملك وهو أصح في أربعة آلاف فسار حتى نزل وادي القرى وسير سرية عليها أبو القمقام في خمسمائة الى سليمان فوجدوه قد هرب فطلبوه فادركوه فقتلوه ومن معه فاغتم عبد الملك بن مروان بقتله وقال قتلوا رجلا مسلما صالحا بغير ذنب وعزل ابن الزبير الحرث واستعمل مكانه جابر بن الاسود بن عوف الزهري فوجه جابر أبا بكر بن أبي قيس في ستمائة فارس وأربعين فارسا الى خيبر فوجدوا أبا القمقام ومن معه مقيمين بفدك يعسفون الناس فقاتلوهم فانهزم أصحاب أبي القمقام وأسر منهم ثلاثون رجلا فقتلوا صبرا وقيل بل قتل الخمسمائة أو أكثرهم ووجه عبد الملك طارق بن عمرو مولى عثمان وأمره ان ينزل بين أيلة ووادي القرى ويمنع عمال ابن الزبير من الانتشار ويسد خللا ان ظهر له فوجه طارق الى أبي بكر خيلا فاقتتلوا فأصيب أبو بكر في المعركة وأصيب من أصحابه أكثر من مائتي رجل وكان ابن الزبير قد كتب الى القباع ايام كان عامله على البصرة يأمره ان يرسل اليه الفي فارس ليعينوا عامله على المدينة فوجه اليه الفي رجل فلما قتل أبو بكر أمر ابن الزبير جابر بن الاسود ان يسير جيش البصرة الى قتال طارق فسار البصريون عن المدينة وبلغ طارقا الخبر فسار نحوه فالتقيا فقتل مقدم البصريين وقتل أصحابه قتلا ذريعا وطلب طارق مدبرهم وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم ورجع طارق الى وادي القرى وكان عامل ابن الزبير بالمدينة جابر بن الاسود وعزل ابن الزبير جابرا واستعمل طلحة بن عبيد الله بن عوف الذي يعرف بطلحة الندى سنة سبعين فلم يزل على المدينة

فدعا بالموبذان لامر خطر له فجعل يحادثه فانتهى بهم المسير الى خرابات كانت من أمهات القرى قد خربت في ملكه لا انيس بها الا البوم واذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات فقال الملك هل ترى أحدا من الناس أعطي فهم كلام هذا الطائر فقال الموبذان أنا أيها الملك ممن خصه الله بفهم ذلك فاستفهمه الملك عما يقول فقال هذا بوم ذكر يخاطب بومة أنثى وهو يقول لها متعيني نفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله تعالى ويبقى لنا في العالم عقب يذكرون الله تعالى ويكثرون ذكرنا والترحم علينا فاجابته البومة ان الذي دعوتني اليه هو الحظ الاكبر والنصيب الاوفر الا اني أشترط عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ذلك فقال لها الذكر وما تطلبينه مني قالت ان تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب في ايام هذا الملك السعيد فقال له الملك وما الذي قال لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت ايام هذا الملك

الرحمن بن محمد ولم يخندق عليه فقال ما يمنعك من الخندق فقال هم اهون على من ضرط الجمل قال لا يهونوا عليك فانهم سباع العرب ولم يبرح المهلب حتى خندق عبد الرحمن عليه فأقاموا نحوا من عشرين ليلة ثم زحف خالد اليهم بالناس فرأوا أمرا هالهم من كثرة الناس فكثرت عليهم الخيل وزحفت اليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون طاقة بقتال جماعة الناس فأرسل خالد داود بن قحذم في آثارهم وانصرف خالد الى البصرة وسار عبد الرحمن الى الري وأقام المهلب بالاهواز وكتب خالد الى عبد الملك بذلك فلما وصل كتابه الى عبد الملك كتب الى أخيه بشر يأمره ان يبعث أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة مع رجل بصير بالحرب الى فارس في طلب الازارقة ويأمر صاحبه بموافقة داود بن قحذم ان اجتمعا فبعث بشر عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فساروا حتى لقوا داود فاجتمعوا ثم اتبعوا الخوارج حتى هلكت خيول عامتهم واصابهم الجوع والجهد ورجع عامة الجيشين مشاة الى الاهواز وفي هذه السنة كان خروج ابي فديك الخارجي وهو من بني قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطري الاهواز وأمر ابي فديك فبعث اخاه امية بن عبد الله في جند كثيف الى ابي فديك فهزمه ابو فديك واخذ جارية له فاتخذها لنفسه فكتب خالد الى عبد الملك بذلك

(ذكر قتل عبد الله بن خازم)

ولما قتل مصعب كان ابن خازم يقاتل بحير بن ورقاء الصريمي التميمي بنيسابور فكتب عبد الملك الى ابن خازم يدعوه الى البيعة له ويطعمه خراسان سبع سنين وارسل الكتاب مع سوادة بن اشيم النميري وقيل مع مكمل الغنوي فقال ابن خازم لولا ان اضرب بين سليم وعامر لقتلتك ولكن كل كتابك فاكله وقيل بل كان الكتاب مع سوادة بن عبد الله النميري وقيل مع مكمل الغنوي فقال له ابن خازم انما بعثك ابو الذبان لانك من غني وقد علم اني لا اقتل رجلا من قيس ولكن كل كتابه وكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح وكان خليفة ابن خازم على مرو بعهده على خراسان ووعده ومناه فخلع بكير عبد الله بن الزبير ودعا الى عبد الملك فاجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم فخاف ان يأتيه بكير فيجتمع عليه اهل مرو واهل نيسابور فترك بحيرا واقبل الى مرو يريد ابنه بترمذ فاتبعه بحير فلحقه بقرية على ثمانية فراسخ من مرو فقاتله ابن خازم فقتل ابن خازم وكان الذي قتله وكيع بن عمرو القريعي اعتوره وكيع وبحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز فطعنوه فصرعوه وقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لوكيع كيف قتلته قال غلبته بفضل القناة فلما صرع قعدت على صدره فلم يقدر أن يقوم وقلت يالثارات دويلة وهو اخو وكيع لامه قتل في بعض تلك الحروب قال وكيع فتنخم في وجهي وقال لعنك الله أتقتل كبش مضر باخيك وهو لا يساوي كفا من نوى او قال من تراب قال فما رأيت اكثر ريقا منه على تلك الحال عند الموت وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم الى عبد الملك يخبره بقتله ولم يبعث بالراس وبعث بحير بكير ابن وشاح في اهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم فاراد اخذ الراس وانفاذه الى عبد الملك فمنعه بحير فضربه بكير بعمود وحبسه وسير الراس الى عبد الملك وكتب اليه يخبره انه هو الذي قتله فلما قدم الراس دعا عبد الملك برسول بحير وقال ما هذا قال لا ادري وما فارقت القوم حتى قتل ابن

ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة ثم عاد بعد ذلك الى دين المجوسية ولحق ماني بارض الهند لاسباب اوجبت ذلك ثم ملك بعده ابنه (هرمز بن سابور) سنة واحدة وستة اشهر وكان عظيم الخلق شديد القوة وكان يلقب هرمز البطل لشجاعته وبنى مدينة هرمز من كور الاهواز ثم ملك بعده ابنه (بهرام بن هرمز) ثلاث سنين وثلاثة اشهر وكانت له حروب مع ملوك الشرق واتبع سيرة آبائه في حسن السياسة والرفق بالرعية ويقال انه اتاه ماني يعرض عليه مذهبه فصلبه على باب من ابواب المدينة وقتل الرؤساء من اصحابه ثم ملك بعده ابنه (بهرام بن بهرام) سبع عشرة سنة فاقبل في اول ملكه على القصف واللهو والنزهة والصيد لا يفكر في ملكه ولا رعيته واقطع الضياع لخواصه وخدمه فخربت البلاد وقل ما في بيوت الاموال وكان تدبير الملك مفوضا الى وزرائه فلما ان كان في بعض الايام ركب الى بعض نزهاته وصيده فجنه الليل وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة قمراء

القتال بينهم دائماً وغلت الأسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح فرسه وقسم لحمها في أصحابه وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم والمد الذرة بعشرين درهماً وإن بيوت ابن الزبير لمملوءة قمحاً وشعيراً وذرة وتمراً وكان أهل الشام ينتظرون فناء ما عنده وكان يحفظ ذلك ولا ينفق منه إلا ما يمسك الرمق ويقول أنفس أصحابي قوية ما لم يفن فلما كان قبيل مقتله تفرق الناس عنه وخرجوا إلى الحجاج بالأمان خرج من عنده نحو عشرة آلاف وكان ممن فارقه ابناه حمزة وخبيب أخذا لأنفسهما أماناً فقال عبد الله لابنه الزبير خذ لنفسك أماناً كما فعل أخواك فوالله إني لأحب بقاءكم فقال ما كنت لأرغب بنفسي عنك فصبر معه فقتل ولما تفرق أصحابه عنه خطب الحجاج الناس وقال قد ترون قلة من مع ابن الزبير وما هم عليه من الجهد والضيق ففرحوا واستبشروا وتقدموا فملؤوا ما بين الحجون إلى الأبواء فدخل على أمه فقال يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قتل معك وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين كم خلودك في الدنيا القتل أحسن فقال يا أماه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني قالت يا بني إن الشاة لا تتألم بالسلخ فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأيي والذي خرجت به دائباً إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله وأن تستحل حرماته ولكني أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتني بصيرة فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الأمر إلى الله فإن ابنك لم يتعمد إيثار منكر ولا عملاً بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم أو معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي اللهم لا أقول هذا تزكية لنفسي ولكني أقوله تعزية لأمي حتى تسلو عني فقالت أمه لأرجو أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني احتسبتك وإن ظفرت سررت بظفرك اخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك فقال جزاك الله خيراً ولا تدعي الدعاء لي قالت لا أدعه لك أبداً فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة وبره بأبيه وبي اللهم قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين فتناول يديها ليقبلهما فقالت هذا وداع فلا تبعد فقال لها جئت مودعاً لأني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا قالت امض على بصيرتك وادن مني حتى أودعك فدنا منها فعانقها وقبلها فوقعت يدها على الدرع فقالت ما هذا صنيع من يريد ما تريد فقال ما لبسته إلا لأشد متنك قالت فإنه لا يشد متني فنزعها ثم درج كمه وشد أسفل قميصه وجبة خز تحت أثناء السراويل وأدخل أسفلها تحت المنطقة وأمه تقول له البس ثيابك مشمرة فخرج وهو يقول

إني إذا أعرف يومي أصبر * وإنما يعرف يومه الحر * إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعته فقالت تصبر إن شاء الله أبواك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب فحمل على

الكعبة أموالاً وجواهر وقد كان ساسان أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً فقذفه في زمزم فوصل ذلك لعبد المطلب ثم ملك بعده (بهرام بن بهرام بن بهرام) فكان مدة ملكه أربع سنين وأربعة أشهر وسلك سبيل آبائه من العدل والسياسة وهو الذي يقول له بهرشاه ثم ملك بعده أخوه (نرسي بن بهرام) تسع سنين ثم ملك بعده ابنه (هرمز بن نرسي) تسع سنين أيضاً ولما مات هرمز لم يكن له ولد وكانت بعض نسائه حاملاً فعقدوا التاج على ما في بطنها فولدت ولداً سموه (سابور) فلما اشتد ظهرت منه نجابة عظيمة من صباه فكان أول ما ظهر منه أنه سمع ضجيج الناس بسبب الزحمة على الجسر الذي على دجلة بالمدائن فقال ما هذه الجلبة فقيل بسبب زحام المارين على الجسر فأمر أن يعمل إلى جانب الجسر جسر آخر يكون أحد الجسرين للخارجين والآخر للداخلين ففعلوه وزال الزحام وكان سنه إذ ذاك خمس سنين فتعجب الناس من نجابته وفي أيام صباه طمعت

حتى أخرجه طارق فلما قتل عبد الملك مصعبا وأتى الكوفة وجه منها الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفين وقيل في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب في تسييره دون غيره انه قال لعبد الملك قد رأيت في المنام اني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثني اليه وولني قتاله فبعثه وكتب معه امانا لابن الزبير ومن معه ان أطاعوا فسار في جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة ويبعث ابن الزبير أيضا فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير في كل ذلك وتعود خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه في دخول الحرم وحصر ابن الزبير ويخبره بضعفه وتفرق اصحابه ويستمده فكتب عبد الملك الى طارق يأمره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وأخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلا من أهل الشام اسمه ثعلبة فكان ثعلبة يخرج المخ وهو على منبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأكله ويأكل عليه القرا ليغيظ أهل المدينة وكان مع ذلك شديدا على أهل الزبير وقدم طارق على الحجاج بمكة في سلخ ذي الحجة في خمسة آلاف وأما الحجاج فانه قدم مكة في ذي القعدة وقد أحرم بحجة فنزل ببئر ميمون وحج بالناس تلك السنة الحجاج الا انه لم يطف بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة منعه ابن الزبير من ذلك فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب الى ان قتل ابن الزبير ولم يحج ابن الزبير ولا أصحابه لانهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا الجمار ونحر ابن الزبير بدنه بمكة ولما حصر الحجاج ابن الزبير نصب المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة وكان عبد الملك ينكر ذلك ايام يزيد ابن معاوية ثم أمر به فكان الناس يقولون خذل في دينه وحج ابن عمر تلك السنة فأرسل الى الحجاج ان اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس فانك في شهر حرام وبلد حرام وقد قدمت وفود الله من اقطار الارض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيرا وان المنجنيق قد منعهم عن الطواف فاكفف عن الرمي حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة فبطل الرمي حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا ولم يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعي فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادي الحجاج انصرفوا الى بلادكم فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد وأول ما رمي بالمنجنيق الى الكعبة ارعدت السماء وابرقت وعلا صوت الرعد على الحجارة فاعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم فاخذ الحجاج حجارة المنجنيق بيده فوضعها فيه ورمى بها معهم فلما اصبحوا جاءت الصواعق فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلا فانكسر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لا تنكروا هذا فاني ابن تهامة وهذه صواعقها وهذا الفتح قد حضر فابشروا فلما كان الغد جاءت الصاعقة فاصابت من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج الا ترون انهم يصابون وانتم على الطاعة وهم على خلافها وكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي ولا ينصرف وكان أهل الشام يقولون

يا ابن الزبير طالما عصيكا * وطالما عنيتنا اليكا * لتجزين بالذي أتيكا

يعنون عصيت وأتيت وقدم عليه قوم من الاعراب فقالوا قدمنا للقتال معك فنظر فاذا مع كل امرئ منهم سيف كأنه شفرة وقد خرج من غمده فقال يا معشر الاعراب لا قربكم الله فوالله ان سلاحكم لرث وان حديثكم لغث وانكم لقتال في الجدب أعداء في الخصب فتفرقوا ولم يزل

السعيد أقطعتك مما يخرب ألف قرية فما تصنعين بها قالت في اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الولد فنقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر اردتيه وايسر شيء طلبتيه مني وقدمت لك الوعد وانا ملي ثقة بذلك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان عمل في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته وخلا بالموبذان فقال ايها الملك ان الملك لا يتم الا بالشريعة ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قيام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين البرية نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك فلما سمع الملك ذلك اقام في موضعه ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين فانتزعت الضياع من ايدي الصناع من الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة فانتظم ملكه حتى كانت ايامه تدعى بالاعياد لما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل وكانت الفرس تهدي الى

أسماء قاتلك الله على ماذا صلبته قال استبقت انا وهو الى هذه الخشبة وكانت له فاستأذنته في تكفينه ودفنه فأبى ووكل بالخشبة من يحرسها وكتب الى عبد الملك يخبره بصلبه فكتب اليه يلومه ويقول الاخليت بينه وبين أمه فاذن لها الحجاج فدفنته بالحجون فربه عبد الله بن عمر فقال السلام عليك يا أبا خبيب أما والله لقد كنت انهاك عن هذا ولقد كنت صواما قواما وصولا للرحم أما والله ان قوما أنت شرهم لنعم القوم وكان ابن الزبير قبل قتله بقي أياما يستعمل الصبر والمسك لئلا ينتن فلما صلب ظهرت منه رائحة المسك فقيل ان الحجاج صلب معه كلبا ميتا فغلب على ريح المسك وقيل بل صلب معه سنورا ولما قتل عبد الله ركب أخوه عروة ناقة لم يرمثلها فسار الى عبد الملك فقدم الشام قبل وصول رسل الحجاج بقتل عبد الله فاتى باب عبد الملك فاستأذن عليه فاذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه عبد الملك ورحب به وعانقه وأجلسه على السرير فقال عروة

متت بأرحام اليك قريبة * ولا قرب للارحام مالم تقرب

ثم تحدثا حتى جرى ذكر عبد الله فقال عروة انه كان فقال عبد الملك وما فعل قال قتل فخر ساجدا فقال عروة ان الحجاج صلبه فهب جثته لامه قال نعم وكتب الى الحجاج يعظم صلبه وكان الحجاج لما فقد عروة كتب الى عبد الملك يقول له ان عروة كان مع أخيه فلما قتل عبد الله أخذ مالا من مال الله فهرب فكتب اليه عبد الملك انه لم يهرب ولكنه أتاني مبايعا وقد أمنته وحللته مما كان وهو قادم عليك فاياك وعروة وعاد عروة الى مكة وكانت غيبته عنها ثلاثين يوما فانزل الحجاج جثة عبد الله عن الخشبة وبعث به الى أمه فغسلته فلما أصابه الماء تقطع فغسلته عضوا عضوا فاستمسك وصلى عليه عروة ودفنته وقيل ان عروة لما كان غائبا عند عبد الملك كتب اليه الحجاج وعاوده في انفاذ عروة اليه فهم عبد الملك بانفاذه فقال عروة ليس الذليل من قتلتموه ولكن الذليل من ملكتموه وليس بملوم من صبر فمات ولكن الملوم من فر من الموت فسمع منه هذا الكلام فقال عبد الملك يا أبا عبد الله لن تسمع منا شيأ تكرهه وان عبد الله لم يصل عليه أحد منعه الحجاج من الصلاة عليه وقال انما أمر أمير المؤمنين بدفنه وقيل صلى عليه غير عروة والذى ذكره مسلم في صحيحه ان عبد الله بن الزبير ألقى في مقابر اليهود وعاشت أمه بعده قليلا وماتت وكانت قد أضرت وهي أم عروة أيضا فلما فرغ الحجاج من أمر ابن الزبير دخل مكة فبايعه أهلها لعبد الملك بن مروان وأمر بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وسار الى المدينة وكان عبد الملك قد استعمله على مكة والمدينة فلما قدم المدينة أقام بها شهرا أو شهرين فاساء الى أهلها واستخف بهم وقال أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان وختم أيدى جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافا بهم كما يفعل باهل الذمة منهم جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسهل بن سعد ثم عاد الى مكة فقال حين خرج منها الحمد لله الذى أخرجني من أم نتن أهلها أخبث بلد وأغشه لامير المؤمنين وأحسدهم له على نعمة الله والله لولا ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعوادا يعودون بها ورمة قد بليت يقولون منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ جابر بن عبد الله قوله فقال ان وراءه ما يسوءه قد قال فرعون ما قال ثم أخذه الله بعد ان أنظره وقيل ان ولاية الحجاج المدينة وما فعله

سابور في الديار فلم يجدوا احدا فلما سمع عمرو صهيل الخيل وهمهمة الرجال اقبل يصيح بصوت ضعيف فنظروا الى قفة معلقة في شجرة فاخذوه وجاؤا به الى سابور فلما وضع بين يديه نظر الى دلائل الهرم ومرور الايام عليه ظاهرة فقال له سابور من انت ايها الشيخ الفانى قال انا عمرو بن تميم وقد بلغت من العمر ما ترى وقد هرب الناس منك لاسرافك في القتل وانا اسألك عن أمر ان انت أذنت لى فيه فقال له سابور قل يسمع فقال ما الذى حملك على قتل رعيتك من رجال العرب فقال اقتلهم لما ارتكبوا في بلادى وأهل مملكتى فقال عمرو فعلوا ذلك ولست عليهم بقيم فلما ملكت رجعوا عما كانوا عليه من الفساد هيبة لك قال سابور واقتلهم أيضا لانا نجد في مخزون علمنا وباخبار أوائلنا ان العرب ستدال علينا قال عمرو هذا أمر تظنه أم تحققه قال بل اتحققه ولابد ان يكون ذلك قال عمرو فان كنت تعلم ذلك فلم تسيء الى العرب والله لئن تبق العرب وتحسن اليهم ليكافئون قومك عند ادالة الدولة لهم باحسانك اليوم

أهل الشام حملة منكرة فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه وقال له بعض أصحابه لو لحقت بموضع كذا فقال بئس الشيخ انا اذا فى الاسلام لئن أوقعت قوما فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم ودنا أهل الشام حتى امتلأت منهم الابواب وكانوا يصيحون به يا ابن ذات النطاقين فيقول * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * وجعل أهل الشام على أبواب المسجد رجالا من أهل كل بلد فكان لاهل حمص الباب الذى يواجه باب الكعبة ولاهل دمشق باب بنى شيبة ولاهل الاردن باب الصفا ولاهل فلسطين باب بنى جمح ولاهل قنسرين باب بنى تميم وكان الحجاج وطارق من ناحية الابطح الى المروة فمرة يحمل ابن الزبير فى هذه الناحية ومرة فى هذه الناحية فكأنه أسد فى أجمة ما يقدم عليه الرجال يعدو فى أثر القوم حتى يخرجهم ثم يصيح أبا صفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال أو كان قرنى واحدا كفيته فيقول أبو صفوان عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف اى والله والف فلما رأى الحجاج ان الناس لا يقدمون على ابن الزبير غضب وترجل وأقبل يسوق الناس ويصمد بهم صمد صاحب علم ابن الزبير وهو بين يديه فتقدم ابن الزبير على صاحب علمه وضاربهم فانكشفوا وعرج وصلى ركعتين عند المقام فحملوا على صاحب علمه فقتلوه عند باب بنى شيبة وصار العلم بايدى أصحاب الحجاج فلما فرغ من صلاته تقدم فقاتل بغير علم فضرب رجلا من أهل الشام وقال خذها وانا ابن الحوارى وضرب آخر وكان حبشيا فقطع يده وقال اصبر أبا حمة اصبر ابن حام وقاتل معه عبد الله بن مطيع وهو يقول

انا الذى فررت يوم الحره * والحر لا يفر الا مره * واليوم أجزى فرة بكره

وقاتل حتى قتل وقيل انه أصابته جراح فمات منها بعد أيام وقال ابن الزبير لاصحابه وأهله يوم قتل بعد صلاة الصبح اكشفوا وجوهكم حتى أنظر اليكم وعليهم المغافر ففعلوا فقال يا آل الزبير لو طبتم بى نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا فى الله فلا يرعكم وقع السيوف فان ألم الدواء للجراح أشد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم غضوا أبصاركم من البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا تسألوا عنى فمن كان سائلا عنى فانى فى الرعيل الاول احملوا على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرمى بآجرة رماه رجل من السكون فاصابته فى وجهه فأرعش لها ودمى وجهه فلما وجد الدم على وجهه قال

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقاتلهم قتالا شديدا فتعاودوا عليه فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه الى الحجاج فسجد ووفد السكونى والمرادى الى عبد الملك بالخبر فاعطى كل واحد منهما خمسمائة دينار وسار الحجاج وطارق حتى وقفا عليه فقال طارق ما ولدت النساء اذكر من هذا فقال الحجاج أتمدح مخالف أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا ولولا هذا لما كان لنا عذر انا محاصروه منذ سبعة أشهر وهو فى غير جند ولا حصن ولا منعة فينتصف منا بل يفضل علينا فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا ولما قتل ابن الزبير كبر أهل الشام فرحا بقتله فقال ابن عمر انظروا الى هؤلاء ولقد كبر المسلمون فرحا بولادته وهؤلاء يكبرون فرحا بقتله وبعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم الى المدينة ثم ذهب بها الى عبد الملك بن مروان وأخذ جثته فصلبها على الثنية اليمنى بالحجون فارسلت اليه

العرب فى بلاده واخربوها فلما بلغ من العمر ست عشرة سنة انتخب من فرسان عسكره عدة كثيرة وسار بهم الى العرب وهم من ولد اياد بن نزار وملكهم يومئذ الحرث الاغر الايادى وكانوا يصيفون بالجزيرة ويشتون بالعراق وقتل من وجد منهم ووصل الى الحسا والقطيف وشرع يقتل ولا يقبل فداء ثم سار الى اليمامة وسفك بها الدماء ولم يمر بماء للعرب الا غوره ولا ببئر الا طمها فعمهم القتل فما افلت منهم الا نفر لحقوا بارض الروم وصار ينزع اكتاف العرب حتى نزع فيما قيل كتف سبعين ألف رجل فلذلك سمى سابور ذو الاكتاف وصار اقيا عليه وقد اتى فى مسيره على بلاد البحرين وفيها يومئذ بنو تميم فامعن فى قتلهم وشيخها يومئذ عمرو بن تميم ابن مرة وله من العمر ثلثمائة سنة وكان يعلق فى عمود البيت فى قفة قد اتخذت له فلما سمعوا بمسير سابور اليهم رحلوا وارادوا حمله معهم فابى عليهم الا ان يتركوه فى ديارهم وقال انا هالك اليوم او غدا ولعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك فخلوا عنه وتركوه فاصبحت خيل

من عجائب الدنيا لان سمك صغير له كل سنة موسم يخرج من هذه البحيرة في نهر يصب اليها كثيرا يؤخذ بالايدي والآلات المصنوعة له فاذا انقضى موسمه لا يوجد منه شئ

(ذكر قتل أبي فديك الخارجي)

قد ذكرنا سنة اثنتين وسبعين قتل نجدة بن عامر الخارجي وطاعة أصحابه أبا فديك وثبات قدم أبي فديك الى الآن فأمر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر ان يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة ويسير الى قتاله فندبهم وانتدب معه عشرة آلاف فأخرج لهم أرزاقهم ثم سار بهم وجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وأهل البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وهو ابن أخي عمر وجعل خيله في القلب وساروا حتى انتهوا الى البحرين فالتقوا واصطفوا للقتال فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر حتى أبعدوا الى المغيرة بن المهلب ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فانهم مالوا الى صف أهل الكوفة بالميمنة وجرح عمر بن موسى فلما رأى أهل الميسرة أهل الميمنة لم ينهزموا رجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير لان أميرهم عمر بن موسى كان جريحا فحملوه معهم واشتد قتالهم حتى دخلوا عسكر الخوارج وحمل أهل الكوفة من الميمنة ومن معهم من أهل الميسرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروا أصحابه بالمشقر فنزلوا على الحكم فقتل منهم نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة ووجدوا جارية عبد الله بن أمية حبلى من أبي فديك وعادوا الى البصرة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاها أخاه بشرا في قول بعضهم فاجتمع له المصران الكوفة والبصرة فسار بشر الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فهزمهم وفيها كانت وقعة عثمان بن الوليد بالروم من ناحية ارمينية في أربعة آلاف والروم في ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم وحج بالناس هذه السنة الحجاج وكان على مكة واليمن واليمامة وكان على الكوفة والبصرة في قول بعضهم بشر بن مروان وقيل كان على الكوفة بشر وعلى البصرة خالد بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحرث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان بكير بن وشاح وفي هذه السنة مات عبد الله بن عمر بمكة ودفن بذي طوى وقيل بفخ وكان سبب موته ان الحجاج أمر بعض أصحابه فضرب ظهر قدمه بزج رمح مسموم فمات منها وعاده الحجاج في مرضه فقال من فعل بك هذا قال أنت لانك أمرت بحمل السلاح في بلد لا يحل حمله فيه وكان موته بعد ابن الزبير بثلاثة أشهر وقيل غير ذلك وكان عمره سبعا وثمانين سنة وفيها مات سلمة بن الاكوع وأبو سعيد الخدري ورافع بن خديج ومالك بن مسمع أبو غسان البكري وقيل مات سنة أربع وستين وولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي سلم بن زياد بن أبيه قبل بشر بن مروان واسماء بنت أبي بكر بعد ابنها بقليل وكانت قد عميت وكانت مطلقة من الزبير قيل ان ابنها عبد الله قال له مثلي لا توطأ أمه فطلقها وفيها مات عوف بن مالك الاشجعي وكان أول مشاهده خيبر ومعاوية ابن حديج قبل ابن عمر بيسير وفيها مات معبد بن خالد الجهني وهو ابن ثمانين سنة وله صحبة وفيها

ودهاتهم ووقعت عينه على سابور فانكره وجعل يتأمل شخصه فرأى عليه مخايل الرياسة وتأمل صورة سابور في كأس كانت بيده فتحقق انه سابور فعند ذلك نقر الحكيم بجامه الذي بيده ووضعه على اذنه فقال له قيصر ماذا تسمع ايها الحكيم فقال يعلم الملك ان الجام يقول لي ان صاحب هذه الصورة التي عليه حاضر معنا في مجلسنا هذا وبحثوا عنه فعرفوه فعرض ذلك على قيصر فقبض عليه فلما مثل بين يديه سأله عن خبره فقال أنا من اساورة سابور وهربت منه لامر خفته فلم يقبل ذلك منه وقدمه الى السيف فاقر بنفسه فعمل له من جلود البقر صورة بقرة كاعظم ما يكون من البقر تسع طاقات واتخذ له باب من اعلاها في ظهر الصورة يدخل اليها ويخرج منها ويجعل من أسفلها وضع المبال فامر بسابور فجعلت يداه الى عنقه بسلسلة من الذهب بحيث يتناول ما يصلحه من طعام وغيره فسار قيصر في جنوده وقد عزم على خراب بلاد الفرس وحمل معه تلك الصورة التي سجن فيها سابور بعد ان وكل عليها مائة رجل من ذوي البأس

بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنة أربع وسبعين في صفر (خبيب بن عبد الله ابن الزبير بضم الخاء المعجمة وبياءين موحدتين بينهما ياء مثناة من تحت وكان عبد الله يكنى به وبأبي بكر أيضا)

(ذكر عمر ابن الزبير وسيرته)

كان له من العمر حين قتل اثنتان وسبعون سنة وكانت خلافته تسع سنين لأنه بويع له سنة أربع وستين وكانت له جمة مفروقة طويلة قال يحيى بن وثاب كان ابن الزبير اذا سجد وقعت العصافير على ظهره تظنه حائطا لسكونه وطول سجوده وقال غيره قسم عبد الله الدهر ثلاث حالات فليلة قائم حتى الصباح وليلة راكع حتى الصباح وليلة ساجد حتى الصباح وقيل أول ما علم من همة ابن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان وهو صبي فمر به رجل فصاح عليهم ففروا ومشى ابن الزبير القهقرى وقال يا صبيان اجعلوني أميركم وشدوا بنا عليه ففعلوا ومر به عمر بن الخطاب وهو يلعب ففر الصبيان ووقف هو فقال له عمر ما لك لم تفر معهم فقال لم أجرم فأخافك ولم يكن الطريق ضيقة فأوسع لك وقال قطن بن عبد الله كان ابن الزبير يواصل من الجمعة الى الجمعة قال خالد بن أبي عمران كان ابن الزبير يفطر في الشهر ثلاثة أيام ومكث أربعين سنة لم ينزع ثيابه عن ظهره وقال مجاهد لم يكن باب من أبواب العبادة يعجز عنه الناس الا تكلفه ابن الزبير ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل ابن الزبير يطوف سباحة قال هشام ابن عروة كان أول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف فكان لا يضعه من يده فكان الزبير يقول والله ليكونن لك منه يوم وأيام قال ابن سيرين قال ابن الزبير ما شيء كان يحدثنا به كعب الا وقد جاء على ما قال الا قوله فتى ثقيف يقتلني وهذا رأسه بين يدي يعني المختار قال ابن سيرين ولا يشعر ابن الزبير أن الحجاج قد خبئ له وقال عبد العزيز بن أبي جميلة الانصاري ان ابن عمر مر بابن الزبير وهو مصلوب بعد قتله فقال رحمك الله أبا خبيب انك كنت صواما قواما ولقد أفلحت قريش ان كنت شرها وكان الحجاج قد صلبه ثم ألقاه في مقابر اليهود وأرسل الى أمه يستحضرها فلم تحضر فأرسل اليها لتأتيني أو لأبعثن اليك من يسحبك بقرونك فلم تأته فقام اليها فلما حضر قال لها كيف رأيتني صنعت بعبد الله قالت رأيتك أفسدت على ابني دنياه وأفسد عليك آخرتك أما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ان في ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فقد رأيناه تعني المختار وأما المبير فأنت هو وهذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه وقال ابن الزبير لعبد الله بن جعفر أتذكر يوم لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت فأخذني فاطمة فقال نعم فحملنا وتركك ولو علم انه يقول له هذا ما سأله

(ذكر ولاية محمد بن مروان الجزيرة وارمينية)

وفي هذه السنة استعمل عبد الملك أخاه محمدا على الجزيرة وأرمينية فغزا منها وأثخن العدو وكانت بحيرة الطريخ التي بارمينية مباحة لم يعرض لها أحد بل يأخذ منها من شاء فمنع من صيدها وجعل عليها من يأخذه ويبيعه ويأخذ ثمنه ثم صارت بعده لابنه مروان ثم أخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم وهي الى الآن على هذه الحال من الحجر ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من أوزارهم شيء وهذا الطريخ

من

وان أنت طالت بك المدة كانوا لك عند مصير الامر اليهم فيبقون عليك فقال سابور الرأي ما قلت ولقد صدقت ونصحت فرفع السيف وانكف عن قتلهم ويقال ان عمره بقي بعد ذلك ثماني سنة وفي سلوان المطاع ان سابور لما أراد ان يدخل بلاد الروم متنكرا نهاه نصحاؤه وحذروه فلم يسمع كلامهم فسار واستصحب وزيرا كان له ولابيه من قبله وكان شيخا ذا دهاء وسداد ورأي عالما بالديانات واللغات والمكايد فتوجها معا نحو الشام فتزيا الوزير بزي الرهبان وتكلم بلسان الجلالقة وتعرف بصناعة الطب الجراحي وكان معه الدهن الصيني اذا دهنت به الجراحات برئت واندملت في الحال ولا يأخذ على تلك المداواة اجرا فانتشر صيته في البلاد فلما طافا بلاد الشام وقصدا القسطنطينية فقدماها فصادفا وليمة لقيصر وقد اجتمع بها الخاص والعام فدخلاها في جملتهم وجلسا على موائدهم وقد كان قيصر قدام مصورا فصور صورة سابور على أوانيه والستائر والابواب وكان في المجلس رجل من حكماء الروم

عودهم ويأمرهم بالرجوع الى المهلب ولم يأذن لهم فى دخول الكوفة فانتظروا الليل ثم دخلوا الى بيوتهم فاقاموا حتى قدم الحجاج اميرا

(ذكر عزل بكير عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله بن خالد)

فى هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وساج عن خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكانت ولاية بكير سنتين وكان سبب عزله ان تميما اختلفت بها فصارت مقاعس والبطون يتعصبون لبحير و يطلبون بكيرا وصارت أوف والابناء يتعصبون لبكير وكل هذه بطون من بنى تميم فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ويقهرهم المشركون فكتبوا الى عبد الملك بذلك وانها لاتصلح الا على رجل من قريش لايحسدونه ولا يتعصبون عليه فاستشار عبد الملك فيمن يوليه فقال امية يا أمير المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا انهزامك عن أبى فديك كنت لها قال يا أمير المؤمنين والله ما انهزمت حتى خذلنى الناس ولم أجد مقاتلا فرأيت ان انحيازى الى فئة أفضل من تعرض عصبة بقيت من المسلمين للهلكة وقد كتب اليك خالد بن عبد الله بعذرى وقد علم الناس ذلك فولاه خراسان وكان عبد الملك يحبه فقال الناس ما رأينا أحدا عوض من هزيمة ما عوض امية فلما سمع بكير بمسيره ارسل الى بحير وهو فى حبسه وقد تقدم ذكر ذلك فى مقتل ابن خازم يطلب منه الصلح فامتنع بحير وقال ظن بكير أن خراسان تبقى له فى الجماعة ومشت السفراء بينهم فأبى ذلك بحير فدخل عليه ضرار بن حصين الضبى فقال أراك أحمق يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك وأنت أسيره والسيف بيده ولو قتلك ما حبقت فيك عنز فلا تقبل منه اقبل الصلح واخرج وأنت على رأس امرك فقبل منه وصالح بكيرا فارسل اليه بكير باربعين ألفا وأخذ عليه ان لا يقاتله وخرج بحير فاقام يسأل عن مسير أمية فلما بلغه انه قد قارب نيسابور سار اليه ولقيه بها فأخبره عن خراسان وما يحسن به طاعة اهلها ورفع على بكير أموالا أخذها وحذره غدره وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية كريما ولا يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه شرطته فابى فولاها بحير بن ورقاء فلام بكيرا رجال من قومه فقال كنت بالامس أميرا تحمل الحراب بين يدى فاصير اليوم أحمل الحربة ثم خير أمية بكيرا ان يوليه ما شاء من خراسان فاختار طخارستان قال فتجهز لها فانفق مالا كثيرا فقال بحير لامية ان أتى طخارستان خلعك وحذره فلم يوله (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين وبحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء)

(ذكر ولاية عبد الله بن أمية سجستان)

لما وصل أمية بن عبد الله الى كرمان استعمل ابنه عبد الله على سجستان فلما قدمها غزا رتبيل الذى ملك بعد المقتول الاول وكان رتبيل هائبا للمسلمين فلما وصل عبد الله الى بست أرسل رتبيل يطلب الصلح وبذل ألف ألف وبعث اليه بهدايا ورقيق فأبى عبد الله قبول ذلك وقال ان ملأ لى هذا الرواق ذهبا والا فلا صلح وكان غرا فخلى له رتبيل البلاد حتى أوغل فيها وأخذ عليه الشعاب والمضايق فطلب أن يخلى عنه وعن المسلمين ولا يأخذ منه شيأ فأبى رتبيل وقال بل يأخذ ثلثمائة ألف درهم صلحا ويكتب لنا به كتابا ولا يغزو بلادنا ما كنت أميرا ولا يحرق ولا يخرب ففعل وبلغ ذلك عبد الملك فعزله

المدينة وهم يتحارسون على سورها فراطنهم بالفارسية فعرفوه ما ورفعوه ما اليهم بالحبال فلما دخل سابور المدينة فتح خزائن السلاح وخرج على الروم فكبسهم وهم غافلون مطمئنون فظفر بقيصر فاسره واحتوى على خزائنه ولم ينج من جنوده الا القليل وفى ذلك يقول الحرث

هم ملكوا جميع الناس طرا
وهم رتقوا هرقلا بالسواد
وهم قتلوا أباقابوس غصبا
وهم اخذوا البسيطة من اياد

ثم أمر سابور قيصر ومن معه من الاسارى أن يغرسوا بالعراق الزيتون بدلا عما قطعوه من النخل ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك وأمر أن يعمر ما أخربه من البلاد من تراب بلده حتى يطلقه فامر قيصر رعيته بنقل التراب من بلادهم الى فارس فلم يزل قيصر فى امره حتى أعمر ما غرس وعمر ما خرب وأطلق ما كان فى أسره من الفرس ثم أطلقه بعد ان قال له شذاهتك واستعد عدتك فانى غاز أرضك عن قريب وقد كانت ملوك الساسانية تسكن بطيسفون غربى المدائن فسكن سابور

قتل عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله مع ابن الزبير وهو ابن أخي طلحة بن عبيد الله وله صحبة (رافع بن خديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ومعاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم)

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين)

في هذه السنة عزل عبد الملك طارقا عن المدينة واستعمل عليها الحجاج فأقام بها أشهرا وفعل بالصحابة ما تقدم ذكره وخرج عنها معتمرا وفيها هدم الحجاج بناء الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه وأعادها الى البناء الاول وأخرج الحجر منها وكان عبد الملك يقول كذب ابن الزبير على عائشة في ان الحجر من البيت فلما قيل له قال غيرا بن الزبير انها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وددت اني تركته وما يحمل وفيها استقضى عبد الملك ابا ادريس الخولاني

(ذكر ولاية المهلب حرب الازارقة)

لما استعمل عبد الملك أخاه بشرا على البصرة سار اليها فأتاه كتاب عبد الملك يأمره ان يبعث المهلب الى حرب الازارقة في أهل البصرة ووجوههم وكان ينتخب منهم من أراد ان يتركه وراءه في الحرب وأمره ان يبعث من أهل الكوفة رجلا شريفا معروفا بالبأس والنجدة والتجربة في جيش كثيف الى المهلب وأمرهم ان يتبعوا الخوارج أين كانوا حتى يهلكوهم فارسل المهلب جديع بن سعيد بن قبيصة وامره أن ينتخب الناس من الديوان وشق على بشر ان امرة المهلب جاءت من عبد الملك فاوغرت صدره عليه حتى كانه اذنب اليه فدعا عبد الرحمن ابن مخنف فقال له قد عرفت منزلتك عندي وقد رأيت ان أوليك هذا الجيش الذي أسيره من الكوفة للذي عرفته منك فكن عند أحسن ظني بك وانظر الى هذا كذا كذا يقع في المهلب فاستبد عليه بالامر ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه قال عبد الرحمن فترك أن يوصيني بالجيش وقتال العدو والنظر لاهل الاسلام وأقبل يغريني بابن عمي كاني من السفهاء ما رأيت شخصا مثلي طمع منه في مثل هذا قال فلما رأى اني لست بنشيط الى جوابه قال لي مالك قلت أصلحك الله وهل يسعني الا انفاذ أمرك فيما أحببت وكرهت وسار المهلب حتى نزل رامهرمز فلقي بها الخوارج فخندق عليه وأقبل عبد الرحمن في أهل الكوفة ومعه بشر بن جرير ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس واسحق بن محمد بن الاشعث وزحر بن قيس فسار حتى نزل على ميل من المهلب حيث يتراءى العسكران برامهرمز فلم يلبث العسكر حتى أتاهم نعي بشر بن مروان توفي بالبصرة فتفرق ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس واسحق بن محمد بن الاشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد فاتوا الاهواز فاجتمع بها ناس كثير فبلغ ذلك خالد بن عبد الله فكتب اليهم يأمرهم بالرجوع الى المهلب ويتهددهم ان لم يفعلوا بالضرب والقتل ويحذرهم عقوبة عبد الملك فلما قرأ الرسول من الكتاب عليهم سطرا أو سطرين قال زحر أوجز فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس اليه وأقبل زحر ومن معه حتى نزلوا الى جانب الكوفة وأرسلوا الى عمرو بن حريث ان الناس لما بلغهم وفاة الامير تفرقوا فاقبلنا الى مصرنا وأحببنا أن لا ندخل الا باذن الامير فكتب اليهم ينكر عليهم

عودهم

والقوة يحفظونها ويحملونها دولا بينهم فاذا نزل العسكر ضربت حواليها قباب الحرس وجعل المطران رئيسا عليهم فقدم وزير سابور على المطران في صورة راهب طبيب وصاحبه فعرف له حقه وانزله عنده وجعل زمام أمره ونهيه بيده وهو في كل ليلة يمتع المطران باخبار ظريفة رافعا صوته ليسمع سابور حديثه ويتسلى بذلك ويدس في احاديثه ما يجب ان يعلمه سابور ويفطن له من الاسرار وكان سابور يجد لذلك أعظم راحة ولم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى وصل الى أرض فارس فافتتح المدن وشن الغارات وعقر النخل حتى انتهى الى مدينة جنديسابور وهي دار الملك لسابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها ونصب المجانيق فلما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل على الطباخ فالقى في جميع الاطعمة سما فلما أكلوا استمروا صرعى في مضاجعهم فبادر الوزير بفتح باب الصورة عن سابور واستخرجه وازال الجامعة من عنقه وتلطف حتى أخرجه من عسكر قيصر وقصد نحو

وهدموا الحصون ونهبوا الاموال وهذا هو الخراب الاول لافريقية فلما قرب حسان من البلاد لقيه جمع من أهلها من الروم يستغيثون من الكاهنة ويشكون اليه منها فسره ذلك وسار الى قابس فلقيه اهلها بالاموال والطاعة وكانوا قبل ذلك يتحصنون من الامراء ويجعل فيها عاملا وسار الى قفصة ليتقرب الطريق فأطاعه من بها واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوة وبلغ الكاهنة قدومه فأحضرت ولدين لها وخالد بن يزيد وقالت لهم انى مقتولة فامضوا الى حسان وخذوا لانفسكم منه امانا فساروا اليه وبقوا معه وسار حسان نحوها فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل حتى ظن الناس انه الفناء ثم نصر الله المسلمين وانهزم البربر وقتلوا قتلا ذريعا وانهزمت الكاهنة ثم ادركت فقتلت ثم ان البربر استأمنوا الى حسان فامنهم وشرط عليهم ان يكون منهم عسكر مع المسلمين عدتهم اثنا عشر الفا يجاهدون العدو فاجابوه الى ذلك فجعل على هذا العسكر ابنى الكاهنة ثم فشا الاسلام فى البربر وعاد حسان الى القيروان فى رمضان من تلك السنة واقام لا ينازعه احد الى ان توفى عبد الملك فلما ولى الوليد بن عبد الملك ولى افريقية عمه عبد الله بن مروان فعزل عنها حسانا واستعمل موسى بن نصير سنة تسع وثمانين على ما نذكره ان شاء الله وقد ذكر الواقدى أن الكاهنة خرجت غضبا لقتل كسيلة وملكت افريقية جميعها وعملت باهلها الافاعيل القبيحة وظلمتهم الظلم الشنيع ونال من بالقيروان من المسلمين اذى شديد بعد قتل زهير بن قيس سنة سبع وستين فاستعمل عبد الملك على افريقية حسان بن النعمان فسار فى جيوش كثيرة وقصد الكاهنة فاقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم جماعة كثيرة وعاد حسان منهزما الى نواحى برقة فاقام بها الى سنة اربع وسبعين فسير اليه عبد الملك جيشا كثيفا وأمره بقصد الكاهنة فسار اليها وقاتلها فهزمها وقتلها وقتل أولادها وعاد الى القيروان وقيل انه لما قتل الكاهنة عاد من فوره الى عبد الملك واستخلف على افريقية رجلا اسمه أبو صالح اليه ينسب فحص صالح

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان على قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وقيل ان عبد الملك اعتمر هذه السنة ولا يصح وفيها غزا محمد بن مروان الروم صائفة فبلغ اندولية وفيها مات جابر بن سمرة السوائى فى امارة بشر بن مروان بالكوفة وفى امارته أيضا مات أبو جحيفة بالكوفة وفيها مات عمرو بن ميمون الاودى وقيل سنة خمس وسبعين وكان قد أدرك الجاهلية وهو من المعمرين وفيها مات عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان من عمال عمر وقيل مات سنة ثلاث وسبعين وفيها مات عبد الرحمن بن عثمان التيمى وله صحبة وفيها مات محمد بن حاطب بن الحرث الجمحى وكان مولده بارض الحبشة وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم وفيها مات ابو سعيد بن معلى الانصارى وفيها مات أوس بن ضمعج الكوفى (ضمعج بالضاد المعجمة والجيم)

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين)

فى هذه السنة غزا محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش

(ذكر ولاية الحجاج بن يوسف العراق)

نحسنه فأخبروه بذلك فنظر اليه فاعجبه وأمر باسراجه والجامه فلما أسرج مسح وجهه وناصيته واستدار حوله فرفسه رفسة أصاب بها كبده فقتله ثم هرب الفرس فلم يعلم أحد أين ذهب وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ثم ملك بعده ابنه (بهرام جور بن يزدجرد) وكان أبوه يزدجرد سلمه للنعمان بن امرئ القيس أحد ملوك الحيرة من العرب وهو صاحب الخورنق ليربيه ويعلمه الفروسية فلما مات أبوه تولى الملك شخص يسمى كسرى من ولد اردشير فلما بلغ ذلك بهرام جور انتصر بالنعمان ووقع بينهما مراسلات كثيرة وآخر الامر اصطلحا على ان يجعلا التاج بين اسدين شبلين فمن تناوله فهو الملك فلما حضر كلاهما الموعد دخل بهرام ووثب على أحد الاسدين فعصر بفخذيه ثم تناول الاسد الآخر من اذنه فلم يزل يضرب رأس أحدهما بالآخر حتى قتلهما فأخذ التاج ولبسه واستقر على سرير الملك وكان عادلا عاقلا ذا شغف بالقتال مؤثرا على اعدائه وكان

(ذكر ولاية حسان بن النعمان افريقية)

قد ذكرنا ولاية زهير بن قيس سنة اثنتين وستين وكان قتله سنة تسع وستين فلما علم عبد الملك قتله عظم عليه وعلى المسلمين وأهمه ذلك وشغله عن افريقية ما كان بينه وبين ابن الزبير فلما قتل ابن الزبير واجتمع المسلمون عليه جهز جيشا كثيرا واستعمل عليهم وعلى افريقية حسان بن النعمان الغساني وسيرهم اليها في هذه السنة فلم يدخل افريقية قط جيش مثله فلما ورد القيروان تجهز منها وسار الى قرطاجنة وكان صاحبها أعظم ملوك افريقية ولم يكن المسلمون قط حاربوها فلما وصل اليها رأى بها من الروم والبربر ما لا يحصى كثرة فقاتلهم وحصرهم وقتل منهم كثيرا فلما رأوا ذلك اجتمع رأيهم على الهرب فركبوا في مراكبهم وسار بعضهم الى صقلية وبعضهم الى الاندلس ودخلها حسان بالسيف فسبى ونهب وقتلهم قتلا ذريعا وأرسل الجيوش فيما حولها فاسرعوا اليه خوفا فامرهم فهدموا من قرطاجنة ما قدروا عليه ثم بلغه ان الروم والبربر قد اجتمعوا له في صطفورة وبنزرت وهما مدينتان فسار اليهم وقاتلهم ولقي منهم شدة وقوة فصبر لهم المسلمون فانهزمت الروم وكثر القتل فيهم واستولوا على بلادهم ولم يترك حسان موضعا من بلادهم الا وطئه وخافه أهل افريقية خوفا شديدا ولجأ المنهزمون من الروم الى مدينة باجة فتحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة بونة فعاد حسان الى القيروان لان الجراح قد كثرت في أصحابه فاقام بها حتى صحوا

(ذكر تخريب افريقية)

لما صلح الناس قال حسان دلوني على أعظم من بقي من ملوك افريقية فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة وكانت تخبرهم باشياء من الغيب ولهذا سميت الكاهنة وكانت بربرية وهي بجبل أوراس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة فسأل اهل افريقية عنها فعظموا محلها وقالوا له ان قتلتها لم تختلف البربر بعدها عليك فسار اليها فلما قاربها هدمت حصن باغاية ظنا منها انه يريد الحصون فلم يعرج حسان على ذلك وسار اليها فالتقوا على نهر نيني واقتتلوا أشد قتال رآه الناس فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وانهزم حسان وأسر جماعة كثيرة أطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسي وكان شريفا شجاعا فاتخذته ولدا وسار حسان حتى فارق افريقية وأقام وكتب الى عبد الملك يعلمه الحال فأمره عبد الملك بالمقام الى أن يأتيه أمره فاقام بعمل برقة خمس سنين فسمي ذلك المكان قصور حسان الى الآن وملكت الكاهنة افريقية كلها فأساءت السيرة في أهلها وعسفتهم وظلمتهم ثم سير اليه عبد الملك الجنود والاموال وأمره بالمسير الى افريقية وقتال الكاهنة فارسل حسان رسولا سرا الى خالد بن يزيد وهو عند الكاهنة بكتاب يستعلم منه الامور فكتب اليه خالد جوابه في رقعة يعرفه تفرق البربر ويأمره بالسرعة وجعل الرقعة في خبزة وعاد الرسول فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول ذهب ملككم فيما يأكل الناس فطلب الرسول فلم يوجد فوصل الى حسان وقد احترق الكتاب بالنار فعاد الى خالد وكتب اليه بما كتب أولا وأودعه قربوس السرج فسار حسان فلما علمت الكاهنة بمسيره اليها قالت ان العرب يريدون البلاد والذهب والفضة ونحن انما نريد المزارع والمراعي ولا أرى الا أن اخرب افريقية حتى ييأسوا منها وفرقت اصحابها ليخربوا البلاد فخربوها

وهدموا

في الجانب الشرقي وبقي هناك الايوان المعروف بايوان كسرى الباقي آثاره الى هذه الغاية واستمر الايوان في ملكه حتى مات بعد اثنتين وسبعين سنة وهي مدة ملكه ومدة عمره ثم ملك بعده أخوه (اردشير ابن هرمز) اربع سنين بوصية له من سابور بالملك لان ابن سابور يومئذ كان صغيرا فخلع وملك بعده (سابور بن سابور) وسلك سيرة أبيه وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرها من العرب فسقط عليه فسطاط كان منصوبا عليه فمات من ذلك ثم ملك بعده أخوه (بهرام بن سابور) وهو الذي يدعى كرمانشاه لانه كان على كرمان وسلك السيرة الحسنة وملك احدى عشرة سنة فوثب عليه جماعة من الفرس فقتلوه فلما هلك ملك بعده ابنه (يزدجرد بن بهرام) المعروف بالاثيم وكان فظا غليظا لئيم الاخلاق فسلك أقبح سيرة فاجتمع الناس ودعوا الله عليه وذكروا انه تقبل الله دعاءهم وذكروا انهم رأوا فرسا اقبل بشدة عدو حتى وقف على بابه فتعجب الناس من

السلام اما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب ثم قال للقارئ اقرأ فلما قرأ السلام عليكم قالوا بأجمعهم سلام الله على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم دخل منزله لم يزد على ذلك ثم دعا العرفاء وقال الحقوا الناس بالمهلب وأتونى بالبراءات بموافاتهم ولا تغلقن ابواب الجسر ليلا ولا نهارا حتى تنقضى هذه المدة (تفسير هذه الخطبة) قوله انا ابن جلا فابن جلا هو الصبح لانه يجلو الظلمة وقوله فاشتدى زيم هو اسم للحرب والحطم الذى يحطم كل ما مر به والوضم ما وقى به اللحم عن الارض والعصلبى الشديد والاعلاط من الابل التى لا ارسان عليها وقوله فعجم عيدانها اى عضها واختبرها وقوله لاعصبنكم عصب السلمة فالعصب القطع والسلم شجر من العضاه وقوله لا اخلق الا فريت فالخلق التقدير ويقال فريت الاديم اذا اصلحته والسمهى الباطل واصله ما تسميه العامة مخاط الشيطان والعطاط بضم العين وقيل بفتحها ضرب من الطير فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال يا اهل العراق واهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به وجه الله ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف يا بنى اللكيعة وعبيد العصا وابناء الايامى ألا يربع رجل منكم على ظلعه ويحسن حقن دمه ويعرف موضع قدمه فاقسم بالله لأوشك ان اوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وادبا لما بعدها فقام عمير بن ضابئ الحنظلى التميمى فقال أصلح الله الامير انا فى هذا البعث وانا شيخ كبير عليل وابنى هذا اشب منى فقال الحجاج هذا خير لنا من ابيه ثم قال ومن انت قال انا عمير بن ضابئ قال اسمعت كلامنا بالامس قال نعم قال ألست الذى غزا عثمان بن عفان قال بلى قال يا عدو الله افلا الى عثمان بعثت بدلا وما حملك على ذلك قال انه حبس أبى وكان شيخا كبيرا قال اولست القائل

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

انى لاحسب أن فى قتلك صلاح المصرين وأمر به فضربت رقبته وأنهب ماله وقيل ان عنبسة ابن سعيد بن العاص قال للحجاج أتعرف هذا قال لا قال هذا أحد قتلة عثمان فقال الحجاج أى عدو الله أفلا الى أمير المؤمنين بعثت بديلا ثم أمر به فضربت عنقه وأمر مناديا فنادى الا ان عمير بن ضابئ أتى بعد ثلاثة وكان سمع النداء فأمرنا بقتله الا ان ذمة الله بريئة ممن لم يأت الليلة الى جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرج العرفاء الى المهلب وهو برامهرمز فأخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدو فلما قتل الحجاج عميرا لقى ابراهيم بن عامر الاسدى عبد الله بن الزبير فسأله عن الخبر فقال

أقول لابراهيم لما لقيته * أرى الامر أضحى منصبا متشعبا
تجهز وأسرع فالحق الجيش لا أرى * سوى الجيش الا فى المهالك مذهبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فحال ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هى أقربا
فكائن ترى من مكره الغزو مسمرا * تحمم حنو السرج حتى تحنبا

تحمم أى لزمه حتى صار كالحمم وتحنب اعوج والزبير ههنا بفتح الزاى وكسر الباء وقيل وكان

امره فركب بهرام وقال لاساورة الهند احرسوا ظهرى وانظروا الى عملى وكانوا قوما لا يعرفون الرمى وأكثرهم رجالة فحمل عليهم حملة هزمهم ثم جعل يضرب الرجل فيقطعه نصفين ويأتى الفيل فيضرب مشفره ويكبه على أم راسه ويتناول من عليه فيقتله ويأخذ الفارس فيذبحه على قربوس سرجه ويتناول الرجلين فيضرب أحدهما بالآخر فيموتان معا ويرمى فلا تقع له نشابة فى الارض فولوا منهزمين وحمل أصحابه الذين كانوا معه يحرسون ظهره عليهم فاكثروا القتل فيهم فانكب ملك الهند ابنته واقطعه من بلاده جانبا كبيرا ثم انصرف بهرام الى مملكته ولم يزل تحمل اليه أموال تلك البلاد وذكر فى زهرة الادب ان بهرام جور خرج يوما متصيدا فعن له حمار وحش فاتبعه حتى صرعه وقد انفرد عن أصحابه فنزل عن فرسه يريد ذبحه ومر براع فقال له امسك لى فرسى وتشاغل بذبح الحمار وحانت منه التفاتة فرأى الراعى يقلع جوهرا من عذار فرسه وكان العذار ياقوتا

فى هذه السنة ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان فارسل اليه عبد الملك بعهده على العراق وهو بالمدينة وأمره بالمسير الى العراق فسار فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجأة وقد كان بشر بعث المهلب الى الخوارج فبدأ الحجاج بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال على بالناس فحسبوه وأصحابه خارجية فهموا به وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم فاجتمع الناس وهو ساكت قد أطال السكوت فتناول محمد بن عمير حصباء وأراد أن يحصبه بها وقال قاتله الله ما أغباه وأذمه والله لانى لاحسب خبره كروائه فلما تكلم الحجاج جعلت الحصباء تنتثر من يده وهو لا يعقل به قال ثم كشف الحجاج عن وجهه وقال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

أما والله انى لاحمل الشر محمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله وانى لارى رؤسا قد اينعت وقد حان قطافها انى لانظر الى الدماء بين العمائم واللحى قد شمرت عن ساقها تشميرا

هذا اوان الحرب فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال

قد لفها الليل بعصلبى * اروع خراج من الدوى * مهاجر ليس باعرابى

ليس اوان بكرة الخلاط * جاءت به والقلص الاعلاط * تهوى هوى سائق الغطاط

انى والله يا أهل العراق ما أغمز تغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكا وجريت الى الغاية القصوى ثم قرأ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك وأشباه أولئك ان أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فوجهنى اليكم ورمى بى فى نحوركم فانكم اهل بغى وخلاف وشقاق ونفاق فانكم طالما أوضعتم فى الشر وسننتم سنن الغى فاستوثقوا واستقيموا فوالله لاذيقنكم الهوان ولامرينكم به حتى تدروا ولالحونكم لحو العود ولاعصبنكم عصب السلمة حتى تذلوا ولاضربنكم ضرب غرائب الابل حتى تذروا العصيان وتنقادوا ولاقرعنكم قرع المروة حتى تلينوا انى والله ما اعد الاوفيت ولا أخلق الافريت فاياى وهذه الجماعات فلا يركبن رجل الا وحده أقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الارجاف وقيلا وقالا وما تقول وما يقول وأخبرنى فلان أو لادعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده فيم أنتم وذاك والله لتستقيمن على الحق أو لاضربنكم بالسيف ضربا يدع النساء أيامى والولدان يتامى حتى تذروا السهى وتقلعوا عن هواها الا انه لو ساغ لاهل المعصية معصيتهم ما جبى فىء ولا قوتل عدو ولعطلت الثغور ولولا انهم يغزون كرها ما غزوا طوعا وقد بلغنى رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم عاصين مخالفين وانى أقسم بالله لا أجد أحدا من عسكره بعد ثلاثة الا ضربت عنقه وانهبت داره ثم أمر بكتاب عبد الملك فقرئ على أهل الكوفة فلما قال القارئ أما بعد سلام عليكم فانى أحمد الله اليكم قال له اقطع ثم قال يا عبيد العصا يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد راد منكم

السلام

يقول الشعر بالعربية ومما حفظ من شعره يوم ظفر بخاقان ملك الترك

اقول له لما فضضت جموعه
كانك لم تسمع بصولات بهرام
وانى حامى ملك فارس كلها
وما خير ملك لا يكون له حام

وله اشعار كثيرة بالعربية والفارسية اعرضنا عن ذكرها طلبا للايجاز وكان على خاتمه مكتوب بالافعال تعظم الاخطار ويقال انه دخل ارض الهند متنكرا فمكث حينا لا يعرف حتى بلغه ان فيلا هائجا بموضع قد قطع الطريق واهلك الناس فسألهم ان يدلوه عليه فرفع امره الى الملك فارسل معه من يدله فلما انتهى اليه صعد الى شجرة لينظر ما يصنع بهرام مع الفيل فلما رآه الفيل اقبل اليه فجعل بهرام يرميه بالنبل ويثبت النشاب بين عينيه ثم دنا واخذ بخرطوم الفيل ويجذبه جذبه خر منها ميتا ثم احتز رأسه واتى به الى الملك فحباه الملك واحسن اليه ثم ان ملكا من اعداء ذلك الملك اقبل نحو بلاد الملك الذى بهرام عنده فجزع ذلك الملك منه من كثرة جنود الآتى نحوه فقال بهرام له لا يهم ولنسلك

عبد الله بن الجارود فصوبوا رأيه وقوله وقال الهذيل بن عمران البرجمي وعبد الله بن حكيم بن زياد الهاشمي وغيرهما نحن معك واعوانك ان هذا الرجل غير كاف حتى ينقصنا هذه الزيادة فهلم نبايعك على اخراجه من العراق ثم نكتب الى عبد الملك نسأله ان يولي علينا غيره فان ابى خلعناه فانه هائب لنا ما دامت الخوارج فبايعه الناس سرا واعطوه المواثيق على الوفاء واخذ بعضهم على بعضهم العهود وبلغ الحجاج ماهم فيه فاحرز بيت المال واحتاط فيه فلما تم لهم امرهم اظهروه وذلك في ربيع الآخر سنة ست وسبعين واخرج عبد الله بن الجارود عبد القيس على راياتهم وخرج الناس معه حتى لم يبق مع الحجاج الا خاصته واهل بيته فخرجوا قبل الظهر وقطع ابن الجارود ومن معه الجسر وكانت خزائن الحجاج والسلاح من ورائه فارسل الحجاج اعين صاحب حمام اعين بالكوفة الى ابن الجارود يستدعيه اليه فقال ابن الجارود ومن الامير لا ولا كرامة لابن ابي رغال ولكن ليخرج عنا مذموما مدحورا والا قاتلناه فقال اعين فانه يقول لك اتطيب نفسا بقتلك وقتل اهل بيتك وعشيرتك والذي نفسي بيده لئن لم تأتني لادعن قومك عامة واهلك خاصة حديثا للغابرين وكان الحجاج قد حمل اعين هذه الرسالة فقال ابن الجارود لولا انك رسول لقتلتك يا ابن الخبيثة وامر فوجئ في عنقه واخرج واجتمع الناس لابن الجارود فاقبل بهم زحفا نحو الحجاج وكان رأيهم ان يخرجوه عنهم ولا يقاتلوه فلما صاروا اليه نهبوه في فسطاطه واخذوا ما قدروا عليه من متاعه ودوابه وجاء اهل اليمن فاخذوا امرأته ابنة النعمان بن بشير وجاءت مضر فاخذوا امرأته الاخرى ام سلمة بنت عبد الرحمن بن عمرو اخي سهيل بن عمرو نخافة السفهاء ثم ان القوم انصرفوا عن الحجاج وتركوه فاتاه قوم من اهل البصرة فصار واليه معه خائفين من محاربة الخليفة فجعل الغضبان بن القبعثري الشيباني يقول لابن الجارود تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك أما ترى من قد أتاه منكم ولئن أصبح ليكثرن ناصره ولتضعفن منكم فقال قد قرب المساء ولكنا نعاجله بالغداة وكان مع الحجاج عثمان بن قطن وزياد بن عمرو العتكي وكان زياد على شرطة البصرة فقال لهما ما تريان فقال زياد ان آخذ لك من القوم أمانا وتخرج حتى تلحق بأمير المؤمنين فقد ارفض أكثر الناس عنك ولا أرى لك أن تقاتل بمن معك فقال عثمان بن قطن الحارثي لكني لا أرى ذلك ان أمير المؤمنين قد شركك في أمره وخلطك بنفسه واستنصحك وسلطك فسرت الى ابن الزبير وهو أعظم الناس خطرا فقتلته فولاك الله شرف ذلك وسناه وولاك أمير المؤمنين الحجاز ثم رفعك فولاك العراقين فحيث جريت الى المدى وأصبت الغرض الاقصى تخرج على قعود الى الشام والله لئن فعلت لا نلت من عبد الملك مثل الذي أنت فيه من سلطان ابدا وليتضعن شأنك ولكني أرى أن نمشي بسيوفنا معك فنقاتل حتى نلقى ظفرا أو نموت كراما فقال له الحجاج الرأي ما رأيت وحفظ هذا لعثمان وحقدها على زياد بن عمرو وجاء عامر بن مسمع الى الحجاج فقال اني قد اخذت لك أمانا من الناس فجعل الحجاج يرفع صوته ليسمع الناس ويقول والله لا أؤمنهم أبدا حتى يأتوا بالهذيل وعبد الله بن حكيم وارسل الى عبيد بن كعب النميري يقول هلم الي فامنعني فقال قل له ان اتيتني منعتك فقال لا ولا كرامة وبعث الى محمد بن عمير بن عطارد كذلك فاجابه مثل الجواب الاول فقال لا ناقة لي في هذا ولا جمل وأرسل الى عبد الله بن حكيم الهاشمي فاجابه

من المظالم فقال له صاحب الاخ آخر الملك فقال وزراؤه واعوانه ان صلحوا اصلح وان فسدوا فسد فسار سيرة حسنة وكانت مدة ملكه ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر فهلك وخلف ولدين أحدهما هرمز والآخر فيروز فتنازعا في الملك بعده فملك (هرمز) وهو أصغر الولدين لكونه كان حاضرا عند أبيه حين الوفاة وكان أخوه الكبير فيروز غائبا في بلاد سجستان فلما بلغ فيروز موت أبيه وتولية اخيه هرمز هرب الى خشنوار ملك الهياطلة وهم اهل البلاد التي بين خراسان وبين الترك وهي بلاد طخارستان واستعان بملكهم على رد ملك ابيه اليه واستخلاصه من أخيه هرمز فاقتتلا في الري وظفر فيروز باخيه فسجنه وكانت امهما واحدة فملك (فيروز) وقيل انه قتله ثم انه غزا خشنوار ملك الهياطلة حتى أخذه أسيرا ثم عاهده أن يطلقه ولا يغزوه ابدا فاطلقه فاخذته الحمية فغزاه ثانية فظفر به فقتله وظهر في ايامه غلاء شديد وغارت الاعين والمياه حتى سيحون وجيحون والفرات ويبس النبات وهلك الوحش ودام

قدوم الحجاج في شهر رمضان فوجه الحكم بن ايوب الثقفي على البصرة أميرا وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله فبلغ خالدا الخبر فخرج عن البصرة فنزل الجلحاء وشيعه أهل البصرة فقسم فيهم ألف ألف فكان الحجاج أول من عاقب بالقتل على التخلف عن الوجه الذى يكتب اليه قال الشعبي كان الرجل اذا اخل بوجهه الذى يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلى نزعت عمامته ويقام للناس ويشهر امره فلما ولى مصعب قال ماهذا بشئ واضاف اليه حلق الرؤس واللحى فلما ولى بشر بن مروان زاد فيه فصار يرفع الرجل عن الارض ويسمر في يديه مسماران في حائط فربما مات وربما خرق المسمار كفه فسلم فقال شاعر

لولا مخافة بشر او عقوبته * وان يشوط في كفي مسمار

اذا لعطلت ثغرى ثم زرتكم * ان المحب لمن يهواه زوار

فلما كان الحجاج قال هذا لعب اضرب عنق من يخل مكانه من الثغر

(ذكر ولاية سعيد بن اسلم السند وقتله)

في هذه السنة استعمل عبد الملك على السند سعيد بن اسلم بن زرعة فخرج عليه معاوية ومحمد ابنا الحرث العلافيان فقتلاه وغلبا على البلاد فارسل الحجاج مجاعة بن سعر التميمي الى السند فغلب على ذلك الثغر وغزا وفتح اماكن من قندابيل ومات مجاعة بعد سنة بمكران فقيل فيه

مامن مشاهدك التى شاهدتها * الا يزيدك ذكرها مجاعا

(ذكر وثوب أهل البصرة بالحجاج)

في هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فلما قدم البصرة خطبهم بمثل خطبته بالكوفة وتوعد من رآه منهم بعد ثلاثة ولم يلحق بالمهلب فاتاه شريك بن عمرو اليشكرى وكان به فتق وكان أعور يضع على عينيه قطعة كرسفة ولقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الامير ان بي فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرني وهذا عطائى مردود في بيت المال فامر به فضربت عنقه فلم يبق بالبصرة أحد من عسكر المهلب الا لحق به فقال المهلب لقد أتى العراق رجل ذكر وتتابع الناس مزدحمين اليه حتى كثر جمعه ثم سار الحجاج الى رستقاباذ وبينها وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا وانما أراد أن يشد ظهر المهلب وأصحابه بمكانه فقام برستقاباذ خطيبا حين نزلها فقال يا أهل المصرين هذا المكان والله مكانكم شهرا بعد شهر وسنة بعد سنة حتى يهلك الله عدوكم هؤلاء الخوارج المطلين عليكم ثم انه خطب يوما فقال ان الزيادة التى زادكم اياها ابن الزبير انما هى زيادة مخسر باطل ملحد فاسق منافق ولسنا نجيزها وكان مصعب قد زاد الناس في العطاء مائة مائة فقال عبد الله بن الجارود انها ليست بزيادة ابن الزبير انما هى زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أنفذها وأجازها على يد أخيه بشر فقال له الحجاج ما أنت والكلام لتحسنن حمل رأسك أو لاسلبنك اياه فقال ولم انى لك لناصح وان هذا القول من ورائى فنزل الحجاج ومكث أشهرا لا يذكر الزيادة ثم اعاد القول فيها فرد عليه ابن الجارود مثل رده الاول فقام مصقلة بن كرب العبدى ابو رقبة بن مصقلة المحدث عنه فقال انه ليس للرعية أن ترد على راعيها وقد سمعنا ما قال الامير فسمعا وطاعة فيما احببنا وكرهنا فقال له عبد الله بن الجارود يا ابن الجرمقانية ما انت وهذا ومتى كان مثلك يتكلم وينطق في مثل هذا واتى الوجوه

عبد الله

أمر فخول بهرام جور وجهه عنه وقال في نفسه تأمل العيب عيب وعقوبة من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سفه والعفو من أفعال الملوك وسرعة العقوبة من أفعال العامة فلما رجع الى العسكر قال له الوزير أيها الملك السعيد الى أرى جوهر عذار فرسك مقلعا فتبسم وقال أخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه فمن وجد منكم صاحبنا فلا يطالبه وكان مغرما بالصيد فبنى منارة من قرون الظباء وحوافر حمر الوحش وفي أواخر حالاته كان كلما اصطاد حمار وحش دمغ اذنه وأطلقه وآخر أمره انه هلك بان خرج للصيد وامعن في طرد الوحش حتى توحل في سبخة هو وفرسه وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة واحد عشر شهرا ثم ملك بعده ولده (يزدجرد بن بهرام) فسار سيرة أبيه وقمع الاعداء وعمر البلاد واحضر حين ملك رجلا فاضلا من حكماء عصره فقال له أيها الفاضل ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم من غير مشقة والتودد اليهم بالعدل وانصاف المظلوم

في اللؤم والدناءة في المروءة والخلق وقد بلغ أمير المؤمنين الذي كان منك إلى أنس بن مالك جرأة وإقداما وأظنك أردت أن تسبر ما عند أمير المؤمنين في أمره فتعلم إنكاره ذلك وإغضاءه عنك فإن سوغك ما كان منك مضيت عليه قدما فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين أصك الرجلين ممسوح الجاعرتين ولولا أن أمير المؤمنين يظن أن الكاتب كثر في الكتابة عن الشيخ إلى أمير المؤمنين فيك لأرسل من يسحبك ظهرا لبطن حتى يأتي بك أنسا فيحكم فيك فأكرم أنسا وأهل بيته واعرف له حقه وخدمته رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تقصرن في شيء من حوائجه ولا يبلغن أمير المؤمنين عنك خلاف ما تقدم فيه إليك من أمر أنس وبره وإكرامه فيبعث إليك من يضرب ظهرك ويهتك سترك ويشمت بك عدوك والقه في منزله متنصلا إليه وليكتب إلى أمير المؤمنين برضاه عنك إن شاء الله والسلام وبعث بالكتاب مع إسمعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم فأتى إسمعيل أنسا بكتاب أمير المؤمنين إليه فقرأه وأتى الحجاج بالكتاب إليه فجعل يقرؤه ووجهه يتغير ويتمعر وجبينه يرشح عرقا ويقول يغفر الله لأمير المؤمنين ثم اجتمع بأنس فرحب به الحجاج واعتذر إليه وقال أردت أن يعلم أهل العراق إذ كان من ابنك ما كان إذ بلغت منك ما بلغت أني إليهم بالعقوبة أسرع فقال أنس ما شكوت حتى بلغ مني الجهد وحتى زعمت أنا الأشرار وقد سمانا الله الأنصار وزعمت أنا أهل النفاق ونحن الذين تبوءوا الدار والإيمان وسيحكم الله بيننا وبينك فهو أقدر على التغيير لا يشبه الحق عنده الباطل ولا الصدق الكذب وزعمت أنك اتخذتني ذريعة وسلما إلى مساءة أهل العراق باستحلال ما حرم الله عليك مني ولم يكن لي عليك قوة فوكلتك إلى الله ثم إلى أمير المؤمنين فحفظ من حقي ما لم تحفظه والله لو أن النصارى على كفرهم رأوا رجلا خدم عيسى بن مريم يوما واحدا لعرفوا من حقه ما لم تعرف أنت من حقي وقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وبعد فإن رأينا خيرا حمدنا الله عليه وأثنينا وإن رأينا غير ذلك صبرنا والله المستعان ورد عليه الحجاج ما كان أخذ منه

(ذكر شيرزنجي والزنج معه)

اجتمع الزنج بفرات البصرة في آخر أيام مصعب بن الزبير ولم يكونوا بالكثير فأفسدوا وتناولوا الثمار وولي خالد بن عبد الله بن خالد البصرة وقد كثروا وشكا الناس إليه ما نالهم منهم فجمع لهم جيشا فلما بلغهم ذلك تفرقوا وأخذ بعضهم فقتلهم وصلبهم فلما كان من أمر ابن الجارود ما ذكرنا خرج الزنج أيضا فاجتمع منهم خلق كثير بالفرات وجعلوا عليهم رجلا اسمه رياح ويلقب شيرزنجي يعني أسد الزنج فأفسدوا فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد بن عمرو وهو على شرطة البصرة أن يرسل إليهم جيشا يقاتلهم ففعل وسير إليهم جيشا عليه ابنه حفص بن زياد فقاتلهم فقتلوه وهزموا أصحابه ثم أرسل إليهم جيشا آخر فهزم الزنج وقتلهم واستقامت البصرة

(ذكر إجلاء الخوارج عن رامهرمز وقتل ابن مخنف)

لما أتى كتاب الحجاج إلى المهلب وابن مخنف يأمرهما بمناهضة الخوارج زحفوا إليهم وقاتلوهم شيئا من قتال فانهزمت الخوارج كأنهم على حامية ولم يكن منهم قتال وسار الخوارج حتى نزلوا كازرون وسار المهلب وابن مخنف حتى نزلوا بهم وخندق المهلب على نفسه وقال لابن مخنف إن رأيت أن تخندق عليك فافعل فقال أصحابه نحن خندقنا سيوفنا فأتى الخوارج

على الفقراء حقوقهم من الأغنياء فكانوا يدخلون على الرجل فيغلبونه على أمواله ونسائه فوثب رجل من الأشراف يعرف بابن ساجور في جماعة من أصحابه على مزدق فقتله ولم تبق ناحية إلا خرج منها خارج فخلعوا قباد وولوا مكانه أخاه (جاماسب بن فيروز) ولحق قباد بالهياطلة واستنجدهم وانتصر على أخيه جاماسب وحبسه واستقر (قباد) في الملك حتى قتل في يد العرب بمدينة الري وكان ملكه إلى أن هلك ثلاثا وأربعين سنة ثم ملك بعده ابنه (أنوشروان العادل) ولما تولى الملك كان صغيرا فلما استقل بالملك وجلس على السرير قال لخواصه إني عاهدت الله تعالى إن صار الملك إلي أن أعيد آل المنذر إلى الحيرة ثانيا وأن أقتل الطائفة المزدقية الذين أفسدوا في أموال الناس ونسائهم وكان مزدق قائما إلى جانب السرير فقال هل تقتل الناس جميعا هذا فساد في الأرض والله قد ولاك لتصلح لا لتفسد فقال له أنوشروان يا ابن الخبيثة أتذكر وقد سألت أبي قباد أن يأذن لك في المبيت عند أمي فأمر لك فمضيت نحو

كذلك أيضا ومرّ عباد بن الحصين الحبطي بابن الجارود وابن الهذيل وعبد الله بن حكيم وهم يتناجون فقال أشركونا في نجواكم فقالوا هيهات ان يدخل في نجوانا أحد من بني الحبط فغضب وصار الى الحجاج في مائة رجل فقال له الحجاج ما ابالي من تخلف بعدك وسعى قتيبة بن مسلم في قومه فبيّن أعصر وقال لا والله لا ندع قيسا يقتل ولا ينهب ماله يعني الحجاج واقبل الى الحجاج وكان الحجاج قد يئس من الحياة فلما جاءه هؤلاء اطمأن ثم جاءه سبرة بن علي الكلابي وسعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي فسلم فادناه منه وأتاه جعفر بن عبد الرحمن بن مخنف الازدي وارسل اليه مسمع بن مالك بن مسمع ان شئت أتيتك وان شئت أقمت وثبطت الناس عنك فقال أقم وثبط الناس عني فلما اجتمع الى الحجاج جمع يمنع بمثلهم خرج فعبى أصحابه وتلاحق الناس به فلما أصبح اذ حوله نحو ستة آلاف وقيل غير ذلك فقال ابن الجارود لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ما الرأي قال تركت الرأي امس حين قال لك الغضبان تعش بالجدي قبل أن يتغدى بك وقد ذهب الرأي وبقي الصبر فدعا ابن الجارود بدرع فلبسها مقلوبة فتطير وحرض الحجاج أصحابه وقال لا يهولنكم ما ترون من كثرتهم وتزاحف القوم وعلى ميمنة ابن الجارود الهذيل بن عمران وعلى ميسرته عبد الله بن زياد بن ظبيان وعلى ميمنة الحجاج قتيبة بن مسلم ويقال عباد بن الحصين وعلى ميسرته سعيد بن أسلم فحمل ابن الجارود في أصحابه حتى جاز أصحاب الحجاج فعطف الحجاج عليه ثم اقتتلوا ساعة وكاد ابن الجارود يظفر فأتاه سهم غرب فاصابه فوقع ميتا ونادى منادي الحجاج بامان الناس الا الهذيل وعبد الله بن حكيم وأمر ان لا يتبع المنهزمون وقال الاتباع من سوء الغلبة فانهزم عبيد الله بن زياد بن ظبيان وأتى سعيد بن عباد بن الجلندي الازدي بعمان فقيل لسعيد انه رجل فاتك فاحذره فلما جاء البطيخ بعث اليه بنصف بطيخة مسمومة وقال هذا اول شيء جاء من البطيخ وقد اكلت نصف بطيخة وبعثت بنصفها فاكلها عبيد الله فاحس بالشر فقال أردت أن أقتله فقتلني وحمل رأس ابن الجارود وثمانية عشر رأسا من وجوه اصحابه الى المهلب فنصبت ليراها الخوارج وييأسوا الاختلاف وحبس الحجاج عبيد بن كعب ومحمد بن عمير حيث قالوا للحجاج أتينا اغزمك وحبس الغضبان بن القبعثري وقال له انت القائل تعش بالجدي قبل ان يتغدى بك فقال ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه فكتب عبد الملك الى الحجاج باطلاقه وقتل مع ابن الجارود عبد الله بن انس ابن مالك الانصاري فقال الحجاج ولا ارى انسا يعين علي فلما دخل البصرة اخذ ماله فحين دخل عليه انس قال لا مرحبا ولا اهلا بك يا ابن خبيثة شيخ ضلالة جوال في الفتن مرة مع ابي تراب ومرة مع ابن الزبير ومرة مع ابن الجارود أما والله لاجردنك جرد القضيب ولاعصبنك عصب السلمة ولاقلعنك قلع الصمغة فقال انس من يعني الامير قال اياك اعني اصم الله صداك فرجع انس فكتب الى عبد الملك كتابا يشكو فيه الحجاج وما صنع به فكتب عبد الملك الى الحجاج اما بعد يا ابن ام الحجاج فانك عبد طمت بك الامور فعلوت فيها حتى عدوت طورك وجاوزت قدرك يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب لاغمزنك غمزة كبعض غمزات الليوث الثعالب ولاخبطنك خبطة تودّ لها انك رجعت في مخرجك من بطن امك اما تذكر حال آبائك في الطائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحتفرون الآبار بايديهم في اوديتهم ومياههم أما نسيت حال آبائك

ذلك مدة سبع سنين وبعد ذلك ارسل الله المطر وعادت الاكوان الى احسن ما كان وكان ملكه سبعا وعشرين سنة وتنازع في الملك ابناه قباذ وبلاش فغلب بلاش على أخيه ثم ملك (بلاش) وكان حسن السيرة الى ان هلك بعد أربع سنين وكان قباذ قد سار الى خاقان ملك الترك يستمده على أخيه فطال في ذلك أربع سنين ثم وجه معه جيشا فلما قدم المدائن وجد اخاه قد هلك فتملك عليهم (قباذ) المذكور وكان ضعيفا مهينا في ملكه وفي أيامه ظهر مزدك الزنديق وتفسير مزدك يزيد الملك واليه تضاف المزدكية ادعى النبوة وأمر الناس بالتساوي في الاموال وأن يشتركوا في النساء لانهم اخوة لاب وام آدم وحواء ودخل قباذ في دينه فشق ذلك على الناس وعظم عليهم وأجمعوا على خلع قباذ وانضم الى مزدك جماعة وقالوا نحن نقسم الناس ونرد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة من تميم وكان يرى رأي الصفرية وهو أول من خرج فيهم وحج هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين وأشباههم وحج في هذه السنة عبد الملك بن مروان فهم شبيب أن يفتك به فبلغه ذلك من خبرهم فكتب الى الحجاج بن يوسف بعد انصرافه يأمره بطلبهم وكان صالح يأتي الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ويعد ما يحتاج اليه فلما طلبه الحجاج نبت به الكوفة فتركها وفيها اغزا محمد بن مروان الصائفة عند خروج الروم الى العميق من ناحية مرعش وحج بالناس عبد الملك فخطب الناس بالمدينة فقال بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد فاني لست بالخليفة المستضعف يعني عثمان ولا بالخليفة المداهن يعني معاوية ولا بالخليفة المأفون يعني يزيد الا واني لا أداوي هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم وانكم تحفظون أعمال المهاجرين الاولين ولا تعملون مثل أعمالهم وانكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه ثم نزل وفي هذه السنة مات العرباض بن سارية السلمي وهو من أهل الصفة وقيل بل مات بالشام في فتنة ابن الزبير وفيها توفي الاسود بن يزيد النخعي وهو ابن أخي علقمة بن قيس

(ثم دخلت سنة ست وسبعين)

(ذكر خروج صالح بن مسرح)

كان صالح بن مسرح التميمي رجلا ناسكا مصفر الوجه صاحب عبادة وكان بدارا وأرض الموصل والجزيرة وله أصحاب يقرئهم القرآن والفقه ويقص عليهم فدعاهم الى الخروج وانكار الظلم وجهاد المخالفين لهم فأجابوه وحثهم عليهم فراسل أصحابه بذلك وتلاقوا به فبيناهم في ذلك اذ قدم عليه كتاب شبيب يقول له انك كنت تريد الخروج فان كان ذلك من شأنك اليوم فانت شيخ المسلمين ولن نعدل بك أحدا وان أردت تأخير ذلك أعلمني فان الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تخترمني المنية ولم أجاهد الظالمين فكتب اليه صالح انه لم يمنعني من الخروج الا انتظارك فأقبل الينا فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى دونه الامور فلما قرأ شبيب كتابه دعا نفرا من أصحابه منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم الشيباني والمحلل بن وائل اليشكري وغيرهما وخرج بهم حتى قدم على صالح بدارا فلما لقيه قال اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد السنة الا دروسا ولا يزداد المجرمون الا طغيانا فبث صالح رسله وواعد أصحابه بالخروج الى ذلك هلال صفر سنة ست وسبعين فاجتمعوا عنده تلك الليلة فسأله بعضهم عن القتال قبل الدعاء أم بعده فقال بل ندعوهم فانه أقطع لحجتهم فقال له كيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ما تقول في دمائهم وأموالهم فقال لهم ان قتلنا وغنمنا فلنا وان عفونا فموسع علينا ثم وعظ أصحابه وأمرهم بأمره وقال لهم ان أكثركم رجالة وهذه دواب لمحمد بن مروان فابدأوا بها فاحملوا عليها رجالكم وتقووا بها على عدوكم فخرجوا تلك الليلة فأخذوا الدواب فاحتملوا عليها وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وسنجار وكان خروجه وهو في مائة وعشرين وقيل وعشرة وبلغ محمدا خروجهم وهو أمير الجزيرة

والرصاص وفي البر على جبل الفتح نحوا من أربعين فرسخا حتى وصل الى بلاد طبرستان وجعل على ثلاثة أميال من هذا السور بابا من الحديد وأسكن من داخله أمة من الناس وذلك لدفع الامم المتصلة بذلك الجبل ولما بنى أنوشروان هذا السور هابته الملوك وهادنته وكان قد ورد عليه رسول ملك الروم قيصر بهدايا وتحف فنظر الى ايوانه وحسن بنائه ورأى اعوجاجا في ميدانه فسأل عن سبب ذلك قيل ان عجوزا لها منزل في جانب الاعوجاج وان الملك رغبها في الثمن فابت ولم يكرهها وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى فقال الرومي هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء ولاربع وعشرين سنة خلت من ملكه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ولد النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية والاربعين من ملكه وكفى بعدله شهادة النبي صلى الله عليه وسلم في حقه حيث قال ولدت في زمن الملك العادل كسرى أنوشروان وكان ملكا عادلا عاقلا مهيبا محببا للرعية وله أفعال حسنة وآثار جميلة وكان يسمى كسرى الخير وكان وزيره

المهلب ليبيتوه فوجدوه قد تحرز فمالوا نحو ابن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فنزل فقاتل فى أناس من اصحابه فقتل وقتلوا فقال شاعرهم

لمن العسكر المكلل بالصر * عى فهم بين ميت وقتيل
فتراهم تسفى الرياح عليهم * حاصب الرمل بعد جر الذيول

هذا قول اهل البصرة فاما أهل الكوفة فانهم ذكروا انه لما وصل كتاب الحجاج بمناهضة الخوارج ناهضهم المهلب وعبد الرحمن فاقتتلوا قتالا شديدا ومالت الخوارج الى المهلب فاضطروه الى عسكره فارسل الى عبد الرحمن يستمده فامده عبد الرحمن بالخيل والرجال وكان ذلك بعد الظهر لعشر بقين من رمضان فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجئ من عسكر عبد الرحمن من الرجال ظنوا أنه قد خف اصحابه فجعلوا بازاء المهلب من يشغله وانصرفوا بجندهم الى عبد الرحمن فلما رآهم قد قصدوه نزل ونزل معه القراء منهم أبو الاحوص صاحب ابن مسعود وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسى الذى قتل مع زيد بن على وصلب معه بالكوفة ونزل معه من قومه أحد وسبعون رجلا وحملت عليهم الخوارج فقاتلهم قتالا شديدا وانكشف الناس عنه وبقى فى عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه الى المهلب فنادى فى الناس ليتبعوه الى أبيه فلم يتبعه الا ناس قليل فجاء حتى دنا من أبيه فحالت الخوارج بينهما فقاتل حتى جرح وقاتل عبد الرحمن ومن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثى الليل ثم قتل فى تلك العصابة فلما اصبحوا جاء المهلب فدفنه فصلى عليه وكتب بذلك الى الحجاج فكتب الحجاج الى عبد الملك بذلك فترحم عليه وذم أهل الكوفة وبعث الحجاج الى عسكر عبد الرحمن عتاب بن ورقاء وأمره ان يسمع للمهلب فساء ذلك ولم يجد بدا من طاعته فجاء الى العسكر وقاتل الخوارج وأمره الى المهلب وهو يقضى أموره ولا يكاد يستشير المهلب فوضع عليه المهلب رجالا اصطنعهم وأغراهم به منهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة وجرى بين عتاب والمهلب ذات يوم كلام أغلظ كل منهما لصاحبه ورفع المهلب القضيب على عتاب فوثب اليه ابنه المغيرة بن المهلب فقبض القضيب وقال أصلح الله الامير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم ان سمعت بعض ما تكره فاحتمله له فانه لذلك أهل ففعل فافترقا فارسل عتاب الى الحجاج يشكو المهلب ويسأله أن يأمره بالعود اليه فوافق ذلك حاجة من الحجاج اليه فيما لقى أشراف الكوفة من سببه فاستقدمه وامره أن يترك ذلك الجيش مع المهلب فجعل المهلب عليهم ابنه حبيبا وقال سراقة بن مرداس البارقى يرثى عبد الرحمن ابن مخنف

ثوى سيد الازد ابن أزد شنوءة * وازد عمان رهن رمس بكازر
وضارب حتى مات اكرم ميتة * بابيض صاف كالعقيقة باتر
وصرع عن تل وتحت لوائه * كرام المساعى من كرام المعاشر
قضى نحبه يوم اللقاء ابن مخنف * وادبر عنه كل ألوث غادر
أمد ولم يمدد فراح مشمرا * الى الله لم يذهب بأثواب غادر

واقام المهلب بسابور يقاتلهم نحوا من سنة

تجربتها فلحقت بك وقبلت رجلك وما زالت تنتقل جواريك فى انتقلت منذ ذلك اليوم الى الآن وسألتك حتى وهبتها لى ورجعت فقال نعم فامر بقتله فقتل بين يديه وأخرج واحرقت جثته وامر بقتل توابعه فقتل منهم خلقا كثيرا واثبت ملة المجوسية القديمة وكتب بذلك الى اصحاب الولايات وقوى جنده بالاسلحة والكراع وعمر البلاد وقسم أموال الزنادقة على الفقراء ورد الاموال التى لها اصحاب الى اصحابها واجرى الارزاق للضعفاء اللاتى مات عنهن أزواجهن وامر أن يزوجن من مال كسرى وكذلك فعل بالبنات اللاتى لم يوجد لهن أب واما البنون الذين لم يوجد لهم أب فاضافهم الى مماليكه ورد المنذر الى الحيرة وطرد الحرث عنها وكان الحرث هرب قبلا ثم سار الى الهياطلة مطالبا بدم فيروز فقتل ملكهم وخلقا كثيرا من اصحابه وتجاوز بلخ وما وراءها وأرسل جيشا الى اليمن فطردوا الحبشة عنها وغزا برجان واذعن له قيصر بالطاعة وهو الذى بنى سور باب الابواب وجعل مبدأ السور من جوف البحر مقدار ميل وبناه بلبن الحديد

واتوا بالبنود فحملوها وحملوها على جدار الباب وخرجوا فلم يشعر الحرث الا وشبيب وأصحابه يضاربونهم بالسيوف في جوف العسكر فصرع الحرث فاحتمله اصحابه وانهزموا نحو المدائن وحوى شبيب عسكرهم وكان ذلك الجيش اول جيش هزمه شبيب

(ذكر الحرب بين اصحاب شبيب وعنزة)

ثم ان شبيبا اتى سلامة بن سنان التيمي تيم شيبان بارض الموصل فدعاه الى الخروج معه فشرط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارسا ينطلق بهم نحو عنزة فيشفي نفسه منهم فانهم كانوا قتلوا اخاه فضالة وذلك ان فضالة كان خرج في ثمانية عشر رجلا حتى نزل ماء يقال له الشجرة عليه اناس عظيمة وعليه عنزة نازلون فلما رأوه قالوا نقتل هؤلاء ونغدو على أميرنا فيعطينا شيأ فقال اخواله من بني نصر لا نساعدكم على قتل ابن أخينا فنهضت عنزة فقتلوهم وأتوا برؤسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقيا وفرض لهم ولم يكن لهم قبل ذلك فرائض الا قليلة فقال سلامة أخو فضالة يذكر قتل اخيه وخذلان أخواله اياه

وما خلت أخوال الفتى يسلمونه ✽ لوقع السلاح قبل ما فعلت نصر

وكان خروج فضالة قبل خروج صالح فاجابه شبيب فخرج حتى انتهى الى عنزة فجعل يقتل محلة بعد محلة حتى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته وقد اكبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم فاخرجت ثديها وقالت أنشدك الرحم هذا يا سلامة فقال والله ما رأيت فضالة مذ أناخ باصل الشجرة يعني أخاه لتقومن عنه أو لأجمعنكما بالرمح فقامت عنه فقتله

(ذكر مسير شبيب الى بني شيبان وايقاعه بهم)

ثم أقبل شبيب في خيله نحو راذان فهربت منه طائفة من بني شيبان ومعهم ناس من غيرهم قليل حتى نزلوا ديرا خرابا الى جنب حولايا وهم نحو ثلاثة آلاف وشبيب في نحو سبعين رجلا أو يزيدون قليلا فنزل بهم فتحصنوا منه ثم ان شبيبا سرى في اثني عشر رجلا الى أمه وكانت في سفح جبل ساتيدما فقال لآتين بها تكون في عسكري لا تفارقني حتى تموت أو أموت فسار بهم ساعة واذا هو بجماعة من بني شيبان في أموالهم مقيمين لا يرون ان شبيبا يمر بهم ولا يشعر بهم فحمل عليهم فقتل ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد ومضى شبيب الى أمه فحملها وأشرف رجل من الدير على أصحاب شبيب وكان قد استخلف شبيب عليهم أخاه مصاد بن يزيد وهم قد حصروا من في الدير فقال يا قوم بيننا وبينكم القرآن قال الله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فكفوا عنا حتى نخرج اليكم على أمان وتعرضوا علينا أمركم فان قبلناه حرمت عليكم دماؤنا وأموالنا وان نحن لم نقبله رددتمونا الى مأمننا ثم رأيتم رأيكم فاجابوهم فخرجوا اليهم فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم فقبلوه كله ثم خالطوه ونزلوا اليهم وجاء شبيب فاخبر وبذلك فقال أصبتم ووفقتم

(ذكر الوقعة بين شبيب وسفيان الخثعمي)

ثم ان شبيبا ارتحل فخرج معه طائفة وأقامت طائفة وسار شبيب في أرض الموصل نحو اذربيجان وكتب الحجاج الى سفيان بن أبي العالية الخثعمي يأمره بالقفول وكان معه ألف فارس يريد أن يدخل بهم طبرستان فلما اتاه كتاب الحجاج صالح صاحب طبرستان ورجع فامره

وهنهم ملك الخزر ومنهم ملك الترك في جمع عظيم فارسل هرمز اليه رجلا من اهل الري يقال له بهرام جوبين وكان بهرام من قواده وكان رجلا مبارزا شجاعا بطلا وكان وحيد دهره وكان رجلا طويلا أعجف كأنه الخشب اليابس ومن ثم لقب بجوبين فقاتل بهرام الترك وهزمهم ونهب أموالهم وطردهم واستولى على بلادهم ة ارسل بها الى هرمز ثم بعد ذلك خاف هرمز على ملكه من بهرام جوبين وجرى بينهما قتال واكثر العسكر مع بهرام وكان ابرويز بن هرمز مطرودا عن أبيه مقيما باذربيجان فبلغه ضعف أمر ابيه وخشي من استيلاء بهرام جوبين على الملك فقصد ابرويز أباه وأمسكه وسمل عينيه ولبس التاج وجلس على سرير الملك فكان من أول ملك هرمز الى استقرار ابنه ابرويز في الملك نحو ثلاث عشرة سنة ونصف سنة وخالفه بهرام جوبين وقصد أن ينتقم من ابرويز لما فعله في ابيه هرمز من سمل عينيه وجرى بينهما مراسلات وآخر الحال ان بهرام جوبين تغلب وخشي ابرويز أن يقيم والده الاعمى صورة ويستولي على الملك فاتفق مع خواصه

فأرسل عدى بن عدى الكندى اليهم فى الف فارس فسار من حران فنزل دوغان وكانوا أول جيش سار الى صالح وسار عدى وكأنه يساق الى الموت وأرسل الى صالح يسأله أن يخرج من هذه البلاد ويعلمه انه يكره قتاله وكان عدى ناسكا فاعاد صالح ان كنت ترى رأينا فاخرج عنك والا فنرى رأينا فأرسل اليه عدى انى لا أرى رأيك ولكنى اكره قتالك وقتال غيرك فقال صالح لاصحابه اركبوا فركبوا وحبس الرسول عنده ومضى باصحابه فأتى عديا وهو يصلى الضحى فلم يشعروا الا والخيل طالعة عليهم فلما رأوها تنادوا وجعل صالح شبيبا فى ميمنته وسويد بن سليم فى ميسرته ووقف فى القلب فأتاهم وهم على غير تعبية وبعضهم يجول فى بعض فحمل عليهم شبيب وسويد فانهزموا وأتى عدى بن عدى بدابته فركبها وانهزم وجاء صالح ونزل فى معسكره وأخذوا ما فيه ودخل اصحاب عدى على محمد بن مروان فغضب على عدى ثم دعا خالد بن جزء السلمى فبعثه فى ألف وخمسمائة ودعا الحرث بن جعونة العامرى فبعثه فى ألف وخمسمائة وقال اخرجا الى هذه المارقة وأغذا السير فايكما سبق فهو الامير على صاحبه فخرجا متساندين يسألان عن صالح فقيل لهما انه نحو آمد فقصداه فوجه صالح شبيبا فى شطر من أصحابه الى الحرث بن جعونة وتوجه هو نحو خالد فاقتتلوا من وقت العصر أشد قتال فلم تثبت خيل محمد لخيل صالح فلما رأى اميراهم ذلك ترجلا وترجل معهما اكثر أصحابهما فلم يقدر اصحاب صالح حينئذ عليهم وكانوا اذا حملوا استقبلتهم الرجالة بالرماح ورماهم الرماة بالنبل وطاردهم خيالتهم فقاتلوهم الى المساء فكثرت الجراح فى الفريقين وقتل من اصحاب صالح نحو ثلاثين رجلا ومن أصحاب محمد اكثر من سبعين فلما امسوا تراجعوا فاستشار صالح أصحابه فقال شبيب ان القوم قد اعتصموا بخندقهم فلا أرى ان نقيم عليهم فقال صالح وأنا ارى ذلك فخرجوا من ليلتهم سائرين فقطعوا أرض الجزيرة وارض الموصل وانتهوا الى الدسكرة فلما بلغ ذلك الحجاج سرح اليهم الحرث بن عميرة بن ذى المشار فى ثلاثة آلاف من أهل الكوفة فسار حتى دنا من الدسكرة وخرج صالح بن مسرح حتى أتى قرية يقال لها المدبج على تخوم ما بين الموصل وجوخى وصالح فى تسعين رجلا فلقيهم الحرث لثلاث عشرة بقين من جمادى فاقتتلوا فانهزم سويد بن سليم فى ميسرة صالح وثبت صالح فقتل وقاتل شبيب حتى صرع عن فرسه فحمل عليهم راجلا فانكشفوا عنه فجاء الى موقف صالح فاصابه قتيلا فنادى الى يا معشر المسلمين فلاذوا به فقال لاصحابه ليجعل كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه حتى يدخل هذا الحصن ونرى رأينا ففعلوا ذلك ودخلوا الحصن جميعهم وهم سبعون رجلا وأحاط بهم الحرث وأحرق عليهم الباب وقال انهم لا يقدرون على الخروج منه (مسرح بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة وجعونة بفتح الجيم وسكون العين المهملة وفتح الواو وآخره النون)

(ذكر بيعة شبيب الخارجى ومحاربة الحرث بن عميرة)

فلما احرق الحرث الباب على شبيب ومن معه وقال انهم لا يقدرون على الخروج منه ونصبحهم غدا فنقتلهم وانصرف الى عسكره قال شبيب لاصحابه ما تنتظرون فوالله لئن صبحكم هؤلاء غدوة انه لهلاككم فقالوا مرنا بامرك فقال بايعونى أو من شئتم من أصحابكم واخرجوا بنا حتى نشد عليهم فى عسكرهم فانهم آمنون فبايعوا شبيبا وهو شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى

بزرجمهر الحكيم وفى المستظرف ان كسرى انوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه فى حال صباه حتى فاق فى العلوم فضربه المعلم يوما بغير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم ما حملك على ضربى يوم كذا وكذا ظلما قال لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فاحببت أن اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه وكانت مدة ملكه ثمانيا وأربعين سنة ثم ملك بعده ابنه (هرمز بن أنوشروان) وكان عادلا يأخذ للدنىء من الشريف وبالغ فى ذلك حتى أبغضه خواصه وكان اصطنع صندوقا ليلقى المتظلم قصته فيه والصندوق مختوم بخاتمه لئلا يصل اليه أيدى بطانته وحرز بانيته ثم أمر باتخاذ سلسلة من الطريق نافذة الى مكانه وجعل فيها اجراسا وكان المتظلم يجىء فيحرك السلسلة فيعلم به ويتقدم باحضاره وازالة ظلامته وكان مهيبا سائسا جوادا مضى من ملكه عشر سنين ولم يحرك أحد حركة لان أباه كان مهد الملك وسخر الرعية ثم خرج عليه عدة اعداء منهم صاحب الروم فى ثمانين ألف فارس

فلما قدم القبل الكوفة سير الحجاج الجزل بن سعيد بن شرحبيل الكندي واسمه عثمان نحو شبيب وأوصاه بالاحتياط وترك العجلة فقال له لا تبعث معي من الجند المهزوم أحدا فانهم قد دخلهم الرعب ولا ينتفع بهم المسلمون قال قد أحسنت فاخرج معه أربعة آلاف فساروا معه فقدم الجزل بين يديه عياض بن أبي لينة الكندي فسار وافي طلب شبيب وجعل شبيب يريه الهيبة له فيخرج من رستاق الى رستاق ولا يقيم ارادة أن يفرق الجزل أصحابه فيلقاه وهو على غير تعبية فجعل الجزل لا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا خندق على نفسه فلما طال ذلك على شبيب دعا أصحابه وكانوا مائة وستين رجلا ففرقهم أربع فرق على كل أربعين رجلا من أصحابه فجعل أخاه مصادا في أربعين وسويد بن سليم في اربعين والمحلل بن وائل في اربعين وبقي هو في اربعين وأتته عيونه فأخبروه ان الجزل بدير يزدجرد فأمر شبيب أصحابه فعلقوا على دوابهم ثم سار بهم وأمر كل رأس من اصحابه ان يأتي الجزل من جهة ذكرها له وقال اني أريد ان ابيته وأمرهم بالجد في القتال فسار أخوه فانتهى الى دير الخرار فرأى للجزل مسلحة مع ابن أبي لينة فحمل عليهم مصاد في اربعين رجلا فقاتلوه ساعة ثم اندفعوا بين يديه وقد ادركهم شبيب فقال اركبوا اكتافهم لتدخلوا عليهم عسكرهم ان استطعتم واتبعوهم ملحين فانتهوا الى عسكرهم فمنعهم اصحابه من دخول خندقهم وكان للجزل مسالح أخرى فرجعت فمنعتهم من دخول الخندق وقال انضحوا عنكم بالنبل وجعل شبيب يحمل على المسالح حتى اضطرهم الى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل فلما رأى شبيب انه لا يصل اليه قال لاصحابه سيروا ودعوهم فمضى على الطريق ثم نزل هو وأصحابه فاستراحوا ثم أقبل بهم راجعا الى الجزل ايضا على التعبية الاولى وقال أطيفوا بعسكرهم فاقبلوا وقد ادخل أهل العسكر مسالحهم اليهم وقد أمنوا فما شعروا الا بوقع حوافر الخيل فانتهوا اليهم قبل الصبح وأحاطوا بعسكرهم من جهاته الاربع فقاتلوهم ثم ان شبيبا أرسل الى اخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن اقبل الينا وخل لهم الطريق ففعل وقاتلوهم من الوجوه الثلاثة حتى اصبحوا فسار شبيب وتركهم ولم يظفر بهم فنزل على ميل ونصف ثم صلى الغداة ثم سار الى جرجرايا واقبل الجزل في طلبهم على تعبية ولا ينزل الا في خندق وسار شبيب في أرض جوخى وغيرها يكسر الخراج فطال ذلك على الحجاج فكتب الى الجزل ينكر عليه ابطاءه ويأمره بمناهضتهم فجد في طلبهم وبعث الحجاج سعيد بن مجالد على جيش الجزل وأمره بالجد في قتال شبيب وترك المطاولة فوصل سعيد الى الجزل وهو بالنهروان قد خندق عليه وقام في العسكر ووبخهم وعجزهم ثم خرج وأخرج معه الناس وضم اليه خيول أهل العسكر ليسير بهم جريدة الى شبيب ويترك الباقين مكانهم فقال له الجزل ما تريد أن تصنع قال أقدم على شبيب في هذه الخيل فقال له الجزل أقم انت في جماعة الناس فارسهم وراجلهم وابرزهم فوالله ليقدمن عليك ولا تفرق اصحابك فقال قف أنت في الصف فقال الجزل يا سعيد ليس لي فيما صنعت رأي انا بريء منه ووقف الجزل فصف اهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وتقدم سعيد بن مجالد ومعه الناس وقد أخذ شبيب الى قطيطيا فدخلها وأمر دهقانا أن يصلح لهم غداء ففعل وأغلق الباب فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد في ذلك العسكر فاقبل الدهقان فاعلم شبيبا بهم فقال لا بأس قرب الغداء فقربه فأكلوا وتوضا

قتل النبي صلى الله عليه وسلم حيلة فأوحى الله الى نبيه ما اضمر باذان وفاسده فاحضر القاصد وأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ان كسرى ابرويز قتله أولاده اليوم فرجعا خاسرا فلما صح ذلك اسلم باذان وحسن اسلامه وكان مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة (وفي أيامه) كانت حروب ووقائع وجمع في أيامه من الاموال ما لم يجمعه غيره من الملوك روي انه أصاب سفينة اتت بها الريح وقصته انه لما وقع بين كسرى وقيصر مخالفة وقصد كسرى ملكه وسار اليه خاف قيصر وحمل خزائن آبائه وأجداده في السفن فأدتها الريح الى كسرى والفرس بالعراق في ملكه وسلطنته وروى حمزة الاصفهاني ان ابرويز كان له احد عشر الف جارية وستة آلاف خادم وفارس وثلاثة آلاف امرأة وعشرون الفا وخمسمائة فرس ويقال انه خرج في بعض أعياده وقد صفت له الجيوش وفيها صف ألف فيل وقد أحدقت به خمسون الف فارس دون الرجالة فلما رأته الفيلة سجدت ورفعت رؤسها حتى ضربت بالحاجبين وراطنها الفيالون بالهندية وفي عهده ولد

الحجاج بنزول الدسكرة حتى يأتيه جيش الحرث بن عميرة الهمداني وهو الذي قتل صالحا حتى تأتيه خيل المناظر ثم يسير الى شبيب فاقام بالدسكرة ونودي في جيش الحرث الحرب بالكوفة والمدائن فخرجوا حتى أتوا سفيان وأتته خيل المناظر عليهم سورة بن الحر التميمي فكتب اليه سورة بالتوقف حتى يلحقه فعجل سفيان في طلب شبيب فلحقه بخانقين وارتفع شبيب عنهم حتى كأنه يكره قتالهم وا كمن أخاه مصادا في هرم من الارض في خمسين رجلا فارسا ومضى في سفح الجبل فقالوا هرب عدو الله فاتبعوه فقال لهم عدي بن عميرة الشيباني لا تعجلوا حتى نبصر الارض لئلا يكون قد ا كمن فيها كمينا فلم يلتفتوا فاتبعوه فلما جاز وا الكمين رجع عليهم شبيب وخرج أخوه في الكمين فانهزم الناس بغير قتال وثبت سفيان في نحو من مائتي رجل فقاتلهم قتالا شديدا وحمل سويد بن سليم على سفيان فطاعنه ثم تضاربا بالسيوف واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا الى الارض ثم تحاجزا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا وأتى سفيان غلام له فنزل عن دابته واركبه وقاتل دونه فقتل الغلام ونجا سفيان حتى انتهى الى بابل مهروذ وكتب الى الحجاج بالخبر ويعرفه وصول الجند الا سورة بن الحر فانه لم يشهد معي القتال فلما قرأ الحجاج الكتاب أثنى عليه

(ذكر الوقعة بين شبيب وسورة بن الحر)

فلما وصل كتاب سفيان الى الحجاج كتب الى سورة بن الحر يلومه ويتهدده ويأمره أن ينتخب من المدائن خمسمائة فارس ويسير بهم وبمن معه الى شبيب ففعل ذلك سورة وسار نحو شبيب وشبيب يجول في جوخى وسورة في طلبه حتى انتهى الى المدائن فتحصنوا منه وأخذ منها دواب وقتل من ظهر له فاتى فقيل له هذا سورة قد أقبل فخرج حتى أتى النهروان فصلوا وترحموا على اصحابهم الذين قتلهم علي وتبرؤا من علي واصحابه واخبرت سورة عيونه بمنزل شبيب فدعا اصحابه فقال ان شبيبا لا يزيد على مائة رجل وقد رأيت ان انتخبكم فاسير في ثلثمائة رجل من شجعانكم فآتيه وهو آمن بياتكم فاني ارجو من الله أن يصرعهم فاجابوه الى ذلك فانتخب ثلثمائة وسار بهم نحو النهروان وبات شبيب وقد أذكى الحرس فلما دنا أصحاب سورة علموا بهم فاستووا على خيولهم وتعبوا تعبيتهم للحرب فلما انتهى اليهم سورة رآهم قد حذروا فحمل عليهم فثبتوا له وضاربوهم وصاح شبيب باصحابه فحملوا عليهم حتى تركوا العرصة وشبيب يقول

من ينك العير ينك نيا كا * جندلتان اصطكتا اصطكا كا

فرجع سورة الى عسكره وقد هزم الفرسان واهل القوة فحمل بهم واقبل نحو المدائن واتبعه شبيب يرجو أن يدركه فيصيب عسكره فوصل اليهم وقد دخل الناس المدائن وخرج ابن أبي العصيفر أمير المدائن في اهل المدائن فرموا اصحاب شبيب بالنبل والحجارة فارتفع شبيب عن المدائن فمر على كلواذى فاصاب بها دواب كثيرة للحجاج فاخذها ومضى الى تكريت وارجف الناس بالمدائن بوصول شبيب اليهم فهرب من بها من الجند نحو الكوفة وكان شبيب بتكريت ولام الحجاج سورة وحبسه ثم اطلقه

(ذكر الحرب بين شبيب والجزل بن سعيد وقتل سعيد بن مجالد)

على قتل ابيه هرمز نخنقه ولحق ابرويز بملك الروم مستنجدا به واقبل (بهرام جوبين) ولبس التاج وجلس على سرير الملك فوصل ابرويز الى ملك الروم موريقش وقدم اليه هدايا كثيرة فحمل اليه موريقش ملك الروم ألفي الف دينار وانجده بمائة ألف فارس والف ثوب من الديباج المنسوج بالذهب الاحمر وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة وغيرهم من الاجناس المختلفة على رؤسهن ا كاليل الجوهر وزوجه بابنته مارية فسار اليه بمن كان معه من العساكر فالتقيا وجرى بينهما قتال كثير وولى بهرام جوبين هاربا الى خراسان ثم ملك (ابرويز خسرو بن هرمز) من بعد طرد بهرام جوبين وفرق في عسكر الروم أموالا جليلة ثم أعادهم الى مليكهم وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل اليه الكتاب مع دحية الكلبي يدعوه الى دين الاسلام فمزقه ابرويز فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يمزق الله ملكه كل ممزق فارسل ابرويز يأمر باذان ملك اليمن بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فعين باذان الى المدينة الشريفة قاصدا يتطرق

نحو الكوفة يسابق شبيبا اليها

(ذكر دخول شبيب الكوفة)

وأقبل شبيب الى قرية اسمها حربى فقال حرب يصلى به عدوكم ثم سار فنزل عقرقوف فقال له سويد بن سليم يا أمير المؤمنين لو تحولت من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيرت أيضا والله لا أسير الى عدوي الا منها انما شؤمها على عدوك والعقر لهم ان شاء الله ثم سار منها يبادر الحجاج الى الكوفة وكانت كتب عروة ترد عليه أعني الحجاج يحثه على العجل اليهم فطوى الحجاج المنازل فنزلها الحجاج صلاة العصر ونزل شبيب بالسبخة صلاة المغرب فأكلوا شيئا ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة وبلغوا السوق وضرب شبيب باب القصر بعموده فأثر فيه أثرا عظيما ثم وقف عند المصطبة وقال

عبد دعي من ثمود أصله * لا بل يقال أبو أبيهم يقدم

يعني الحجاج فان بعض الناس يقول ان ثقيفا بقايا ثمود وبعضهم يقول هم من نسل يقدم الايادي ثم اقتحموا المسجد الاعظم وكان لا يزال فيه قوم يصلون فقتلوا عقيل بن مصعب الوادعي وعدي ابن عمرو الثقفي وأبا الليث بن أبي سليم ومروا بدار حوشب وهو على الشرط فقالوا ان الامير يطلبه فأراد الركوب ثم أنكرهم فلم يخرج اليهم فقتلوا غلامه ثم أتوا الجحاف بن نبيط الشيباني فقال له انزل اقضك ثمن البكرة التي اشتريت منك بالبادية فقال الجحاف ما ذكرتك أمانتك الا والليل مظلم وأنت على فرسك يا سويد قبح الله دينا لا يصلح الا باراقة الدماء وقتل القرابة ثم مروا بمسجد ذهل فرأوا ذهل بن الحرث وكان يطيل الصلاة فيه فقتلوه ثم خرجوا من الكوفة فاستقبلهم النضر بن القعقاع بن شور الذهلي فقال له السلام عليك أيها الامير فقال له سويد أمير المؤمنين ويلك فقال أمير المؤمنين فقال له شبيب يا نضر لا حكم الا لله وأراد تلقينه فقال انا لله وانا اليه راجعون فشد أصحاب شبيب عليه فقتلوه وكان قد أقبل مع الحجاج من البصرة فتخلف عنه وكانت أم النضر ناجية بنت هانئ بن قبيصة الشيباني فأحب شبيب نجاته ثم خرجوا نحو الردمة وأمر الحجاج مناديا فنادى يا خيل الله اركبي وهو فوق باب القصر وعنده مصباح فكان أول من أتاه عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذي الغصة فقال اعلموا الامير بمكاني فقال له غلام للحجاج قف مكانك وجاء الناس من كل جانب ثم ان الحجاج بعث بشر بن غالب الاسدي في ألفي رجل وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفي رجل وأبا الضريس مولى بني تميم في ألفي رجل وعبد الاعلى ابن عبد الله بن عامر وزياد بن عمرو العتكي وكان عبد الملك بن مروان قد استعمل محمد بن موسى ابن طلحة بن عبيد الله على سجستان وكتب الى الحجاج ليجهزه ويسيره في ألف رجل الى عمله فأقام يتجهز وحدث من أمر شبيب ما حدث فقال له الحجاج تلقى شبيبا وهذه الخارجة فتجاهدهم ويكون الظفر لك ويطير اسمك ثم تمضي الى عملك فسيره معهم وقال لهؤلاء الامراء ان كان حرب فأميركم زائدة بن قدامة فسار هؤلاء الامراء فنزلوا أسفل الفرات وترك شبيب الوجه الذي هم فيه وأخذ نحو القادسية

(ذكر محاربة شبيب زحر بن قيس)

ووجه الحجاج جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس مع زحر بن قيس وقال له اتبع شبيبا حتى

فهرب فوجدوه وقيدوه وحبسوه في دار رجل ووكل به جماعة ومضى الى ابنه شيرويه وأجلسه مكان والده وأطاعه الخاص والعام وجرى بين شيرويه وبين أبيه مراسلات وتقريع وآخر الامر قال شيرويه لابيه لا تعجب ان أنا قتلتك فاني أقتدي بك فأرسل شيرويه بعض أولاد الاساورة الذين قتلهم ابرويز وأمرهم بقتله فقتلوه ومعنى أبرويز بالعربية المظفر وخلف أبرويز ثمانية عشر ولدا غير شيرويه فقتلهم شيرويه ولما قتل شيرويه أباه أبرويز راود زوجته شيرين على نفسها فامتنعت فضيق عليها ورماها بالزنا وأراد قتلها ان لم تفعل فقالت افعل على ثلاث شرائط قال وما هي قالت تسلم الي قتلة زوجي أقتلهم وتصعد المنبر وتبرئني مما قذفتني به وتفتح لي ناووس أبيك فان له وديعة عندي عاهدني ان تزوجت بعده رددتها اليه فدفع لها قتلة زوجها فقتلتهم وبرأها مما قال لها وفتح الناووس لها وبعث الخدم معها فجاءت الى أبرويز فعانقته ومصت فصا مسموما كان معها فماتت من

وصلى ركعتين وركب بغلاله وخرج عليه وسعيد على باب المدينة فحمل عليهم فقال لا حكم الا للحكم أنا أبو مدلة اتبعوا ان شئتم وجعل سعيد يقول هؤلاء انما هم اكلة رأس وجعل يجمع خيله ويرسلها في اثر شبيب فلما رأى شبيب تفرقهم جمع اصحابه وقال استعرضوهم فوالله لأقتلن أميرهم أو ليقتلني وحمل عليهم مستعرضا فهزمهم وثبت سعيد ونادى أصحابه فحمل عليه شبيب فضربه بالسيف فقتله وانهزم ذلك الجيش وقتلوا حتى انتهوا الى الجزل فناداهم أيها الناس الي الي وقاتل قتالا شديدا حتى حمل من بين القتلى جريحا وقدم المنهزمون الكوفة وكتب الجزل الى الحجاج بالخبر ويخبره بقتل سعيد وأقام بالمدائن وكتب اليه الحجاج يثني عليه ويشكره وارسل اليه حيان بن أبجر ليداوي جراحته والفي درهم لينفقها وبعث اليه عبد الله بن عصفر بألف درهم فكان يعوده ويتعاهده بالهدية وسار شبيب نحو المدائن فعلم انه لا سبيل الى أهلها مع المدافعة فاقبل حتى انتهى الى الكرخ فعبر دجلة اليها فارسل الى سوق بغداد فأمنهم وكان يوم سوقهم وبلغه انهم يخافونه واشترى اصحابه دواب وأشياء يريدونها

(ذكر مسير شبيب الى الكوفة)

ثم سار شبيب الى الكوفة فنزل عند حمام عمير بن سعد فلما بلغ الحجاج مكانه بعث سويد بن عبد الرحمن السعدي في الفي رجل اليه وقال له الق شبيبا فان استطرد لك فلا تتبعه فخرج وعسكر بالسبخة فبلغه أن شبيبا قد أقبل فساروا نحوه فكأنما يساقون الى الموت فامر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس في السبخة وسار سويد الى زرارة فهو يعبي اصحابه اذ قيل قد اتاك شبيب فنزل ونزل معه جل اصحابه فاخبر ان شبيبا قد تركك وعبر الفرات وهو يريد الكوفة من وجه آخر فنادى في اصحابه فركبوا في آثارهم وبلغ من بالسبخة مع عثمان اقبال شبيب اليهم فصاح بعضهم ببعض وهموا أن يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم ان سويدا في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم وحمل شبيب على سويد ومن معه حملة منكرة فلم يقدر منهم على شيء وأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة وذلك عند المساء وتبعه سويد الى الحيرة فرآه قد ترك الحيرة وذهب فتركه سويد وأقام حتى أصبح وأرسل الى الحجاج يعلمه بمسير شبيب

(ذكر محاربة شبيب أهل البادية)

وكتب الحجاج الى سويد يأمره باتباعه فاتبعه ومضى شبيب حتى اغار اسفل الفرات على من وجد من قومه وارتفع في البر وراء خفان فاصاب رجالا من بني الورثة فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا منهم حنظلة بن مالك ومضى شبيب حتى أتى بني امية على اللصف وعلى ذلك الماء الفزر بن الاسود وهو احد بني الصلت وكان ينهى شبيبا عن رأيه وكان شبيب يقول لئن ملكت سبعة اعنة لاغزون الفزر فلما بلغهم خبر شبيب ركب الفزر فرسا وخرج من وراء البيوت وانهزم منه الرجال ورجع وقد أخاف اهل البادية فاخذ على القطقطانة ثم على قصر بني مقاتل ثم على الحصاصة ثم على الانبار ومضى حتى دخل دقوقا ثم ارتفع الى ادانى اذربيجان فلما أبعد سار الحجاج الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فما شعر الناس الا وقد أتاهم كتاب دهقان بابل مهروذ الى عروة يذكر له ان بعض جباة الخراج أخبره ان شبيبا قد نزل خانيجار وهو على قصد الكوفة فارسل عروة الكتاب الى الحجاج بالبصرة فاقبل مجدا

الفيل بخراسان ولم يعهد هناك للفيل ولادة وكان حين يركب يمشي معه مائتا انسان معهم المجامر والمعاطر ليشم الرائحة الطيبة وكان له ألف انسان برسم رش الماء في الطريق لاطفاء الغبار وكان رجلا حسن الوجه حسن الشمائل شجاعا ذا قوة وكانت له قطعة ذهب لين كالشمع يصنع منها ما يريد من غير مساس النار وكانت له قصعة اذا شرب ماؤها تملي بنفسها من غير أن يملأها احد وكان تزوج بشيرين المغنية معشوقة فرهاد ولهما أخبار وسير يطول شرحها وقد صنف في وقائعهما كتب بالفارسية والتركية وبنى لها قصرا بقرب حلوان ثم ان ابرويز طغى وبغى واحتقر الاكابر وظلم الرعية وكان في حبسه ثلاثون ألف رجل وكان متولي الحبس رجلا يقال له زادان قد تغير على ابرويز فاتفق مع المحبوسين فأفرج عنهم وساروا وهجموا على كسرى ابرويز في داره

شبيب ماذنب هذا وتركه وساروا على شبيب بامرة المؤمنين وخلى سبيلهم فبقوا كذلك حتى انفجر الفجر فلما ظهر الفجر أمر محمد بن موسى مؤذنه فاذن وكان لم ينهزم فسمع شبيب الاذان فقال ماهذا قالوا محمد بن موسى بن طلحة لم يبرح فقال قد ظننت ان حمقه وخيلاءه يحمله على هذا ثم نزل شبيب فاذن هو وصلى باصحابه الصبح ثم ركبوا فحملوا على محمد وأصحابه فانهزمت طائفة منهم وثبتت معه طائفة فقاتل حتى قتل وأخذت الخوارج ما كان فى العسكر وانهزم الذين كانوا بايعوا شبيبا فلم يبق منهم أحد ثم أتى شبيب الجوسق الذى فيه أعين وأبو الضريس فتحصنوا منه فاقام عليهم ذلك اليوم وسار عنهم فقال أصحابه مادون الكوفة أحد يمنع فنظر فاذا أصحابه قد جرحوا فقال لهم ما عليكم أكثر مما فعلتم فخرج بهم على نفر ثم على الصراة فأتى خانيجار فاقام بها فبلغ الحجاج مسيره نحو نفر فظن انه يريد المدائن وهى باب الكوفة ومن أخذها كان فى يده من السواد أكثره فهال ذلك الحجاج فبعث عثمان بن قطن أميرا على المدائن وجوخى والانبار وعزل عنها عبد الله بن أبى عصيفر وكان بها الجزل يداوى جراحته فلم يتعهده عثمان كما كان ابن أبى عصيفر يفعل فقال الجزل اللهم زد ابن أبى عصيفر جودا وفضلا وزد عثمان بن قطن بخلا وشقاء وقد قيل فى مقتل محمد بن موسى غير هذا والذى ذكر من ذلك ان محمد بن موسى كان قد شهد مع عمر بن عبيد الله بن معمر قتال ابى فديك وكان شجاعا ذا بأس فزوجه عمر ابنته وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه سجستان فمر بالكوفة وفيها الحجاج فقيل له ان صار هذا بسجستان مع صهره لعبد الملك فلجأ اليه احد ممن تطلب منعك منه فقال وما الحيلة قال تأتيه وتسلم عليه وتذكر نجدته وبأسه وان شبيبا فى طريقه وانه قد اعياك وترجوان يريح الله منه على يده فيكون له ذكره وفخره ففعل الحجاج ذلك فاجابه محمد وعدل الى شبيب فارسل اليه شبيب انك مخدوع وان الحجاج قد اتقى بك وأنت جارك حق فانطلق لما أمرت به ولك الله لا أوذيك فابى الا محاربته فواقفه شبيب وأعاد اليه الرسول فابى وطلب البراز فبرز اليه البطين بن قعنب وسويد ابن سليم فابى الا شبيبا فقالوا ذلك لشبيب فبرز شبيب اليه وقال له انشدك الله فى دمك فان لك جوارا فابى فحمل شبيب عليه فضربه بعمود حديد وزنه اثنا عشر رطلا بالشامى فهشم البيضة ورأسه فسقط ميتا ثم كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من عسكره فبعثه الى أهله واعتذر الى أصحابه وقال هو جارى ولى ان اهب ما غنمت لاهل الردة

(ذكر محاربة شبيب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقتل عثمان بن قطن)

ثم ان الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأمره ان ينتخب من الناس ستة آلاف فارس ويسير فى طلب شبيب أين كان ففعل ذلك وسار نحوه وكتب الحجاج اليه والى أصحابه يتهددهم بالقتل والتنكيل ان انهزموا فوصل عبد الرحمن الى المدائن فاتى الجزل يعوده من جراحته فأوصاه الجزل بالاحتياط وحذره من شبيب وأصحابه واعطاه فرسا كانت له تسمى الفسيفساء وكانت لا تجارى ثم ودعه عبد الرحمن وسار الى شبيب فسار شبيب الى دقوقا وشهرزور فخرج عبد الرحمن فى طلبه حتى اذا كان بالتخوم وقف وقال هذه أرض الموصل فليقاتلوا عنها فكتب اليه الحجاج اما بعد فاطلب شبيبا واسلك فى أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه فانما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده والسلام فخرج عبد الرحمن فى اثر شبيب فكان شبيب يدعه

وجلس على سرير الملك ولم يكن من أهل بيت المملكة فوثب عليه جماعة من الحرس وهو سائر الى الصيد والقوه عن فرسه وقتلوا جماعة من أصحابه وشدوا فى رجل شهريار حبلا وجروه اقبالا وادبارا لكونه تعرض للملك وليس من أهله ثم ولوا المملكة (بوران بنت كسرى أبرويز) فاحسنت السيرة ودارت مع الروم وملكت سنة وأربعة أشهر ثم هلكت فملك (خشنشده) من بنى عم كسرى أبرويز ولما ملك لم يهتد الى تدبير المملكة فقتل فكانت مدة ملكه نحوا من شهر ثم ملكت (ازرميدخت بنت كسرى أبرويز) واظهرت العدل والاحسان وكان أعظم الفرس حينئذ فروخ هرمز والى خراسان وكانت ازرميدخت من أحسن النساء صورة فخطبها فروخ هرمز ليتزوجها فامتنعت من ذلك ثم أجابته بالاجتماع به فى الليل ليقضى وطره منها فلما حضر أمرت متولى حرسها بقتله وكان لفروخ ابن يقال له رستم وقد ولاه على خراسان نيابة عنه حين توجه لخطبة أزرميدخت فالسمع بقتل

تواقعه ان أدركته الآن يكون ذاهبا فاتركه ما لم يعطف عليك أو يقيم فخرج زحر حتى انتهى الى السيلحين وأقبل شبيب نحوه فالتقيا فجمع شبيب خيله ثم اعترض بهم الصف حتى انتهى الى زحر فقاتل زحر حتى صرع وانهزم أصحابه وظنوا انهم قتلوه فلما كان السحر وأصابه البرد قام يمشي حتى دخل قرية فبات بها وحمل منها الى الكوفة وبوجهه وبرأسه بضع عشرة جراحة فمكث اياما ثم أتى الحجاج فاجلسه معه على السرير وقال ان حوله من أراد ان ينظر الى رجل من أهل الجنة يمشي بين الناس وهو شهيد فلينظر الى هذا

(ذكر محاربة الامراء المقدم ذكرهم وقتل محمد بن موسى بن طلحة)

فلما هزم اصحاب زحر قال أصحاب شبيب لشبيب قد هزمنا لهم جندا انصرف بنا الآن وافرين فقال لهم هذه الهزيمة قد ارعبت هؤلاء الامراء والجنود الذين في طلبكم فاقصدوا بنا نحوهم فوالله ان قاتلناهم فادون الحجاج مانع ونأخذ الكوفة ان شاء الله تعالى فقالوا نحن لرأيك تبع فسار وسأل عن الامراء فأخبر انهم بروذبار على أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فقصدهم فارسل اليهم الحجاج يعلمهم مسيره ويقول لهم ان أمير الجماعة زائدة بن قدامة وانتهى اليهم شبيب وقد تعبوا للحرب فكان على ميمنة أهل الكوفة زياد بن عمرو العتكي وفي ميسرتهم بشر بن غالب الاسدي وكل أمير واقف في أصحابه واقبل شبيب على فرس كميت اغر في ثلاث كتائب كتيبة فيها سويد بن سليم فوقف بازاء الميمنة وكتيبة فيها مصاد أخو شبيب فوقف بازاء الميسرة ووقف شبيب مقابل القلب فخرج زائدة بن قدامة يسير في الناس ويحثهم على الجهاد لعدوهم والقتال ويطمعهم في عدوهم لقلته وباطله وكثرتهم وانهم على الحق ثم انصرف الى موقفه فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشفوا وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ثم حمل عليهم ثانية فتطاعنوا ساعة وصبر زياد ساعة وقاتل زياد قتالا شديدا وقاتل سويد أيضا قتالا شديدا وانه لاشجع العرب ثم ارتفع سويد عنهم فاذا أصحاب زياد يتفرقون فقال لسويد أصحابه الا تراهم يتفرقون احمل عليهم فقال لهم شبيب خلوهم حتى يخفوا فتركهم قليلا ثم حمل الثالثة فانهزموا وأخذت زياد بن عمرو السيوف من كل جانب فاضره منها شئ للبسته التي عليه ثم انه انهزم وقد جرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء ثم حملوا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فهزموه ولم يقاتل كثيرا ولحق بزياد بن عمرو فمضيا منهزمين وحملت الخوارج حتى انتهت الى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلوه قتالا شديدا وصبر لهم ثم ان مصادا اخا شبيب حمل على بشر بن غالب وهو في ميسرة أهل الكوفة فصبر بشر ونزل ونزل معه نحو خمسين رجلا فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم اصحابه وحملت الخوارج على أبي الضريس مولى بني تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى الى موقف أعين فهزموهما حتى انتهوا بهما الى زائدة ابن قدامة فلما انتهوا اليه نادى يا أهل الاسلام الارض الارض لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على ايمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم ان شبيبا حمل عليه في جماعة من أصحابه فقتله وقتل أصحابه وتركهم ربضة حوله ولما قتل زائدة دخل أبو الضريس وأعين جوسقا عظيما وقال شبيب لاصحابه ارفعوا السيف وادعوهم الى البيعة فدعوهم الى البيعة عند الفجر فبايعوه وكان فيمن بايعه أبو بردة بن أبي موسى فقال شبيب لاصحابه هذا ابن أحد الحكمين فارادوا قتله فقال

وقتها وابطأت على الخدم فصاحوا فلم تتكلم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة وأم شيرويه مارية بنت قيصر ملك الروم وكان رديء المزاج كثير الامراض صغير الخلق وكانت اخوته كانهم عوالي الرماح قد كملوا في الخلق والخلق والادب ثم ندم على قتل اخوته وجزع عليهم جزعا شديدا وكان ابوه أبرويز وضع في الخزائن برنية سم وكتب عليها نافع مجرب للجماع فلما تالت شيرويه وصفا له الامر دخل الخزينة فنظر الى البرنية مكتوبا عليها وكان مغرما بالجماع فلما ذاق منها مات في الحال والفرس تسميه الغشوم وكانت عدة ملكه ثمانية أشهر وعمره اثنتان وعشرون سنة ثم ملك بعده (أردشير بن شيرويه) وكان عمره سبع سنين وحضنه رجل يقال له بهادر جشنش فاحسن سياسة الملك فسار به شهريار الى انطاكيه فقتله وقتل بهادر جشنش معه وكانت مدة ملكه سنة وستة أشهر ثم ملك بعده (شهريار) وكان من مقدمي الفرس وكانت الشام اقطاعه فاستولى على الملك ولبس التاج

ضربه بالسيف استدارلها وقال وكان امر الله مفعولا ثم ان الناس قتلوه ووقع عبد الرحمن فاتاه ابن أبي سبرة الجعفي وهو على بغله فعرفه فاركبه معه ونادى في الناس الحقوا بدير ابي مريم ثم انطلقوا ذاهبين ورأى واصل السكوني فرس عبد الرحمن التي اعطاها الجزل يجول في العسكر فاخذها بعض اصحاب شبيب فظن انه قتل فطلبه في القتلى فلم يجده فسأل عنه فاعطي خبره فاتبعه واصل على برذونه ومعه غلامه على بغل فلما دنا منهما نزل عبد الرحمن وابن أبي سبرة ليقاتلا فلما رآهما واصل عرفهما وقال انكما تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا الآن وحسر عمامته عن وجهه فعرفاه وقال لابن الاشعث قد اتيتك بهذا البرذون لتركبه فركبه وسار حتى نزل دير البقار وأمر شبيب أصحابه فرفعوا السيف عن الناس ودعاهم الى البيعة فبايعوه وقتل من كندة يومئذ مائة وعشرون وقتل معظم العرفاء وبات عبد الرحمن بدير البقار فاتاه فارسان فصعدا اليه فخلا احدهما بعبد الرحمن طويلا ثم نزلا فتبين ان ذلك الرجل كان شبيبا وقد كان بينه وبين عبد الرحمن مكاتبة وسار عبد الرحمن حتى أتى دير ابي مريم فاجتمع الناس اليه وقالوا ان سمع شبيب بمكانك اتاك فكنت له غنيمة فخرج الى الكوفة واختفى من الحجاج حتى اخذ له الامان منه

(ذكر ضرب الدراهم والدنانير الاسلامية)

وفي هذه السنة ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم وهو أول من أحدث ضربها في الاسلام فانتفع الناس بذلك وكان سبب ضربها انه كتب في صدور الكتب الى الروم قل هو الله احد وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع التاريخ فكتب اليه ملك الروم انكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه والا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون فعظم ذلك عليه فاحضر خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه فقال حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى فضرب الدنانير والدراهم ثم ان الحجاج ضرب الدراهم ونقش فيها قل هو الله أحد فكره الناس ذلك لمكان القرآن لان الجنب والحائض يمسها ونهى ان يضرب أحد غيره فضرب سمير اليهودي فاخذه ليقتله فقال له عيار دراهمي أجود من دراهمك فلم تقتلني فلم يتركه فوضع للناس صنج الاوزان ليتركه فلم يفعل وكان الناس لا يعرفون الوزن انما يزنون بعضها ببعض فلما وضع لهم سمير الصنج كف بعضهم عن غبن بعض وأول من شدد في أمر الوزن وخلاص الفضة ابلغ من تخليص من قبله عمر بن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك وجود الدراهم وخلص العيار واشتد فيه ثم كان خالد بن عبد الله القسري ايام هشام بن عبد الملك فاشتد أكثر من ابن هبيرة ثم ولي يوسف بن عمر فافرط في الشدة فامتحن يوما العيار فوجد درهما ينقص حبة فضرب كل صانع ألف سوط وكانوا مائة صانع فضرب في حبة مائة ألف سوط وكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية ولم يكن المنصور يقبل في الخراج غيرها فسميت الدراهم الاولى مكروهة وقيل ان المكروهة الدراهم التي ضربها الحجاج ونقش عليها قل هو الله أحد فكرهها العلماء لاجل مس الجنب والحائض وكانت دراهم الاعاجم مختلفة كبارا وصغارا وكانوا يضربون مثقالا وهو وزن عشرين قيراطا ومنها وزن اثني عشر قيراطا ومنها وزن عشرة قراريط وهي أصناف المثاقيل فلما ضرب الدراهم في الاسلام أخذوا عشرين قيراطا واثني عشر قيراطا وعشرة قراريط فوجدوا ذلك اثنين وأربعين قيراطا فضربوا على الثلث من ذلك وهو أربعة

وأكثر في أمر العرب النازلين بلادنا فذهب رستم في مائتي الف مقاتل مع خمسة آلاف أمير وجعلهم رجال الحرب ونقضت دهاقنة العراق عهودهم مع المسلمين فوصل الخبر الى أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه فوجه العساكر المنصورة من المدينة المحمدية مستمدا من الحضرة النبوية صلوات الله عليه وسلامه وسعد بن أبي وقاص صاحب الجيش فلما اجتمع عساكر المسلمين مع عسكر رستم رأى رستم رؤيا هالته وكان منجما كاهنا كأن يزدجرد يجمع السلاح من ممالك فارس ويعطيها النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعطيه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهو يقسمها بين العساكر الاسلامية فازداد رستم غما بغبن وكان يكره حرب العرب فلما التقى الفريقان وتراسف الناس اقتتلوا اياما فهرب رستم ورمى نفسه في نهر العتيق فاقتحم هلال بن علقمة رضي الله عنه النهر فاخرجه منه الى البر فقتله ثم صعد الى السرير وصاح قتلت رستما ورب الكعبة وفي المستطرف ان عمرو بن معديكرب الزبيدي

حتى يدنو منه فيبيته فيجده قد خندق على نفسه وحذر فيتركه ويسير فيتبعه عبد الرحمن فاذا بلغ
شبيبا مسيره أتاهم وهم سائرون فيجدهم على تعبية فلا يصيب منهم غرة ثم جعل اذا دنا منه عبد
الرحمن يسير عشرين فرسخا او ما يقاربها فينزل في ارض خشنة غليظة ويتبعه عبد الرحمن
فاذا دنا منه فعل مثل ذلك حتى عذب ذلك الجيش وشق عليه واحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء
ولم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين وجلولاء وسامرا ثم اقبل الى البت وهي من
قرى الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة الا نهر حولايا وهو في راذان الاعلى من ارض جوخى
ونزل عبد الرحمن في عواقيل من النهر لانها مثل الخندق فارسل شبيب الى عبد الرحمن يقول
ان هذه الايام عيد لنا ولكم يعني عيد النحر فهل لك في الموادعة حتى تمضي هذه الايام فاجابه
الى ذلك وكان يحب المطاولة وكتب عثمان بن قطن الى الحجاج اما بعد فان عبد الرحمن قد حفر
جوخى كلها خندقا واحدا وكسر خراجها وخلى شبيبا يأكل اهلها والسلام فكتب اليه الحجاج
يأمره بالمسير الى الجيش وجعله اميرهم وعزل عنهم عبد الرحمن وبعث الحجاج الى المدائن مطرف
ابن المغيرة بن شعبة وسار عثمان حتى قدم على عبد الرحمن وعسكر الكوفة فوصل عشية الثلاثاء
يوم التروية فنادى الناس وهو على بغلة ايها الناس اخرجوا الى عدوكم فوثب اليه الناس
وقالوا هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على الحرب فبت الليلة ثم اخرج على تعبية
وهو يقول لاناجزنهم فلتكونن الفرصة لي او لهم فاتاه عبد الرحمن فانزله وكان شبيب قد نزل
ببيعة البت فاتاه اهلها فقالوا له انت ترحم الضعفاء واهل الذمة ويكلمك من تلي عليه
ويشكون اليك فتنظر اليهم وان هؤلاء جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم انك
مقيم في بيعتنا ليقتلننا اذا ارتحلت عنا فان رايت ان تنزل جانب القرية ولا تجعل علينا مقالا
فافعل فخرج عن البيعة فنزل جانب القرية وبات عثمان ليلته كلها يحرض أصحابه فلما اصبح يوم
الاربعاء خرج بالناس كلهم فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة شديدة فصاح الناس وقالوا له ننشدك
الله ان لا تخرج بنا والريح علينا فاقام بهم ذلك اليوم ثم خرج بهم يوم الخميس وقد عبى الناس
فجعل في الميمنة خالد بن نهيك بن قيس وعلى الميسرة عقيل بن شداد السلولي ونزل هو في الرجالة
وعبر شبيب النهر اليهم وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا فوقف هو في الميمنة وجعل اخاه
مصادا في القلب وجعل سويد بن سليم في الميسرة وزحف بعضهم الى بعض وقال شبيب لاصحابه
اني حامل على ميسرتهم مما يلي النهر فاذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتي على ميمنتهم ولا يبرح
صاحب القلب حتى يأتيه امري وحمل على ميسرة عثمان فانهزموا ونزل عقيل بن شداد فقاتل
حتى قتل وقتل ايضا مالك بن عبد الله الهمداني عم عياش بن عبد الله المنتوف ودخل شبيب
عسكرهم وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها وعليها خالد بن نهيك فقاتله قتالا شديدا وحمل شبيب
من ورائه فقتله وتقدم عثمان بن قطن وقد نزل معه العرفاء واشراف الناس والفرسان نحو
القلب وفيه مصاد اخو شبيب في نحو من ستين رجلا فلما دنا منهم عثمان شد عليهم فيمن معه
فضاربوهم حتى فرقوا بينهم وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فما شعر عثمان ومن معه الا والرماح في
اكتافهم تكبهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم ايضا في خيله ورجع مصاد واصحابه
فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن احسن قتال ثم انهم احاطوا به وضربه مصاد اخو شبيب

ضربة

ابنه جمع عسكرا وقصدها
فقتلها آخذا بثار ابيه
وكان ملكها ستة أشهر
واختلف عظماء الفرس
فيمن يولونه الملك فلم يجدوا
غير رجل من عقب اردشير
ابن بابك اسمه (كسرى)
فملكوه ولم يلق به الملك فقتلوه
بعد ايام فلم يجدوا من
يملكونه من بيت الملك
فوجدوا رجلا يقال له
فيروز يزعم انه من نسل
انوشروان فملكوا (فيروز)
المذكور ووضعوا التاج
على رأسه وكان رأسه ضخما
فقال ما اضيق هذا التاج
فتطير العظماء من افتتاح
كلامه بالضيق وقالوا هذا
لا يصلح للملك فقتلوه ثم
ملكوا مكانه (فرخ زاد
خسرو) من اولاد انوشروان
ملك ثلاثة أشهر ثم ملك
بعده (يزدجرد بن شهريار)
الساساني وكان مختفيا
باصطخر لما قتل أبوه مع
اخوته حسبما ذكرناه آنفا
وكان ملك يزدجرد
المذكور كالخيال بالنسبة
الى ملك آبائه وكانت
الوزراء تدبر ملكه وضعف
ملك فارس واجترأ عليهم
أعداؤهم وغزا المسلمون
بلادهم وكان رستم الشديد
الارمني وزيره وقائد جيوشه
فقال له خذ من الخزائن
والسلاح والعساكر ما تريد

أن يرزق أهل الكوفة الذين معه من مال فارس فأبى عليه وبرت بينهما منافرة فكادت تؤدي الى الحرب فدخل المغيرة بن المهلب بينهما فاصلح الأمر وألزم أباه برزق اهل الكوفة فاجابه الى ذلك وكتب يشكو منه فلما ورد كتابه سر الحجاج بذلك واستدعاه ثم جمع الحجاج اهل الكوفة واستشارهم فيمن يوليه امر الجيش فقالوا رأيك افضل فقال قد بعثت الى عتاب وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة فقال زهرة أيها الامير رميتهم بحجرهم والله لا يرجع اليك حتى تظفر أو يقتل وقال له قبيصة بن والق ان الناس قد تحدثوا ان جيشا قد وصل اليك من الشام وان اهل الكوفة قد هزموا وهان عليهم الفرار فقلوبهم كانها ليست فيهم فان رأيت ان تبعث الى اهل الشام ليأخذوا حذرهم ولا يبيتوا الا وهم يحتاطون فانك تحارب حولا قلبا ظعانا رحالا وقد جهزت اليهم اهل الكوفة ولست واثقا بهم كل الثقة وان شبيبا بيناهو في ارض اذا هو في اخرى ولا آمن ان يأتي اهل الشام وهم آمنون فان يهلكوا نهلك ويهلك العراق فقال لله ابوك ما احسن ما اشرت به وارسل الى اهل الشام يحذرهم ويأمرهم ان يأتوا على عين التمر ففعلوا وقدم عتاب بن ورقاء تلك الليلة فبعثه الحجاج على ذلك الجيش فعسكر بحمام أعين واقبل شبيب حتى انتهى الى كلواذى فقطع فيها دجلة ثم سار حتى نزل مدينة بهرشير الدنيا فصار بينه وبين مطرف دجلة وقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب أن ابعث الي رجالا من وجوه اصحابك ادارسهم القرآن وأنظر فيما يدعون اليه فبعث اليه قعنب بن سويد والمحلل وغيرهما وأخذ منه رهائن الى ان يعودوا فاقاموا عنده اربعة أيام ثم لم يتفقوا على شيء فلما لم يتبعه مطرف تهيأ للمسير الى عتاب وقال لاصحابه اني كنت عازما ان آتي أهل الشام بجريدة والقاهم على غرة قبل ان يتصلوا بامير مثل الحجاج ومصر مثل الكوفة فثبطني عنهم مطرف وقد جاءتني عيوني فاخبروني ان أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وقد أخبروني ان عتابا ومن معه بالبصرة فما اقرب ما بيننا وبينه فتيسروا للمسير الى عتاب وخاف مطرف بن المغيرة ان يبلغ خبره مع شبيب الى الحجاج فخرج نحو الجبال فارسل شبيب اخاه مصادا الى المدائن وعقد الجسر وأقبل عتاب اليه حتى نزل بسوق حكمة وقد خرج معه من المقاتلة أربعون ألفا ومن الشباب والاتباع عشرة آلاف فكانوا خمسين ألفا وكان الحجاج قد قال لهم حين سار وان للسائر المجتهد الكرامة والاثرة وللهارب الهوان والجفوة والذي لا اله غيره ان فعلتم في هذه المواطن كفعلكم في المواطن الاخر لاولينكم كنفا خشنا ولاعركنكم بكلكل ثقيل فلما بلغ عتاب سوق حكمة أتاه شبيب وكان أصحابه بالمدائن ألف رجل فحثهم على القتال وسار بهم فتخلف عنه بعضهم ثم صلى الظهر بساباط وصلى العصر وسار حتى اشرف على عتاب وعسكره فلما رآهم نزل فصلى المغرب وكان عتاب قد عبى اصحابه فجعل في الميمنة محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن أخي انك شريف صابر فقال والله لاصبرن ما ثبت معي انسان وقال لقبيصة بن والق الثعلبي اكفني الميسرة فقال انا شيخ كبير لا استطيع القيام الا ان أقام فجعل عليها نعيم بن عليم وبعث حنظلة بن الحرث اليربوعي وهو ابن عمه وشيخ أهل بيته على الرجالة وصفهم ثلاث صفوف صف فيهم أصحاب السيوف وصف فيهم أصحاب الرماح وصف فيهم الرماة ثم سار في الناس يحرضهم على القتال ويقص عليهم ثم قال أين القصاص فلم يجبه أحد ثم قال أين من يروي شعر

تجيات الاجيال وتحزبت الاحزاب فيها فقال كبراؤهم نحن أهل البدء وفينا التناهي وفينا هبط آدم عليه السلام من الجنة ومنا سرى الى الارض فالرياسة لنا ونصبت لها ملكا وهو (البهرمن الاكبر) والملك الاعظم ظهرت في ايامه الحكمة وتقدمت الاطباء والعلماء واستخرجوا الحديد من المعادن وضربت في أيامه السيوف والخناجر واكثر من أنواع المقاتلة وسبل الهياكلة ورصعها بالجواهر المنيرة وصور فيها الافلاك والبروج وكيفية العالم فكانت مدة ملكه الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة والهند تعظمهم وهم اعلى اجناسهم واشرفهم ولا يأكلون شيأ من الحيوان ولما هلك أكبرهم جزعت عليه الهند جزعا شديدا وملك ابنه (الباهبوذ) فسار فيهم سيرة أبيه وقدم الحكماء وزاد في مراتبهم فكان مدة ملكه الى ان هلك مائة سنة وفي أيامه عمل النرد واحدث اللعب بها وجعل ذلك مثالا للمكاسب وانها لا تنال بالحيل في هذه الدنيا وان الرزق لا يتأتى فيها بالحذق

عشر قيراطا فوزن الدرهم العربي أربعة عشر قيراطا فصار وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبد الله بن الزبير ثم كسرت بعد ذلك أيام عبد الملك والاول أصح في ان عبد الملك أول من ضرب الدراهم والدنانير

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك وفيها ولى عبد الملك المدينة ابان بن عثمان وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان وأقام الحج للناس هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير المدينة وكان على العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى وفيها غزا محمد بن مروان الروم من ناحية ملطية وفيها مات حبة بن جوين العرني صاحب علي (حبة بالحاء المهملة وبالباء الموحدة وهو منسوب الى عرنة بالعين المهملة المضمومة والراء المهملة والنون)

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين)

(ذكر محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما)

وفي هذه السنة قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية وسبب ذلك ان شبيبا لما هزم الجيش الذي كان وجهه الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقتل عثمان بن قطن كان ذلك في حر شديد وأتى شبيب ماه بهراذان فصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا وممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تبعات فلما ذهب الحر خرج شبيب في نحو ثمانمائة رجل فاقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب عظيم بابل مهروذ الى الحجاج بذلك فلما قرأ الكتاب قام في الناس فقال أيها الناس لتقاتلن عن بلادكم وعن فيئكم أو لابعثن الى قوم هم اطوع واصبر على اللأواء والقيظ منكم فيقاتلون عدوكم ويأكلون فيئكم فقام اليه الناس من كل جانب ومكان فقالوا نحن نقاتلهم ونعتب الامير فليندبنا الامير اليهم وقام اليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستتم قائما حتى يؤخذ بيده فقال أصلح الله الامير انما تبعث اليهم الناس متقطعين فاستنفر الناس اليهم كافة وابعث اليهم رجلا شجاعا مجربا ممن يرى الفرار هضما وعارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج فانت ذلك الرجل فاخرج فقال زهرة اصلح الله الامير انما يصلح الرجل يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويثبت على الفرس وانا لا اطيق من هذا شيأ وقد ضعف بصري ولكن أخرجني مع الامير في الناس فاكون معه وأشير عليه برأيي فقال الحجاج جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله في أول أمرك وآخره فقد نصحت ثم قال أيها الناس سيروا باجمعكم كافة فانصرف الناس يتجهزون ولا يدرون من أميرهم وكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره ان شبيبا قد شارف المدائن وانه يريد الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة بقتل أمرائهم ويهزم جنودهم ويطلب اليه ان يبعث اليه جندا من الشام يقاتلون الخوارج ويأكلون البلاد فلما اتى الكتاب بعث اليه عبد الملك سفيان بن الابرد الكلبي في أربعة آلاف وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي في الفين فبعث الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحي وهو مع المهلب يستدعيه وكان عتاب قد كتب الى الحجاج يشكو من المهلب ويسأله ان يضمه اليه لان عتابا طلب من المهلب

صاحب الصمصامة حمل يوم القادسية على رستم وكان رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقد بلغ ثمن تاجه مائة ألف دينار فهزموهم وطردوهم وفر يزدجرد الى أرض الجبال وبعث خزائنه الى الصين ولم يجتمع شملهم فقتل منهم ثلاثون الفا وكان قتل رستم سنة أربع عشرة من الهجرة وغزا المسلمون بلادهم في خلافة عثمان رضي الله عنه وقتل يزدجرد بعد ذلك بمدة وكان عمره الى ان قتل عشرين سنة وهو آخر من ملك من ملوك الفرس وزال ملكهم بالاسلام زوالا لا يرجى له القيام وكانت عدة ملوك الفرس من كيومرث الى يزدجرد المذكور ثمانين ملكا منهم ثلاث نسوة والله أعلم بغيبه واحكم فسبحان من لا يزول ملكه

(الفصل الثاني في ذكر ملوك الهند وأنسابها وبدء ممالكها وآرائها)

ذكر المسعودي في مروج الذهب ان الهند كانت فيها الصلاح والحكمة فانه

(ذكر قدوم شبيب الكوفة أيضا وانهزامه عنها)

ثم سار شبيب من سورا فنزل حمام أعين فدعا الحجاج الحرث بن معاوية الثقفي فوجهه في ناس من الشرط لم يشهدوا يوم عتاب وغيرهم فخرج في نحو ألف فنزل زرارة فبلغ ذلك شبيبا فعجل الى الحرث بن معاوية فلما انتهى اليه حمل عليه فقتله وانهزم اصحابه وجاء المنهزمون فدخلوا الكوفة وجاء شبيب فعسكر بناحية الكوفة وأقام ثلاثا فلم يكن في اليوم الاول غير قتل الحرث فلما كان اليوم الثاني اخرج الحجاج مواليه فأخذوا بأفواه السكك وجاء شبيب فنزل السبخة وابتنى بها مسجدا فلما كان اليوم الثالث اخرج الحجاج أبا الورد مولاه عليه تجفاف ومعه غلمان له وقالوا هذا الحجاج فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم اخرج الحجاج غلامه طهمان في مثل تلك العدة والحالة فقتله شبيب وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فطلب بغلا يركبه الى السبخة فأتي ببغل فركبه ومعه اهل الشام فخرج فلما رأى الحجاج شبيبا واصحابه نزل وكان شبيب في ستمائة فارس فاقبل نحو الحجاج وجعل الحجاج سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف على أفواه السكك في جماعة الناس ودعا الحجاج بكرسي فقعد عليه ثم نادى أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة واليقين فلا يغلبن باطل هؤلاء الارجاس حقكم غضوا الابصار واجثوا على الركب واستقبلوهم بأطراف الاسنة ففعلوا واشرعوا الرماح وكأنهم حرة سوداء واقبل شبيب في ثلاثة كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل وقال لسويد احمل عليهم في خيلك فحمل عليهم فثبتوا له ووثبوا في وجهه بأطراف الرماح فطعنوه حتى انصرف هو وأصحابه وصاح الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم وأمر شبيب المحلل فحمل عليهم ففعلوا به كذلك فناداهم الحجاج هكذا فافعلوا وأمر بكرسيه فقدم ثم ان شبيبا حمل عليهم في كتيبته فثبتوا له وصنعوا به كذلك فقاتلهم طويلا ثم ان اهل الشام طاعنوه حتى الحقوه بأصحابه فلما رأى صبرهم نادى يا سويد احمل عليهم بأصحابك على اهل هذه السكة لعلك تزيل اهلها وتأتي الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من امامه فحمل سويد ففرمي من فوق البيوت وأفواه السكك فرجع وكان الحجاج قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة رجل من اهل الشام ردأ له لئلا يؤتوا من خلفهم فجمع شبيب أصحابه ليحمل بهم فقال الحجاج اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم هو الفتح فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه فوثبوا في وجهه وما زالوا يطاعنونه ويضاربونه قدما ويدفعونه واصحابه حتى اجاز وهم مكانهم وامر شبيب أصحابه بالنزول فنزل نصفهم وجاء الحجاج حتى انتهى الى مسجد شبيب ثم قال يا اهل الشام هذا اول الفتح وصعد المسجد ومعه جماعة معهم النبل ليرموهم ان دنوا منه فاقتتلوا عامة النهار اشد قتال رآه الناس حتى أقر كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم ان خالد بن عتاب قال للحجاج ائذن لي في قتالهم فاني موتور فاذن له فخرج ومعه جماعة من أهل الكوفة وقصد عسكرهم من ورائهم فقتل مصادا اخا شبيب وقتل امرأته غزالة وحرق في عسكره واتى الخبر الحجاج وشبيبا فكبر الحجاج وأصحابه واما شبيب فركب هو واصحابه وقال الحجاج لاهل الشام احملوا عليهم فانهم قد أتاهم ما أرعبهم فشدوا عليهم فهزموهم وتخلف شبيب في حامية الناس فبعث الحجاج الى خيله ان دعوه فتركوه ورجعوا ودخل

رئيس بناحية فلك على ارض السند ملك وملك على ارض القنوج ملك وملك على ارض قشمير ملك وفي مدينة المادكين وهي الحوزة الكبرى ملك يسمى (البلهرا) وهذا اول ملك سمي بهذا الاسم فصارت سمة لمن ولي هذه الحوزة من الملوك والملك مقصور في اهل بيت لا ينتقل عنهم الى غيرهم كذلك بيت الوزارة ومن عادة ملوكهم وخاصتهم وعامتهم انهم لا يرون حبس الريح في اجوافهم وليس هو عندهم عيبا واقبح ما يكون عندهم السعال والجشوة لان الريح واحدة في الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب صاعدا سمي جشاء وما يذهب سافلا سمي فسوا ولا فرق بينهما الا باعتبار المخارج واعظم ملوك الهند في وقتنا هذا (جلال الدين الاكبر) وغالب ملوك الهند تتوجه اليه وله جيوش وفيلة لا يدرى كثرتها واكثر اهل الهند يحرقون امواتهم ويذرون رمادهم في الرياح لغرض يذكرونه في المستقبل وفي الهند نهر يسمى بالكند وهو نهر حاد الانصباب سريع الجريان بحيث يخطف

عشرة لم يجبه أحد فقال انا الله كانى بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفى فى استه الريح ثم أقبل حتى جلس فى القلب ومعه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وأبو بكر بن محمد بن أبى جهم العدوى وأقبل شبيب وهو فى ستمائة وقد تخلف عنه من أصحابه أربعمائة فقال لقد تخلف عنا من لا أحب ان يرى فينا فجعل سويد بن سليم فى مائتين فى الميسرة وجعل المحلل بن وائل فى مائتين فى القلب ومضى هو فى مائتين الى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين اضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات فقالوا رايات لربيعة فقال طالما نصرت الحق وطالما نصرت الباطل والله لاجاهدنكم محتسبا انا شبيب لا حكم الا لله للحكم اثبتوا ان شئتم ثم حمل عليهم ففضهم فثبت اصحاب رايات قبيصة بن والق وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم فقتلوا وانهزمت الميسرة كلها ونادى الناس من بنى ثعلبة قتل قبيصة وقال شبيب قتلتموه ومثله كما قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ثم وقف عليه وقال ويحك لو ثبت على اسلامك الاول سعدت وقال لاصحابه ان هذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم جاء يقاتلكم مع الفسقة ثم ان شبيبا حمل من الميسرة على عتاب وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن فقاتلهم فى رجال من تميم وهمدان فما زالوا كذلك حتى قيل لهم قتل عتاب فانفضوا ولم يزل عتاب جالسا على طنفسة فى القلب ومعه زهرة بن حوية حتى غشيهم شبيب فقال عتاب يا زهرة هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء والهفى على خمسمائة فارس من تميم من جميع الناس ألا صابر لعدوه ألا مواس بنفسه فانفضوا عنه وتركوه فقال زهرة أحسنت يا عتاب فعلت فعلا لا يفعله مثلك أبشر فانى أرجو أن يكون الله جل ثناؤه قد أهدى الينا الشهادة عند فناء اعمارنا فلما دنا منه شبيب وثب فى عصابة قليلة صبرت معه وقد ذهب الناس فقيل له ان عبد الرحمن بن الاشعث قد هرب وتبعه ناس كثير فقال ما رأيت ذلك الفتى يبالى ما صنع ثم قاتلهم ساعة فرآه رجل من اصحاب شبيب يقال له عامر بن عمرو التغلبى فحمل عليه فطعنه ووطئت الخيل زهرة بن حوية فاخذ يذب بسيفه لا يستطيع ان يقوم فجاءه الفضل ابن عامر الشيبانى فقتله فانتهى اليه شبيب فرآه صريعا فعرفه فقال هذا زهرة بن حوية أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من ايام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين هزمتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحتها ثم كان فى علم الله انك تقتل ناصرا للظالمين وتوجع له فقال له رجل من أصحابه انك لتتوجع لرجل كافر فقال انك لست باعرف بضلالتهم منى ولكنى أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ما لو ثبتوا عليه لكانوا اخواننا فاستمسك شبيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا السيف ودعاهم الى البيعة فبايعه الناس وهربوا من تحت ليلتهم وحوى ما فى العسكر وبعث الى أخيه فاتاه من المدائن وأقام شبيب بعد الوقعة ببيت قرة يومين ثم سار نحو الكوفة فنزل بسورا وقتل عاملها وكان سفيان بن الابرد وعسكر الشام قد دخلوا الكوفة فشدوا ظهر الحجاج واستغنى به وبعسكره عن أهل الكوفة فقام على المنبر فقال يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ولا نصر من أراد بكم النصر اخرجوا عنا لا تشهدوا معنا قتال عدونا انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى ولا يقاتل معنا الا من لم يشهد قتال عتاب

ثم ملك مكانه (راماث) بعد الباهبوذ فكان مدة ملكه مائة سنة وخمسين سنة وله سير واخبار وحروب مع ملوك الفرس وملوك الصين ثم ملك بعده (فور) وهو الذى حارب الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة فكان ملك فور الى ان هلك مائة وأربعين سنة ثم ملك بعده (ديشليم) وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذى ترجمه ابن المقفع بلسان العربية من لسان الهند وكان مدة ملكه مائة سنة وعشرين سنة ثم ملك بعده (بلهيث) ووضع فى ايامه الشطرنج والواضع له صصه ابن داهر الهندى فقضى بلعبها على النرد وبين الظفر الذى يناله الحازم والنكبة التى تلحق الخامل وكان مدة ملكه ثمانين سنة ثم ملك بعده (كورش) فاحدث للهند آراء فى الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت وخروج من مذاهب من سلف وعمل له كتاب فى معرفة العلل والعلاجات وشكلات الحشائش وصورت وكان مدة ملكه مائة وعشرين سنة ولما هلك اختلفت الهند فى آرائها وانفرد كل

ورجع خالد فاخبر الحجاج بانصرافهم فامره باتباعهم فاتبعهم يحمل عليهم فرجع اليه ثمانية نفر فقاتلوه حتى بلغوا به الرحبة واتى شبيب بحوط بن عمير السدوسى فقال يا حوط لا حكم الا لله فقال ان حوطا من اصحابكم ولكنه كان يخاف فاطلقه واتى بعمير بن القعقاع فقال يا عمير لا حكم الا لله فقال فى سبيل الله شبابى فردد عليه شبيب لا حكم الا لله فلم يفقه ما يريد فقتله وقتل مصاد أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر الثمانية الذين اتبعوا خالدا فابطؤا ولم يقدم اصحاب الحجاج على شبيب هيبة له واتى الى شبيب أصحابه الثمانية فساروا واتبعهم خالد وقد دخلوا الى دير بناحية المدائن فحصرهم فيه فخرجوا عليه فهزموه فرسخين فالقوا أنفسهم فى دجلة منهزمين وألقى خالد نفسه فيها بفرسه ولواؤه بيده فقال شبيب قاتله الله هذا أشد الناس فقيل هو خالد بن عتاب فقال معرق فى الشجاعة ولو عرفته لاقتحمت خلفه ولو دخل النار ثم سار الى كرمان على ما تقدم ذكره وكتب الحجاج الى عبد الملك يستمده ويعرفه عجز أهل الكوفة عن قتال شبيب فسير سفيان ابن الابرد فى جيش اليه

(ذكر مهلك شبيب)

وفى هذه السنة هلك شبيب وكان سبب ذلك ان الحجاج انفق فى اصحاب سفيان بن الابرد مالا عظيما بعد ان عاد شبيب عن محاربتهم وقصد كرمان بشهرين وامر سفيان واصحابه بقصد شبيب فساروا نحوه وكتب الحجاج الى الحكم بن ايوب زوج ابنته وهو عامله على البصرة يامره ان يرسل اربعة آلاف فارس من اهل البصرة الى سفيان فسيرهم مع زياد بن عمرو العتكى فلم يصل الى سفيان حتى التقى سفيان مع شبيب وكان شبيب قد اقام بكرمان فاستراح هو واصحابه ثم اقبل راجعا فالتقى مع سفيان بجسر دجيل الاهواز فعبر شبيب الجسر الى سفيان فوجد سفيان قد نزل فى الرجال وجعل مهاصر بن سيف على الخيل واقبل شبيب فى ثلاثة كراديس فاقتتلوا اشد قتال ورجع شبيب الى المكان الذى كان فيه ثم حمل عليهم هو واصحابه اكثر من ثلاثين حملة ولا يزول اهل الشام وقال لهم سفيان لا تتفرقوا وليزحف الرجال اليهم زحفا فما زالوا يضاربونهم ويطاعنونهم حتى اضطروهم الى الجسر فلما انتهى شبيب الى الجسر نزل ونزل معه نحو مائة فقاتلوهم حتى المساء واوقعوا باهل الشام من الضرب والطعن ما لم يروا مثله فلما رأى سفيان عجزه عنهم وخاف ان ينصروا عليه امر الرماة ان يرموهم وذلك عند المساء وكانوا ناحية فتقدموا ورموا شبيبا ساعة فحمل هو واصحابه على الرماة فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف على سفيان ومن معه فقاتلهم حتى اختلط الظلام ثم انصرف فقال سفيان لاصحابه لا تتبعوهم فلما انتهى شبيب الى الجسر قال لاصحابه اعبروا واذا اصبحنا باكرناهم ان شاء الله فعبروا امامه وتخلف فى آخرهم وجاء ليعبر وهو على حصان وكانت بين يديه فرس انثى فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الجر تحته ونزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط فى الماء فلما سقط قال ليقضى الله امرا كان مفعولا وانغمس فى الماء ثم ارتفع وقال ذلك تقدير العزيز العليم وغرق وقيل فى قتله غير ذلك وهو انه كان مع جماعة من عشيرته ولم تكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم رجالا فكان قد اوجع قلوبهم وكان منهم رجل اسمه مقاتل من بنى تيم ابن شيبان فلما قتل شبيب من بنى تيم أغار هو على بنى مرة بن همام رهط شبيب فقتل منهم فقال له

الطبول والصنوج وعلى بدنه انواع من خرق الحرير قد خرقها على نفسه وحوله أهله وقرابته وقد سلخ جلد رأسه ووضع عليه أكاليل من الريحان وقد جعل على بدنه الكبريت والسندروس وروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق التانبول مجلدا فاذا أشرف على النار وقد صارت جمرا كالتل العظيم أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه ثم ادخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منه قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر ودفعها الى بعض اخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه فى النار واذا مات ملك من ملوكهم او قتل نفسه احرق خلق كثير من الناس انفسهم لموته وللهند اخبار كثيرة عجيبة تجزع من سماعها النفوس

(الفصل الثالث فى ذكر ملوك الصين فى سالف الدهر وآلحين)

قد تنازع الناس فى انساب أهل الصين وبدئهم فذهب كثير منهم ان عامور بن شويل بن يافث بن نوح عليه السلام لما قسم الارض بين اولاده وانتشروا فى الارض

الحجاج الكوفة فصعد المنبر ثم قال والله ما قوتل شبيب قبلها ولى رالله هاربا وترك امرأته يكسر في استها القصب ثم دعا حبيب ابن عبد الرحمن الحكمي فبعثه في ثلاثة آلاف فارس من اهل الشام في اثر شبيب وقال له احذر بياته وحيث لقيته فانزله فان الله تعالى قد فل حده وقصم نابه فخرج في أثره حتى نزل الانبار وكان الحجاج قد نادى عند انهزامهم من جاء منكم فهو آمن فتفرق عن شبيب ناس كثير من اصحابه فلما نزل حبيب الانبار أتاهم شبيب فلما دنا منهم نزل فصلى المغرب وكان حبيب قد جعل أصحابه ارباعا وقال لكل ربع منهم ليمنع كل ربع منكم جانبه فان قاتل هذا الربع فلا يعنهم الربع الآخر فان الخوارج قريب منكم فوطنوا أنفسكم على انكم مبيتون ومقاتلون فاتاهم شبيب وهم على تعبية فحمل على ربع فقاتلهم طويلا فما زالت قدم انسان عن موضعها ثم تركهم واقبل الى ربع آخر فكانوا كذلك ثم أتى ربعا آخر فكانوا كذلك ثم الربع الرابع فما برح يقاتلهم حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ثم نازلهم راجلا فسقطت منهم الايدي وكثرت القتلى وفقئت الاعين وقتل من أصحاب شبيب نحو ثلاثين رجلا ومن اهل الشام نحو مائة واستولى التعب والاعياء على الطائفتين حتى ان الرجل ليضرب بسيفه فلا يصنع شيأ وحتى ان الرجل ليقاتل جالسا فما يستطيع ان يقوم من التعب فلما يئس شبيب منهم تركهم وانصرف عنهم ثم قطع دجلة واخذ في ارض جوخى ثم قطع دجلة مرة أخرى عند واسط ثم اخذ نحو الاهواز ثم الى فارس ثم الى كرمان ليستريح هو ومن معه وقيل في هزيمته غير ذلك وهو ان الحجاج كان قد بعث الى شبيب اميرا فقتله ثم اميرا فقتله احدهما اعين صاحب حمام اعين ثم جاء شبيب حتى دخل الكوفة ومعه زوجته غزالة وكانت نذرت ان تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران واتخذ في عسكره اخصاصا فجمع الحجاج ليلا بعد ان لقي من شبيب الناس ما لقوا فاستشارهم في امر شبيب فاطرقوا وفصل قتيبة من الصف فقال اتأذن لي في الكلام قال نعم قال ان الامير ما راقب الله ولا امير المؤمنين ولا نصح الرعية قال وكيف ذلك قال لانك تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعا فينهزمون ويستحيي ان ينهزم فيقتل قال فما الرأي قال الرأي ان تخرج اليه فتحاكمه قال فانظر لي معسكرا فخرج الناس يلعنون عنبسة بن سعيد لانه هو الذي كلم الحجاج فيه حتى جعله من صحابته وصلى الحجاج من الغد الصبح واجتمع الناس واقبل قتيبة وقد رأى معسكرا حسنا فدخل الى الحجاج ثم خرج ومعه لواء منشور وخرج الحجاج يتبعه حتى خرج الى السبخة وبها شبيب وذلك يوم الاربعاء فتواقفوا وقيل للحجاج لا تعرفه مكانك فاخفى مكانه وشبه له ابا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود فقتله وحمل شبيب على خالد بن عتاب ومن معه وهو على ميسرة الحجاج فبلغ بهم الرحبة وحمل على مطر بن ناجية وهو على ميمنة الحجاج فكشفه فنزل عند ذلك الحجاج ونزل اصحابه وجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد فانهم على ذلك اذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبي لجام شبيب وقال ما تقول في صالح بن مسرح وبم تشهد عليه قال اعلى هذه الحال قال نعم قال فبرئ من صالح فقال له مصقلة برئ الله منك وفارقه الاربعين فارسا فقال الحجاج قد اختلفوا وارسل الى خالد بن عتاب فاتى بهم في عسكرهم فقاتلهم فقتلت غزالة ومر برأسها الى الحجاج مع فارس فعرفه شبيب فامر رجلا فحمل على الفارس فقتله وجاء بالرأس فامر به فغسل ثم دفنه ومضى القوم على حاميتهم

ورجع

البصر عليه وتعذب اكثر اهل الهند انفسها بالحديد وتفرقها زهدا في العالم ورغبة في النقل عنه وذلك انهم يقصدون موضعا في اعالي هذا النهر وهناك جبال عالية واشجار عادية على حافة هذا النهر ورجال عندهم جلوس وحدائد وسيوف منصوبة على تلك الشجرة وقطع من الخشب محورة فتاتيهم اهل الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون من تزهيدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه فيطرحون انفسهم من اعالي تلك الجبال العالية على تلك الاشجار العادية والسيوف والحديد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويصيرون الى هذا النهر اجزاء وما ذكرناه مشهور عندهم واهل الهند تعذب نفسها بانواع العذاب وقد تيقنت لما بنالها من النعيم في المستقبل فيصير لواحد الى باب الملك فيستأذن في احراقه نفسه فيدور في الاسواق وقد اججت له النار العظيمة وعليها من قد وكل بما يتقدها ثم يسير في الاسواق وقدامه

وبين اصحاب شبيب وانهم لو تابعوه على رأيه بخلع عبد الملك والحجاج واستشارهم فيما يفعل فقالوا له اخف هذا الكلام ولا تظهره لاحد فقال له يزيد بن ابي زياد مولى ابيه المغيرة بن شعبة والله لا يخفى على الحجاج مما كان بينك وبينهم كلمة واحدة وليزادن على كل كلمة عشر امثالها ولو كنت في السحاب لالتمسك الحجاج حتى يهلكك فالنجاء النجاء فوافقه أصحابه على ذلك فسار من المدائن نحو الجبال فلقيه قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي بدير يزدجرد فاحسن اليه واعطاه نفقة وكسوة فصحبه ثم عاد عنه ثم ذكر مطرف لاصحابه بالدسكرة ما عزم عليه ودعاهم اليه وكان رأيه خلع عبد الملك والحجاج والدعاء الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون الامر شورى بين المسلمين يرتضون لانفسهم من احبوه فبايعه البعض على ذلك ورجع عنه البعض وكان ممن رجع عنه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف فجاء الى الحجاج وقاتل شبيبا مع اهل الشام وسار مطرف نحو حلوان وكان بها سويد بن عبد الرحمن السعدي من قبل الحجاج فاراد هو والاكراد منعه ليعذر عند الحجاج فجازه مطرف بمواطأة منه واوقع مطرف بالاكراد فقتل منهم وسار فلما دنا من همذان وبها اخوه حمزة بن المغيرة تركها ذات اليسار وقصد ماه دينار وارسل الى اخيه حمزة يستمده بالمال والسلاح فارسل اليه سرا ما طلب وسار مطرف حتى بلغ قم وقاشان وبعث عماله على تلك النواحي واتاه الناس وكان ممن اتاه سويد بن سرحان الثقفي وبكير بن هرون النخعي من الري في نحو مائة رجل وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على اصبهان اليه يعرفه حال مطرف ويستمده فامده بالرجال بعد الرجال على دواب البريد وكتب الحجاج الى عدي بن زياد عامل الري يامره بقصد مطرف وان يجتمع هو والبراء على محاربته فسار عدي من الري فاجتمع هو والبراء ابن قبيصة وكان عدي هو الامير فاجتمعوا في نحو ستة آلاف مقاتل وكان حمزة بن المغيرة قد ارسل الى الحجاج يعتذر فاظهر قبول عذره واراد عزله وخاف ان يمتنع عليه فكتب الى قيس بن سعد العجلي وهو على شرطة حمزة بهمذان بعهده على همذان ويامره ان يقبض على حمزة بن المغيرة وكان بهمذان من عجل وربيعة جمع كثير فسار قيس بن سعد الى حمزة في جماعة من عشيرته فاقرأه العهد بولاية همذان وكتاب الحجاج بالقبض عليه وقال سمعا وطاعة فقبض قيس على حمزة وجعله في السجن وتولى قيس همذان وتفرغ قلب الحجاج من هذه الناحية لقتال مطرف وكان يخاف مكان حمزة بهمذان لئلا يمد اخاه بالمال والسلاح ولعله يمده بالرجال فلما قبض عليه سكن قلبه وتفرغ باله ولما اجتمع عدي ابن زياد الايادي والبراء بن قبيصة ساروا نحو مطرف فخندق عليه فلما دنوا منه اصطفوا للحرب واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اصحاب مطرف وقتل مطرف وجماعة كثيرة من اصحابه قتله عمير بن هبيرة الفزاري وحمل رأسه فتقدم بذلك عند بني امية وقاتل ابن هبيرة ذلك اليوم وابلى بلاء حسنا وقتل يزيد بن ابي زياد مولى المغيرة وكان صاحب راية مطرف وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الازدي وكان ناسكا صالحا وبعث عدي بن زياد الى الحجاج أهل البلاء فاكرمهم واحسن اليهم وامن عدي بكير بن هرون وسويد بن سرحان وغيرهما وطلب منه الامان للحجاج ابن حارثة الخثعمي فبعث اليهم كتاب الحجاج يامرهم بارساله اليه ان كان حيا فاختفى ابن حارثة حتى عزل عدي ثم ظهر في امارة خالد بن عتاب بن ورقاء وكان الحجاج يقول ان مطرفا ليس بولد للمغيرة بن شعبة انما هو ولد مصقلة بن سبرة الشيباني وكان مصقلة

فجعل أباه كما سبق من افعالهم وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك فعاش اربعمائة سنة ثم هلك فملك ولده (بوبايان) فجعل بعد أبيه كما تقدم فاستقامت له الامور وزعم ان الملك لا يثبت الا بالعدل لان العدل ميزان الرب وضم الناس الى ديانة اخترعها برأيه وأمرهم ان يعملوا بها فكانت مدة ملكه نحوا من مائة وخمسين سنة وجعلوا يوم وفاته عيدا يجتمعون فيه عندها وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والناوس وجعلوه في تمثال من الذهب كما فعل بآبائه ولم يستقم لهم حال حتى حدث في الملك امر زال به النظام وانتقضت به الاحكام وهو ان نبغ خارجي من غير بيت الملك يقال له (بايشو) فاجتمع اليه ارباب الشرور واستولى على الملك الى ان استنجد ولد الملك بخاقان ملك الترك فالتقى الفريقان واستمر الحرب نحوا من سنة حتى قتل الخارجي وتولى الملك ولد الملك اسمه (يعقور) وهو الذي ذكره صاحب السكردان انه راسل كسرى انوشروان بكتاب مضمونه من يعقور

شبيب ما حملك على قتلهم بغير أمري فقال له قتلت كفار قومي فقتلت كفار قومك ومن دينا قتل من كان على غير رأينا وما أصبت من رهطي أكثر مما أصبت من رهطك وما يحل لك يا امير المؤمنين ان تجد على قتل الكافرين قال لا أجد وكان معه أيضا رجال كثير قد قتل من عشائرهم فلما تخلف في آخر الناس قال بعضهم لبعض هل لكم ان نقطع به الجسر فندرك ثارنا فقطعوا الجسر فمالت به السفن فنفر به الفرس فوقع في الماء فغرق والاول اصح واشهر وكان اهل الشام يريدون الانصراف فاتاهم صاحب الجسر فقال لسفيان ان رجلا منهم وقع في الماء فنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبر سفيان وكبر أصحابه وأقبل حتى انتهى الى الجسر وبعث الى العسكر واذا ليس فيه أحد واذا هو أكثر العساكر خيرا ثم استخرجوا شبيبا فشقوا جوفه واخرجوا قلبه وكان صلبا كانه صخرة فكان يضرب به الصخرة فيشب عنها قامة الانسان قيل وكان شبيب ينعى الى امه فيقال قتل فلا تقبل ذلك فلما قيل لها غرق صدقت ذلك وقالت اني رأيت حين ولدته انه خرج مني شهاب نار فعلمت انه لا يطفئه الا الماء وكانت امه جارية رومية قد اشتراها ابوه فاولدها شبيبا منه سنة خمس وعشرين يوم النحر وقالت اني رأيت فيما يرى النائم انه خرج من قبلي شهاب نار فذهب ساطعا في السماء وبلغ الآفاق كلها فبينا هو كذلك اذ وقع في ماء كثير فخبا وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهريقون فيه الدماء وقد اولت ذلك ان ولدي يكون صاحب دماء وان امره سيعلو فيعظم سريعا وكان ابوه يختلف به الى اللصف ارض قومه وهو من بني شيبان

(ذكر خروج مطرف بن المغيرة بن شعبة)

قيل ان بني المغيرة بن شعبة كانوا اصلحاء اشرافا بانفسهم مع شرف ابيهم ومنزلتهم من قومهم فلما قدم الحجاج ورآهم علم انهم رجال قومهم فاستعمل عروة على الكوفة ومطرفا على المدائن وحمزة على همذان وكانوا في اعمالهم احسن الناس سيرة واشدهم على المريب وكان مطرف على المدائن عند خروج شبيب وقربه منها كما سبق فكتب الى الحجاج يستمده فامده بسبرة بن عبد الرحمن بن مخنف وغيره واقبل شبيب حتى نزل بهرسير وكان مطرف بالمدينة العتيقة وهي التي فيها ايوان كسرى فقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب يطلب اليه ان يرسل بعض اصحابه لينظر فيما يدعون فبعث اليه عدة منهم فسألهم مطرف عما يدعون اليه فقالوا ندعو الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وان الذي نقمنا من قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرف ما دعوتم الا الى حق وما نقمتم الاجورا ظاهرا انا لكم متابع فبايعوني على ما ادعوكم اليه ليجتمع امري وامركم فقالوا اذكره فان يكن حقا نجبك اليه قال ادعوكم الى ان نقاتل هؤلاء الظلمة على احداثهم وندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا الامر شورى بين المسلمين يؤمرون من يرتضون على مثل هذه الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب فان العرب اذا علمت انما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا وكثر تبعكم وأعوانكم فقالوا هذا ما لا نجيبك اليه وقاموا من عنده وترددوا بينهم أربعة أيام فلم تجتمع كلمتهم فساروا من عنده وأحضر مطرف نصحاءه وثقاته فذكر لهم ظلم الحجاج وعبد الملك وانه ما زال يؤثر مخالفتهم ومناهضتهم وانه يرى ذلك دينا لو وجد عليه اعوانا وذكر لهم ما جرى بينه

فصاروا عدة ممالك فمنهم الديلم والجيل والطيلسان والببر وفرغان واهل جبل الفتح من انواع الامم فبنوا المدن والضياع وكوروا الكور ومصروا المدن وكان اول من ملك عليهم منهم (نسطرصاس) بن عامور وكان دار ملكه مدينة اغوار وهي مدينة عظيمة وكان مدة ملكه ثلثمائة سنة وفرق اهله في تلك الديار وشقق الانهار وقتل السباع وغرس الاشجار واطعم الثمار فلما هلك ملك ولده (غزوان) فجعل جسد ابيه في تمثال من الذهب جزعا عليه وتعظيما واجلسه على سرير من الذهب مرصع بالياقوت والجوهر واقبل يسجد لابيه وهو في جوف تلك الصورة هو واهل مملكته في طرفي النهار اجلالا له وعاش مائتي سنة وخمسين سنة فلما هلك ملك ولده يقال له (غيزود) فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب وجعله دون مرتبته واجلسه على سرير من الذهب فكان يبدأ بالسجود للاول ثم لابيه مع اهل مملكته فكان مدة ملكه نحوا من مائتي سنة ثم ملك ثالث ولده (عيان)

شهر الايجركهم ثم ان قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبايع الباقون عبد ربه الكبير

(ذكر قتل عبد ربه الكبير)

لما سار قطري الى طبرستان واقام عبد ربه الكبير بكرمان نهض اليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديدا وحصرهم بجيرفت وكرر قتالهم وهو لا ينال منهم حاجته ثم ان الخوارج طال عليهم الحصار فخرجوا من جيرفت باموالهم وحرمهم فقاتلهم المهلب قتالا شديدا حتى عقرت الخيل وتكسرت السلاح وقتل الفرسان فتركهم فساروا ودخل المهلب جيرفت ثم سار يتبعهم الى ان لحقهم على اربعة فراسخ من جيرفت فقاتلهم من بكرة الى نصف النهار وكف عنهم واقام عليهم ثم ان عبد ربه جمع اصحابه وقال يا معشر المهاجرين ان قطريا ومن معه هربوا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم وهبوا انفسكم لله ثم عاد للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا انساهم ما قبله فبايع جماعة من اصحاب المهلب على الموت ثم ترجلت الخوارج وعقروا دوابهم واشتد القتال وعظم الخطب حتى قال المهلب ما مر بي مثل هذا ثم ان الله تعالى انزل نصره على المهلب واصحابه وهزم الخوارج وكثر القتلى فيهم وكان فيمن قتل عبد ربه الكبير وكان عدد القتلى اربعة آلاف قتيل ولم ينج منهم الا قليل واخذ عسكرهم وما فيه وسبوا لانهم كانوا يسبون نساء المسلمين وقال الطفيل بن عامر ابن واثلة يذكر قتل عبد ربه الكبير واصحابه

لقد مس منا عبد رب وجنده * عقاب فامسى سبيهم في المقاسم
سما لهم بالجيش حتى أزاحهم * بكرمان عن مثوى من الارض ناعم
وما قطري الكفر الا نعامة * طريد يدوى ليله غير نائم
اذا فر منا هاربا كان وجهه * طريقا سوى قصد الهدى والمعالم
فليس بمنجيه الفرار وان جرت * به الفلك في لج من البحر دائم

وهي أكثر من هذا تركناها لشهرتها واحسن الحجاج الى اهل البلاء وزادهم وسير المهلب الى الحجاج مبشرا فلما دخل عليه أخبره عن الجيش وعن الخوارج وذكر حروبهم واخبره عن بني المهلب فقال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحي الشجاع ان يفر من مدركه وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها قال احسن قوله وكتب الى المهلب يشكره ويأمره ان يولي كرمان من يثق اليه ويجعل فيها من يحميها ويقدم اليه فاستعمل على كرمان يزيد ابنه وسار الى الحجاج فلما قدم عليه اكرمه واجلسه الى جانبه وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال له أنت كما قال لقيط بن يعمر الايادي في صفة امراء الجيوش

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركم * يروم منها الى الاعداء مطلعا
انفك يحلب هذا الدهر اشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا
وليس يشغله مال يثمره * عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا

لا يحتمل ان يسمعه احد غيرك فامر الملك بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شيء من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مسلولا وقال له قف مكانك وقل ما شئت وأمر حاجبه بالانصراف فلما خلى المكان تقدم الرسول وقال له اعلم اني أنا ملك الصين لا رسوله وقد حضرت بين يديك لاسألك عما تريد مني فان كان مما يمكن الانقياد له ولو على اصعب الوجوه اجبت اليه واستغنيت أنا واياك عن الحرب فقال له الاسكندر وما امنك مني قال علمي بانك رجل عاقل وانه ليس بيننا عداوة متقدمة ولعلمي انك تعلم ان اهل الصين متى قتلتني لا يسلمون اليك ملكهم ولم يمنعهم عدمهم اياي بان ينصبوا ملكا من اولادي ثم تنسب انت الى غير الجهل وضد الحزم فاطرق الاسكندر مفكرا في مقالته ورفع رأسه اليه وقد تبين له صدق مقالته وعلم انه رجل عاقل فقال اريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه في كل سنة فقال ملك الصين هل غير هذا

والمغيرة يدعيانه فالحق بالمغيرة وجلد مصقلة الحد فلما أظهر رأى الخوارج قال الحجاج ذلك لان كثيرا من ربيعة كانوا من خوارج ولم يكن منهم أحد من قيس عيلان

(ذكر الاختلاف بين الازارقة)

قد ذكرنا مسير المهلب الى الازارقة ومحاربتهم الى ان فارقه عتاب بن ورقاء الرياحي ورجع الى الحجاج وأقام المهلب بعد مسير عتاب عنه يقاتل الخوارج فقاتلهم على سابور نحو سنة قتالا شديدا ثم انه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم أشد قتال وكانت كرمان بيد الخوارج وفارس بيد المهلب فضاق على الخوارج مكانهم لا يأتيهم من فارس مادة فخرجوا حتى اتوا كرمان وتبعهم المهلب بالعساكر حتى نزل بجيرفت وهي مدينة كرمان فقاتلهم قتالا شديدا فلما صارت فارس كلها في يد المهلب ارسل الحجاج العمال عليها فكتب اليه عبد الملك يأمره ان يترك بيد المهلب فساودارابجرد وكورة اصطخر تكون له معونة على الحرب فتركها له وبعث الحجاج الى المهلب البراء بن قبيصة ليحثه على قتال الخوارج ويأمره بالجد وانه لا عذر له عنده فخرج المهلب بالعساكر فقاتل الخوارج من صلاة الغداة الى الظهر ثم انصرفوا والبراء على مكان عال يراهم فجاء الى المهلب فقال ما رأيت كتيبة ولا فرسانا اصبر ولا اشد من الفرسان الذين يقاتلونك ثم ان المهلب رجع العصر فقاتلهم كقتالهم اول مرة لا يصد كتيبة عن كتيبة وخرجت كتيبة من كتائب الخوارج لكتيبة من أصحاب المهلب فاشتد بينهم القتال الى ان حجز بينهم الليل فقالت احداهما للاخرى من انتم فقال هؤلاء نحن من بني تميم وقال هؤلاء نحن من بني تميم وانصرفوا عند المساء فقال المهلب للبراء بن قبيصة كيف رأيت قوما ما يعينك عليهم الا الله جل ثناؤه فاحسن المهلب الى البراء وأمر له بعشرة آلاف درهم وانصرف البراء الى الحجاج وعرفه عذر المهلب ثم ان المهلب قاتلهم ثمانية عشر شهرا لا يقدر منهم على شئ ثم ان عاملا لقطري على ناحية كرمان يدعى المقعطر الضبي قتل رجلا منهم فوثبت الخوارج الى قطري وطلبوا منه ان يقيدهم من المقعطر فلم يفعل وقال انه تأول فاخطأ التأويل ما أرى ان تقتلوه وهو من ذوي السابقة فيكم فوقع بينهم الاختلاف وقيل كان سبب اختلافهم ان رجلا كان في عسكرهم يعمل النصول المسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب فشكا أصحابه منها فقال اكفيكموه فوجه رجلا من أصحابه ومعه كتاب وأمره ان يلقيه في عسكر قطري ولا يراه أحد ففعل ذلك ووقع الكتاب الى قطري ورأى فيه اما بعد فان نصالك وصلت وقد انفذت اليك ألف درهم فاحضر الصانع فسأله فجحد فقتله قطري فانكر عليه عبد ربه الكبير قتله واختلفوا ثم وضع المهلب رجلا نصرانيا وامره ان يقصد قطريا ويسجد له ففعل ذلك فقال له الخوارج ان هذا قد اتخذك الها ووثب بعضهم الى النصراني فقتله فزاد اختلافهم وفارق بعضهم قطريا ثم ولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطريا وبقي مع قطري منهم نحو من ربعهم أو خمسهم واقتتلوا فيما بينهم نحوا من شهر وكتب المهلب الى الحجاج بذلك فكتب اليه الحجاج يأمره ان يقاتلهم على حال اختلافهم قبل ان يجتمعوا فكتب اليه المهلب اني لست ارى ان اقاتلهم ما دام يقتل بعضهم بعضا فان تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقق بعضهم بعضا فاناهضهم حينئذ وهم اهون ما كانوا واضعفه شوكة ان شاء الله تعالى والسلام فسكت عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون

ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين والذي تخدمه بنات الف ملك والذي في مربطه الف فيل ابيض الى اخيه كسرى انوشروان واهدى اليه فرسا وفارسا من در منضد عينا الفرس والفارس من ياقوت أحمر وقائم سيفه منضد بالجوهر وثوب صيني فيه صورة الملك يتلون بالوان مختلفة في سفط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلالأ جمالا وغير ذلك مما تهديه الملوك الى امثالها (وفي كتاب الفرج) بعد الشدة ان الاسكندر لما انتهى في مسيره الى الصين وحاصرها اتاه حاجبه ذات ليلة وقد مضى من الليل شطره فقال له اتى رسول ملك الصين يستأذن بالدخول عليك فقال ائذن له فلما دخل وقف بين يديه وقبل الارض ثم قال ان رأى الملك ان يخلي المجلس فليفعل فامر الملك من بحضرته بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا حاجبه فقال له الرسول ان الذي جئت له

عنها فلما أمره بغزو ما وراء النهر تجهز وانفق نفقة كثيرة وادان فيها فقال بحير لامية ان صار بينك
وبينه النهر خلع الخليفة فارسل اليه امية ان اقم لعلى اغزو فتكون معى فغضب بكير وقال كانه
يضارني وكان عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير فاخذه غرماؤه فحبس حتى ادى
عنه بكير ثم ان امية تجهز للغزو الى بخارا ثم يعود منها الى موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ وتجهز
الناس معه وفيهم بكير وساروا فلما بلغوا النهر وارادوا قطعه قال أمية لبكير انى قد استخلفت ابنى
على خراسان واخاف انه لا يضبطها لانه غلام حدث فارجع الى مرو فاكفنيها فانى قد وليتكها
فقم بامر ابنى فانتخب بكير فرسانا كان عرفهم ووثق بهم ورجع ومضى امية الى بخارا للغزاة
فقال عتاب اللقوة لبكير انا طلبنا اميرا من قريش فجاءنا امير يلعب بنا ويحولنا من سجن الى
سجن وانى ارى ان تحرق هذه السفن وتمضى الى مرو وتخلع أمية وتقيم بمرو وتأكلها الى يوم ما
ووافقه الاحنف بن عبد الله العنبرى على هذا قال بكير أخاف ان يهلك هؤلاء الفرسان الذين معى
قال ان هلك هؤلاء فأنا آتيك من أهل مرو بما شئت قال يهلك المسلمون قال انما يكفيك ان ينادى
منادٍ من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون الفا اسمع من هؤلاء وأطوع قال فيهلك أمية
ومن معه قال ولم يهلكون ولهم عدد وعدة ونجدة وسلاح ظاهر ليقاتلون عن انفسهم حتى يبلغوا
الصين فحرق بكير السفن ورجع الى مرو فاخذ ابن أمية فحبسه وخلع امية وبلغ امية الخبر
فصالح اهل بخارا على فدية قليلة ورجع وامر باتخاذ السفن وعبر وذكر للناس احسانه الى بكير
مرة بعد اخرى وانه كافأه بالعصيان وسار الى مرو واتاه موسى بن عبد الله بن خازم وارسل امية
شماس بن دثار فى ثمانمائة فسار اليه بكير وبيته فهزمه وامر اصحابه ان لا يقتلوا منهم احدا
فكانوا يأخذون سلاحهم ويطلقونهم وقدم امية فتلقاه شماس فقدم امية ثابت بن قطبة فلقيه
بكير فاسر ثابتا وفرق جمعه ثم أطلقه ليد كانت لثابت عنده واقبل امية وقاتله بكير فانكشف
يوما اصحابه فحماهم بكير ثم التقوا يوما آخر فاقتتلوا قتالا شديدا ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير
ثابت بن قطبة على راسه فحمل حريث بن قطبة اخو ثابت على بكير فانحاز بكير وانكشف اصحابه
واتبع حريث بكيرا حتى بلغ القنطرة وناداه الى اين يا بكير فرجع فضربه حريث على راسه فقطع
المغفر وعض السيف براسه فصرع واحتمله أصحابه فادخلوه المدينة وكانوا يقاتلونهم فكان
اصحاب بكير يغدون فى الثياب المصبغة من احمر واصفر فيجلسون يتحدثون وينادى مناديهم من
رمى بسهم رمينا اليه برأس رجل من ولده واهله فلا يرميهم احد وخاف بكير ان طال الحصار ان
يخذله الناس فطلب الصلح واحب ذلك أيضا اصحاب امية فاصطلحوا على ان يقضى امية عنه
اربعمائة الف ويصل اصحابه ويوليه اى كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وان رابه ريب
فهو آمن اربعين يوما ودخل امية مدينة مرو ووفى لبكير وعاد الى ما كان من اكرامه واعطى
امية عتابا عشرين الفا وقد قيل ان بكيرا لم يصحب امية الى النهر بل كان امية قد استخلفه على مرو
فلما سار امية وعبر النهر خلعه فجرى الامر بينهما على ما ذكرناه وكان امية سهلا لينا سخيا وكان مع
ذلك ثقيلا على اهل خراسان وكان فيه زهو شديد وكان يقول ما تكفينى خراسان لمطبخى وعزل
امية بحيرا عن شرطته وولاها عطاء بن ابى السائب وطالب امية الناس بالخراج واشتد عليهم
وكان يوما بكير فى المسجد وعنده الناس فذكروا شدة أمية وذموه وبحير وضرار بن حصين

من جميع ما اردته منك وأنا
منصرف عنك فقال له ملك
الصين اما اذا فعلت فانك
لا تخسر ثم قدم له ملك الصين
من الهدايا والتحف اضعاف
ما أمله ورحل الاسكندر
عنه وفى ابتلاء الاخبار ان
الاسكندر لما سار فى الارض
سمعت به ملكة الصين الاقصى
فاحضرت من ابصر صورة
الاسكندر ممن يعرف
التصوير وأمرتهم ان
يصوروا صورته فصوروه فى
البسط والاوانى والحيطان
وصارت تنظر الى ذلك حتى
اثبتت معرفته فلما قدم عليها
الاسكندر ونازل بلدها قال
الاسكندر للخضر يوما قد
خطر لى شئ اقوله لك قال
وما هو قال اريد ان ادخل
هذا البلد متنكرا وانظر
كيف يعمل فيها قال افعل
ما بدا لك فلما دخلها الاسكندر
نظرت اليه الملكة من
حصنها فعرفته بالصورة
التى عندها فامرت باحضاره
فلما مثل بين يديها امرت به
فوضع فى مطمورة لا يعرف
الليل من النهار فبقى فيها
ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب
حتى كادت قوته ان تسقط
واختبط عسكره لاجل
غيبته والخضر يسكنهم
ويسليهم فلما كان فى اليوم

حتى استمرت على شزر مريرته * مستحكم السن لا قحما ولا ضرعا

وهي قصيدة طويلة هذا هو الاجود منها

(ذكر قتل قطري بن الفجاءة وعبيدة بن هلال)

قيل وفي هذه السنة كانت هلكة قطري وعبيدة بن هلال ومن معهم من الازارقة وكان السبب في ذلك ان أمرهم لما تشتت بالاختلاف الذي ذكرنا وسار قطري نحو طبرستان وبلغ خبره الحجاج سير اليه سفيان بن الابرد في جيش عظيم وسار سفيان واجتمع معه اسحق بن محمد بن الاشعث في جيش لاهل الكوفة بطبرستان فاقبلا في طلب قطري فلحقوه في شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرق عنه اصحابه ووقع عن دابته فتدهده الى اسفل الشعب واتاه علج من أهل البلد فقال له قطري اسقني الماء فقال العلج اعطني شيأ فقال ما معي الا سلاحي وانا اعطيك اذا اتيتني بالماء فانطلق العلج حتى اشرف على قطري ثم حدر عليه حجرا من فوقه فاصاب وركه واوهنه فصاح بالناس فاقبلوا نحوه ولم يعرفه العلج غير انه يظن انه من اشرافهم لكمال سلاحه وحسن هيئته فجاء اليه نفر من أهل الكوفة فقتلوه منهم سورة بن الحر التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصباح بن محمد بن الاشعث وباذان مولاهم وعمر بن أبي الصلت وكل هؤلاء ادعى قتله فجاء اليهم أبو الجهم بن كنانة فقال لهم ادفعوا رأسه الي حتى تصطلحوا فدفعوه اليه فاقبل به الى اسحق بن محمد وهو على الكوفة فارسله معه الى سفيان فسير سفيان الرأس مع ابي الجهم الى الحجاج فسيره الحجاج الى عبد الملك فجعل عطاءه في الفين ثم ان سفيان سار اليهم فاحاط بهم ثم امر مناديه فنادى من قتل صاحبه وجاء الينا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال في ذلك

لعمري لقد قام الاصم بخطبة * لذي الشك منها في الصدور غليل

لعمري لئن اعطيت سفيان بيعتي * وفارقت ديني انني لجهول

الى الله اشكو ما ترى بجيادنا * تساوك هزلى مخهن قليل

تعاورها القذاف من كل جانب * بقومس حتى صعبهن ذلول

فان يك افناها الحصار فربما * تشحط فيما بينهن قتيل

وقد كن مما ان يقدن على الوجى * لهن بابواب القباب صهيل

وحصرهم سفيان حتى أكلوا دوابهم ثم خرجوا اليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤسهم الى الحجاج ثم دخل سفيان دنباوند وطبرستان فكان هناك حتى عزله الحجاج قبل الجماجم وقال بعض العلماء انقرضت الازارقة بعد مقتل قطري وعبيدة انما كانوا دفعة متصلة اهل عسكر واحد واول روساهم نافع بن الازرق وآخرهم قطري وعبيدة واتصل امرهم بضعا وعشرين سنة الا ان أشلك في صبيح المازني التميمي مولى سوار بن الاشعر الخارج أيام هشام قيل هو من الازارقة أو الصفرية الا انه لم تطل أيامه بل قتل عقيب خروجه

(ذكر قتل بكير بن وساج)

في هذه السنة قتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بكير بن وساج وكان سبب ذلك ان أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان أمر بكيرا بالتجهيز لغزو ما وراء النهر وقد كان قبل ذلك ولاه طخارستان فتجهز له فوشى به بحير بن ورقاء الى امية فنهه

قال لا قال قد احببتك الى ذلك قال الاسكندر رفعت منك لاجل بجيئك على السدس فشكره وانصرف فلما اصبح الصباح وطلعت الشمس اقبل جيش الصين حتى طبق الارض كثرة واحاط بجيش الاسكندر حتى خافوا الهلاك فتواثبوا الى خيولهم فركبوها واستعدوا فبينما هم كذلك اذ ظهر ملك الصين على فيل عظيم وعلى رأسه التاج فلما وصل الى الاسكندر ترجل ومشى اليه وقبل الارض بين يديه فقال الاسكندر اغدرت فقال لا والله فقال ما هذا الجيش قال اردت ان اعلمك اني لم اطعك من قلة ولا ضعف ولا ذلة والذي غاب عنك من الجيش أكثر مما ترى لكني لما رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو اقوى منك وأكثر عددا فعلمت ان من حاربه الا له غلب وقهر فاردت طاعته بطاعتك والذلة لامره بالذلة لك فقال له الاسكندر ليس ينبغي ان يؤخذ منك وما رأيت احدا يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك

البصرة وأهل الكوفة وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ وكان من أصحاب علي ومضى عبيد الله حتى دخل بلاد رتبيل فأصاب من الغنائم ما شاء وهدم حصونا وغلب على أرض من أرضهم وأصحاب رتبيل من الترك يتركون لهم أرضا بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب فسقط في أيدي المسلمين فظنوا أن قد هلكوا فصالحهم عبيد الله على سبعمائة ألف درهم يؤديها إلى رتبيل ليمكن المسلمين من الخروج من أرضه فلقيه شريح فقال له إنكم لا تصالحون على شيء إلا حسبه السلطان من أعطياتكم وقد بلغت من العمر طويلا وقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان وإن فاتتني اليوم الشهادة ما أدركتها حتى أموت ثم قال شريح يا أهل الإسلام تعاونوا على عدوكم فقال له ابن أبي بكرة إنك شيخ قد خرفت فقال له شريح إنما حسبك أن يقال بستان عبيد الله وحمام عبيد الله يا أهل الإسلام من أراد منكم الشهادة فإلي فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا وجعل شريح يرتجز ويقول

أصبحت ذا بث أقاسي الكبرا * قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمة أدركنا النبي المنذرا * وبعده صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا * والجمع في صفينهم والنهرا
وباجميرات مع المشقرا * هيهات ما أطول هذا عمرا

وقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ونجا من نجا منهم فخرجوا من بلاد رتبيل فاستقبلهم الناس بالأطعمة فكان أحدهم إذا أكل وشبع مات فحذر الناس وجعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمرؤوا وبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عبد الملك يعرفه ذلك ويخبره أنه قد جهز من أهل الكوفة وأهل البصرة جيشا كثيفا ويستأذنه في إرساله إلى بلاد رتبيل

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أصاب أهل الشام طاعون شديد حتى كادوا يفنون فلم يغز تلك السنة أحد منهم فيما قيل وفيها أصاب أهل الروم أهل أنطاكية وظفروا بهم وفيها استعفى شريح بن الحارث عن القضاء فأعفاه الحجاج واستعمل على القضاء أبا بردة بن أبي موسى وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وكان على المدينة وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على قضاء البصرة موسى بن أنس وفيها مات محمود بن الربيع وكنيته أبو إبراهيم وولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود

(ثم دخلت سنة ثمانين)

في هذه السنة أتى سيل بمكة فذهب بالحجاج وكان يحمل الإبل عليها الأحمال والرجال ما لأحد فيه حيلة وغرقت بيوت مكة وبلغ السيل الركن وسمي ذلك العام الجحاف وفي هذه السنة وقع بالبصرة طاعون الجارف

(ذكر غزوة المهلب ما وراء النهر)

في هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ ونزل على كش وكان على مقدمته أبو الأدهم الزماني في ثلاثة آلاف وهو في خمسة آلاف وكان أبو الأدهم يغني غناء ألفين في البأس والتدبير والنصيحة فأتى

ما قد كانت أحضرته وكان شيئا يحير الناظر ويبهر الخاطر فنزل إلى عسكره وقبل هديتها وارتحل عنها وأنه دعاها إلى الله تعالى فآمنت وآمن أهلها

(الفصل الرابع في ذكر ملوك السريانيين وما وقع لهم قبل هذا الحين)

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم أن أول ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد تنوزع فيهم وفي النبط فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النبط ومنهم من رأى أنهم إخوة ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك رجل منهم يقال له (سوسان) وكان أول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الأرض وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة باغيا في الأرض مفسدا للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك بعده ولده (بريد) وكانت مدة ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده (معاسير) سبع سنين ثم ملك بعده (أهريون) عشر سنين فخط الخطاط وكور الكور وجد في أمره وأتقن ملكه وعمارة أرضه فلما استقامت له الأمور وانقادت له الجمهور وقع بينه وبين ملوك الهند

وعبد الله بن جارية بن قدامة فى المسجد فنقل بحير ذلك الى أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء فشهد مزاحم بن ابى المجشر السلمى انه كان يمزح فتركه أمية ثم ان بحيرا اتى امية وقال له والله ان بكيرا قد دعانى الى خلعك وقال لولا مكانك لقتلت هذا القرشى وأكلت خراسان فلم يصدقه أمية فاستشهد جماعة ذكر بكير انهم اعداؤه فقبض أمية على بكير وعلى بدل وشمردل ابنى اخيه ثم أمر أمية بعض رؤساء من معه بقتل بكير فامتنعوا فامر بحيرا بقتله فقتله وقتل أمية ابنى أخى بكير

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عبر أمية نهر بلخ للغزو فحصر حتى جهد هو واصحابه ثم نجوا بعد ما اشرفوا على الهلاك ورجعوا الى مرو وحج هذه السنة بالناس ابان بن عثمان وهو امير المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج وعلى خراسان امية وغزا هذه السنة الصائفة الوليد بن عبد الملك وفيها مات جابر بن عبد الله بن عمرو الانصارى

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين)

(ذكر عزل امية بن عبد الله وولاية المهلب خراسان)

فى هذه السنة عزل عبد الملك بن مروان امية بن عبد الله بن خالد عن خراسان وسجستان وضمهما الى اعمال الحجاج بن يوسف ففرق عماله فيهما فبعث المهلب بن ابى صفرة على خراسان وقد فرغ من الازارقة ثم قدم على الحجاج وهو بالبصرة فاجلسه معه على السرير ودعا اصحاب البلاء من اصحاب المهلب فاحسن اليهم وزادهم وبعث عبيد الله بن ابى بكرة على سجستان وكان الحجاج قد استخلف على الكوفة عند مسيره الى البصرة المغيرة بن عبد الله بن ابى عقيل فلما استعمل المهلب على خراسان سير ابنه حبيبا اليها فلما ودع الحجاج أعطاه بغلة خضراء فسار عليها واصحابه على البريد فسار عشرين يوما حتى وصل خراسان فلما دخل باب مرو لقيه حمل حطب فنفرت البغلة فعجبوا من نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلما وصل خراسان لم يعرض لامية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان أمير المدينة وكان أمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وكان نائبه بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن ابى بكرة وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس فيما قيل * وفى هذه السنة مات عبد الرحمن بن عبد الله القارى وله ثمان وسبعون سنة ومسح النبى صلى الله عليه وسلم برأسه (القارى بالياء المشددة) وفيها مات زيد بن خالد الجهنى وقيل غير ذلك وتوفى عبد الرحمن بن غنم الاشعرى ادرك الجاهلية وليست له صحبة

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين)

(ذكر غزو عبيد الله بن ابى بكرة رتبيل)

لما ولى الحجاج عبيد الله بن ابى بكرة سجستان وذلك سنة ثمان وسبعين مكث سنة لم يغز وكان رتبيل مصالحا وكان يؤدى الخراج وربما امتنع منه فبعث الحجاج الى عبيد الله بن أبى بكرة يامره بمناجزته وان لا يرجع حتى يستبيح بلاده ويهدم قلاعه ويقتل رجاله فسار عبيد الله فى اهل

الرابع مدت ملكة الصين سماطا نحو مائة ذراع ووضعت فيه اوانى الذهب والفضة وانواع الجواهر ومافى ذلك الشئ يؤكل الاانه مال لا يعلمه الا الله تعالى وامرت فوضع فى اسفل السماط صحن فيه رغيف من خبز البر وشربة من الماء وبقية اوانى السماط ما اواه ذهبا وفضة وامرت باخراج الاسكندر واجلسته على رأس السماط فنظر اليه فابهره ذلك وكان يبصر الجواهر فى الاوانى ولم ير فيها شيأ مأكولا ثم نظر فرأى فى ادنى السماط اناء فيه طعام فقام من مكانه ومشى اليه وجلس عنده فأكل فلما فرغ من اكله شرب من الماء قدر كفايته ثم حمد الله تعالى وقام فجلس مكانه اولا فخرجت عليه الملكة وقالت ياسلطان اماصد عنك هذا الذهب والفضة والجواهر سلطان الجوع وقد اغناك عن هذا كله ماقيمته درهم واحد فمالك والتعرض الى اموال الناس وانت بهذه المثابة فقال لها الاسكندر لك بلادك واموالك ولا بأس عليك بعد اليوم فقالت اما اذا فعلت هذا فانك لاتخسر ثم قدمت له جميع

بكرمان هميان بن عدى السدوسى يكون بها مسلحة ان احتاج اليه عامل سجستان والسند فعصى هميان فبعث اليه الحجاج عبد الرحمن بن محمد فحاربه فانهزم هميان واقام عبد الرحمن بموضعه ثم ان عبيد الله بن ابى بكرة مات وكان عاملا على سجستان فكتب الحجاج لعبد الرحمن عهده عليها وجهز اليه هذا الجيش فكان يسمى جيش الطواويس لحسنه

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة أبان بن عثمان وكان امير المدينة وكان على العراق والمشرق الحجاج وكان على خراسان المهلب من قبل الحجاج وكان على قضاء البصرة موسى بن انس وعلى قضاء الكوفة ابو بردة * وفى هذه السنة مات اسلم مولى عمر بن الخطاب وفيها توفى ابو ادريس الخولانى وفيها مات عبد الله بن جعفر بن ابى طالب وقيل سنة اربع وقيل سنة خمس وقيل سنة ست وثمانين وقيل سنة تسعين وفيها قتل معبد بن عبد الله بن عليم الجهنى الذى يروى حديث الدباغ وهو اول من قال بالقدر فى البصرة قتله الحجاج وقيل قتله عبد الملك بن مروان بدمشق وفيها توفى محمد بن على بن ابى طالب وهو ابن الحنفية وفيها توفى جنادة بن ابى امية وله صحبة وكان على غزو البحر ايام معاوية كلها وفيها مات السائب بن يزيد ابن اخت النمر وقيل سنة ست وثمانين ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفيها توفى سويد بن غفلة (بفتح الغين المعجمة والفاء) وفيها توفى عبد الله بن ابى أوفى وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة وجبير بن نفير بن مالك الحضرمى ادرك الجاهلية وليس له صحبة

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين)

فى هذه السنة سير عبد الملك بن مروان ابنه عبيد الله ففتح قاليقلا

(ذكر مقتل بحير بن ورقاء)

وفى هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصريمى وكان سبب قتله انه لما قتل بكير بن وساج وكلاهما تميمان بأمر امية بن عبد الله بن خالد اياه بذلك كما تقدم ذكره قال عثمان بن رجاء بن جابر أحد بنى عوف بن سعد من الابناء يحرض بعض آل بكير من الابناء والابناء عدة بطون من تميم سموا بذلك

لعمرى لقد اغضيت عينا على القذى * وبت بطينا من رحيق مروق

وخليت ثارا طل واخترت نومة * ومن يشرب الصهباء بالوتر يسبق

فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة * تركت بحيرا فى دم مترقرق

فقل لبحير نم ولا تخش ثائرا * ببكر فعوف اهل شاء حبلق

دعوا الضأن يوما قد سبقتم بوتركم * وصرتم حديثا بين غرب ومشرق

وهبوا فلو امسى بكير كعهده * لغادا هم زحفا بجأواء فيلق

وقال أيضا

فلو كان بكر بارزا فى اداته * وذى العرش لم يقدم عليه بحير

ففى الدهر ان ابقانى الدهر مطلب * وفى الله طلاب بذلك جدير

فبلغ بحيرا ان رهط بكير من الابناء يتوعدونه فقال

توعدنى الابناء جهلا كانما * يرون فنائى مقفرا من بنى كعب

اخذت الملك من هؤلاء فكان منهم نمروذ الجبار فكانت مدة ملكه نحو ثمانمائة سنة منها أربعمائة كان صحيحا واربعمائة كان سقيما وهو الذى احتفر انهارا بالعراق أخذها من الفرات فيقال ان من ذلك نهر كوثى من طريق الكوفة وعاش نمروذ بعد القاء ابراهيم عليه السلام فى النار أربعمائة سنة لا يزداد الا عتوا فبعث الله اليه ملكا فدعاه للاسلام فلم يؤمن فقال نمروذ للملك ألربك جنود قال نعم قال فليقاتلنى قال اجمع جنودك الى ثلاثة ايام فجمع جنوده وحشده فامر الله خزنة البعوض ان يفتحوا منها بابا ففتحوا فلما كان فى اليوم الثالث احاطت بهم البعوض فاكلت منهم اللحوم وشربت الدماء فلم يبق من جنوده ودوابهم الا العظام ونمروذ على حاله لم يصبه شئ وهو ينظر فقال له الملك اتؤمن بالله فقال لا فامر الله بعوضة فدخلت منخره ووصلت الى دماغه فاكلت منه حتى صارت كالفارة فاقام اربعمائة سنة فلا يستريح حتى يضرب رأسه بالمطارق حتى هلك

المهلب وهو نازل على كش ابن عم ملك الختل فدعاه الى غزو الختل فوجه معه ابنه يزيد وكان اسم ملك الختل الشبل فنزل يزيد ونزل ابن عم الملك ناحية فبيته الشبل وأخذه فقتله وحصر يزيد قلعة الشبل فصالحوه على فدية حملت اليه ورجع يزيد عنهم ووجه المهلب ابنه حبيبا فوافى صاحب بخارا فى اربعين ألفا فنزل جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب فى أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية فسميت المحترقة ورجع حبيب الى أبيه وأقام المهلب بكش سنتين فقيل له لو تقدمت الى ما وراء ذلك فقال ليت حظى من هذه الغزاة سلامة هذا الجند وعودهم سالمين ولما كان المهلب بكش أتاهم قوم من مضر فحبسهم بها فلما رجع أطلقهم فكتب اليه الحجاج ان كنت أصبت بحبسهم فقد اخطأت باطلاقهم وان كنت أصبت باطلاقهم فقد ظلمتهم اذ حبستهم فكتب المهلب خفتهم فحبستهم فلما أمنتهم خليتهم وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبى شيخ القشيرى وصالح المهلب أهل كش على فدية يأخذها منهم وأتاه كتاب ابن الاشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته فبعث بكتابه الى الحجاج وأقام بكش

(ذكر تسيير الجنود الى رتبيل مع عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث)

قد ذكرنا حال المسلمين حين دخل بهم ابن ابى بكرة بلاد رتبيل واستأذن الحجاج عبد الملك فى تسيير الجنود نحو رتبيل فاذن له عبد الملك فى ذلك فاخذ الحجاج فى تجهيز الجيش فجعل على اهل الكوفة عشرين الفا وعلى اهل البصرة عشرين الفا وجد فى ذلك واعطى الناس اعطياتهم كملا وانفق فيهم الفى الف سوى اعطياتهم وانجدهم بالخيل الرائقة والسلاح الكامل واعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء منهم عبيد بن ابى محجن الثقفى وغيره فلما فرغ من امر الجند بن بعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج يبغضه ويقول ما رأيته قط الا اردت قتله وسمع الشعبى ذلك من الحجاج ذات يوم فاخبر عبد الرحمن به فقال والله لاحاولن ان ازيل الحجاج عن سلطانه فلما اراد الحجاج ان يبعث عبد الرحمن على ذلك الجيش اتاه اسمعيل بن الاشعث فقال له لا تبعثه فوالله ما جاز جسر الفرات فرأى لوال عليه طاعة وانى اخاف خلافه فقال الحجاج هو اهيب لى من ان يخالف امرى وسيره على ذلك الجيش فسار بهم حتى قدم سجستان فجمع أهلها فخطبهم ثم قال ان الحجاج ولانى ثغركم وأمرنى بجهاد عدوكم الذى استباح بلادكم فاياكم ان يتخلف منكم أحد فتمسه العقوبة فعسكروا مع الناس وتجهزوا وساروا باجمعهم وبلغ الخبر رتبيل فارسل يعتذر ويبذل الخراج فلم يقبل منه وسار اليه ودخل بلاده وترك له رتبيل أرضا أرضا ورستاقا رستاقا وحصنا حصنا وعبد الرحمن يحوى ذلك وكلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وجعل معه أعوانا وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا جاز من أرض عظيمة وملأ الناس أيديهم من الغنائم العظيمة منع الناس من الوغول فى ارض رتبيل وقال نكتفى بما قد أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ويجترئ المسلمون على طرقها وفى العام المقبل نأخذ ما وراءها ان شاء الله تعالى حتى نقاتلهم فى آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم واقصى بلادهم حتى يهلكهم الله تعالى ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد أن يعمل وقد قيل فى ارسال عبد الرحمن غير ما ذكرنا وهو ان الحجاج كان قد ترك

حروب نحوا من سنة فقتل ملك السريانيين واستوى ملك الهند على الصقع وملك جميع ما فيه فسار اليه بعض ملوك الغرب وملك العراق ورد الملك للسريانيين فملكوا عليهم رجلا منهم يقال له (نمرا) وكان ولد الملك المقتول فكان مدة ملكه الى ان هلك ثمانى سنين ثم ملك بعده (اهريوث) وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة وملك بعده ابنه يقال له (هوريا) فزاد فى العمارة وأحسن فى الرعية وغرس الاشجار فكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده (ماروت) واستولى على الملك فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ثم ملك بعده (ازود) (وجلجاس) ويقال انهما كانا اخوين فاحسنا السيرة وتعاضدا على الملك ولم يتم لهما الامر

(الفصل الخامس فى ذكر ملوك بابل وهم النبط الاوائل)

ذكر المسعودى فى مروج الذهب ان ملوك بابل هم اول ملوك العالم وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا الانهار وغرسوا الاشجار ونصبوا قوانين الحرب واما الفرس الاولى فانما

دار الفساق بالكوفة فسيرا اليه افاغارت الديلم ونالت من المسلمين وظهر الخلل بعده فكتبوا الى عبد الحميد بن عبد الرحمن أمير الكوفة يسألونه ان يرد عليهم ابن ابى سبرة فكتب بذلك الى عمر فاذن له فى عوده الى الثغر فعاد اليه وحماه ولمحمد أخ يقال له خيثمة بن عبد الرحمن وهو ابن ابى سبرة وكان من الفقهاء *

(ذكر خلاف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث على الحجاج)

وفى هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ومن معه من جند العراق على الحجاج واقبلوا اليه لحربه وقيل كان ذلك سنة اثنتين وثمانين وكان سبب ذلك ان الحجاج لما بعث عبد الرحمن بن محمد على الجيش الى بلاد رتبيل فدخلها وأخذ منها الغنائم والحصون وكتب الى الحجاج يعرفه ذلك وان رأيه ان يتركوا التوغل فى بلاد رتبيل حتى يعرفوا طريقها ويجبوا خراجها على ما سبق ذكره فلما أتى كتابه الى الحجاج كتب جوابه ان كتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدوا قليلا ذليلا قد اصابوا من المسلمين جندا كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم عظيما وانك حيث تكف عن ذلك العدو بجندى وحدى لسخى النفس عن أصيب من المسلمين فامض لما امرتك به من الوغول فى ارضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ثم اردفه كتابا آخر بنحو ذلك وفيه اما بعد فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا بها فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم كتب اليه ثالثا بذلك ويقول له ان مضيت لما امرتك والا فاخوك اسحق بن محمد امير الناس فدعا عبد الرحمن الناس وقال لهم أيها الناس انى لكم ناصح ولصلاحكم محب ولكم فى كل ما يحيط به نفعكم ناظر وقد كان رأيى فيما بينى وبين عدوى ما رضيه ذووا احلامكم واولوا التجربة منكم وكتبت بذلك الى اميركم الحجاج فاتانى كتابه يعجزنى ويضعفنى ويأمرنى بتعجيل الوغول بكم فى ارض العدو وهى البلاد التى هلك فيها اخوانكم بالامس وانما انا رجل منكم امضى اذا مضيتم وآبى اذا أبيتم فثار اليه الناس وقالوا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع فكان اول من تكلم ابو الطفيل عامر بن واثلة الكنانى وله صحبة فقال بعد حمد الله اما بعد فان الحجاج يرى بكم ما رأى القائل الاول احمل عبدك على الفرس فان هلك فلك وان نجا فلك ان الحجاج ما يبالى ان يخاطر بكم فيقحمكم بلايا كثيرة ويغشى اللهوب واللصوب فان ظفرتم وغنمتم اكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة فى سلطانه وان ظفر عدوكم كنتم انتم الاعداء البغضاء الذين لا يبالى عنتهم ولا يبقى عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن فانى اشهدكم انى اول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعى فقال عباد الله انكم ان اطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجمركم تجمير فرعون الجنود فانه بلغنى انه اول من جمر البعوث ولن تعاينوا الاحبة او يموت اكثركم فما ارى فبايعوا اميركم وانصرفوا الى عدوكم الحجاج فانفوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك وجعل عبد الرحمن على بست عياض ابن هميان الشيبانى وعلى زرنج عبد الله بن عامر التميمى وصالح رتبيل على ان ابن الاشعث ان ظهر فلا خراج عليه ابدا ما بقى وان هزم فأراد منعه ثم رجع الى العراق فسار بين يديه اعشى

يسمى فيلسوفا وتفسيره محب الحكمة وكانت ملوكهم من اعظم الملوك ودولتهم من افخر الدول ولم يزالوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم وفى كتاب أبى سعيد المغربى ان بلاد اليونان كانت على الخليج القسطنطينى من شرقيه وغربيه الى البحر المحيط وهذا هو الخليج الذى ينصب من بحر القلزم الذى يسمى فى القديم بحر نيطس والآن البحر الاسود الى بحر الروم وذكر المسعودى ان يونان أخو قحطان وانه ولد عابر ابن شالخ بن ارفخشذ وانه انفصل عن ديار أخيه فى جماعة من ولده واهله فخرج من أرض اليمن حتى وافى ديار العرب فاقام هنالك ونسلك فى تلك الاماكن واستعجم لسانه فزالت نسبته وصار منسيا غير معروف وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان جزيل الرأى كبير الهمة وذكر بطليموس فى كتابه ان اول من اشتهر منهم الملك (فيلقوس بن مضر) ابن هرمس بن هروس بن منصور بن دومى بن نبط بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ومعنى فيلقوس

رفعت له كفي بسيف مهند * حسام كلون الملح ذي رونق عضب

فتعاقد سبعة عشر رجلا من بني عوف على الطلب بدم بكير فخرج فتى منهم يقال له شمردل من البادية حتى قدم خراسان فرأى بحيرا واقفا فحمل عليه فطعنه فصرعه وظن انه قد قتله فقال الناس خارجي وراكضهم فعثر به فرسه فسقط عنه فقتل وخرج صعصعة بن حرب العوفي من البادية وقد باع غنيمات له ومضى الى سجستان فجاور قرابة لبحير مدة وادعى الى بني حنيفة من اليمامة وأطال مجالستهم حتى أنسوا به ثم قال لهم ان لي بخراسان ميراثا فاكتبوا الى بحير كتابا يعينني على حقي فكتبوا له وسار فقدم على بحير وهو مع المهلب في غزوته فلقي قوما من بني عوف فأخبرهم أمره ولقي بحيرا فأخبره انه من بني حنيفة من أصحاب ابن أبي بكرة وان له مالا بسجستان وميراثا بمرو وقدم ليبيعه ويعود الى اليمامة فأنزله بحير وأمر له بنفقة ووعده فقال صعصعة أقيم عندك حتى يرجع الناس فأقام شهرا يحضر معه باب المهلب وكان بحير قد حذر فلما أتاه صعصعة بكتاب أصحابه وذكر انه من حنيفة أمنه فجاء يوما صعصعة وبحير عند المهلب عليه قميص ورداء فقعد خلفه ودنا منه كأنه يكلمه فوجأه بخنجر معه في خاصرته فغيبه في جوفه ونادى يا لثارات بكير فأخذ وأتي به المهلب فقال له بؤسا لك ما ادركت بثارك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح بطنه في يدي فحبسه فدخل عليه قوم من الابناء فقبلوا رأسه ومات بحير من الغد فقال صعصعة لما مات بحير اصنعوا الآن ما شئتم أليس قد حلت نذور ابناء بني عوف وأدركت بثاري والله لقد امكنني منه خاليا غير مرة فكرهت ان اقتله سرا فقال المهلب ما رأيت رجلا اسخى نفسا بالموت من هذا وأمر بقتله فقتل وقيل ان المهلب بعثه الى بحير قبل ان يموت فقتله ومات بحير بعده وعظم موته على المهلب وغضبت عوف والابناء وقالوا علام قتل صاحبنا وانما أخذ بثاره فنازعهم مقاعس والبطون وكلهم بطون من تميم حتى خاف الناس ان يعظم الامر فقال اهل الحجى احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير ببكير فودوا صعصعة فقال رجل من الابناء يمدح صعصعة

لله در فتى تجاوز همه * دون العراق مفاوزا وبحورا

ما زال يدأب نفسه وركابه * حتى تناول في الحروب بحيرا

(ذكر دخول الديلم قزوين وما كان منهم)

كانت قزوين ثغر المسلمين من ناحية ديلم فكانت العساكر لا تبرح مرابطة بها يتحارسون ليلا ونهارا فلما كان هذه السنة كان في جماعة من رابط بها محمد بن أبي سبرة الجعفي وكان فارسا شجاعا عظيم الغناء في حروبه فلما قدم قزوين رأى الناس يتحارسون فلا ينامون الليل فقال لهم اتخافون ان يدخل عليكم العدو مدينتكم قالوا نعم قال لقد انصفوكم ان فعلوا افتحوا الابواب ولا بأس عليكم ففتحوها وبلغ ذلك الديلم فساروا اليهم وبيتوهم وهجموا الى البلد وتصايح الناس فقال ابن أبي سبرة اغلقوا ابواب المدينة علينا وعليهم فقد انصفونا وقاتلوهم فاغلقوا الابواب وقاتلوهم وابلى ابن أبي سبرة بلاء عظيما وظفر بهم المسلمون فلم يفلت من الديلم أحد واشتهر اسمه بذلك ولم يعد الديلم بعدها يقدمون على مقاربة أرضهم فصار محمد فارس ذلك الثغر المشار اليه وكان يدمن شرب الخمر وبقي كذلك الى ايام عمر بن عبد العزيز فأمر بتسييره الى زرارة وهي

(الفصل السادس في ذكر ملوك اليونانيين ولمع من اخبارهم وما قالته الناس في بدو شأنهم)

ذكر المسعودي في مروج الذهب ان الناس تنازعوا في نسبهم فذهبت طائفة الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى عيص بن اسحق وقالت طائفة ان يونان من ولد يافث بن نوح عليه السلام وذهب قوم الى انهم جيل متقدم في الزمان الاول ينتمون الى جدهم ابراهيم عليه السلام لان الديار كانت مشتركة والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم في السجية والمذهب فلذلك غلط من غلط في النسبة وجعل الآباء واحدة وكانت اليونان من اعقل الناس وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم مثل العلوم المنطقية والطبيعية والالهية والرياضية وكانت بخزائن ملوكهم وكتب علومهم بقبرس فحملت الى المأمون فأمر بنقلها الى العربية فهذه التي في ايدي الناس اليوم من العلوم المذكورة منها وكان العالم بهذه العلوم

أصل من قرية فليخرج اليها فاخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه يا محمداه ولا يدرون أين يذهبون وجعل قراء البصرة يبكون لما يرون فلما قدم ابن الاشعث عقيب ذلك بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك وخندق الحجاج على نفسه وخندق عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان ممن حج ام الدرداء الصغرى وفيها ولد ابن ابي ذئب وكان العامل على المدينة ابان بن عثمان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج وعلى خراسان المهلب وعلى قضاء الكوفة ابو بردة وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن اذينة وكان سجستان وكرمان وفارس والبصرة بيد عبد الرحمن

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين)

(ذكر الحرب بين الحجاج وابن الاشعث)

قيل في المحرم من هذه السنة اقتتل عسكر الحجاج وعسكر عبد الرحمن بن الاشعث قتالا شديدا فتزاحفوا في المحرم عدة دفعات فلما كان ذات يوم في آخر المحرم اشتد قتالهم فانهزم اصحاب الحجاج حتى انتهوا اليه وقاتلوا على خنادقهم ثم انهم تزاحفوا آخر يوم من المحرم فجال اصحاب الحجاج وتقوض صفهم فجثى الحجاج على ركبتيه وقال لله در مصعب ما كان اكرمه حين نزل به ما نزل وعزم على انه لا يفر فحمل سفيان بن الابرد الكلبي على الميمنة التي لعبد الرحمن فهزمها وانهزم اهل العراق واقبلوا نحو الكوفة مع عبد الرحمن وقتل منهم خلق كثير منهم عقبة بن عبد الغافر الازدي وجماعة من القراء قتلوا بربضة واحدة معه ولما بلغ عبد الرحمن الكوفة تبعه اهل القوة واصحاب الخيل من أهل البصرة واجتمع من بقي في البصرة مع عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل بهم الحجاج خمس ليال اشد قتال رآه الناس ثم انصرف فلحق بابن الاشعث وتبعه طائفة من اهل البصرة وقتل منهم طفيل بن عامر بن واثلة فقال ابوه يرثيه وهو من الصحابة

خلى طفيل علي الهم فانشعبا * وهد ذلك ركني هدة عجبا

مهما نسيت فلا انساه اذ حدقت * به الاسنة مقتولا ومنسلبا

واخطأتني المنايا لا تطالعني * حتى كبرت ولم يتركن لي نسبا

وكنت بعد طفيل كالذي نضبت * عنه السيول وغاض الماء وانصببا

وهي ابيات عدة وهذه الوقعة تسمى يوم الزاوية فاقام الحجاج اول صفر واستعمل على البصرة الحكم بن ايوب الثقفي وسار عبد الرحمن الى الكوفة وقد كان الحجاج استعمل عليها عند مسيره الى البصرة عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي حليف بني امية فقصده مطر ابن ناجية اليربوعي فتحصن منه ابن الحضرمي في القصر ووثب اهل الكوفة مع مطر فاخرج ابن الحضرمي ومن معه من اهل الشام وكانوا أربعة آلاف واستولى مطر على القصر واجتمع الناس وفرق فيهم مائتي درهم فلما وصل ابن الاشعث الى الكوفة كان مطر بالقصر فخرج اهل الكوفة يستقبلونه ودخل الكوفة وقد سبق اليه همدان فكانوا حوله فاتى القصر

دارا كامر وسار الاسكندر بعدما ملك بلاد فارس واحتوى على ملوكها وتزوج بابنة ملكها متوجها نحو السند والهند فوطئ ملوكها فذلت له بجميع الملوك وحملت اليه الهدايا وكان معلمه ارسطاليس حكيم اليونانيين ولما اجتمع مع الفيلسوف في الهند امر له عند الوداع بجوائز كثيرة فلم يقبل فسأله عن عدم قبوله الهدية فقال له الفيلسوف لو احب المال ما أردت العلم فلست ادخل على علمي ما يضاده وينافيه واعلم أيها الملك ان القطيعة توجب الخدمة وليس بحر عاقل من خدم غير ذاته والذي يصلح النفس الناطقة العلم وهو صفاؤها وغذاؤها وتناول اللذات الحيوانية وغيرها من الموجودات ضرر لها والحكمة سبيل الى العلم وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه وللاسكندر مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة من انواع العلوم ولما توفي الاسكندر عرض الملك على ابنه فابى واختار النسك فانقسمت ممالك الاسكندر بين ملوك الطوائف وبين ملوك اليونان

همدان وهو يقول

شطت نوى من داره بالايوان * ايوان كسرى ذى القرى والريحان
من عاشق امسى بزابلستان * ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضى وكذاب ثان * امكن ربى من ثقيف همدان
يوما الى الليل يسلى ما كان * انا سمونا للكفور الفتان
حين طغى فى الكفر بعد الايمان * بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالدبى من قحطان * ومن معد قد أتى من عدنان
بجحفل جم شديد الاركان * فقل لحجاج ولى الشيطان
يثبت لجمع مذحج وهمدان * فانهم ساقوه كاس الذيفان

وملحقوه بقرى ابن مروان

وجعل عبد الرحمن على مقدمته عطية بن عمرو العنبرى وجعل على كرمان حريثة بن عمرو التميمى فلما بلغ فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان اول الناس خلع عبد الملك تيحان بن أبجر من تيم الله ابن ثعلبة قام فقال أيها الناس انى خلعت أباذبان كخلع قميصى فخلعه الناس الا قليلا منهم وبايعوا عبد الرحمن وكانت بيعته تبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلين فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد الملك بخبر عبد الرحمن ويسأله ان يعجل بعثة الجنود اليه وسار الحجاج حتى نزل البصرة ولما بلغ المهلب خبر عبد الرحمن كتب الى الحجاج من خراسان اما بعد فان أهل العراق قد اقبلوا اليك وهم مثل السيل ليس يردهم شئ حتى ينتهى الى قراره وان لاهل العراق شدة فى أول مخرجهم وصبابة الى ابنائهم ونسائهم فاتركهم حتى يسقطوا الى اهاليهم ويشموا أولادهم ثم واقفهم عندها فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ كتابه سبه وقال ما الى نظر وانما النظر لابن عمه يعنى عبد الرحمن ولما وصل كتاب الحجاج الى عبد الملك هاله ودعا خالد بن يزيد فاقرأه الكتاب فقال يا أمير المؤمنين ان كان الحدث من سجستان فلا تخفه فان كان من خراسان فانى اتخوفه فجهز عبد الملك الجند الى الحجاج فكانوا يصلون الى الحجاج على البريد من مائة ومن خمسين واقل واكثر وكتب الحجاج تتصل بعبد الملك كل يوم بخبر عبد الرحمن فسار الحجاج من البصرة ليلاقى عبد الرحمن فنزل تستر وقدم بين يديه مقدمة الى دجيل فلقوا عنده خيلا لعبد الرحمن فانهزم اصحاب الحجاج بعد قتال شديد وكان ذلك يوم الاضحى سنة احدى وثمانين وقتل منهم جمع كثير فلما اتى خبر الهزيمة الى الحجاج رجع الى البصرة وتبعه اصحاب عبد الرحمن فقتلوا منهم واصابوا بعض اثقالهم واقبل الحجاج حتى نزل الزاوية وجمع عنده الطعام وترك البصرة لاهل العراق ولما رجع نظر فى كتاب المهلب فقال لله دره أى صاحب حرب هو وفرق فى الناس مائة وخمسين ألف ألف درهم فاقبل عبد الرحمن حتى دخل البصرة فبايعه جميع أهلها قراؤها وكهولها مستبصرين فى قتال الحجاج ومن معه من أهل الشام وكان السبب فى سرعة اجابتهم الى بيعته ان عمال الحجاج كتبوا اليه ان الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد اسلموا ولحقوا بالامصار فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له

صاحب الفرس وكان مقر ملكه مقدونية وهى مدينة حكماء اليونانيين وهى مدينة على جانب الخليج القسطنطينى من شرقيه وكانت مدة ملك فيلقوس سبع سنين فلما مات ملك بعده ابنه (الاسكندر) وقد تنازع الناس فيه فنهم من رأى انه ذو القرنين صاحب الخضر وابن خالته وهو المذكور فى القرآن ومنهم من رأى انهما اثنان أحدهما الاسكندر المذكور والآخر فى الفترة وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى ذكر اقيال اليمن وكان ملوك اليونانيين يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم فى كل سنة بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما فلما ملك الاسكندر بعث اليه دارنيوش ملك الفرس يطالبه بما جرى من الرسوم وهو دارا بن دارا فبعث اليه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض هذا البيض واكلتها فكان من حروبهم ما دعا الاسكندر الى الخروج الى ارض الشام وقتل

الكثير والسعر الرخيص والسادة القريبة لا والله لا نقبل واعاد واخاهم ثانية وكان اول من قام بخلعه بدير الجماجم عبد الله بن ذؤاب السلمى وعمير بن تيحان وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم اجمع من خلعهم اياه بفارس فقال عبد الله بن عبد الملك ومحمد بن مروان للحجاج شأنك بعسكرك وجندك واعمل برأيك فانا قد أمرنا ان نسمع لك ونطيع فقال قد قلت انه لا يراد بهذا الامر غيركم فكانا يسلمان عليه بالامرة ويسلم عليهما بالامرة فلما اجتمع اهل العراق بالجماجم على خلع عبد الملك قال عبد الرحمن الا ان بنى مروان يعيرون بالزرقاء والله مالهم نسب اصح منه الا ان بنى العاص اعلاج من اهل صفورية فان يكن هذا الامر من قريش فعنى تقويت بيضة قريش وان يك فى العرب فانا ابن الاشعث ومد بها صوته يسمع الناس وبرزوا للقتال فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبى وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمى وعلى خيله سفيان بن الابرد الكلبى وعلى رجاله عبد الله بن حبيب الحكمى وجعل عبد الرحمن بن محمد على ميمنته الحجاج بن حارثة الخثعمى وعلى ميسرته الابرد بن قرة التميمى وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمى وعلى رجاله محمد بن سعد بن ابى وقاص وعلى مجنبته عبد الله بن رزام الحارثى وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفى وفيهم سعيد بن جبير وعامر الشعبى وابو البخترى الطائى وعبد الرحمن بن ابى ليلى ثم اخذوا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون واهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة وسوادها وهم فى خصب واهل الشام فى ضنك شديد قد غلت عليهم الاسعار وفقد عندهم اللحم كانهم فى حصار وهم على ذلك يغادون القتال ويراوحون فلما كان اليوم الذى قتل فيه جبلة بن زحر بن قيس وكانت كتيبة تدعى القراء تحمل عليهم فلا يبرحون وكانوا قد عرفوا بذلك وكان فيهم كميل بن زياد وكان رجلا ركينا فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون وعبى الحجاج صفوفه وعبى عبد الرحمن اصحابه وعبى الحجاج لكتيبة القراء ثلاث كتائب وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمى فاقبلوا نحوهم فحملوا على القراء ثلاث حملات كل كتيبة تحمل حملة فلم يبرحوا وصبروا

(ذكر وفاة المغيرة بن المهلب)

وفى هذه مات المغيرة بن المهلب بخراسان وكان قد استخلفه ابوه المهلب على عمله بخراسان فمات فى رجب سنة اثنتين وثمانين فاتى الخبر يزيد بن المهلب واهل العسكر فلم يخبروا المهلب فامر يزيد النساء فصرخن فقال المهلب ما هذا فقيل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه فلامه بعض خاصته ثم دعا يزيد ووجهه الى مرو ووصاه بما يعمل وان دموعه تنحدر على لحيته وكان المهلب مقيما بكش بما وراء النهر يحارب اهلها فسار يزيد فى ستين فارسا ويقال سبعين ولقيهم خمسمائة من الترك فى مفازة بست فقالوا ما أنتم قالوا تجار قالوا فاعطونا شيأ فابى يزيد فاعطاهم مجاعة ابن عبد الرحمن العتكى ثوبا وكرابيس وقوسا فانصرفوا ثم غدروا وعادوا اليهم فقاتلوهم فاشتد القتال ومع يزيد رجل من الخوارج كان قد اخذه فقال استبقنى فاستبقاه فحمل الخارجى عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقتل رجلا ثم كر حتى خالطهم وقتل رجلا ورجع الى يزيد وقتل يزيد عظيما من عظمائهم ورمى يزيد فى ساقه فاشتدت شوكتهم وصبر يزيد حتى جازوهم فقالوا قد غدرنا ولا ننصرف حتى نموت او تموتوا او تعطونا شيأ فلم يعطهم يزيد شيأ

من البطارقة برجاله وخيله ثم ملك بعده بطليوس الرابع واسمه (فيلو نطول) ومعناه محب ابيه وملك سبع عشرة سنة ثم ملك بعده بطليوس الخامس واسمه (افيفنوس) اربعا وعشرين سنة وهو صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى وكان نقش خاتمه من صان لسانه كثرت اخوانه وكان حسن النطق كثير التزهد والصيام نظيف الثياب مات وعمره سبع وستون سنة ثم ملك بعده بطليوس السادس واسمه (فيلومنطور) ومعناه محب امه وملك خمسا وثلاثين سنة ثم ملك بعده بطليوس السابع واسمه (اوراسخطيس) ملك تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليوس الثامن واسمه (سوطيرا) ملك ست عشرة سنة ثم ملك بعده بطليوس التاسع واسمه (سيديرنطيس) ملك تسع سنين ثم ملك بعده بطليوس العاشر واسمه (اسكندروس) ثلاث سنين ويقال لهذا بطليوس الحديث ثم ملك بعده بطليوس الحادى عشر واسمه (فيلودقوس) ثمانى سنين ثم ملك بعده بطليوس الثانى عشر واسمه (سوسنوس) تسعا

فنعه مطر بن ناجية ومعه جماعة من بني تميم فاصعد عبد الرحمن الناس في السلاليم الى القصر فاخذوه فأتى عبد الرحمن بمطر بن ناجية فحبسه ثم اطلقه وصار معه فلما استقر عبد الرحمن بالكوفة اجتمع اليه الناس وقصده اهل البصرة منهم عبد الرحمن بن العباس ابن ربيعة الهاشمي بعد قتاله الحجاج بالبصرة وقتل الحجاج يوم الزاوية بعد الهزيمة احد عشر الفا خدعهم بالامان وامر مناديا فنادى لا امان لفلان بن فلان فسمى رجالا فقال العامة قد أمن الناس فحضروا عنده فامر بهم فقتلوا

(ذكر وقعة دير الجماجم)

وكانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة وقيل كانت سنة ثلاث وثمانين وكان سببها ان الحجاج سار من البصرة الى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد فنزل دير قرة وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل دير الجماجم فقال الحجاج ان عبد الرحمن نزل دير الجماجم ونزلت دير القرة اما تزجر الطير واجتمع الى عبد الرحمن اهل الكوفه واهل البصرة والقراء واهل الثغور والمسالح بدير الجماجم فاجتمعوا على حرب الحجاج لبغضه وكانوا مائة الف ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم وجاءت الحجاج ايضا امداد من الشام قبل نزوله بدير قرة وخندق كل منهما على نفسه فكان الناس يقتتلون كل يوم ولا يزال احدهما يدني خندقه من الآخر ثم ان عبد الملك واهل الشام قالوا ان كان يرضى اهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه فان عزله ايسر من حربهم ونحقن بذلك الدماء فبعث عبد الملك ابنه عبد الله واخاه محمد بن مروان وكان محمد بارض الموصل الى الحجاج في جند كثيف وامرهما ان يعرضا على اهل العراق عزل الحجاج وان يجريا عليهم اعطياتهم كما يجري على اهل الشام وان ينزل عبد الرحمن بن محمد اي بلد شاء من بلاد العراق فاذا نزله كان واليا عليه ما دام حيا وعبد الملك خليفة فان اجاب اهل العراق الى ذلك عزلا الحجاج عنها وصار محمد بن مروان امير العراق وان ابى اهل العراق قبول ذلك فالحجاج امير الجماعة ووالي القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته فلم يات الحجاج امر قط كان اشد عليه ولا اوجع لقلبه من ذلك فخاف ان يقبل اهل العراق عزله فيعزل عنهم فكتب الى عبد الملك والله لو أعطيت اهل العراق نزعي لم يلبثوا الا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك الا جراءة عليك الم تر ويبلغك وثوب اهل العراق مع الاشتر على ابن عفان وسؤالهم نزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا الى عثمان فقتلوه وان الحديد بالحديد يفلح فابى عبد الملك الا عرض عزله على اهل العراق فلما اجتمع عبد الله ومحمد مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك وقال يا اهل العراق انا ابن امير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا وخرج محمد بن مروان وقال انا رسول امير المؤمنين وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال فقالوا نرجع العشية فرجعوا واجتمع اهل العراق عند ابن الاشعث فقال لهم قد اعطيتم امرا انتهازكم اليوم اياه فرصة وانكم اليوم على النصف فان كانوا اعتدوا عليكم بيوم الزاوية فانتم تعتدون عليهم بيوم تستر فاقبلوا ما عرضوا عليكم وانتم اعزاء اقوياء القوم لكم هائبون وانتم لهم منتقضون فوالله لا زلتم عليهم جرآء وعندهم اعزاء ابدا ما بقيتم ان انتم قبلتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد اهلكهم فاصبحوا في الضنك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد

الكثير

ومالك مصر والشام والمغرب البطالسة وهم ملوك اليونان وكان يسمى كل واحد منهم بطليوس وهي لفظة مشتقة من الحرب معناها اسد الحرب وكان عدة البطالسة الذين ملكوا بعد الاسكندر ثلاثة عشر ملكا واول البطالسة بطليوس (ششوس ابن لاغوش) كان يلقب بالمنطقي وملك المذكور عشرين سنة ثم ملك بعده بطليوس الثاني واسمه (فيلودقوس) ومعناه محب اخيه وهو الذي نقلت له التوراة من العبرانية الى اليونانية وهو الذي عتق اليهود الذين وجدهم اسرى لما ملك وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ملك بعده بطليوس الثالث واسمه (أور اخطيس) ملك خمسا وعشرين سنة وكان ملك الشام يومئذ ابطيخش وهو الذي بنى مدينة انطاكية وكانت دار ملكه وجعل بناء سورها احد عجائب العالم في البناء على السهل والجبل ومسافة السور اثنا عشر ميلا وجعل عدد الابراج فيها مائة وستة وثلاثين برجا وجعل عدد شرافاتها اربعا وعشرين الف شرافة وجعل كل برج من الابراج بسكنه بطريق

ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وادب الصالحين واياكم وكثرة الكلام في مجالسكم ثم مات رحمه الله فقال نهار بن توسعة التيمي يرثيه

الاذهب المعروف والعز والغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب
اقام بمرو الروذ رهن ضريحه * وقد غاب عنه كل شرق ومغرب
اذا قيل أي الناس أولى بنعمة * على الناس قلناه ولم نتهيب

فلما توفي كتب ابنه يزيد الى الحجاج يعلمه بوفاته فاقر يزيد على خراسان

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة في جمادى الآخرة واستعمل عليها هشام ابن اسمعيل المخزومي فعزل هشام نوفل بن مساحق عن قضاء المدينة وولى على القضاء عمرو ابن خالد الزرقي وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فهزمهم ثم سألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أبا شيخ بن عبد الله فغدر وا به فقتلوه وقيل بل قتلوه سنة ثلاث وثمانين وفيها قتل عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي بدجيل وفيها مات أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي وعطاء بن عبد الله السلمي العابد (السلمي بفتح السين المهملة وكسر اللام) وفيها مات زاذان وأبو وائل وعمر بن عبيد الله ابن معمر التيمي وعمره ستون سنة وفيها مات ابو امامة الباهلي وقيل سنة احدى وتسعين

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين)

(ذكر بقية الوقعة بدير الجماجم)

فلما جاءت كتائب الحجاج الثلاث على القراء من أصحاب عبد الرحمن وعليهم جبلة بن زحر نادى جبلة يا عبد الرحمن بن ابي ليلى يا معشر القراء ان الفرار ليس أحد باقبح به منكم اني سمعت علي بن أبي طالب رفع الله درجته في الصالحين وآتاه ثواب الصادقين والشهداء يقول يوم لقينا أهل الشام أيها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي اصاب سبيل الهدى ونور قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه وقال أبو البختري ايها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم فقال الشعبي أيها الناس قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم والله ما أعلم على بسيط الارض أعمل بظلم ولا أجور في حكم منهم وقال سعيد بن جبير نحو ذلك وقال جبلة احملوا عليهم حملة صادقة ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفهم فحملوا عليهم حملة صادقة فضربوا الكتائب حتى أزالوها وفرقوها وتقدموا حتى واقعوا صفهم فازالوه عن مكانه ثم رجعوا فوجدوا جبلة بن زحر قتيلا لا يدرون كيف قتل وكان سبب قتله ان اصحابه لما حملوا على أهل الشام ففرقوهم فوقف لاصحابه ليرجعوا اليه فافترقت فرقة من أهل الشام فوقفت ناحية فلما رأوا أصحاب جبلة قد تقدموا قال بعضهم لبعض هذا جبلة احملوا عليه مادام أصحابه مشاغيل بالقتال فحملوا عليه فلم يول ولكنه حمل عليهم فقتلوه وكان الذي قتله الوليد بن نحيت الكلبي وجيء برأسه الى الحجاج فبشر اصحابه بذلك فلما رجع أصحاب جبلة ورأوه قتيلا سقط في أيديهم وتناعوه بينهم فقال لهم أبو البختري

سموار وما الاضافتهم الى مدينة رومية واسمها روماس بالرومية فعرب هذا الاسم فسمي من كان بها روما (وفي كتاب البيان في تاريخ بني الزمان) ان الروم ينسبون لروم بن عيص ابن اسحق عليه السلام وكان أول ظهورهم سنة ست وسبعين وثلثمائة من وفاة موسى عليه السلام وذكر أبو سعيد المغربي في كتابه ان الروم يعرفون ببني الاصفر وكانوا يدينون بدين الصابئة ويعبدون اصناما على أعداد اسماء الكواكب السبعة وقد ملك رومية عدة ملوك منهم من لم يشتهر ولا وقعت الينا اخبارهم وكان أول من اشتهر من ملوكهم وملك الروم بعد اليونانيين برومية (يولوس) سبع سنين واصفا وقد كانت مدينة رومية بنيت قبل الروم باربعمائة سنة ثم ملك بعده (أغسطس قيصر) ستا وخمسين سنة وهذا الملك أول من سمي من ملوك الروم قيصر وهو الثاني من ملوكهم وتفسير قيصر فتق عنه وذلك ان أمه ماتت وهي حاملة به فشق بطنها عنه فكان هذا الملك يفتخر في وقته ان النساء لم تلدني وكذلك

فقال جماعة اذكرك الله قد هلك المغيرة فانشدك الله ان تهلك فتجتمع على المهلب المصيبة فقال ان المغيرة لم يعد اجله واستاعد واجلى فرمى اليهم جماعة بعمامة صفراء فاخذوها فانصرفوا

(ذكر صلح المهلب اهل كش)

وفى هذه صالح المهلب اهل كش وكان سبب ذلك انه اتهم قوما من مضر فحبسهم وصالح وقفل وخلف حريث بن قطبة مولى خزاعة وقال اذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن وسار المهلب فلما صار ببلخ كتب الى حريث انى لست آمن ان رددت عليهم الرهن ان يغيروا عليك فاذا قبضت الفدية فلا تخل الرهن حتى تقدم ارض بلخ فقال حريث لملك كش ان المهلب كتب الى كذا وكذا فان عجلت الفدية سلمت اليك الرهن وسرت واخبرته ان كتابه ورد وقد استوفيتها منكم ورددت عليكم الرهن فعجل ملك كش الفدية واخذ الرهن ورجع حريث فعرض لهم الترك فقالوا له افد نفسك ومن معك فقد لقينا يزيد بن المهلب ففدى نفسه فقال حريث ولدتنى اذا أم يزيد وقاتلهم فقتلهم واسر منهم اسرى ففدوهم فاطلقهم ورد عليهم الفداء وبلغ المهلب قوله فقال يانف العبد ان تلد ام يزيد فغضب فلما قدم عليه بلخ قال اين الرهن قال خليتهم قبل وصول كتابك وقد كفيت ما خفت قال كذبت ولكنك تقربت اليهم وامر بتجريده فجزع من ذلك حتى ظن المهلب ان به مرضا فجرده وضربه ثلاثين سوطا فقال حريث وددت انه ضربنى ثلثمائة ولم يجردنى انفة وحياء وحلف ليقتلن المهلب فركب يوما مع المهلب فامر غلامين له ان يضربا المهلب فلم يفعلا وقالا نخاف عليك ان تقتل وترك حريث اتيان المهلب فارسل اليه اخاه ثابت ابن قطبة ليأتيه به وقال له انك كبعض ولدى ادبه كبعضهم فاتى ثابت أخاه وسأله ان يركب الى المهلب فلم يفعل وحلف ليقتلنه فقال ثابت ان كان هذا رأيك فاخرج بنا الى موسى بن عبد الله ابن خازم وخاف ثابت أن يقتل حريث المهلب فيقتلون جميعا فخرجا فى ثلثمائة من أصحابهما المنقطعين اليهما

(ذكر وفاة المهلب بن ابى صفرة وولاية ابنه يزيد خراسان)

لما صالح المهلب اهل كش رجع يريد مرو فلما كان بمرو الروذ اخذته الشوصة وقيل الشوكة فمات منها واوصى الى ابنه حبيب فصلى عليه وقال لهم قد استخلفت عليكم يزيد فلا تخالفوه فقال له ابنه المفضل لو لم تقدمه لقدمناه واحضر ولده فوصاهم واحضر سهاما فحزمت فقال اتكسرونها مجتمعة قالوا لا قال افتكسرونها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة ثم قال اوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فانها تنسئ فى الاجل وتثرى المال وتكثر العدد وانهاكم عن القطيعة فانها تعقب النار والقلة والذلة وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من مقالكم واتقوا الجواب وزلة اللسان فان الرجل تزل قدمه فينتعش منها وتزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له وآثروا الجود على البخل واحبوا العرف واصنعوا المعروف فان الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك فكيف بالصنيعة عنده عليكم فى الحرب بالتؤدة والمكيدة فانها انفع من الشجاعة واذا كان اللقاء نزل القضاء فان أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل اتى الامر من وجهه فظفر فحمد وان لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع

واكن

وعشرين سنة ثم ملكت بعده (قيلوباطورا) وهى الثالثة عشر من ملوك اليونان وهى آخرهم فملكت اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة فى الطب والرقية وكان لها زوج يقال له انطونيوس مشاركا لها فى ملك مصر فلما اراد الله ذهاب ملك اليونان سلط عليهم ملوك الروم وقيلوباطورا المذكورة هى آخر ملوك اليونانيين الى ان انقضى ملكهم ودرست رسومهم وزالت علومهم الامابقى فى ايدى الناس وكان لهذه الملكة خبر عجيب فى موتها وقتلها نفسها اعرضنا عن ذكره واتفق أهل المعرفة باخبارهم أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا وان عدد جميع سنى ملكهم ومدة ايامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة والله اعلم بغيبه واحكم

(الفصل السابع فى ذكر ملوك الروم وهم بنو الاصفر وكل ملك منهم يسمى قيصر)

تنازع الناس فى الروم ولاية علة سموا بهذا الاسم قال المسعودى فى مروج الذهب

عنه ثم قال أيها الرجل من ثقيف لا تصرف على بنانك ولا تكثر على كالذئب والله ما بقي من عمري الا ظمء الحمار اقض ما أنت قاض فان الموعد الله وبعد القتل الحساب قال الحجاج فان الحجة عليك قال ذلك اذا كان القضاء اليك فامر به فقتل وكان خصيما بأمير المؤمنين وأتي بآخر من بعده فقال له الحجاج أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال له الرجل أتخادعني عن نفسي انا أكفر أهل الارض وأكفر من فرعون فضحك منه وخلى سبيله وأقام بالكوفة شهرا وأنزل أهل الشام بيوت أهل الكوفة أنزلهم الحجاج فيها مع أهلها وهو أول من أنزل الجند في بيوت غيرهم وهو الى الآن لاسيما في بلاد العجم ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة

(ذكر الوقعة بمسكن)

ولما انهزم عبد الرحمن الى البصرة واجتمع اليه من المنهزمين جمع كثير وكان فيهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب بن عبد شمس القرشي وكان بالمدائن محمد بن سعد بن ابي وقاص فسار اليه الحجاج فلحق ابن سعد بعبد الرحمن وسار عبد الرحمن نحو الحجاج ومعه جمع كثير فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني وقد بايعه خلق كثير على الموت فاجتمعوا بمسكن وخندق عبد الرحمن على أصحابه وجعل القتال من وجه واحد وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله من خراسان في ناس من بعث الكوفة فاقتتلوا خمسة عشر يوما من شعبان أشد قتال فقتل زياد بن غنم القيني وكان على مسالح الحجاج فهدّه ذلك وهدّ أصحابه وبات الحجاج يحرض اصحابه ولما أصبحوا باكروا القتال فاقتتلوا أشد قتال كان بينهم فانكشفت خيل سفيان بن الابرد فامر الحجاج عبد الملك بن المهلب فحمل على أصحاب عبد الرحمن وحمل اصحاب الحجاج من كل جانب فانهزم عبد الرحمن واصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه وأبو البختري الطائي ومشى بسطام بن مصقلة بن هبيرة في أربعة آلاف فارس من شجعان أهل الكوفة والبصرة فكسروا جفون سيوفهم وحث أصحابه على القتال فحملوا على أهل الشام فكشفوهم مرارا فدعا الحجاج الرماة فرموهم واحاط بهم الناس فقتلوا الا قليلا ومضى ابن الاشعث نحو سجستان وقد قيل في هزيمة عبد الرحمن بمسكن غير هذا والذي قيل انه اجتمع هو والحجاج بمسكن وكان عسكر ابن الاشعث والحجاج بين دجلة والسيب والكرخ فاقتتلوا شهرا ودونه فأتى شيخ فدل الحجاج على طريق من وراء الكرخ في أجمة وضحضاح من الماء فارسل معه أربعة آلاف وقال لقائدهم ان صدق فاعطه ألف درهم فان كذب فاقتله فسار بهم ثم ان الحجاج قاتل اصحاب عبد الرحمن فانهزم الحجاج فعبر السيب ورجع ابن الاشعث الى عسكره آمنا ونهب عسكر الحجاج فامنوا والقوا السلاح فلم يشعروا الا بالسيف يأخذهم من تلك السرية فغرق من أصحاب عبد الرحمن أكثر ممن قتل ورجع الحجاج في عسكره على الصوت فقتلوا من وجدوا فكان عدة من قتل اربعة آلاف منهم عبد الله بن شداد بن الهاد وبسطام بن مصقلة وعمرو بن ضبيعة الرقاشي وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم

(ذكر مسير عبد الرحمن الى رتبيل وما جرى له ولاصحابه)

ولما انهزم عبد الرحمن من مسكن سار الى سجستان فاتبعه الحجاج ابنه محمدا وعمارة بن تميم اللخمي

انقضت المدة المذكورة ملكوا عليهم (طيباريوس) ثم ملك بعده (قلورنوس) أربع عشرة سنة وهو الذى قتل في آخر ملكه بطرس وبولس برومية وصلبهما منكوسين وهما المذكوران في سورة يس ثم ملك بعده (ساسالوس) عشر سنين ثم ملك بعده (طيطوس) سبع سنين وهو الذى غزا اليهود وأسرهم وباعهم وأخرب بيت المقدس واحرق الهيكل ثم ملك بعده (ذومطيانوس) خمس عشرة سنة وتتبع النصارى واليهود وأمر بقتلهم وكان دينه ودين غيره من الروم عبادة الاصنام ثم ملك بعده (باروواس) سنة واحدة ثم ملك بعده (ازديانوس) احدى وعشرين سنة في أول سنة من ملكه أطلق للناس الخراج والاتاوى الديوانية وقضى ديونهم وفي زمانه اشتهر جالينوس في الطب ووضع كتبا كثيرة نحو مائة كتاب وكان شيخه في الطب طبيبا اسمه اياانوس وكان وفاة جالينوس بجزيرة صقلية وقد بلغ من العمر ثمانيا وثمانين سنة وتجذم بعد ان مضى من ملكه ثماني عشرة سنة فسار الى مصر يطلب الشفاء فلم

لايظهرن عليكم فقتل جبلة انما كان كرجل منكم أتته منيته فلم يكن ليتقدم ولا يتأخر وظهر الفشل في القراء وناداهم أهل الشام يا أعداء الله قد هلكتم وقد قتل طاغيتكم وقدم عليهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني ففرحوا به وقالوا تقدم مقام جبلة وكان قدومه من الري فلما أتى عبد الرحمن جعله على ربيعة وكان شجاعا فقاتل يوما فدخل عسكر الحجاج فاخذ أصحابه ثلاثين امرأة فاطلقهن فقال الحجاج منعوا نساءهم لو لم يردوهن لسبيت نساءهم اذا ظهرت عليهم وخرج عبد الرحمن بن عوف الرواسي أبو حميد فدعا الى المبارزة فخرج اليه رجل من أهل الشام فتضاربا فقال كل واحد منهما انا الغلام الكلابي فقال كل واحد منهما لصاحبه من أنت واذا هما ابنا عم فتحاجزا وخرج عبد الله بن رزام الحارثي فطلب المبارزة فخرج اليه رجل من عسكر الحجاج فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع خرج فقالوا جاء لاجاء الله به فطلب المبارزة فقال الحجاج للجراح اخرج اليه فخرج اليه فقال له عبد الله وكان له صديقا ويحك يا جراح ما أخرجك قال ابتليت بك قال فهل لك في خير قال الجراح ماهو قال عبد الله أنهزم لك وترجع الى الحجاج وقد احسنت عنده وحمدك وأما انا فاحتمل مقالة الناس في انهزامي حبا لسلامتك فاني لا احب قتل مثلك من قومي قال افعل فحمل الجراح على عبد الله فاستطرد له عبد الله وحمل عليه الجراح يجد يريد قتله فصاح لعبد الله غلامه وكان ناحية معه ماء ليشربه وقال له ياسيدي ان الرجل يريد قتلك فعطف عبد الله على الجراح فضربه بعمود على رأسه فصرعه وقال له ياجراح بئسما جزيتني اردت بك العافية وأردت قتلي انطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة وكان سعيد بن جبير وأبو البختري الطائي يحملان على أهل الشام بعد قتل جبلة بن زحر حتى يخالطوهم وكانت مدة الحرب مائة يوم وثلاثة أيام لانه كان نزولهم بالجماجم لثلاثة مضت من ربيع الاول وكانت الهزيمة لاربع عشرة مضين من جمادى الآخرة فلما كان يوم الهزيمة اقتتلوا اشد قتال واستظهر اصحاب عبد الرحمن على اصحاب الحجاج واستعلوا عليهم وهم آمنون ان ينهزموا فبيناهم كذلك اذ حمل سفيان بن الابرد وهو في ميمنة الحجاج على الابرد بن قرة التميمي وهو على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الابرد بن قرة من غير قتال يذكر فظن الناس انه قد كان صولح على ان ينهزم بالناس فلما انهزم تقوضت الصفوف من نحوه وركب الناس بعضهم بعضا وصعد عبد الرحمن المنبر ينادي الناس الى عباد الله فاجتمع اليه جماعة فثبت حتى دنا منه أهل الشام فقاتل من معه ودخل أهل الشام العسكر فاتاه عبد الله بن يزيد بن المفضل الازدي فقال له انزل فاني أخاف عليك ان تؤسر ولعلك ان انصرفت ان تجمع لهم جمعا يهلكهم الله به فنزل هو ومن معه لا يلوون على شئ ثم رجع الحجاج الى الكوفة وعاد محمد بن مروان الى الموصل وعبد الله بن عبد الملك الى الشام واخذ الحجاج يبايع الناس وكان لا يبايع احدا الا قال له اشهد انك كفرت فان قال نعم بايعه والا قتله فاتاه رجل من خثعم كان معتزلا الناس جميعا فسأله عن حاله فاخبره باعتزاله فقال له أنت متربص أتشهد انك كافر قال بئس الرجل انا أعبد الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر قال اذا أقتلك قال وان قتلتني فقتله ولم يبق أحد من أهل الشام والعراق الا رحمه ثم دعا بكميل بن زياد فقال له أنت المقتص من أمير المؤمنين عثمان قد كنت أحب الى من ان أجد عليك سبيلا قال على أينا انت أشد غضبا عليه حين اقاد من نفسه ام علي حين عفوت

يتخير من كان من ولده واحتوى هذا الملك على خزائن ملوك الاسكندرية ومقدونية ونقلها الى رومية وخرج اغسطس المذكور في السنة الثانية عشر من ملكه من رومية بعساكر عظيمة في البر والبحر وسار الى الديار المصرية واستولى على ملك اليونان وكانت قلوبطورا هي ملكة اليونان وكان مقامها في الاسكندرية ولما ملك اغسطس ديار مصر والشام دخلت بنو اسرائيل تحت طاعته كما كانوا تحت طاعة البطالسة فولى بيت المقدس لهردوس اليهودي وفي أيام اغسطس المذكور ولد المسيح عليه السلام وكانت مدة ملكه ثلاثا وأربعين سنة ثم ملك بعده (طيباريوس) اثنتين وعشرين سنة وهو الذي بنى طبرية بالشام وبهذا اشتق اسمها من اسمه ثم ملك بعده (غالبوس) أربع سنين ولمضي السنة الاولى من ملكه رفع المسيح عليه السلام ولما هلك هذا الملك اختلفت الروم فاقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع في الملك مائتي سنة وثمانيا وتسعين سنة لانظام لهم ولا ملك يجمعهم فلما

يزيد بن المهلب وقيل ان عبد الرحمن بن الاشعث لما انهزم من مسكن اتى عبيد الله بن
عبد الرحمن بن سمرة هراة وأتى عبد الرحمن بن العباس سجستان فاجتمع فل ابن الاشعث فسار
الى خراسان فى عشرين ألفا فنزل هراة ولقوا الرقاد فقتلوه فارسل اليه يزيد بن المهلب قد كان
لك فى البلاد متسع ومن هو أهون منى شوكة فارتحل الى بلد ليس لى فيه سلطان فانى أكره قتالك
وان أردت مالا ارسلت اليك فاعاد الجواب انا ما نزلنا لمحاربة ولا لمقام ولكنا اردنا ان نريح ثم
نرحل عنك وليست بنا الى المال حاجة وأقبل عبد الرحمن بن العباس على الجباية وبلغ ذلك يزيد
فقال من أراد ان يريح ثم يرتحل لم يجب الخراج فسار يزيد نحوه وأعاد مراسلته انك قد ارحت
وسمنت وجبيت الخراج فلك ما جبيت وزيادة فاخرج عنى فانى أكره قتالك فأبى الا القتال
وكاتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم الى نفسه فعلم يزيد فقال جل الامر عن العتاب ثم تقدم
اليه فقاتله فلم يكن بينهم كثير قتال حتى تفرق أصحاب عبد الرحمن عنه وصبر وصبرت معه طائفة
ثم انهزموا وأمر يزيد أصحابه بالكف عن اتباعهم وأخذوا ما كان فى عسكرهم وأسروا منهم
اسرى وكان منهم محمد بن سعد بن أبى وقاص وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وعباس بن
الاسود بن عوف الزهرى والهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وفيروز بن حصين وأبو
الفلج مولى عبيد الله بن معمر وسوار بن مروان وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف
الخزاعى وعبد الله بن فضالة الزهرانى الازدى ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند وأتى ابن
سمرة مرو وانصرف يزيد الى مرو وبعث الاسرى الى الحجاج مع سبرة ونجدة فلما أراد تسييرهم
قال له اخوه حبيب باى وجه تنظر الى اليمانية وقد بعثت عبد الرحمن بن طلحة فقال يزيد انه
الحجاج ولا يتعرض له قال وطن نفسك على العزل ولا ترسل به فان له عندنا يدا قال وما هى قال
ألزم المهلب فى مسجد الجماعة بمائتى ألف فاداها طلحة عنه فاطلقه يزيد ولم يرسل يزيد أيضا عبد
الله بن فضالة لانه من الازد وارسل الباقين فلما قدموا على الحجاج قال لحاجبه اذا دعوتك
بسيدهم فاتنى بفيروز وكان بواسط قبل ان تبنى مدينة فقال لحاجبه ائتنى بسيدهم فقال لفيروز قم
فقام فاحضره عنده فقال له الحجاج ابا عثمان ما اخرجك مع هؤلاء فوالله ما لحمك من لحومهم
ولا دمك من دمائهم قال فتنة عمت الناس قال اكتب الى أموالك قال اكتب يا غلام ألف ألف
وألفى ألف فذكر مالا كثيرا فقال الحجاج أين هذه الاموال قال عندى قال فادها قال وانا آمن
على دمى قال والله لتؤدينها ثم لاقتلنك قال والله لا يجمع بين دمى ومالى فامر به فنحى ثم احضر
محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال له يا ظل الشيطان اعظم الناس تيها وكبرا تأبى بيعة يزيد بن
معاوية وتتشبه بالحسين وبابن عمر ثم صرت مؤذنا وجعل يضرب رأسه بعود فى يده حتى ادماه
ثم أمر به فقتل ثم دعا بعمر بن موسى فقال يا عبد المرأة يقوم بالعمود على رأسك ابن الحائك يعنى
ابن الاشعث وتشرب معه فى الحمام فقال اصلح الله الامير كانت فتنة شملت البر والفاجر فدخلنا
فيها فقد امكنك الله منا فان عفوت فبحلمك وبفضلك وان عاقبت ظلمت مذنبين فقال الحجاج اما
انها شملت البر فكذبت ولكنها شملت الفاجر وعوفى منها الابرار واما اعترافك فعسى ان ينفعك
ورجا له الناس السلامة ثم أمر به فقتل ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال احببت ان ابن الاشعث
طلب ما طلب ما الذى املت أنت معه قال املت ان يملك فيوليني كما ولاك عبد الملك فامر به

وكانوا سبعة وهم من
اشراف الروم مؤمنين
وقصتهم مشهورة وفى
الكتب مسطورة وسيأتى
شئ من أخبارهم وذكر
آثارهم فى ذكر مدينة
افسوس ثم ملك بعده
(غالينوس) ثلاث سنين ثم
ملك بعده (غلينوس) وولده
(اوريانوس) ملكا
بالاشتراك ثم ان اوريانوس
انفرد بالملك بعد سنتين ثم
غزاه سابور بن اردشير
فانتصر عليه واسره فى
المعركة وأرسله الى بابل
وسجنه هنالك ثم ملك مكانه
ابنه (غالينوس) الثانى
ست سنين ثم ملك بعده
(قاودنوس) سنة واحدة
وفى أول السنة من ملكه
ظهر فى السماء اكليل
من نار ثم ملك بعده
(ارد فلينوس) وقيل
اودليانوس ملك ست سنين
ومات بصاعقة أصابته ثم
ملك بعده (طيطينوس)
ستة أشهر ثم ملك بعده
(فياورياس) شهرين وقتل
بمدينة طرسوس ثم ملك بعده
(قروبوس) سبع سنين ثم
هلك فى الحرب بمدينة
سرمس وملك بعده
(قاروس) مع شريك له
ملك سنتين ومات وقتل
شريكه فى بعض الحروب

وعمارة على الجيش فادركه عمارة بالسوس فقاتله ساعة فانهزم عبد الرحمن ومن معه وساروا حتى أتوا سابور واجتمع اليه الاكراد فقاتلهم عمارة قتالا شديدا على العقبة فجرح عمارة وكثير من اصحابه وانهزم عمارة وترك لهم العقبة وسار عبد الرحمن حتى أتى كرمان وعمارة يتبع اثرهم فدخل بعض أهل الشام قصرا في مفازة كرمان فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر ابن حلزة اليشكري وهي طويلة

أيا لهفا ويا حربا جميعا * ويا حر الفؤاد لما لقينا *
تركنا الدين والدنيا جميعا * واسلمنا الحلائل والبنينا
فما كنا اناسا أهل دين * فنصبر في البلاء اذا ابتلينا
وما كنا اناسا أهل دنيا * فنمنعها ولو لم نرج دينا
تركنا دورنا لطغام عك * وانباط القرى والاشعرينا

فلما وصل عبد الرحمن كرمان أتاه عامله وقد هيأ له نزلا فنزل ثم رحل الى سجستان فأتى زرنج وفيها عامله فاغلق بابها ومنع عبد الرحمن من دخولها فاقام عليها اياما ليفتحها فلم يصل اليها فسار الى بست وكان قد استعمل عليها عياض بن هميان بن هشام السدوسي الشيباني فاستقبله وانزله فلما غفل اصحابه قبض عليه عياض واوثقه وأراد ان يأمن به عند الحجاج وقد كان رتبيل ملك الترك سمع بقدم عبد الرحمن فسار اليه ليستقبله فلما قبضه عياض نزل رتبيل على بست وبعث الى عياض يقول والله لئن آذيته بما يقذى عينه او ضررته ببعض الضرر او أخذت منه ولو حبلا من شعر لا أبرح حتى استنزلك واقتلك وجميع من معك واسبي ذراريكم واغنم أموالكم فاستأمنه عياض فاطلق عبد الرحمن فأراد قتل عياض فمنعه رتبيل ثم سار عبد الرحمن مع رتبيل الى بلاده فانزله واكرمه وعظمه وكان ناس كثير من المنهزمين من اصحاب عبد الرحمن من الرؤس والقادة الذين لم يقبلوا امان الحجاج ونصبوا له العداوة في كل موطن قد تبعوا عبد الرحمن فبلغوا سجستان في نحو ستين ألفا ونزلوا على زرنج يحاصرون من بها وكتبوا الى عبد الرحمن يستدعونه ويخبرونه انهم على قصد خراسان ليقووا بمن بها من عشائرهم فاتاهم وكان يصلي بهم عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب الى ان قدم عبد الرحمن فلما أتت كتبهم عبد الرحمن سار اليهم ففتحوا زرنج وسار نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام فقال لعبد الرحمن اصحابه اخرج بنا عن سجستان الى خراسان فقال ان بها يزيد بن المهلب وهو رجل شجاع ولا يترك لكم سلطانه ولو دخلناها لقاتلنا وتبعنا أهل الشام فيجتمع علينا أهل خراسان وأهل الشام فقالوا لو دخلنا خراسان لكان من يتبعنا أكثر من يقاتلنا فسار معهم حتى بلغوا هراة فهرب من أصحابه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين فقال لهم عبد الرحمن اني كنت في مأمن وملجأ فجاءتني كتبكم ان اقبل فان امرنا واحد فلعلنا نقاتل عدونا فأتيتكم فرأيتم ان أمضي الى خراسان وزعمتم انكم تجتمعون الي وانكم لا تتفرقون وهذا عبيد الله قد صنع ما رأيتم فاصنعوا ما بدا لكم اما انا فمنصرف الى صاحبي الذي اتيت من عنده فتفرق منهم طائفة وبقي معه طائفة وبقي أعظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس فبايعوه ومضى عبد الرحمن بن الاشعث الى رتبيل وسار عبد الرحمن بن العباس الى هراة فلقوا بها الرقاد الازدي فقتلوه فسار اليهم

يزيد

بجسده ومات ثم ملك بعده (طرانانوس) ثلاثا وعشرين سنة وكان أخذ ارصاد بطليموس صاحب المجسطي في السنة الثالثة من ملكه ثم ملك بعده (مرقوس) تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (فومودوس) ثلاث عشرة سنة وفي آخر ايامه خنق نفسه وقيل كان جالينوس في زمانه ثم ملك بعده (قوطنوس) ستة أشهر وقتل غيلة في مجلسه ثم ملك بعده (سوريانوس) ثماني عشرة سنة فلما هلك ملك بعده (انطونيانوس) سبع سنين وقتل بين حران والرها ثم ملك بعده (مقدانوس) سنة واحدة وفي زمانه وقع حريق عظيم برومية ووثب عليه غلمانه فقتلوه ثم ملك بعده (أنطونيانوس) الثاني أربع سنين ثم ملك بعده (الاسكندروس) ثلاث عشرة سنة ثم ملك بعده (مكسيميانوس) ثلاث سنين وشدد في قتل النصارى ثم ملك بعده (غوردیانوس) ست سنين وقتل في حدود فارس ثم ملك بعده (فيلبوس) سبع سنين واحسن الى النصارى وادام الاجتماع بهم فلما هلك ملك بعده (دقيانوس) سنة واحدة فاعاد عبادة الاصنام ودين الصابئين ومنه هرب الفتية

كهول ومرد من قضاعة حوله * مساعيد ابطال اذا النكس عردا
اذا قال شدوا شدة حملوا معا * فانهل فرضان الرماح واوردا
جنود أمير المؤمنين وخيله * وسلطانه أمسى عزيزا مؤيدا
ليهن أمير المؤمنين ظهوره * على أمة كانوا بغاة وحسدا
نزوا يشتكون البغي من أمرائهم * وكانوا هم ابغى البغاة واعتدا
وجدنا بني مروان خير أئمة * وافضل هذا الناس حلما وسوددا
وخير قريش في قريش أرومة * واكرمهم الا النبي محمدا
اذا ما تدبرنا عواقب أمره * وجدنا أمير المؤمنين مسددا
سيغلب قوما حاربوا الله جهرة * وان كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يضل الله من كان قلبه * مريضا ومن والى النفاق وحشدا
وقد تركوا الاهلين والمال خلفهم * وبيضا عليهن الجلابيب جردا
ينادينهم مستعبرات اليهم * ويذرين دمعا في الخدود وأثمدا
انكثا وعصيانا وغدرا وذلة * أهان الاله من أهان وابعدا
لقد شأم المصرين فرخ محمد * بحق وما لاقى من الطير اسعدا
كما شأم الله الجبير وأهله * بجد له قد كان اشقى وانجدا

فقال أهل الشام احسن اصلح الله الامير فقال الحجاج لا لم يحسن انكم لا تدرون ما أراد بها ثم قال يا عدو الله والله لا نحمدك انما قلت يا اسفى ان لا يكون ظهر وظفر وتحريضا لاصحابك علينا وليس عن هذا سألناك انشدنا قولك بين الاشج وبين قيس باذخ فانشده فلما قال بخ بخ اى للوالدة والمولود قال الحجاج والله لا تبخبخ بعدها ابدا فضربت عنقه قوله في هذه الابيات ابن عباس هو عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وقد تقدم ذكره وقوله سفيان هو ابن الابرد الكلبي من قواد العساكر الشامية وقوله فرخ محمد هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وقوله الاشج هو محمد بن الاشعث وقوله بين قيس هو معقل بن قيس الرياحي وهو جد عبد الرحمن ابن محمد لامه وقوله كما شأم الله الجبير وأهله بجد له يعني لما ارتد الاشعث بن قيس جد عبد الرحمن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتبعه كندة فلما حاربهم المسلمون وحصروهم بالجبير أخذوهم وقتلوهم وقد تقدم ذكر ذلك في قتال أهل الردة قيل وأتى الحجاج باسيرين فامر بقتلهما فقال أحدهما ان لي عندك يدا قال وما هي قال ذكر عبد الرحمن يوما امك بسوء فنهيته قال ومن يعلم ذلك قال هذا الاسير الآخر فسأله الحجاج فصدقه فقال له الحجاج فلم تفعل كما فعل قال وينفعني الصدق عندك قال نعم قال منعني البغض لك ولقومك قال خلوا عن هذا لفعله وعن هذا لصدقه قيل جاء رجل من الانصار الى عمر بن عبد العزيز فقال أنا فلان بن فلان قتل جدي يوم بدر وقتل جدي فلان يوم أحد وجعل يذكر مناقب سلفه فنظر عمر الى عنبسة بن سعيد بن العاص فقال هذه المناقب والله لا يوم مسكن ويوم الجماجم ويوم راهط وانشد

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(ذكر ما جرى للشعبي مع الحجاج)

افريقيه وديار المغرب وافريقية وهو الذي بنى قسطينة بالغرب وسماها باسمه وكان لقسيمانوس ابن اسمه مقسندیوس فسلطنوه في مدينة رومية وتغلب عليها وعلى ما يقاربها من ناحية موليا وغيرها ثم ان قسطينه حكم احدى عشرة سنة وتوفي فقام بالملك بعده ابنه قسطنطين وذكر المسعودي ان عدة ملوك الروم الذين ملكوا مدينة رومية تسعة واربعون ملكا وجميع عدد سنيهم أربعمائة وسبع وثمانون سنة وتسعة أشهر وستة ايام واختلف أصحاب التاريخ في اسماء ملوكهم لانها بالرومية ولهذه الملوك سير وأخبار هي موجودة في كتب النصارى الملكية اعرضنا عن ذكرها لعدم نفعها والله الموفق للصواب

(الفصل الثامن)

في ذكر ملوك القسطنطينية الكبرى والمدينة العظمى)

* وكان أول من انتقل من ملوك الروم عن مدينة رومية الى بوزنطا وهي القسطنطينية بناها وسماها باسمه (قسطنطين) ابن قسطينه وهو أول من تنصر من ملوك الروم ثم تبعه من تبعه على النصوص

فقتل ثم دعا بعبد الله بن عامر فلما أتاه قال له الحجاج لا رأت عينك الجنة ان افلت فقال جزى الله ابن المهلب خيرا بما صنع قال وما صنع قال

لانه كاس فى اطلاق اسرته * وقاد نحوك فى اغلالها مضرا

وقى بقومك ورد الموت اسرته * وكان قومك ادنى عنده خطرا

فاطرق الحجاج و وقرت فى قلبه وقال وما انت وذاك وأمر به فقتل ولم تزل كلمته فى نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه ثم أمر بفيروز فعذب وكان يشد عليه القصب الفارسى المشقوق ويجر عليه حتى يجرح به ثم ينضح عليه الخل فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب ان الناس لا يشكون ان قد قتلت ولى ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى اليكم أبدا فاظهرنى للناس ليعلموا انى حى فيؤدوا المال فاعلم الحجاج فقال اظهروه فأخرج الى باب المدينة فصاح فى الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا فيروز بن حصين ان لى عند اقوام مالا فمن كان لى عنده شىء فهو له وهو منه فى حل فلا يؤد أحد منهم درهما ليبلغ الشاهد الغائب فامر به الحجاج فقتل وأمر بقتل عمر بن أبى قرة الكندى وكان شريفا وأمر باحضار اعشى همدان فقال ايه عدو الله انشدنى قولك بين الاشج وبين قيس قال بل انشدك ما قلت لك قال بل انشدنى هذه فانشده

أبى الله الا ان يتم نوره * ويطفئ نار الفاسقين فتخمدا

ويظهر أهل الحق فى كل موطن * ويعدل وقع السيف من كان أصيدا

وينزل ذلا بالعراق وأهله * كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا

وما احدثوا من بدعة وعظيمة * من القول لم يصعد الى الله مصعدا

وما نكثوا من بيعة بعد بيعة * اذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا

وجبنا حشاه ربهم فى قلوبهم * فما يقربون الناس الا تهددا

فلا صدق فى قول ولا صبر عندهم * ولكن فخرا فيهم وتزيدا

فكيف رأيت الله فرق جمعهم * ومزقهم عرض البلاد وشردا

فقتلاهم قتلى ضلال وفتنة * وحيهم امسى ذليلا مطردا

ولما زحفنا لابن يوسف غدوة * وأبرق منه العارضان وأرعدا

قطعنا اليه الخندقين وانما * قطعنا وافضينا الى الموت مرصدا

فكافحنا الحجاج دون صفوفنا * كفاحا ولم يضرب لذلك موعدا

بصف كأن الموت فى حجراتهم * اذا ما تجلى بيضه وتوقدا

دلفنا اليه فى صفوف كأنها * جبال شرورى أو نعاف فسمدا

فما لبث الحجاج ان سل سيفه * علينا فولى جمعنا وتبددا

وما زاحف الحجاج الا رأيته * معانا وملقى للفتوح معودا

وان ابن عباس لفى مرجحنة * اشبهها قطعا من الليل أسودا

فما شرعوا رمحا ولا جردوا ظبا * الا انما لاقى الجبان مجردا

وكرت علينا خيل سفيان كرة * بفرسانها والسمهرى مقصدا

وسفيان يهديها كأن لواءها * من الطعن سقبات بالصبغ مجسدا

ومات بعده (قلطيانوس) احدى وعشرين سنة وفى السنة التاسعة أمر بهدم كنائس النصارى فهدمت كلها وأحرق كتبهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفى هذه السنة وقع غلاء عظيم لم يسمع بمثله حتى بلغ غرارة الشامى من الحنطة الفين وخمسمائة درهم ثم انه اعتزل من الملك الى ان مات وذكر صاحب المختصر فى اخبار البشر ان قلطيانوس المذكور آخر من عبد الاصنام من ملوك الروم فانهم تنصروا بعده وفى بعض الكتب المعتبرة ان ملك الروم انتهى الى رجلين منهم على سبيل الاشتراك وكان أحدهما يسمى مقسيميانوس والآخر يسمى زرقلطيانوس وكان تحت ملكهما رومية الكبرى وكان للاول بنت اسمها مارويه زوجها لرجل اسمه مقسطوس والثانى بنت اسمها والرويه زوجها لرجل اسمه قسطنطينة من نسل الملك قلوديوس ثم ان مقسيميانوس وزرقلطيانوس تركا الملك وأعطى كل منهما حصته من ذلك لختنه فكان للاول ولاية اناطولى وما والاها وللثانى بلاد الروم وما وراءها من الممالك الى

للشاميين خذوا اصحابكم لاقود له ولا عقل فانه قتيل الله الى النار ثم نادى منادلا ينزلن احد على احد وكان الحجاج قد انزل أهل الشام على اهل الكوفة فخرج أهل الشام فعسكروا وبعثوا روادا يرتادون له منزلا واقبل حتى نزل موضع واسط فاذا راهب قد أقبل على حمار له فلما كان بموضع واسط بال الحمار فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول واحتمله ورماه فى دجلة والحجاج يراه فقال على به فأتى به فقال ما حملك على ما صنعته قال نجد فى الكتب انه يبنى فى هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام فى الارض أحد يوحده فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد فى ذلك الموضع

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عزل عبد الملك أبان بن عثمان من المدينة فى قول بعضهم واستعمل عليها هشام بن اسمعيل وكان العمال هذه السنة سوى المدينة الذين تقدم ذكرهم فى السنة قبلها قيل وكان الحجاج قد سير نساءه واهله الى الشام خوفا من عبد الرحمن بن الاشعث وفيهن أخته زينب التى ذكرها النميرى فى شعره فلما هزم ابن الاشعث أرسل البشير الى عبد الملك بذلك وكتب كتابا الى أخته زينب فأخذت الكتاب وهى راكبة فنفرت البغلة من قعقعة الكتاب فسقطت زينب فماتت وفى هذه السنة توفى واثلة بن الاسقع وهو ابن خمس ومائة سنة وقيل مات سنة خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة وفيها مات زر بن حبيش وعمره مائة واثنتان وعشرون سنة وابو وائل شقيق بن سلمة الاسدى الكوفى وكان مولده سنة احدى من الهجرة

(ثم دخلت سنة أربع وثمانين)

(ذكر قتل ابن القرية)

وفيها قتل الحجاج أيوب بن القرية وكان مع ابن الاشعث بدير الجماجم فلما هزم ابن الاشعث التحق ايوب بحوشب بن يزيد عامل الحجاج على الكوفة فاستحضره الحجاج فقال له اقلنى عثرتى واسقنى ريقى فانه ليس جواد الاله كبوة ولا شجاع الاله هبوة ولا صارم الاله نبوة فقال الحجاج كلا والله لازيرنك جهنم قال فارحنى فانى اجد حرها فامر به فضربت عنقه فلما رآه قتيلا قال لو تركناه حتى نسمع من كلامه

(ذكر فتح قلعة نيزك بباذغيس)

فى هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك وكان يزيد قد وضع على نيزك العيون فلما بلغه خروج نيزك عنها سار اليها فحاصرها فملكها وما فيها من الاموال والذخائر وكانت من احصن القلاع وأمنعها وكان نيزك اذا رآها سجد لها تعظيما لها وقال كعب بن معدان الاشقرى يذكرها

وباذغيس التى من حل ذروتها * عز الملوك فان شا جار او ظلما
منيعة لم يكدها قبله ملك * الا اذا واجهت جيشا له وجما
تخال نيرانها من بعد منظرها * بعض النجوم اذا ما ليلها عتما

وهى أبيات عدة وقال أيضا يذكر يزيد وفتحها

نفى نيزكا عن باذغيس ونيزك * بمنزلة اعيى الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها * غمامة صيف زال عنها سحابها

الاخبار ان سليمان عليه السلام لما غزا كفار البحر وكان مقر سلطنتهم مدينة دشقا د اجتاز فى بعض الايام متصيدا فرأى مكان قسطنطينية وقد أحاط به البحر وكان ذلك وقت الربيع وظهور أنواع النبت فأمر ببناء عريش لطيف لاجل الاستظلال بين المشرق والشمال وهو الآن موضع دار السعادة العامرة فاستطاب ذلك المنزل وكان يتصيد ويعود اليه ليلا وكان وزيره آصف اختار مكان اياصوفيا مع توابعه وباقى العسكر فى المكان المعروف الآن بآت ميدانى (وذكر) فى تاريخ البلدان ان عيسى عليه السلام دخل قسطنطينية فى سياحته ودعا لها بالبركة ولدخوله أخبار يطول شرحها وأول ما شرعوا فى عمارة الغلطة فهى على هذا أقدم من مدينة قسطنطينية ويقال ان البحر من الجهة الغربية كان متصلا من عند قبر أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه الى البحر الجنوبية وكان موضع البلد جزيرة مستقلة تدور المراكب حولها فاستصوب بعض الملوك ردم الجانب الغربى ليسهل اليها

لما انهزم أصحاب عبد الرحمن بالجماجم نادى منادى الحجاج من لحق بقتيبة بن مسلم فهو آمن وكان قد ولاه الرى وسار اليه فلحق به ناس كثير وكان منهم الشعبى فذكره الحجاج يوما فسأل عنه فقال له يزيد بن أبى مسلم انه لحق بقتيبة بالرى فكتب الحجاج الى قتيبة يأمره بارسال الشعبى فارسله قال الشعبى فلما قدمت على الحجاج لقيت ابن أبى مسلم وكان صديقا لى فاستشرته فقال اعتذر مهما استطعت واشار بمثل ذلك اخوانى ونصحائى فلما دخلت على الحجاج رأيت غير ما ذكروا لى فسلمت عليه بالامرة وقلت أيها الامير ان الناس قد أمرونى ان اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق وايم الله لا أقول فى هذا المقام الا الحق قد والله مردنا عليك وحرضنا وجهدنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا بالاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا واظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وما جرت اليه أيدينا وان عفوت عنا فبحلمك وبعد فالحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله أحب الى قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت وقد امنت يا شعبى كيف وجدت الناس بعدنا فقلت أصلح الله الامير اكتحلت بعدك السهر واستوعرت الجناب واستحلست الخوف وفقدت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا قال انصرف يا شعبى فانصرفت

(ذكر خلع عمر بن أبى الصلت بالرى وما كان منه)

لما ظفر الحجاج بابن الاشعث لحق خلق كثير من المنهزمين بعمر بن أبى الصلت وكان قد غلب على الرى فى تلك الفتنة فلما اجتمعوا بالرى أرادوا ان يحظوا عند الحجاج بامر يمحون عن أنفسهم عثرة الجماجم فاشاروا على عمر بخلع الحجاج وقتيبة فامتنع فوضعوا عليه اباه ابا الصلت وكان به بارا فاشار عليه بذلك والزمه به وقال له يا بنى اذا سار هؤلاء تحت لوائك لا ابالى ان تقتل غدا ففعل فلما قارب قتيبة الرى بلغه الخبر فاستعد لقتاله فالتقوا واقتتلوا فغدر أصحاب عمر به واكثرهم من تميم فانهزم ولحق بطبرستان فآواه الاصبهبذ وأكرمه واحسن اليه فقال عمر لابيه انك امرتنى بخلع الحجاج وقتيبة فاطعتك وكان خلاف رأيى فلم احمد رأيك وقد نزلنا بهذا العلج الاصبهبذ فدعنى حتى اثب عليه فاقتله واجلس على مملكته فقد علمت الاعاجم انى أشرف منه فقال أبوه ما كنت لافعل هذا الرجل آوانا ونحن خائفون واكرمنا وانزلنا فقال عمر انت أعلم وسترى ودخل قتيبة الرى وكتب الى الحجاج بخبر عمر وانهزامه الى طبرستان فكتب الحجاج الى اصبهبذ أن ابعث بهما أو برؤسهما والا فقد برئت منك الذمة فصنع لهم الاصبهبذ طعاما واحضرهما فقتل عمرو وبعث اباه أسيرا وقيل بل قتلهما وبعث برؤسهما

(ذكر بناء مدينة واسط)

وفى هذه السنة بنى الحجاج واسطا وكان سبب ذلك ان الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة الى خراسان وعسكر بحمام عمر وكان فتى من أهل الكوفة حديث عهد بعرس فانصرف من العسكر الى ابنة عمه ليلا فطرق الباب طارق ودقه دقا شديدا فاذا سكران من أهل الشام فقالت للرجل ابنة عمه لقد لقينا من هذا الشامى شرا يفعل بنا كل ليلة ما ترى يريد المكروه وقد شكوته الى مشيخة أصحابه فقال لها ائذنى له فأذنت له فقتله زوجها فلما اذن الفجر خرج الى العسكر وقال لابنة عمه اذا صليت الفجر فابعثى الى الشاميين ليأخذوا صاحبهم فاذا أحضروك عند الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه ففعلت فأحضرت عند الحجاج فاخبرته فقال صدقتنى وقال

للشاميين

والعموم وكان على دين الصابئة يعبدون اصناما على أسماء الكواكب السبعة وفى احدى عشرة سنة خلت من ملكه خرجت امه هيلانى الى أرض الشام فبنت الكنائس وصارت الى الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التى صلب عليها المسيح عندهم فلما وجدتها غلفتها بالذهب والفضة واتخذت لذلك عيدا وهو عيد الصليب ثم انه أشير لقسطنطين فى المنام ان يعمر حصنا فى غاية الحصانة والاحكام فشاور اكابر خواصه فوقع اختيارهم على موضع يقابل استنبول ويسمى بقاضى كوى يروى انهم لما شرعوا فى البناء فى هذا المكان المذكور جاءت حيوانات على صور شتى كالطيور والوحوش وماشا كلها وجعلت تخطف آلات البنائين وكذا سلال الفعلة ومعاول الحفارين ودخلوا بها فى البحر فاجتازوا الى الجهة الغربية من البحر ليكشفوا أمر تلك الحيوانات فرأوا مكان قسطنطينية الآن وهى فى غاية اللطافة وكان اذ ذاك جزيرة خالية مثلثة الشكل معروفة عند الامم القديمة هفت جبل لسبعة جبال كانت بها يروى فى بعض

فاحتز رأسه وسيره الى الحجاج فسيره الحجاج الى عبد الملك وسيره عبد الملك الى أخيه عبد العزيز فقال بعض الشعراء

هيهات موضع جثة من رأسها * رأس بمصر وجثة بالرخج

وقيل ان هلاك عبد الرحمن كان سنة أربع وثمانين

(ذكر عزل يزيد بن المهلب عن خراسان وولاية أخيه المفضل)

وفي هذه السنة عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان وكان سبب عزله اياه ان الحجاج وفد الى عبد الملك فمر في طريقه براهب فقيل له ان عنده علما فدعا به وسأله هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه ونحن قال نعم قال مسمى ام موصوف فقال كل ذلك نجده موصوفا بغير اسم ومسمى بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده في زماننا ملك اقرع من يقم لسبيله يصرع قال ثم من قال اسم رجل يقال له الوليد ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس قال أفتعلم من يلي بعدي قال نعم رجل يقال له يزيد قال افتعرف صفته قال يغدر غدرة لا اعرف غير هذا فوقع في نفسه انه يزيد بن المهلب ثم سار وهو وجل من قول الراهب ثم عاد وكتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ويخبره انهم زبيرية فكتب اليه عبد الملك اني لا ارى طاعتهم لآل الزبير نقصا بآل المهلب ووفاؤهم لهم يدعوهم الى الوفاء لي فكتب اليه الحجاج يخوفه غدره وبما قال الراهب فكتب عبد الملك اليه انك قد أكثرت في يزيد وآل المهلب فسم لي رجلا يصلح لخراسان فسمى قتيبة بن مسلم فكتب اليه أن وله وبلغ يزيد ان الحجاج عزله فقال لاهل بيته من ترون الحجاج يولي خراسان قالوا رجلا من ثقيف قال كلا ولكنه يكتب الى رجل منكم بعهده فاذا قدمت عليه عزله وولى رجلا من قيس واخلق بقتيبة بن مسلم فلما أذن عبد الملك في عزل يزيد كره ان يكتب اليه بعزله فكتب اليه يأمره ان يستخلف اخاه المفضل ويقبل اليه واستشار يزيد حضين بن المنذر الرقاشي فقال له اقم واعتل واكتب الى أمير المؤمنين ليقرك فانه حسن الحال والرأي فيك قال يزيد نحن أهل بيت قد بورك لنا في الطاعة وانا أكره الخلاف فاخذ يتجهز فابطأ فكتب الحجاج الى المفضل اني قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد ان الحجاج لا يقرك بعدي وانما دعاه الى ما صنع مخافة ان امتنع عليه وستعلم وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين واقر الحجاج أخاه المفضل تسعة اشهر ثم عزله وقد قيل ان سبب عزله ان الحجاج لما فرغ من عبد الرحمن بن الاشعث لم يكن له هم الا يزيد بن المهلب وأهل بيته وقد كان اذل أهل العراق كلهم الا آل المهلب ومن معهم بخراسان ويخوفه على العراق وكان يبعث اليه ليأتيه فيعتل عليه بالعدو والحروب فكتب الحجاج الى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد ويخبره بطاعتهم لآل الزبير فكتب اليه عبد الملك بنحو ما تقدم وساق باقي الخبر كما تقدم وقال حضين ليزيد

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فاصبحت مسلوب الامارة نادما

فما أنا بالباكي عليك صبابة * وما أنا بالداعي لترجع سالما

قال فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين ما قلت ليزيد قال قلت

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * فنفسك اول اللوم ان كنت لائما

فان يبلغ الحجاج ان قد عصيته * فانك تلقى امره متفاقما

الآن من النحاس على شكل ثلاث حيات بالمكان المعروف بآت ميدانى فارتفعت بعون الله تعالى وما بقى منها صار ضعيفا كالدود بلا ضرر وهو الذى ابتدأ عمارة أياصوفيا فى المرة الثالثة ولما شرع فى البناء أرسل الى ملوك الاطراف يجمع ما يحتاج اليه البناء وطلب العواميد وكان بحران وهى قرية من اعمال دمشق كنيسة عظيمة القدر بناها النمان كان يتعبد فيها ابراهيم الخليل عليه السلام فيما قيل فهدموها وأرسلوا منها عشرة اعمدة من السماق قيل ان مقطعه بجبل سرنديب وانقطع من الارض بعد الطوفان لان الحجارة كانت كالطين قبله فقطع ما قطع منها ثم يبست وازدادت صلابة وبقية الاعمدة جى بها من رومية وبلاد الحبشة فلما كملت سقط نحو ثلثها وكان سقوطها ليلة ولادة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك من جهة المحراب وكان الفراغ من بنائها على ما ذكر من تواريخ الروم فى اليوم الحادى عشر من شهر مايس الرومى وهو ايار الذى خمسة آلاف وثمانمائة من

ولا تبلغ الاروى شماريخها العلى * ولا الطير الا نسرها وعقابها
وما خوفت بالذئب ولدان اهلها * ولا نبحت الا النجوم كلابها

في أبيات غيرها فلما فتحها كتب الى الحجاج بالفتح وكان يكتب له يحيى بن يعمر العدواني حليف هذيل انا لقينا العدو فمنحنا الله اكتافهم فقتلنا طائفة واسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس الجبال وعراعر الاودية واهضام الغيطان واثناء الانهار فقال الحجاج من يكتب اليه فقيل يحيى ابن يعمر فكتب اليه بحمله على البريد فقدم اليه أفصح الناس فقال أين ولدت قال بالاهواز قال فهذه الفصاحة من أين قال حفظت من كلام أبي وكان فصيحا قال اخبرني هل يلحن عنبسة بن سعيد قال نعم كثيرا قال ففلان قال نعم قال فاخبرني هل ألحن قال نعم تلحن لحنا خفيا تزيد حرفا وتنقص حرفا وتجعل ان في موضع انّ وانّ في موضع ان قال قد اجلتك ثلاثا فان وجدتك بارض العراق قتلتك فرجع الى خراسان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة غزا عبد الله بن عبد الملك الروم ففتح المصيصة وبنى حصنها ووضع بها ثلثمائة مقاتل من ذوي البأس ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك وبنى مسجدها وحج بالناس هذه السنة هشام ابن اسمعيل وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية وفيها مات عبد الله ابن الحرث بن نوفل الملقب ببة بعمان وكان يسكن البصرة وكان مولده على عهد رسول الله

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين)

(ذكر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث)

لما انصرف عبد الرحمن الى رتبيل من هراة قال له علقمة بن عمرو الاودي ما أريد ان ادخل معك لاني اتخوف عليك وعلى من معك والله لكأني بالحجاج وقد كتب الى رتبيل يرغبه ويرهبه فاذا هو قد بعث بك سلما أو قتلكم ولكن معي خمسمائة قد تبايعنا على ان ندخل مدينة نتحصن بها حتى نعطى الامان أو نموت كراما ولم ندخل الى بلاد رتبيل معه وخرج هؤلاء الخمسمائة وجعلوا عليهم مودودا البصري وقدم عليهم عمارة بن تميم اللخمي فحاصرهم فامتنعوا حتى أمنهم فخرجوا اليه ووفى لهم وتتابعت كتب الحجاج الى رتبيل في عبد الرحمن أن ابعث به الي والا والذي لا اله غيره لاوطئن ارضك ألف الف مقاتل وكان مع عبد الرحمن رجل من تميم يقال له عبيد بن سبيع التميمي وكان رسوله الى رتبيل فخص برتبيل وخف عليه فقال القاسم بن محمد بن الاشعث لاخيه عبد الرحمن اني لا آمن غدر هذا التميمي فاقتله فهم به فخافه عبيد ووشى به الى رتبيل وخوفه الحجاج ودعاه الى الغدر بابن الاشعث وقال له أنا آخذ لك من الحجاج عهدا ليكفن عن أرضك سبع سنين على ان تدفع اليه عبد الرحمن فأجابه الى ذلك فخرج عبيد الى عمارة سرا فذكر له ما استقر مع رتبيل وما بذل له وكتب عمارة الى الحجاج بذلك وأجابه اليه أيضا وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن الى الحجاج وقيل ان عبد الرحمن كان قد أصابه السل فمات وأرسل رتبيل اليه فقطع رأسه قبل ان يدفن وارسله الى الحجاج وقد قيل ان رتبيل لما صالح عمارة بن تميم اللخمي على ابن الاشعث كتب عمارة الى الحجاج بذلك فاطلق له خراج بلاده عشر سنين فأرسل رتبيل الى عبد الرحمن وثلاثين من أهل بيته فحضروا فقيدهم وارسلهم الى عمارة فالقى عبد الرحمن نفسه من سطح قصر فمات

فاستتر

السلوك فردم وقيل كان دار ملكهم اذ ذاك بالمكان المعروف الآن بيدي قلة وهي أول ما بني من المدينة ويقال ان هذه البلدة عمرت ثلاث مرات قبل هذه وهي رابعة في المدة الاولى خربت بالزلزلة أولا وآخرا ولم يسلم من أهلها الا من كان خارجا عنها وبقيت زمانا طويلا وموضعها موحش ثم انهم عمروها ثانيا بالاستحكام وجعلوا لها اقبية تحت الارض خوفا من الزلزلة وبعضها باق الى هذه الايام ثم حدث بها وباء عظيم في عام لم يفلت منه الا القليل ثم ان بعض الملوك حشد الناس اليها من الاطراف ورفع عنهم الخراج وعاملهم بالعدل والانصاف فعمرت ثالثا واجتمع فيها طوائف كثيرة من الناس واشتهرت ثم ظهر بها انواع من الحيات والثعابين فاهلكت أكثر الناس والمواشي وهرب من سلم من الباقين وبقيت خالية برهة من الدهر لا يأتيها أحد من البر ولا من البحر ثم ان بعض السلاطين وهو يانتو بن مازيالي أحد اجداد قسطنطين اصطنع طلسما لدفع تلك الآفات ولعله الموجود

قال لا اخرج حتى يكون الحصن بيتي أو قبري وقاتلهم فقتل منهم عدة وهرب الباقون واستولى موسى عليها وأخرج ترمذ شاه منها ولم يعرض له ولا الى أصحابه فأتوا الترك يستنصرونهم على موسى فلم ينصروهم وقالوا لا نقاتل هؤلاء وأقام موسى بترمذ فأتاه جمع من أصحاب أبيه فقوي بهم فكان يخرج فيغير على ما حوله ثم ولي بكير بن وساج خراسان فلم يعرض له ثم قدم امية فسار بنفسه يريد مخالفة بكير فرجع على ما تقدم ذكره ثم ان أمية وجه الى موسى بعد صلح بكير رجلا من خزاعة في جمع كثير وعاد أهل ترمذ الى الترك فاستنصروهم وأعلموهم انه قد غزاه قوم من العرب وحصروه فسارت الترك في جمع كثير الى الخزاعي فاطاف بموسى الترك والخزاعي فكان يقاتل الخزاعي أول النهار والترك آخر النهار فقاتلهم شهرين أو ثلاثة ثم انه أراد أن يبيت الخزاعي وعسكره فقال له عمرو بن خالد بن حصين الكلابي ليكن البيات بالعجم فان العرب أشد حذرا وأجرأ على الليل فاذا فرغنا من العجم تفرغنا للعرب فاقام حتى ذهب ثلث الليل وخرج موسى في أربعمائة وقال لعمرو بن خالد اخرج بعدنا فكن أنت ومن معك قريبا فاذا سمعتم تكبيرنا فكبروا ثم سار حتى ارتفع فوق عسكر الترك ورجع اليهم وجعل اصحابه ارباعا وأقبل اليهم فلما رآهم أصحاب الارصاد قالوا من أنتم قالوا عابر سبيل فلما جاوزوا الرصد حملوا على الترك وكبروا فلم يشعر الترك الا بوقع السيوف فيهم فساروا يقتل بعضهم بعضا وولوا فأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا وحووا عسكرهم وأصابوا سلاحا كثيرا ومالا واصبح الخزاعي واصحابه وقد كسرهم ذلك فخافوا مثلها فقال عمرو بن خالد لموسى انا لا نظفر الا بمكيدة ولهم امداد وهم كثيرون فدعني آته لعلي أصيب فرصة فاضربني وخلالنذم فقال له موسى تتعجل الضرب وتتعرض للقتل قال أما التعرض للقتل فانا كل يوم متعرض له واما الضرب فما أيسره في جنب ما أريد فضربه موسى خمسين سوطا فخرج من عسكر موسى واتى عسكر الخزاعي مستأمنا وقال انا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم فلما قتل أتيت ابنه فكنت معه وانه اتهمني وقال قد تعصبت لعدونا وانت عين له فضربني ولم آمن القتل فهربت منه فأمنه الخزاعي واقام معه فدخل يوما وهو خال ولم ير عنده سلاحا فقال كانه ينصح له اصلح الله الامير ان مثلك في مثل هذه الحال لا ينبغي ان يكون بغير سلاح قال ان معي سلاحا فرفع طرف فراشه فاذا سيف منتضى فاخذه عمرو فضربه حتى قتله وخرج فركب فرسه وأتى موسى وتفرق ذلك الجيش واتى بعضهم موسى مستأمنا فأمنه ولم يوجه اليه امية احدا وعزل امية وقدم المهلب اميرا فلم يتعرض لموسى وقال لبنيه اياكم وموسى فانكم لا تزالون ولاة خراسان ما دام هذا الثط بمكانه فان قتل فاول طالع عليكم امير على خراسان من قيس فلما مات المهلب وولي يزيد لم يتعرض أيضا لموسى وكان المهلب قد ضرب حريث بن قطبة الخزاعي فخرج هو واخوه ثابت الى موسى فلما ولي يزيد بن المهلب اخذ أموالهما وحرمهما وقتل اخاهما لامهما الحرث بن منقذ فخرج ثابت الى طرخون فشكا اليه ما صنع به وكان ثابت محببا الى الترك بعيد الصوت فيهم فغضب له طرخون وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارا والصغانيان فقدموا مع ثابت الى موسى وقد اجتمع الى موسى فل عبد الرحمن بن العباس من هراة وفل ابن الاشعث من العراق ومن ناحية كابل فاجتمع معه ثمانية آلاف فقال له ثابت وحريث سر حتى تقطع النهر وتخرج

وكان ملكه الى ان هلك أربع عشرة سنة وقيل ان في ايامه استيقظ اصحاب الكهف من رقدتهم حسب ما أخبر الله عز وجل عنهم انهم بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة وهي مدينة افسيس من أرض الروم وللناس من عني بعلم الفلك وازورار الشمس عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها اوضعهم من الشمال كلام كثير ثم ملك بعده (أونيانوس) ثلاث سنين ثم ملك بعده (خرطيانوس) ثلاث سنين أيضا ثم ملك بعده (تاودوسيوس) تسعا وأربعين سنة ثم ملك بعده (ارقاديوس) بقسطنطينية وشريكه (أونوريوس) برومية ثلاث عشرة سنة ثم ملك بعدهما (تاودوسيوس) الثاني عشرين سنة وفي ايامه غزا فارس الروم ثم ملك بعده (مرقيانوس) سبع سنين وهو الذي بنى دير مران بحمص ثم ملك بعده (والنطيس) سنة واحدة ثم ملك بعده (اليون) ثماني عشرة سنة ثم ملك بعده (لاون) الكبير سبع عشرة سنة وفي ايامه كثر الخسف في انطاكية بالزلازل ثم ملك بعده (اليونان) ثاني

قال فما الذي أمرته به قال أمرته ان لا يدع صفراء ولا بيضاء الا حملها الى الامير قال بعضهم فوجده قتيبة فارسا وقيل كتب الحجاج الى يزيد اغز خوارزم فكتب انها قليلة السلب شديدة الكلب فكتب اليه الحجاج استخلف واقدم فكتب انى اريد ان اغزو خوارزم فكتب الحجاج لا تغزها فانها كما ذكرت فغزا ولم يطعه فصالحه أهلها وأصاب سبيا وقفل فى الشتاء واصاب الناس برد فاخذوا ثياب الاسرى فمات ذلك السبى فكتب اليه الحجاج ان اقدم فسار اليه فكان لا يمر ببلد الا فرش أهلها الرياحين (حضين بن المنذر بالحاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة المفتوحة وآخره نون)

(ذكر غزو المفضل باذغيس واخرون)

لما ولى المفضل خراسان غزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه فأصاب كل رجل ثمانمائة ثم غزا آخرون وشومان فغنم وقسم ما أصاب ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاء شئ وان غنم شيأ قسمه بينهم

(ذكر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم)

فى هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ وكان سبب مصيره الى ترمذ ان أباه لما قتل من قتل من بنى تميم وقد تقدم ذكر ذلك تفرق عنه أكثر من كان معه منهم فخرج الى نيسابور وخاف بنى تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى خذ ثقلى واقطع نهر بلخ حتى تلتجئ الى بعض الملوك والى حصن تقوم فيه فرحل موسى عن مرو فى عشرين ومائتى فارس واجتمع اليه تتمة أربعمائة وانضم اليه قوم من بنى سليم فأتى زم فقاتله أهلها فظفر بهم فأصاب مالا وقطع النهر وأتى بخارا فسأل صاحبها ان يلجأ اليه فأبى وخافه وقال رجل فاتك وأصحابه مثله فلا آمنه ووصله وسار فلم يأت ملكا يلجأ اليه الا كره مقامه عنده فأتى سمرقند فأقام بها وأكرمه ملكها طرخون وأذن له فى المقام وأقام ما شاء الله ولاهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم وخل وخبز وابريق شراب وذلك كل عام يوما يجعلون ذلك لفارس الصغد فلا يقربه غيره فان أكل منه أحد بارزه فأيهما قتل صاحبه فالمائدة له فقال رجل من أصحاب موسى ما هذه المائدة فأخبر فجلس فأكل ما عليها وقيل لصاحب المائدة فجاء مغضبا وقال يا عربى بارزنى فبارزه فقتله صاحب موسى فقال ملك الصغد انزلتكم وأكرمتكم فقتلتم فارسى لولا انى امنتك وأصحابك لقتلتكم اخرجوا عن بلدى فخرجوا فأتى كش فصعف صاحبها عنه فاستنصر طرخون فأتاه فخرج موسى اليه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس فقاتلهم حتى امسوا وتحاجزوا وباصحاب موسى جراح كثيرة فقال لزرعة بن علقمة احتل لنا على طرخون فأتاه فقال أيها الملك ما حاجتك الى ان تقتل موسى وتقتل من معه فانك لا تصل اليه حتى تقتلوا عدتهم ولو قتلته واياهم جميعا فانه خطأ لان له قدرا فى العرب فلا يأتى أحد خراسان الا طالبك بدمه فقال ليس لى الى ترك كش فى يده سبيل قال فكف عنه حتى يرتحل فكف وسار موسى فأتى ترمذ وبها حصن يشرف على جانب النهر فنزل موسى خارج الحصن وسأل ترمذشاه ان يدخله حصنه فأبى فاهدى له موسى ولاطفه حتى حصل بينهما مودة وخرج فتصيد معه فصنع صاحب ترمذ طعاما وأحضر موسى ليأكل معه ولا يحضر الا فى مائة من أصحابه فاختار موسى مائة من أصحابه فدخلوا الحصن وأكلوا فلما فرغوا قال له اخرج

هبوط آدم عليه السلام الى الارض ثم بنى قسطنطين بعده مدينة بعلبك وكان أهلها كفارا يتشاركون فى النساء ولم يخلص لاحد منهم نسب وبنى بانطاكية هيكلا فلنرجع الان الى ما كنا بصدده من بيان أخبار ملوك الروم ولما مات قسطنطين انقسمت مملكته بين بنيه الثلاثة وكان الحاكم عليهم (قسطس) وهو ابن الملك الماضى فكان ملكه أربعا وعشرين سنة وبنى كنائس وشيد دين النصرانية ثم خرج الملك عن أولاد قسطنطين ثم ملك بعده ابن عمه (اليانس) فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وغزا العراق فى ملك سابور بن اردشير بن بابك فى جنود لا تحصى فقهره ثم قتل فى أرض فارس بسهم أصابه من سهام العرب فكان ملكه الى ان هلك سنتين ثم ملك بعده (يوبيانوس) فشيد دين النصرانية وردها الى ما كانت عليه ومنع من عبادة الاوثان والتماثيل فكان ملكه سنة واحدة ثم ملك بعده (أواليس) وكان على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك فى بعض حروبه

وارسل طرخون الى موسى أن كف أصحابك فانا نرحل اذا أصبحنا فرجع موسى وارتحل طرخون والعجم جميعا فكان أهل خراسان يقولون ما رأينا مثل موسى ولا سمعنا به قاتل مع ابيه سنتين ثم خرج يسير في بلاد خراسان فاتى ملكا فغلب على مدينته وأخرجه منها وسار الجنود من العرب والترك اليه وكان يقاتل العرب اول النهار والترك آخر النهار وأقام موسى في الحصن خمس عشرة سنة وصار ما وراء النهر لموسى لا ينازعه فيه احد فلما عزل يزيد بن المهلب وولى المفضل أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله فسير عثمان بن مسعود اليه في جيش وكتب الى مدرك بن المهلب وهو ببلخ يأمره بالمسير معه فعبر النهر في خمسة عشر ألفا فكتب الى السبل والى طرخون فقدموا عليه فحصروا موسى وضيقوا عليه وعلى اصحابه فمكث شهرين في ضيق وقد خندق عثمان عليه وحذر البيات فقال موسى لاصحابه اخرجوا بنا حتى متى نصبر فاجعلوا يومكم معهم اما ظفرتم واما قتلتم واقصدوا الترك فخرجوا وخلف النضر بن سليمان ابن عبد الله بن خازم في المدينة وقال له ان قتلت فلا تدفعن المدينة الى عثمان وادفعها الى مدرك ابن المهلب وخرج وجعل ثلث اصحابه بازاء عثمان وقال لا تقاتلوه الا ان يقاتلكم وقصد لطرخون واصحابه فصدقوهم القتال فانهزم طرخون وأخذوا عسكرهم وزحفت الترك والصغد فحالوا بين موسى والحصن فقاتلهم فعقر وافرسه فسقط فقال لمولى له احملني فقال الموت كريه ولكن ارتدف فان نجونا نجونا جميعا وان هلكنا هلكنا جميعا قال فارتدف فلما نظر اليه عثمان حين وثب قال وثبة موسى ورب الكعبة وقصد الى موسى وعقرت دابة موسى فسقط هو ومولاه فقتلوه ونادى منادي عثمان من لقيتموه فخذوه أسيرا ولا تقتلوا أحدا فقتل ذلك اليوم من الاسرى خلقا كثيرا من العرب خاصة فكان يقتل العربي ويضرب المولى ويطلقه وكان فظا غليظا وكان الذي أجهز على موسى واصل بن طيسلة العنبري وبقيت المدينة بيد النضر بن سليمان فلم يدفعها الى عثمان وسلمها الى مدرك بن المهلب وأمنه فسلمها مدرك الى عثمان وكتب المفضل الى الحجاج بقتل موسى فقال العجب منه أكتب اليه بقتل ابن سبرة فيكتب الى انه لمآبه ويكتب الى انه قد قتل موسى بن عبد الله بن خازم ولم يسره قتل موسى لانه من قيس وقتل موسى سنة خمس وثمانين وضرب رجل من الجند ساق موسى فلما ولى قتيبة قال ما دعاك الى ما صنعت بفتى العرب بعد موته قال كان قتل أخي فامر به فقتل

(ذكر موت عبد العزيز بن مروان والبيعة للوليد بولاية العهد)

كان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز من ولاية العهد ويبايع لابنه الوليد ابن عبد الملك فنهاه عن ذلك قبيصة بن ذؤيب وقال لا تفعل فانك تبعث على نفسك صوت عار ولعل الموت يأتيه فكف عنه ونفسه تنازعه الى خلعه فدخل عليه روح بن زنباع وكان اجل الناس عند عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انتطح فيه عنزان وانا أول من يجيبك الى ذلك قال نصبح ان شاء الله ونام روح عند عبد الملك فدخل عليهما قبيصة بن ذؤيب وهما نائمان وكان عبد الملك قد تقدم الى حجابه ان لا يحجبوا قبيصة عنه وكان اليه الخاتم والسكة تأتيه الاخبار قبل عبد الملك والكتب فلما دخل سلم عليه قال آجرك الله في عبد العزيز أخيك قال هل توفي قال نعم فاسترجع ثم اقبل على روح وقال كفانا الله ما كنا نريد وكان ذلك مخالفا لك

وقد وقع التنازع في مولد النبي صلى الله عليه وسلم في عصر من كان من ملوك الروم فالذي ذكره اصحاب الزيجات في كتبهم ومن اعتنى بتاريخ الروم من سلف وخلف ان ملك الروم كان في وقت ظهور الاسلام وايام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما هرقل وفي كتب السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر كان الملك قيصر بن نوث ويؤيد ذلك ما ذكره الشيخ الاكبر في مسامراته بسند متصل الى محمد بن كعب القرظي قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي الى قيصر وكتب معه اليه كتابا يدعوه الى الاسلام فلقيه دحية بحمص وقيصر ماش من قسطنطينية فلما لقيه أعطاه الكتاب ففتحه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم السلام على من اتبع الهدى أما بعد يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون

يزيد عن خراسان ونوليك منهم ان تفعل فقال له أصحابه ان أخرجت يزيد عن خراسان تولى
ثابت وأخوه خراسان وغلباك عليها فلم يسر وقال لثابت وحريث ان أخرجنا يزيد قدم عامل
لعبد الملك ولكنا نخرج عمال يزيد عما وراء النهر ويكون لنا فأخرجوا عمال يزيد عما وراء النهر
وجبوا الاموال فقوى أمرهم وانصرف طرخون ومن معه واستبد ثابت وحريث بتدبير
الامر والامير موسى ليس له غير الاسم فقيل لموسى ليس لك من الامر شئ والامر الى ثابت
وحريث فاقتلهما وتول الامر فأبى فألحوا عليه حتى أفسدوا قلبه عليهما وهم بقتلهما فانهم
لفي ذلك اذ خرج عليهم الهياطلة والتبت والترك في سبعين ألفا لا يعدون الحاسر ولا صاحب
البيضة الجماء ولا يعدون الا صاحب بيضة ذات قونس فخرج ابن خازم وقاتلهم فيمن معه
ووقف ملك الترك على تل في عشرة آلاف في أكمل عدة والقتال أشد ما كان فقال موسى ان
أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشئ فقصدهم حريث بن قطبة فقاتلهم وألح عليهم حتى أزالهم
عن التل ورمى حريث بنشابة في جبهته وتحاجز بينهم موسى وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن
خازم حتى وصل الى شمعة ملكهم فوجأ رجلا منهم بقبيعة سيفه فطعن فرسه فاحتمله الفرس
فألقاه في نهر بلخ فغرق وقتل من الترك خلق كثير ونجا من نجا منهم بشر ومات حريث بعد يومين
ورجع موسى وحمل معه الرؤس فبنى منها جوسقين وقال اصحاب موسى قد كفينا أمر حريث
فاكفنا أمر ثابت فأبى وبلغ ثابتا بعض ما يخوضون فيه فدس محمد بن عبد الله الخزاعي عم
نصر بن عبد الحميد عامل أبي مسلم على الري على موسى وقال اياك ان تتكلم بالعربية وان سألوك
فقل انا من سبي الباميان ففعل ذلك واتصل بموسى وكان يخدمه وينقل الى ثابت خبرهم
فحذر ثابت وألح القوم على موسى فقال لهم ليلة لقد أكثرتم علي وفيما تريدون هلاككم فعلى
أي وجه تقتلونه ولا أغدر به قال له أخوه نوح اذا أتاك غدا عدلنا به الى بعض الدور فضربنا
عنقه فيها قبل ان يصل اليك فقال والله انه هلاككم وانتم اعلم فخرج الغلام فأتى ثابتا فأخبره
فخرج من ليلته في عشرين فارسا ومضى واصبحوا فلم يروه ولم يروا الغلام فعلموا انه كان عينا له
ونزل ثابت بحوشرا واجتمع اليه خلق كثير من العرب والعجم فأقبل موسى اليه وقاتله وتحصن
ثابت بالمدينة وأتاه طرخون معينا له فرجع موسى الى ترمذ وأقبل ثابت وطرخون ومعهما أهل
بخارا ونسف وكش فاجتمعوا في ثمانين ألفا فحصروا موسى حتى جهد هو واصحابه فلما اشتد
عليهم قال يزيد بن هذيل والله لاقتلن ثابتا أو لأموتن فخرج الى ثابت فاستأمنه فقال له ظهير
أنا اعرف بهذا منك ما أتاك الا بغدره فاحذره فأخذ ابنيه قدامة والضحاك رهنا فكانا في
يد ظهير وأقام يزيد يلتمس غرة ثابت لم يقدر على ما يريد حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعي فخرج
ثابت اليه ليعزيه وهو بغير سلاح وقد غابت الشمس فدنا يزيد من ثابت فضربه على رأسه فوصل
الى الدماغ وهرب فسلم وأخذ طرخون قدامة والضحاك ابني يزيد فقتلهما وعاش ثابت سبعة
ايام ومات وقام بامر العجم بعد موت ثابت طرخون وقام ظهير بامر اصحاب ثابت فقاما قياما
ضعيفا وانتشر أمرهم واجمع موسى على بياتهم وأخبر طرخون بذلك فضحك وقال موسى
يعجز أن يدخل متوضأه فكيف يبيتنا لا يحرس الليلة احد فخرج موسى في ثمانمائة وجعلهم ارباعا
وبيتهم وكان لا يمر بشئ الا ضربوه من رجل ودابة وغير ذلك فلبس نيزك سلاحه ووقف

عشرة سنة ثم ملك بعده
(اسطينوس) سبعا
وعشرين سنة وهو الذي
بنى اسوار مدينة حماه
وفرغ من عمارتها في سنتين
وفي زمانه أصاب الناس
جوع شديد من الجراد
ثم ملك بعده (توتسطينوس)
تسع سنين ثم ملك بعده
(توتسطينوس) الثاني ثمانيا
وثلاثين سنة وكثرت
الحروب في أيامه بين
الفرس والروم ثم ملك بعده
(موريقيس) عشرين
سنة وهو الذي نصر كسرى
ابرويز على بهرام وأحرق
مدينة افامية ثم ملك بعده
(طبريوس) ثلاث سنين ثم
ملك بعده (ماريقوس)
ثماني سنين ثم ملك بعده
(برقوس) اثنتي عشرة سنة
ثم ملك بعده (قوقاس)
ثماني سنين ثم ملك بعده
(هرقل) واسمه بالرومي
ارقليس وكانت الهجرة
النبوية في السنة الثالثة
عشرة من ملكه وكانت
مدة ملكه خمس عشرة سنة
وهو الذي ضرب الدنانير
والدراهم الهرقلية وكان
مقر سلطنته مدينة انطاكية

(الفصل التاسع في ذكر ملوك الروم بعد ظهور الاسلام وقبل استيلاء الاروام)

وسلم أربع سنين

(ثم دخلت سنة ست وثمانين)

(ذكر وفاة عبد الملك)

في هذه السنة توفي عبد الملك بن مروان منتصف شوال وكان يقول أخاف الموت في شهر رمضان فيه ولدت وفيه فطمت وفيه جمعت القرآن وفيه بايع لي الناس فمات للنصف من شوال حين أمن الموت في نفسه وكان عمره ستين سنة وقيل ثلاثا وستين سنة وكانت خلافته من لدن قتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال وقيل وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما ولما اشتد مرضه قال بعض الاطباء ان شرب الماء مات فاشتد عطشه فقال يا وليد اسقني ماء قال لا أعين عليك فقال لابنته فاطمة اسقيني ماء فمنعها الوليد فقال لتدعنها أو لأخلعنك فقال لم يبق بعد هذا شئ فسقته فمات ودخل الوليد عليه وابنته فاطمة عند رأسه تبكي فقال كيف أمير المؤمنين قال هو أصلح فلما خرج قال عبد الملك

ومستخبر عنا يريد لنا الردى * ومستخبرات والدموع سواجم

واوصى بنيه فقال أوصيكم بتقوى الله فانها أزين حلية واحصن كهف ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه نابكم الذي عنه تفترون ومجنكم الذي عنه ترمون واكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم المنابر ودوخ لكم البلاد وأذل الاعداء وكونوا بني أم بررة لا تدب بينكم العقارب وكونوا في الحرب احرارا فان القتال لا يقرب منية وكونوا للمعروف منارا فان المعروف يبقى أجره وذكره وضعوا معروفكم عند ذوي الاحساب فانهم أصون له واشكر لما يؤتى اليهم منه وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا فاقيلوا وان عادوا فانتقموا ولما توفي دفن خارج باب الجابية وصلى عليه الوليد فتمثل هشام

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال الوليد اسكت فانك تتكلم بلسان شيطان الاقات كما قال أوس بن حجر

اذا مقرم منا ذرى حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقرم

وقيل ان سليمان تمثل بالبيت الاول وهو الصحيح لان هشاما كان صغيرا له أربع عشرة سنة وقد رثى الشعراء عبد الملك كثير عزة وغيره فما قيل فيه

سقاك ابن مروان من الغيث مسبل * أجش سماكي يجود ويهطل

فما في حياة بعد موتك رغبة * لحر وان كنا الوليد نؤمل

(ذكر نسبه وأولاده وأزواجه)

أما نسبه فهو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وامه عائشة بنت معاوية بن الوليد بن المغيرة بن أبي العاص بن امية واما اولاده وازواجه فمنهم الوليد وسليمان ومروان الاكبر درج وعائشة امهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحرث ابن زهير بن خزيمة العبسية ومنهم يزيد ومروان ومعاوية درج وام كلثوم وامهم عاتكة بنة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ومنهم هشام وامه ام هشام بنت اسمعيل بن هشام بن الوليد

اليه ونسأله الشام ان لا يطأها فقال كيف نسأله ملكك الذي تحت رجلك وهو هنالك لا يملك من ذلك شيأ فانى أضعف منك فقال للروم أليس تعلمون ان بين عيسى وبين الساعة نبيا بشركم به عيسى عليه السلام كنتم ترجون ان يجعله الله منكم فجعله في غيركم وهي رحمة الله يضعها حيث شاء فلما رأى مما نعتهم واباءهم خاف على ذهاب ملكه منهم وصمت عنهم ثم قال يا معشر الروم دعاكم ملككم لينظر كيف صلابتكم في دينكم فدعوا له ونخروا له سجدا ورجعنا الى ما نحن بصدده فلما هلك قيصر ملك بعده ابنه (قيصر) وذلك في ايام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم ملك بعده (هرقل ابن قيصر) في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي حاربه امراء الاسلام حين فتحوا بلاد الشام مثل ابي عبيدة وخالد ابن الوليد وغيرهم حتى أخرجوهم وكان الملك على الروم (صورق بن هرقل) في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وايام معاوية بن

ياقبيصة فقال قبيصة يا أمير المؤمنين ان الرأى كله فى الاناة فقال عبد الملك وربما كان فى العجلة خير كثير رأيت أمر عمرو بن سعيد ألم تكن العجلة فيه خيرا من الاناة وكانت وفاة عبد العزيز فى جمادى الاولى فى مصر فضم عبد الملك عمله الى ابنه عبد الله بن عبد الملك وولاه مصر وقيل ان الحجاج كتب الى عبد الملك يزين له بيعة الوليد وأوفد فى ذلك وفدا فلما أراد عبد الملك خلع عبد العزيز والبيعة للوليد كتب الى عبد العزيز انى رأيت ان يصير هذا الامر لابن أخيك فأبى فكتب اليه ليجعل الامر له ويجعله له أيضا من بعده فكتب اليه عبد العزيز انى أرى فى ابنى أبى بكر ما ترى فى الوليد فكتب اليه عبد الملك ليحمل خراج مصر فاجابه عبد العزيز انى واياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنا لم يبلغها أحد من أهل بيتك الا كان بقاؤه قليلا وانا لا ندرى أينا يأتيه الموت أولا فان رأيت ان لا تفسد على بقية عمرى فافعل فرق له عبد الملك وتركه وقال للوليد وسليمان ان يرد الله ان يعطيكما الخلافة لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك فقال عبد الملك حيث رده عبد العزيز اللهم انه قطعنى فاقطعه فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام رد على أمير المؤمنين أمره فلما أتى خبر موته الى عبد الملك أمر الناس بالبيعة لابنيه الوليد وسليمان فبايعوا وكتب بالبيعة لهما الى البلدان وكان على المدينة هشام بن اسمعيل فدعا الناس الى البيعة فاجابوا الا سعيد بن المسيب فانه أبى وقال لا أبايع وعبد الملك حى فضربه هشام ضربا مبرحا وطاف به وهو فى تبان شعر حتى بلغ رأس الثنية التى يقتلون ويصلبون عندها ثم ردوه وحبسوه فقال سعيد لو ظننت انهم لا يصلبوني ما لبست ثياب مسوح ولكنى قلت يصلبوني فيسترني فبلغ عبد الملك الخبر فقال قبح الله هشاما انما كان ينبغى ان يدعوه الى البيعة فان أبى ان يبايع فيضرب عنقه أو يكف عنه وكتب اليه يلومه ويقول له ان سعيدا ليس عنده شقاق ولا خلاف وقد كان سعيد امتنع من بيعة ابن الزبير وقال لا أبايع حتى يجتمع الناس فضربه جابر بن الاسود عامل ابن الزبير ستين سوطا فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب الى جابر يلومه وقال ما لنا ولسعيد دعه لا تعرض له وقيل ان بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين والاول أصح قبل قدوم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر فلما فارقه وصاه عبد الملك فقال ابسط بشرك وألن كنفك وآثر الرفق فى الامور فهو أبلغ بك وانظر حاجبك وليكن من خير أهلك فانه وجهك ولسانك ولا يقفن أحد ببابك الا أعلمك مكانه لتعلم انت الذى تأذن له أو ترده فاذا خرجت الى مجلسك فابدأ جلساءك بالكلام يأنسوا بك وتثبت فى قلوبهم محبتك واذا انتهى اليك مشكل فاستظهر عليه بالمشاورة فانها تفتح مغاليق الامور المبهمة واعلم ان لك نصف الرأى ولأخيك نصفه ولن يهلك امرؤ عن مشورة واذا سخطت على أحد فأخر عقوبته فانك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردها بعد امضائها والسلام

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة هشام بن اسمعيل المخزومى وكان العامل على العراق والمشرق الحجاج ابن يوسف وفيها غزا محمد بن مروان أرمينية فصاف فيها وشتى وفى هذه السنة مات عمرو بن حريث المخزومى وفيها مات عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدى وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان وثمانين وفيها مات عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف بنى عدى وكان له لما توفى النبى صلى الله عليه

وسلم

وفيه آيات من كتاب الله يدعوه الى الله تعالى ويزهده فى ملكه ويرغبه فى الآخرة ويحذره بطش الله وبأسه فقرأ قيصر الكتاب فقال يا معشر الروم انى لاظن ان هذا هو الذى بشر به عيسى بن مريم عليهما السلام ولو أعلم انه هو لمشيت اليه حتى أخدمه بنفسى لا يسقط ماء وضوئه الا على يدى قالوا ما كان الله ليجعل ذلك فى الاعراب الاميين ويدعنا ونحن أهل الكتاب فارسل يبتغى قوما من أهل الحجاز يسألهم فوجدوا قوما كثيرا بالشام فاحضر بين يديه أبو سفيان وأصحابه كلهم لله ورسوله عدو فقال أخبرنى يا أبا سفيان عن حال هذا الرجل الذى بعث فيكم قال أيها الملك لا يكبر عليك شأنه انا نقول هو ساحر ونقول هو شاعر ونقول هو كاهن قال قيصر كذلك والذى نفسى بيده كان يقال للانبياء قبله فما زال يسألهم وهم يجيبونه حتى قال لهم ما تزيدونى عليه الا بصيرة والذى نفسى بيده ليوشكن ان يغلب على ما تحت قدمى قال يا معشر الروم هلم الى أن نجيب هذا الرجل الى ما دعا

الديوان من الفارسية الى العربية وأول من نهى عن الكلام فى حضرة الخلفاء وكان الناس قبله يراجعونهم واول خليفة بخل وكان يقال له رشح الحجارة لبخله واول من نهى عن الامر بالمعروف فانه قال فى خطبته بعد قتل ابن الزبير ولا يأمرنى احد بتقوى الله بعد مقامى هذا الا ضربت عنقه

(ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك)

فلما دفن عبد الملك بن مروان انصرف الوليد عن قبره فدخل المسجد وصعد المنبر واجتمع اليه الناس فخطبهم وقال انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا الموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة قوموا فبايعوا وكان اول من عزى نفسه وهنأها وكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولى وهو يقول

الله اعطاك التى لافوقها * وقد اراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فبايعه ثم قام الناس لبيعته وقد قيل ان الوليد لما صعد المنبر حمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس لا مقدم لما أخر الله ولا مؤخر لما قدم وهذا كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على انبيائه وحملة عرشه وهو الموت وقد صار الى منازل الابرار ولى هذه الامة بالذى يحق الله عليه فى الشدة على المريب واللين لاهل الحق والفضل واقامة ما أقام الله من منار الاسلام واعلامه من حج البيت وغزو الثغور وشن الغارة على اعداء الله فلم يكن عاجزا ولا مفرطا أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع الفرد أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل وكان جبارا عنيدا

(ذكر ولاية قتيبة خراسان وما كان منه هذه السنة)

وفى هذه السنة قدم قتيبة خراسان أميرا عليها للحجاج فقدمها والمفضل يعرض الجند للغزاة فخطب قتيبة الناس وحثهم على الجهاد ثم عرضهم وسار وجعل بمرو على حربها اياس بن عبد الله ابن عمرو وعلى الخراج عثمان السعيدى فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ وساروا معه فقطع النهر فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه الى بلاده فمضى معه فسلمها اليه لان ملك آخرون وشومان كان يسىء جواره ثم سار قتيبة منها الى آخرون وشومان وهما من طخارستان فصالحه ملكهما على فدية أداها اليه فقبلها قتيبة ثم انصرف الى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ففتح صالح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشت وهى من فرغانة وفتح اخشيكت وهى مدينة فرغانة القديمة وكان معه نصر بن سيار فابلى يومئذ بلاء حسنا وقيل ان قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين فعرض الجند فغزا آخرون وشومان ثم رجع الى مرو وقيل انه أقام السنة ولم يقطع النهر لسبب بلخ فان بعضها كان منتقضا عليه فحاربهم وكان ممن سبى امرأة برمك أبى خالد بن برمك وكان برمك على النوبهار فصارت لعبد الله بن مسلم أخى قتيبة فوقع عليها ثم ان أهل بلخ صالحوه وأمر قتيبة برد السبى فقالت امرأة برمك لعبد الله انى قد علقت منك وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة فاوصى ان يلحق به ما فى بطنها وردت الى برمك فذكر ان ولد عبد الله بن مسلم جاؤا ايام المهدى حين قدم الرى الى خالد فادعوه فقال لهم

وصلوا الى الجزيرة التى فيها القسطنطينية فاقام مسلمة بتلك الجزيرة وبعث الى أهل عملة من بلاد الروم التى افتتحها فى طريقه وأمرهم ان يبنوا له مدينة على فرسخين فى فرسخين فاقاموا فيها وصارت بلاد الروم كلها فى يد مسلمة ما بين الشام الى جزيرة القسطنطينية وجبى اليه الخراج واقاموا يحاصرونها سبع سنين وسمى المدينة التى بناها مدينة القهر لانه قهرهم عليها وهى مدينة غلطه ولقد غرسوا فيها أنواع الفواكه فاثمر فاقاموا اقامة قوم لا يرجعون الى بلادهم وكانوا مع هذا يغزونهم كل يوم وكان البطال معه يقتل من الكفار ما بين الخمسين الى المائة حتى قتل منهم فى تلك الايام نحو ستمائة رجل فلما اشتد الحصار بهم كتب ملك الروم الى مسلمة يطلب منه الصلح وان يعطيه كل سنة عشرة آلاف أوقية فضة وستة آلاف أوقية ذهبا وستة آلاف رملة فلم يرض مسلمة واستمروا واقفين على باب المدينة سبعة أيام لا يقترأ احد منهم ولا يرجع الى مدينتهم وهم يومئذ ستون ألف

ابن المغيرة المخزومية واسمها عائشة ومنهم أبو بكر وهو بكار امه عائشة بنت موسى بن طلحة ابن عبيد الله ومنهم الحكم درج امه أم ايوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان ومنهم فاطمة بنت عبد الملك امها ام المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة ومنهم عبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج لامهات الاولاد وكان له من النساء شقراء بنت مسلم بن حليس الطائى وام أبيها ابنة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وقيل كان عنده ابنة لعلى ابن أبى طالب ولا يصح

(ذكر بعض اخباره)

كان عبد الملك عاقلا حازما أديبا لبيبا عالما قال أبو الزناد كان فقهاء المدينة اربعة سعيد ابن المسيب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب وعبد الملك بن مروان وقال الشعبى ماذا كرت أحدا الا وجدت لى الفضل عليه الا عبد الملك فانى ماذا كرته حديثا الا زادنى فيه ولا شعرا الا زادنى فيه وقال جعفر بن عقبة الخطابى قيل لعبد الملك أسرع اليك الشيب فقال شيبنى ارتقاء المنابر وخوف اللحن وقال عبد الملك ما اعلم أحدا اقوى على هذا الامر منى ان ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ولكن لبخله لا يصلح ان يكون سائسا قال أبو مسهر قيل لعبد الملك فى مرضه كيف تجدك قال أجدنى كما قال الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم الآية وقال المفضل بن فضالة عن أبيه استأذن قوم على عبد الملك بن مروان وهو شديد المرض فدخلوا عليه وقد أسنده خصى الى صدره فقال لهم انكم دخلتم على عند اقبال آخرتى وادبار دنياى وانى تذكرت أرجى عمل لى فوجدتها غزوة غزوتها فى سبيل الله وانا خلو من هذه الاشياء فاياكم واياها أبواب هذه الخبيثة ان تطيفوا بها وقال سعيد ابن عبد العزيز التنوخى لما نزل بعبد الملك بن مروان الموت أمر بفتح باب قصره فاذا قصار يقصر ثوبا فقال ياليتنى كنت قصارا ياليتنى كنت قصارا مرتين فقال سعيد بن عبد العزيز الحمد لله الذى جعلهم يفزعون الينا ولا نفزع اليهم وقال سعيد بن بشير ان عبد الملك حين ثقل جعل يلوم نفسه ويضرب بيده على رأسه وقال وددت انى كنت أكتسب يوما بيوم ما يقوتنى واشتغل بطاعة الله فذكر ذلك لابن حازم فقال الحمد لله الذى جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه وقال مسعود بن خلف قال عبد الملك بن مروان فى مرضه والله وددت انى عبد لرجل من تهامة أرعى غنما فى جبالها وانى لم أل شيأ وقال عمران بن موسى المؤدب يروى ان عبد الملك ابن مروان لما اشتد مرضه قال ارفعونى على شرف ففعل ذلك فتنسم الروح ثم قال يا دنيا ما أطيبك ان طويلك لقصير وان كبيرك لحقير وان كنا منك لفى غرور وتمثل بهذين البيتين

ان تناقش يكن نقاشك يارب عذابا لا طوق لى بالعذاب

أو تجاوز فانت رب صفوح * عن مسئ ذنوبه كالتراب

ويروى ان هذه الابيات تمثل بها معاوية ويحق لعبد الملك ان يحذر هذا الحذر ويخاف فان من يكن الحجاج بعض سيئاته يعلم على أى شئ يقدم عليه قال عبد الملك لسعيد بن المسيب يا ابا محمد صرت أعمل الخير فلا أسر به وأصنع الشر فلا أساء به فقال الآن تكامل فيك موت القلب وكان عبد الملك اول من غدر فى الاسلام وقد تقدم فعله بعمرو بن سعيد وكان اول من نقل

أبى سفيان ثم ملك بعده (قليط بن مورق) بقية ايام معاوية رضى الله عنه واستمر ايام يزيد بن معاوية وايام معاوية بن يزيد وايام مروان بن الحكم ومدة من ايام عبد الملك بن مروان ثم ملك (اليون) فى بقية ايام عبد الملك وايام الوليد بن عبد الملك وايام سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز وكان اضطراب اليون المذكور من أمر مسلمة ابن عبد الملك وغزو المسلمين اياهم برا وبحرا وقصته على ما ذكره الشيخ الاكبر محيى الدين قدس سره فى مسامرة الاخيار ان عبد الملك بن مروان لما جهز ابنه مسلمة الى القسطنطينية لغزو عدو الله اليون ملك الروم انتخب من المسلمين ثمانين ألف رجل من أهل البأس والنجدة وأمره عليهم فتوجهوا نحو بلاد الروم وهم يغيرون الكفار فى طريقهم ويقسمون الغنائم حتى وصلوا الى شاطئ بحر القسطنطينية وهو بحر نيطش فاقاموا هناك ثمانية أشهر حتى هيئوا لهم سفنا فركبوا فيها وقاتلهم أهل المدينة فى البحر ثلاثة أيام حتى

فقال له نيزك وكان يستنصحه يا سليم ما أظن عند صاحبك خيرا كتب الى كتابا لا يكتب الى مثلى فقال له سليم انه رجل شديد فى سلطانه سهل اذا سوهل صعب اذا عوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك فاحسن حالك عنده فقام نيزك مع سليم فصالحه لاهل باذغيس على ان لا يدخلها قتيبة

(ذكر غزو الروم)

قيل وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم فقتل منهم عددا كثيرا بسوسنة من ناحية المصيصة وفتح حصونا وقيل ان الذى غزا فى هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق وحصن الاخرم وحصن بولس وقمقم وقتل من المستعربة نحوا من ألف مقاتل وسبى ذريتهم ونساءهم

(ذكر غزو قتيبة بيكند)

ولما صالح قتيبة نيزك أقام الى وقت الغزو فغزا بيكند سنة سبع وثمانين وهى ادنى مدائن بخارا الى النهر فلما نزل بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم فى جمع كثير وأخذوا الطرق على قتيبة فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه خبر شهرين وأبطأ خبره على الحجاج فاشفق على الجند فامر الناس بالدعاء لهم فى المساجد وهم يقتتلون كل يوم وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر فاعطاه أهل بخارا مالا ليرد عنهم قتيبة فاتاه فقال له سرا من الناس ان الحجاج قد عزل وقد أتى عامل الى خراسان فلو رجعت بالناس كان اصلح فامر به فقتل خوفا من أن يظهر الخبر فيهلك الناس ثم أمر أصحابه بالجد فى القتال فقاتلهم قتالا شديدا فانهزم الكفار يريدون المدينة وتبعهم المسلمون قتلا واسرا كيف شاؤا وتحصن من دخل المدينة بها فوضع قتيبة الفعلة ليهدم سورها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم عاملا وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار خمسة فراسخ نقضوا الصلح وقتلوا العامل ومن معه فرجع قتيبة فنقب سورهم فسقط فسألوه الصلح فلم يقبل ودخلها عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة وكان فيمن أخذوا من المدينة رجل اعور هو الذى استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة أنا أفدى نفسى بخمسة آلاف حريرة قيمتها ألف ألف فاستشار قتيبة الناس فقالوا هذه زيادة فى الغنائم وما عسى ان يبلغ كيد هذا قال لا والله لا يروع بك مسلم أبدا فامر به فقتل وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لا يحصى ولا أصابوا بخراسان مثله فقوى المسلمون وولى قسم الغنائم عبد الله بن والان العدوى أحد بنى ملكان وكان قتيبة يسميه الامين ابن الامين فانه كان أمينا وكان من حديث امانة أبيه ان مسلما الباهلى أبا قتيبة قال لوالان ان عندى مالا أحب ان استودعكه ولا يعلم به أحد قال والان ابعث به مع رجل تثق اليه الى موضع كذا وكذا ومره اذا رأى فى ذلك الموضع رجلا ان يضع المال وينصرف فجعل مسلم المال فى خرج وحمله على بغل وقال لمولى له انطلق بهذا المال الى موضع كذا وكذا فاذا رأيت رجلا جالسا فخل البغل وانصرف ففعل المولى ما أمره وأتى المكان وكان والان قد سبقه اليه وانتظر وابطأ عليه رسول مسلم فظن انه قد بدا له فانصرف وجاء رجل من بنى تغلب فجلس فى ذلك المكان وجاء مولى مسلم فرآه فسلم اليه البغل ورجع فاخذ التغلبى البغل والمال ورجع الى منزله وظن مسلم ان المال قد أخذه والان فلم يسأله حتى احتاج اليه فلقيه فقال مالى فقال ما قبضت شيأ ولا لك عندى مال فكان مسلم يشكوه الى الناس فشكاه يوما والتغلبى جالس فخلا به التغلبى وسأله عن المال فاخبره فانطلق به الى منزله

راكب على فرسه بفزعت الروم من ذلك جزعا شديدا فلما دخل الكنيسة نظر الى صليبهم الاعظم وهو موضوع على كرسى من ذهب وعيناه ياقوتتان حمراوتان وانفه زبرجدة خضراء فلما نظر مسلمة الى الصليب أخذه فوضعه على قربوس سرجه فقال الرهبان لاليون لا ندعه فقال له اليون ان الروم لا ترضى بهذا فخلف ان لا يخرج حتى يأخذه معه فقال أليون للروم دعوه يخرج به وانكم على مثله والا دخل عليكم البطال ان استبطاه فاخذه وخرج وهو راكب وأليون ماش فى خدمته فخرج والصليب على رأس رمحه بعد العصر وكان القوم قد همّوا بالدخول فلما نظروا اليه كبروا تكبيرة واحدة كادت الارض تمور بهم وسروا بالخروج مسلمة سرورا عظيما فارسل أليون له المال الذى عهد به ومعه تاج مرصع فباعوا التاج من بعض بطارقة الروم بمائة الف دينار ثم عرض الناس فكانوا يومئذ اربعة وأربعين الف رجل قد اصابهم الجهد فقسم المال بينهم ثم قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال

مسلم بن قتيبة انه لا بد لكم ان استلحقتموه فقعل ان تزوجوه فتركوه وكان برملك طيبيا

(ذكر عدة حوادث)

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك عن شرطته وحج بالناس هشام بن اسمعيل المخزومي وكان الامير على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وفي ايام عبد الملك مات أسيد بن ظهير الانصاري (أسيد بضم الهمزة وظهير بضم الظاء المعجمة) وفيها مات عمر بن أبي سلمة وهو ابن أم سلمة وفي أيامه مات علقمة بن وقاص الليثي وله صحبة وفي هذه السنة مات قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وولد أول سنة من الهجرة وحنكه النبي صلى الله عليه وسلم وكان على خاتم عبد الملك ابن مروان وكان فقيها وفي أيامه مات سعد بن زيد الانصاري وولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي ايامه مات سلمة ابن أم سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة مات عبد الله بن أبي أوفى الاسلمي وقيل سنة سبع وثمانين شهد الحديبية وخيبر وفي اخر ايامه مات الوليد بن عبادة ابن الصامت الانصاري وولد في آخر زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة توفي لاحق ابن حميد أبو مجاز السدوسي

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين)

(ذكر امارة عمر بن عبد العزيز بالمدينة)

وفي هذه السنة عزل الوليد هشام بن اسمعيل عن المدينة لسبع ليال خلون من ربيع الاول وكانت امارته عليها أربع سنين غير شهر او نحوه وولي عمر بن عبد العزيز المدينة فقدمها واليا في ربيع الاول وثقله على ثلاثين بعيرا فنزل دار مروان وجعل يدخل عليه الناس فسلموا فلما صلى الظهر دعا عشرة من الفقهاء الذين في المدينة عروة بن الزبير وابا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحرث وسليمان ابن يسار والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد فدخلوا عليه فقال انى انما دعوتكم لامر تؤجرون عليه وتكونون فيه اعوانا على الحق لا أريد أن أقطع امرا الا برأيكم أو برأى من حضر منكم فان رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لى ظلامة فاحرج الله على من بلغه ذلك الا بلغنى فخرجوا يجزونه خيرا وافترقوا وكتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز يأمره ان يقف هشام بن اسمعيل للناس وكان سيء الرأى فيه وكان هشام بن اسمعيل يسيء جوار علي بن الحسين فخافه هشام فتقدم علي بن الحسين الى خاصته ان لا يعرض له أحد بكلمة ومر به علي وقد وقف للناس ولم يعرض له فناداه هشام الله أعلم حيث يجعل رسالاته

(ذكر صلح قتيبة ونيزك)

ولما صالح قتيبة ملك شومان كتب الى نيزك طرخان صاحب باذغيس في اطلاق من عنده من أسرى المسلمين وكتب اليه يتهدده فخافه نيزك فاطلق الاسرى وبعثهم اليه وكتب اليه قتيبة مع سليم الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكرة يدعوه الى الصلح والى ان يؤمنه وكتب اليه يحلف بالله ائن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان حتى يظفر به أو يموت دونه فقدم سليم بالكتاب

مقاتل فلما نظر اليون الى ذلك الله فقال لمسلمة ما الذى تريد فقال له مسلمة عزمت ان لا أرجع حتى أدخل مسد ينتك قال له اليون أدخل وحدك ولك الامان فقال له مسلمة نعم على ان آمر البطال وأصحابه ان يقفوا على باب المدينة ولا يغلقون الباب فقال له لك ذلك ففتح الباب ولم يفتح قبل ذلك سبع سنين الا للقتال فوقف البطال داخل عتبة الباب ثابتا لا يزول ولا يتحرك قال مسلمة انى داخل فانظروني على الباب فان صليتم العصر ولم أخرج فالقوا بخيلكم على المدينة فاقتلوا من أصبتم والامير بعدى محمد بن مروان فركب على فرسه الاشهب وعليه ثياب بيض وعمامة متقلدا بسيفين وبيده الرمح فصف له ملك الروم عسكره بالخيل يمينا وشمالا من باب ادرنه الى باب اياصوفيا وهى كنيستهم العظمى كلما مر بقوم نار واخلفه وقد رمقوه بابصارهم وهم متعجبون من شجاعته وشدة جراءته فلم يزل يتقدم حتى وصل الى باب الكنيسة فخرج اليه ملك الروم اليون وقبل يده ودخل الكنيسة وهو

(ذكر غزو نومشكث ورامثنة)

قيل وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم نومشكث واستخلف على مرو أخاه يسار بن مسلم فتلقاه أهلها فصالحهم ثم سار الى رامثنة فصالحه أهلها وانصرف عنهم وزحف اليه الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة في مائتي ألف وملكهم كور مغانون ابن اخت ملك الصين فاعترضوا المسلمين فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم أخا قتيبة وهو على الساقة وبينه وبين قتيبة واوائل العسكر ميل فلما قربوا منه أرسل الى قتيبة يخبره وأدركه الترك فقاتلوه ورجع قتيبة فانتهى الى عبد الرحمن وهو يقاتل الترك وقد كان الترك يظهرون فلما رأى المسلمون قتيبة طابت نفوسهم وقاتلوا الى الظهر وابلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فانهزم الترك ورجع قتيبة فقطع النهر عند ترمذ واتى مرو

(ذكر ما عمل الوليد من المعروف)

وفي هذه السنة كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار وامره ان يعمل الفوارة بالمدينة فعملها واجرى ماءها فلما حج الوليد ورآها اعجبته فامر لها بقوام يقومون عليها وامر اهل المسجد ان يستقوا منها وكتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار ومنع المجذمين من الخروج على الناس واجرى لهم الارزاق

(ذكر عدة حوادث)

وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز ووصل جماعة من قريش وساق معه بدنا واحرم من ذي الحليفة فلما كان بالتنعيم اخبر بأن مكة قليلة الماء وانهم يخافون على الحاج العطش فقال عمر تعالوا ندعو الله تعالى فدعا ودعا معه الناس فما وصلوا البيت الا مع المطر وسال الوادي فخاف اهل مكة من شدته ومطرت عرفة ومكة وكثر الخصب وقيل انما حج هذه السنة عمر بن الوليد بن عبد الملك وكان العمال من تقدم ذكرهم وفيها مات سهل بن سعد الساعدي وقيل بل سنة احدى وتسعين وله مائة سنة وعبد الله بن بسر المازني من مازن بن منصور وكان ممن صلى الى القبلتين وهو آخر من مات بالشام من الصحابة (بسر بضم الباء الموحدة وبالسين المهملة)

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين)

(ذكر غزو الروم)

قيل في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك الروم فافتتح مسلمة حصن عمورية وفتح العباس اذرولية ولقي من الروم جمعا فهزمهم وقيل ان مسلمة قصد عمورية فلقي بها جمعا من الروم كثيرا فهزمهم وافتتح هرقلة وقونية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون

(ذكر غزو قتيبة بخارا)

في هذه السنة اتى قتيبة كتاب الحجاج يامره بقصد وردان خذاه فعبر النهر من زم فلقي الصغد وأهل كش ونسف في طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارا فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان فلقوه في جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملك بخارا فلم يظفر بشيء فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج يخبره فكتب اليه الحجاج ان صورها فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج أن تب الى الله جل ثناؤه مما كان منك واتها من مكان كذا وكذا

بعد قدر المنصور ثم ملك بعده (أليون بن قسطنطين) وكانت امه ارش شريكة معه في الملك لصغر سنه الى ايام هرون الرشيد فماتت وسملت عينا أمه ارش بعد ذلك لاخبار يطول شرحها ثم ملك على الروم بعده (نقفور) بن استبراق وكانت بينه وبين الرشيد مراسلات فاعطى القود من نفسه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد فغزاه الرشيد فنزل على هرقلة وذلك في سنة تسعين ومائة والرشيد في محاصرة حصن هرقلة ومراسلات نقفور المذكور اخبار كثيرة ثم ملك بعد نقفور المذكور ولده استبراق في ايام محمد الامين فلم يزل ملكا حتى غلب على الملك (قسطنطين) بن فلقط وكان في خلافة المأمون ثم ملك بعده (نوفيل) وذلك في خلافة المعتصم وغزاه في فتح عمورية كما مر ثم ملك بعده (ميخائيل) بن نوفيل وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمستعين ثم كان بين الروم تنازع في الملك فملكوا عليهم (نوفيل) بن ميخائيل ثم غلب على الملك (تبيل الصقلي) ولم يكن من اهل بيت الملك فكان ملكه أيام المعتز والمهتدي ثم ملك بعده (أليون) بن تبيل بقية

وسلم المال اليه وأخبره الخبر فكان مسلم يأتى الناس والقبائل فيذكرلهم عذره والان ويخبرهم الخبر قال فلما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع الى مرو

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو امير المدينة وكان على قضاء المدينة ابو بكر بن عمرو ابن حزم وكان على العراق وخراسان الحجاج وكان خليفته على البصرة هذه السنة الجراح بن عبد الله الحكمى وعلى قضائها عبد الله بن اذينة وكان على قضاء الكوفة أبو بكر بن موسى الاشعرى وفيها مات عبيد الله بن عباس بالمدينة وقيل باليمن وكان اصغر من عبد الله بسنة وفيها مات مطرف بن عبد الله بن الشخير فى طاعون الجارف بالبصرة وفيها مات المقدام بن معد يكرب الكندى له صحبة وقيل مات سنة احدى وتسعين وفيها مات امية بن عبد الله بن أسيد (بفتح الهمزة الشخير بكسر الشين والخاء المعجمتين وتشديد الخاء وبعدها ياء)

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين)

(ذكر فتح طوانة من بلاد الروم)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك بلاد الروم وكان الوليد قد كتب الى صاحب ارمينية يامره ان يكتب الى ملك الروم يعرفه ان الخزر وغيرهم من ملوك جبال ارمينية قد اجمعوا على قصد بلاده ففعل ذلك وقطع الوليد البعث على اهل الشام الى ارمينية واكثروا عظم جهازه وسار ونحو الجزيرة ثم عطفوا منها الى بلاد الروم فاقتتلوا هم والروم فانهزم الروم ثم رجعوا فانهزم المسلمون فبقى العباس فى نفر منهم ابن محيريز الجمحى فقال له العباس اين اهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز نادهم ياتوك فنادى العباس يا اهل القرآن فاقبلوا جميعا فهزم الله الروم حتى دخلوا طوانة وحصرهم المسلمون وفتحوها فى جمادى الاولى قيل وفيها ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك

(ذكر عمارة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم)

قيل وفى هذه السنة كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز فى ربيع الاول يأمره بادخال حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يشترى ما فى نواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع ويقول له قدم القبلة ان قدرت وأنت تقدر لمكان اخوالك وانهم لا يخالفونك فمن أبى منهم فقوموا ملكه قيمة عدل واهدم عليهم وادفع الاثمان اليهم فان لك فى عمر وعثمان اسوة فأحضرهم عمر واقرأهم الكتاب فاجابوه الى الثمن فاعطاهم اياه وأخذوا فى هدم بيوت ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى المسجد وقدم عليهم الفعلة من الشام ارسلهم الوليد وبعث الوليد الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ليعمره فبعث اليه ملك الروم مائة ألف مثقال ذهب ومائة عامل وبعث اليه من الفسيفساء باربعين حملا فبعث الوليد بذلك الى عمر بن عبد العزيز وحضر عمر ومعه الناس فوضعوا اساسه وابتدؤا بعمارته قيل وفى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الروم أيضا ففتح ثلاثة حصون أحدها حصن قسطنطين وغزالة وحصن الاخرم وقتل من المستعربة نحو من الف وأخذ الاموال

ايها الناس انى فى غمرات الموت منذ سبع سنين لم اخبركم وكرهت ان افشلكم من قتال عدوكم وقد توفى خليفتكم عبد الملك وولى ابنه الوليد فمات وقد ولى اخوه سليمان بن عبد الملك فبايعوا له فاقاموا بعد ذلك ثلاثة اشهر بالجزيرة حتى اصلحوا سفنهم ثم امر أبا محمد البطال ان يحمل المسلمين فى السفن فلم يزل ذلك دأبه حتى عدى الناس كلهم وبقى مسلمة فى الجزيرة مع مائة فارس فمضى الى باب القسطنطينية فخرج اليه أليون فسلم عليه لم يصافحه مسلمة فقبل أليون رجله وودعه فعبر السفينة هو والمائة فارس ولم يتخلف بالجزيرة منهم احد وتوجهوا نحو بلادهم ففى اثناء الطريق اتاه كتاب عمر بن عبد العزيز بموت سليمان بن عبد الملك وبخلافته وان يقدم بمن معه جميعا فقدموا دمشق فى ثلاثين الفا * رجعنا الى ما نحن بصدده ثم اضطرب ملك الروم بعد أليون فملكوا عليهم رجلا من اهل بيت الملك من اهل مرعش يقال له (جرجين) وكان ملكه تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (قسطنطين) بن أليون وذلك فى خلافة السفاح وابى

تؤخذ فاحرقت نفسها وجواريها وجميع مالها ثم سار الى برهمناباذ العتيقة وهي على فرسخين من المنصورة ولم تكن المنصورة يومئذ كان موضعها غيضة وكان المنهزمون من الكفار بها فقاتلوه ففتحها محمد عنوة وقتل بها بشرا كثيرا وخربت وسار يريد الرور وبغرور فلقيه اهل ساوندرى فطلبوا الامان فاعطاهم اياه واشترط عليهم ضيافة المسلمين ثم اسلم اهلها بعد ذلك ثم تقدم الى بسمد وصالح اهلها ووصل الى الرور وهي من مدائن السند على جبل فحصرهم شهورا فصالحوه وسار الى السكة ففتحها ثم قطع نهر بياس الى الملتان فقاتله اهلها وانهزموا فحصرهم محمد فجاءه انسان ودله على قطع الماء الذي يدخل المدينة فقطعه فعطشوا فالقوا بايديهم ونزلوا على حكمه فقتل المقاتلة وسبى الذرية وسدنة البدوهم ستة آلاف واصابوا ذهبا كثيرا فجمع في بيت طوله عشرة اذرع وعرضه ثمانية اذرع يلقى اليه من كوة في وسطه فسميت الملتان فرج بيت الذهب والفرج الثغر وكان بد الملتان تهدى اليه الاموال ويحج من البلاد ويحلقون رؤسهم ولحاهم عنده ويزعمون ان صنمه هو ايوب النبي صلى الله عليه وسلم وعظمت فتوحه ونظر الحجاج في النفقة على ذلك الثغر فكانت ستين الف الف درهم ونظر في الذي حمل فكان مائة الف الف وعشرين الف الف فقال ربحنا ستين الفا وادركنا ثارنا وراس ذاهر ثم مات الحجاج ونذكر امر محمد عند موت الحجاج ان شاء الله تعالى

(ذكر استعمال موسى بن نصير على افريقية)

في هذه السنة استعمل الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير على افريقية وكان نصير والده على حرس معاوية فلما سار معاوية الى صفين لم يسر معه فقال له ما يمنعك من المسير معي الى قتال على ويدى عندك معروفة فقال لا اشركك بكفر من هو اولى بالشكر منك وهو الله عز وجل فسكت عنه معاوية فوصل موسى الى افريقية وبها صالح الذي استخلفه حسان على افريقية وكان البربر قد طمعوا في البلاد بعد مسير حسان فلما وصل موسى عزل صالحا وبلغه ان باطراف البلاد قوما خارجين عن الطاعة فوجه اليهم ابنه عبد الله فقاتلهم فظفر بهم وسبى منهم ألف رأس وسيره في البحر الى جزيرة ميورقة فنهبها وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالما ووجه ابنه هرون الى طائفة اخرى فظفر بهم وسبى منهم نحو ذلك وتوجه هو بنفسه الى طائفة اخرى فغنم نحو ذلك فبلغ الخمس ستين الف رأس من السبي ولم يذكر احد انه سمع بسبي اعظم من هذا ثم ان افريقية قحطت واشتد بها الغلاء فاستسقى بالناس وخطبهم ولم يذكر الوليد وقيل له في ذلك فقال هذا مقام لا يدعى فيه لاحد ولا يذكر الا الله عز وجل فسقى الناس ورخصت الاسعار ثم خرج غازيا الى طنجة يريد من بقى من البربر وقد هربوا خوفا منه فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا حتى بلغ السوس الادنى لا يدافعه أحد فاستأمن البربر اليه وأطاعوه واستعمل على طنجة مولاه طارق ابن زياد ويقال انه صدفي وجعل معه جيشا كثيفا جلهم البربر وجعل معهم من يعلمهم القرآن والفرائض وعاد الى افريقية فمر بقلعة مجانة فتحصن أهلها منه وترك عليها من يحاصرها مع بشر بن فلان ففتحها فسميت قلعة بشر الى الآن وحينئذ لم يبق له في افريقية من ينازعه وقيل كانت ولاية موسى سنة ثمان وسبعين استعمله عليها عبد العزيز بن مروان وهو حينئذ على مصر لاخيه عبد الملك

أسوس وبنى بها عجائب كثيرة منها انه عمل صنمين من حجر أسود في وسط المدينة اذا قدمها سارق لم يقدر ان يزول عنهما حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطبقا عليه فيؤخذ فهو وبنوه الجبابرة الذين بنوا الاعلام وأقاموا الاساطين العظام ووضعوا الطلسمات واستخرجوا المعادن وقهروا من ناواهم من ملوك الارض وهم الذين حفروا النيل حتى أجروا ماءه اليهم ولم يكن محفورا وانما كان ينبطح ويفترش على وجه الارض فلما مات لطخوا جسده بالادوية الممسكة وجعلوه في تابوت من ذهب ودفنوا معه كنوزه من أنواع الجواهر وزبروا عليها تاريخ الوقت فلما مات ملك بعده ابنه (نقاوش) فتجبر وعلا امره وكان كاتبه في علم الكهانة والطلسمات وبنى مدينة بمصر وسماها باسمه وعمل فيها جنة صفح حيطانها بصفائح الذهب وغرس فيها انواع الفواكه وكان معه شيطان يعمل التماثيل العجيبة وهو اول من عمل بمصر هيكلا وبنى في صحراء الغرب وراء الواحات ثلاث مدن وبنى مدائن ذات عجائب تكل العقول

وكتب اليه ان يكس بكش وانسف نسف ورد وردان وايالك والتحويط ودعني من ثنيات الطريق وقيل انما كان فتح بخارا سنة تسعين على ما نذكره

(ذكر ولاية خالد بن عبد الله القسري مكة)

قيل وفي هذه السنة ولي خالد بن عبد الله القسري مكة فخطب اهلها فقال ايها الناس ايهما اعظم خليفة الرجل على اهله أو رسوله اليهم والله لم تعلموا افضل الخليفة الا ان ابراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحا اجاجا واستسقى الخليفة فسقاه عذبا فراتا يعني بالملح زمزم وبالماء الفرات بئرا حفرها الوليد بثنية طوى في ثنية الحجون وكان ماؤها عذبا وكان ينقل ماءها ويضعه في حوض الى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم فغارت البئر وذهب ماؤها فلا يدرى اين هو اليوم وقيل وليها سنة احدى وتسعين وقيل سنة اربع وتسعين وقد ذكرناه هنالك

(ذكر قتل ذاهر ملك السند)

في هذه السنة قتل محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي يجتمع هو والحجاج في الحكم ذاهر بن صعصعة ملك السند وملك بلاده وكان الحجاج بن يوسف استعمله على ذلك الثغر وسير معه ستة آلاف مقاتل وجهزه بكل ما يحتاج اليه حتى المسال والابر والخيوط فسار محمد الى مكران فاقام بها اياما ثم أتى قنزبور ففتحها ثم سار الى ارمائيل ففتحها ثم سار الى الديبل فقدمها يوم جمعة ووافته سفن كان حمل فيها الرجال والسلاح والاداة فخندق حين نزل الديبل وأنزل الناس منازلهم ونصب منجنيقا يقال له العروس كان يمد به خمسمائة رجل وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل عظيم وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح أطافت بالمدينة وكانت تدور والبد صنم في بناء عظيم تحت منارة عظيمة مرتفعة وفي رأس المنارة هذا الدقل وكل ما يعبد فهو عندهم بد فحصرها وطال حصارها فرمى الدقل بحجر العروس فكسره فتطير الكفار بذلك ثم ان محمدا أتى وناهضهم وقد خرجوا اليه فهزمهم حتى ردهم الى البلد وامر بالسلاليم فنصبت وصعد عليها الرجال وكان اولهم صعودا رجل من مراد من اهل الكوفة ففتحت عنوة وقتل فيها ثلاثة ايام وهرب عامل ذاهر عنها وانزلها محمد اربعة آلاف من المسلمين وبنى جامعها وسار عنها الى البيرون وكان اهلها بعثوا الى الحجاج فصالحوه فلقوا محمدا بالميرة وأدخلوه مدينتهم وسار عنها وجعل لا يمر بمدينة الا فتحها حتى عبر نهرا دون مهران فاتاه أهل سربيدس فصالحوه ووظف عليهم الخراج وسار عنهم الى سهبان ففتحها ثم سار الى نهر مهران فنزل في وسطه وبلغ خبره ذاهر فاستعد لمحاربته وبعث جيشا الى سدوستان فطلب أهلها الامان والصلح فأمنهم ووظف عليهم الخراج ثم عبر محمد مهران مما يلي بلاد راسل الملك على جسر عقده وذاهر مستخف به فلقيه محمد والمسلمون وهو على فيل وحوله الفيلة ومعه التكاكرة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله وترجل ذاهر فقتل عند المساء ثم انهزم الكفار وقتلهم المسلمون كيف شاؤا وقال قاتله

الخيل تشهد يوم ذاهر والقنا * ومحمد بن القاسم بن محمد

انى فرجت الجمع غير معرد * حتى علوت عظيمهم بمهند

فتركته تحت العجاج مجندلا * متعفر الخدين غير موسد

فلما قتل ذاهر غلب محمد على بلاد السند وفتح مدينة راور عنوة وكان بها امرأة لذاهر فخافت ان

أيام المعتز ومدة من خلافة المعتضد ثم هلك فملكهم ابن له يقال له (الاسكندروس) فلم يحمدوا امره فخلعوه وملكوا عليهم اخاه لاوى ابن أليون بن شيل الصقلى فكان ملكه بقية ايام المعتضد والمكتفى ومدة من ايام المقتدر ثم هلك وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فملك وغلب على مشاركته في الملك وذلك في بقية ايام المقتدر وايام القاهر والراضى والمتقى فهذا ما وصل الينا من اخبارهم

(الفصل العاشر في ذكر ماوك مصر قبل الطوفان وما لهم من الآثار والبنيان)

ذكر اهل التاريخ ان بنى آدم عليه السلام لما بغى بعضهم على بعض وتحاسدوا وتغلب عليهم بنو قابيل تحول (نقراوش الجبار) بن مصرايم بن هرمس كابيل بن دوابيل بن عرياب بن آدم عليه السلام في نيف وسبعين رجلا جبابرة يطلبون موضعا ينقطعون فيه عن بنى آدم عليه السلام فلما نزلوا على النيل ورأوا وسعة البلد وحسنه وحسن مائه اقاموا فيه وعمر مدينة مصر وسماها باسم ابيه مصرايم وكان نقراوش ملكا جبارا عنده اعلما بالكهانة والطلسمات وبنى مدينة

قتيبة الى ما طلب وصالح ورجع طرخون الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك (حيان بالحاء المهملة والياء المشددة تحتها نقطتان وآخره نون)

(ذكر غدر نيزك وفتح الطالقان)

قيل لما رجع قتيبة من بخارا ومعه نيزك وقد خاف لما يرى من الفتوح فقال لاصحابه انا مع هذا ولست آمنه فلو استأذنته ورجعت كان الرأى قالوا افعل فاستأذن قتيبة فاذن له وهو بآمل فرجع يريد طخارستان وأسرع السير حتى أتى النوبهار فنزل يصلى فيه ويتبرك به وقال لاصحابه لا اشك ان قتيبة قد ندم على اذنه لى وسيبعث الى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسى وندم قتيبة على اذنه له فارسل الى المغيرة يأمره بحبس نيزك وسار نيزك وتبعه المغيرة فوجده قد دخل شعب خلم فرجع المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب الى أصبهبذ بلخ والى باذان ملك مرو الروذ والى ملك الطالقان والى ملك الفارياب والى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فاجابوه فواعدهم الربيع ان يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه بثقله وماله وسأله ان يأذن له ان اضطر اليه ان يأتيه فاجابه الى ذلك وكان جبغويه ملك طخارستان ضعيفا فاخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب لئلا يخالف عليه وكان جبغويه هو الملك ونيزك عبده فاستوثق منه واخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فبعث اخاه عبد الرحمن بن مسلم فى اثنى عشر الفا الى البروقان وقال اقم بها ولا تحدث شيأ فاذا انقضى الشتاء سر نحو طخارستان واعلم انى قريب منك فسار فلما كان آخر الشتاء كتب قتيبة الى نيسابور وغيرها من البلاد ليقدم عليه الجنود فقدموا قبل اوانهم فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد خلع وطابق نيزك على الخلع فاتاه قتيبة فاوقع باهل الطالقان فقتل من اهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين اربعة فراسخ فى نظام واحد ثم انقضت السنة قبل محاربة نيزك وسنذكر تمام خبره سنة احدى وتسعين ان شاء الله

(ذكر هرب يزيد بن المهلب واخوته من سجن الحجاج)

قيل وفى هذه السنة هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه فى سجن الحجاج وكان الحجاج قد خرج الى رستقاباذ للبعث لان الاكراد كانوا قد غلبوا على فارس وخرج معه يزيد بن المهلب واخوته عبد الملك والمفضل فى عسكره وجعل عليهم كهيئة الخندق وجعلهم فى فسطاط قريب منه وجعل عليهم الحرس من اهل الشام وطلب منهم ستة آلاف الف واخذ يعذبهم فكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان ذلك مما يغيظ الحجاج منه فقيل للحجاج انه رمى فى ساقه بنشابة فثبت نصلها فيه فهو لا يمسها الا صاح فامر ان يعذب فى ساقه فلما فعلوا به ذلك صاح واخته هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعت صوته صاحت وناحت فطلقها الحجاج ثم انه كف عنهم واقبل يستأديهم وهم يعملون فى التخلص فبعثوا الى أخيهم مروان وكان بالبصرة ان يضمر لهم خيلا ويرى الناس انه يريد بيعها لتكون عدة ففعل ذلك وكان أخوه حبيب يعذب بالبصرة أيضا فصنع يزيد للحرس طعاما كثيرا وأمر لهم بشراب فسقوا واشتغلوا به ولبس يزيد ثياب طباخه وخرج وقد جعل له لحية بيضاء فرآه بعض الحرس فقال كأن هذه مشية يزيد فجاء اليه فرأى لحيته بيضاء فى الليل فتركه وعاد فخرج المفضل ولم يفطن له فجاؤا الى سفن معدة فركبها يزيد والمفضل

الناس ثلاثين سنة واستخلف عليهم رجلا من ولد عرياب يقال له عيقام ثم برز لاهل مصر حين احبوا ان ينظروه فعرض نفسه فى صورة هالتهم وملأت قلوبهم رعبا فخروا على وجوههم ثم غاب عنهم ولم يروه بعد ذلك ثم ملك مكانه خليفته عيقام المذكور فعدل فيهم وعمل مدينة عظيمة عجيبة قريب العريش جعلها لهم حرسا وقيل ان ادريس عليه السلام رفع فى زمانه ولم يطل ملكه ثم ملك بعده ابنه عرياق فتجبر واقبل على صيد السباع والوحوش ومن عجائبه انه عمل شجرة من نحاس ذات اغصان واطئها ابدوا حديد فكل وحش يصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس فى ايامه من لحوم الصيد والوحش وقيل ان هاروت وماروت كانا فى ايامه وكان فاسقا يطلب النساء بسحره ويغتصبهن فاحتالت عليه امرأة فسمته ثم ملك بعده (لوجيم بن نقاوش) فلما جلس على سرير الملك ولبس تاج ابيه سار فى الناس بالعدل والاحسان ووفور الشفقة للرعية وفى زمانه كثرت القربان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك الترك من ناحية اذربيجان ففتح حصونا ومدائن هنالك وحج بالناس عمر بن عبد العزيز وكان العمال من تقدم ذكرهم وفي هذه السنة مات عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري حليف بني زهرة وكان مولده قبل الهجرة باربع سنين وقيل ولد سنة ست من الهجرة (صعير بضم الصاد وفتح العين المهملتين) وفيها مات ظليم مولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح بافريقية (ظليم بفتح الظاء المعجمة وكسر اللام)

(ثم دخلت سنة تسعين)

(ذكر فتح بخارا)

قد ذكرنا ورود كتاب الحجاج الى قتيبة يأمره بالتوبة عن انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارا ويعرفه الموضع الذي يأتي البلد منه فلما ورد الكتاب على قتيبة خرج غازيا الى بخارا سنة تسعين فاستجاش وردان خذاه بالصغد والترك من حوله فاتوه وقد سبق اليها قتيبة فحصرها فلما جاءتهم امدادهم خرجوا الى المسلمين يقاتلونهم فقالت الازد اجعلونا ناحية وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة تقدموا فتقدموا وقاتلوهم قتالا شديدا ثم ان الازد انهزموا حتى دخلوا العسكر وركبهم المشركون فحطموهم حتى ادخلوهم عسكرهم وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكروا راجعين فانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشز فقال قتيبة من يزيلهم عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم أحد من العرب فاتى بني تميم فقال لهم يوما كايامكم فاخذ وكيع اللواء وقال يا بني تميم اتسلموني اليوم قالوا لا يا أبا مطرف وكان هريم بن أبي طحمة على خيل تميم ووكيع رأسهم فقال وكيع يا هريم قدم خيلك ودفع اليه الراية فتقدم هريم وتقدم وكيع في الرجالة فانتهى هريم الى نهر بينهم وبين الترك فوقف فقال وكيع تقدم يا هريم فنظر هريم نظر الجمل الهائج الصائل وقال أأقحم الخيل هذا النهر فان انكشفت كان هلاكها يا أحمق فقال وكيع يا ابن اللخناء اترد امري فحذفه بعمود كان معه فعبر هريم في الخيل وانتهى وكيع الى النهر فعمل عليه جسرا من خشب وقال لاصحابه من وطن نفسه على الموت فليعبر والا فليثبت مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة رجل فلما عبر بهم ودنا من العدو قال لهريم اني مطاعنهم فاشغلهم عنا بالخيل فحمل عليهم حتى خالطهم وحمل هريم في الخيل فطاعنوهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى حدروهم من التل ونادى قتيبة ما ترون العدو منهزمين فلم يعبر احد النهر حتى انهزموا وعبر الناس ونادى قتيبة من اتى برأس فله مائة فاتى برؤس كثيرة فجاء يومئذ احد عشر رجلا من بني قريع كل رجل برأس فيقال له من انت فيقول قريعي فجاء رجل من الازد برأس فقيل له من أنت فقال قريعي فعرفه جهم بن زحر فقال كذب والله انه ازدي فقال له قتيبة ما دعاك الى هذا فقال رأيت كل من جاء يقول قريعي فظننت انه ينبغي لكل من جاء برأس ان يقوله فضحك قتيبة وجرح خاقان وابنه وفتح الله عليهم وكتب بالفتح الى الحجاج

(ذكر صلح قتيبة مع الصغد)

لما وقع قتيبة باهل بخارا هابه الصغد فرجع طرخون ملكهم ومعه فارسان فدنا من عسكر قتيبة فطلب رجلا يكلمه فارسل اليه قتيبة حيان النبطي فطلب الصلح على فدية يؤديها اليهم فاجابه

من ذركها وقد ازال الطوفان جميعها وركب هذه الارض الرمال فازال طلسماتها وملك نقاوش مائة وتسع سنين ثم هلك فعمل له ناووس وجعل معه من الاشياء العجيبة ما يطول الامر بذكره وملك بعده أخوه (مصرام) بن نقراوش وكان حكيما في الكهانة والطلسمات فعمل اعمالا عظيمة منها انه ذلل الاسد وركبها ويقال انه ركب عرشه وحملته الشياطين حتى انتهى الى وسط البحر المحيط وجعل فيه قلعة بيضاء وجعل عليها صنم الشمس وزبر عليها اسمه وصفة ملكه وعمل صنما من نحاس وزبر عليه أنا مصرام الجبار وكاشف الاسرار والغالب القهار وضعت الطلسمات الصادقة وأقمت الصور الناطقة ونصبت الاعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدي انه لا يملك أحد ملكي وكان قد عمل في جنته شجرة مولدة يؤكل منها جميع الفواكه واحتجب عن الناس والقي على وجهه من بعد نورا شديدا لا يقدر أحد ان يتمكن من النظر اليه فادعى انه اله وغاب عن

عمره ستا وتسعين سنة وقيل مائة وست سنين وقيل وسبع وقيل وثلاث وفيها مات ابو العالية الرياحي في شوال وفيها توفي نصر بن عاصم الليثي النحوي اخذ النحو عن ابي الاسود الدؤلي وقيل مات سنة تسعين

(ثم دخلت سنة احدى وتسعين)

(ذكر تتمة خبر قتيبة مع نيزك)

قد ذكرنا مسير قتيبة الى نيزك وما جرى له بالطالقان وقتل من قتل بها فلما فتح الطالقان استعمل اخاه عمرو بن مسلم وقيل ان ملكها لم يحارب قتيبة فكف عنه وكان بها لصوص فقتلهم قتيبة وصلبهم ثم سار قتيبة الى الفارياب فخرج اليه ملكها مقرا مذعنا فقبل منه ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها رجلا من أهله وبلغ ملك الجوزجان خبرهم فهرب الى الجبال وسار قتيبة الى الجوزجان فلقيه اهلها سامعين مطيعين فقبل منهم ولم يقتل بها احدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني ثم أتى بلخ فلقيه أهلها فلم يقم بها الا يوما واحدا وسار يتبع اخاه عبد الرحمن الى شعب خلم ومضى نيزك الى بغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضائقه ليمنعوه ووضع مقاتلته في قلعة حصينة من وراء الشعب فاقام قتيبة اياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر على دخوله ولا يعرف طريقا يسلكه الى نيزك الا الشعب او مفازة لا تحتملها العساكر فبقي متحيرا فقدم انسان فاستأمنه على ان يدله على مدخل القلعة التي من وراء الشعب فامنه قتيبة وبعث معه رجالا فانتهى بهم الى القلعة من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب فدخل قتيبة الشعب فاتى القلعة ومضى الى سمنجان فاقام بها اياما ثم سار الى نيزك وقدم اخاه عبد الرحمن فارتحل نيزك من منزله فقطع وادي فرغانة ووجه ثقله وامواله الى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن يتبعه فنزل عبد الرحمن حذاء الكرز ونزل قتيبة بمنزل بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فتحصن نيزك في الكرز وليس اليه مسلك الا من وجه واحد وهو صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام واصابهم الجدري وجدر جبغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح فقال انطلق الى نيزك واحتل لتأتيني به بغير امان فان احتال وابى فامنه واعلم اني ان عاينتك وليس هو معك صلبتك قال فاكتب الى عبد الرحمن لا يخالفني فكتب اليه فقدم عليه فقال له ابعث رجالا ليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت انا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب فبعث عبد الرحمن خيلا فكانت هناك وحمل سليم معه اطعمة واخبصة اوقارا واتى نيزك فقال له انك اسأت الى قتيبة وغدرت قال نيزك فما الرأى قال أرى ان تأتيه فانه ليس ببارح وقد عزم على ان يشتو مكانه هلك أو سلم قال نيزك فكيف آتيه على غير امان قال ما اظنه يؤمنك لما في نفسه عليك لانك قد ملأته غيظا ولكني ارى ان لا يعلم حتى تضع يدك في يده فاني ارجو ان يستحي ويعفو قال اني ارى نفسي تابى هذا وهو ان رآني قتلني فقال سليم ما اتيتك الا لاشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت أن تسلم وتعود حالك عنده فاذا ابيت فاني منصرف وقدم سليم الطعام الذي معه ولا عهد لهم بمثله فانتهبه اصحاب نيزك فساءه ذلك فقال له سليم اني لك من الناصحين ارى اصحابك قد جهدوا وان طال بهم الحصار لم آمنهم ان يستأمنوا بك فائت قتيبة فقال لا آمنه على

السلام ولد في زمانه ولده عشرون ولدا وجعل مع كل ولد منهم ناظرا وهو رأس الكهنة وكان يعبد الكواكب فاختفى عن عيون الناس ثم قام بنوه على حالهم كل واحد منهم في قسمته التي اقطعه اياها حتى مضت عليه سبع سنين ثم وقع بينهم تشاجر وخلاف فاجتمع رؤس الكهنة على ان يجعلوا احدهم ملكا ويقيم كل واحد منهم في قسمته فاجتمع امرهم على اكبر اولاده فولوه وهو (تدرسان) فسار بسيرة ابيه وجمع الناس امره فعمل قصرا من خشب ونقشه باحسن النقوش وصور فيه صور الكواكب وجعله على الماء وكان يتنزه عليه فبينما هو يتنزه يوما اذ زاد النيل زيادة عظيمة وهبت ريح عاصفة فوقع القصر وهلك الملك وكانت له امرأة ساحرة من بنات عمه فكتمت عن الناس موت الملك وكانت تخرج امرها ونهيها الى الوزراء عنه فاقام الناس تحت طاعتها تسع سنين لا يعلمون بامر الملك فلما رأى اخوته طول غيبته جمعوا عليها جموعا كثيرة وقدموا على

وعبد الملك وسار واليلتهم حتى اصبحوا فلما اصبحوا علم بهم الحرس فردوا خبرهم الى الحجاج ففزع وظن انهم يفسدون خراسان ليفتنوا بها فبعث البريد الى قتيبة يخبرهم ويامره بالحذر ولما دنا يزيد من البطائح استقبلته الخيل فخرجوا عليها ومعهم دليل من كلب فاخذوا طريق الشام على طريق السماوة واتى الحجاج بعد يومين فقيل له انهم اخذوا طريق الشام فبعث الى الوليد بن عبد الملك يعلمه ثم سار يزيد فقدم فلسطين فنزل على وهيب بن عبد الرحمن الازدي وكان كريما على سليمان بن عبد الملك فجاء وهيب الى سليمان فاعلمه بحال يزيد واخوته وانهم قد استعاذوا به من الحجاج قال فأتني بهم فهم آمنون لا يتوصل اليهم ابدا وانا حي فجاء بهم اليه وكانوا في مكان آمن وكتب الحجاج الى الوليد ان آل المهلب خانوا أمانة الله وهربوا مني ولحقوا بسليمان وكان الوليد قد حذرهم وظن انهم ياتون خراسان للفتنة بها فلما علم انهم عند اخيه سليمان سكن بعض ما به وطار غضبا للمال الذي ذهب به فكتب سليمان الى الوليد ان يزيد عندي وقد آمنته وانما عليه ثلاثة آلاف الف لان الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فادى ثلاثة آلاف الف والذي بقي عليه انا أؤديه فكتب الوليد والله لا أؤمنه حتى تبعث به الى فكتب لئن انا بعثت به اليك لاجيئن معه فكتب الوليد والله لئن جئتني لا أؤمنه فقال يزيد ارسلني اليه فوالله ما احب ان اوقع بينه وبينك عدواة ولا ان يتشاءم الناس بي لكما واكتب معي بالطف ما قدرت عليه فارسله وارسل معه ابنه ايوب وكان الوليد قد امره ان يبعث به مقيدا فقال سليمان لابنه اذا دخلت على امير المؤمنين فادخل انت ويزيد في سلسلة ففعل ذلك فلما رأى الوليد ابن اخيه في سلسلة قال لقد بلغنا من سليمان ودفع ايوب كتاب ابيه الى عمه وقال له يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك ولا تخفر ذمة أبي وانت احق من منعها ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ولا تذل من رجا العز في الانقطاع الينا لعزنا بك فقرأ الوليد كتاب سليمان فاذا هو يستعطفه ويشفع اليه ويضمن ايصال المال فلما قرأ الكتاب قال لقد شققنا على سليمان وتكلم يزيد واعتذر فامنه الوليد فرجع الى سليمان وكتب الوليد الى الحجاج اني لم اصل الى يزيد واهله مع سليمان فاكفف عنهم فكف عنهم وكان ابو عيينة بن المهلب عند الحجاج عليه الف الف فتركها وكف عن حبيب ابن المهلب واقام يزيد بن المهلب عند سليمان يهدي اليه الهدايا ويصنع له الاطعمة وكان لا ياتي يزيد هدية الا بعث بها الى سليمان ولا ياتي سليمان هدية الا بعث بنصفها الى يزيد وكان لا تعجبه جارية الا بعث بها الى يزيد

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الروم ففتح الحصون الخمس التي بسورية وغزا عباس بن الوليد حتى بلغ ارزن وبلغ سورية وفيها استعمل الوليد بن عبد الملك قرة بن شريك على مصر وعزل اخاه عبد الله بن عبد الملك وفيها اسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر فاهداه ملكهم الى الوليد وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وكان اميرا على مكة والمدينة والطائف وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعامله على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمي وعلى قضائها عبد الرحمن بن اذينة وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قرة بن شريك وفيها مات أنس بن مالك الانصاري وقيل سنة اثنتين وتسعين وقيل ثلاث وتسعين وكان

والغرانيق فاهلكت الزرع فعمل اربع منارات من نحاس في اربع جوانب بلدة اسوس وجعل على كل منارة صورة غراب في فمه سمكة تد التوت عليه فلم يقربها شيء من الطيور فلم يزل ذلك الى ان كان الطوفان فازال تلك المنارات ثم ملك بعده خصليم الملك وهو اول من عمل مقياسا لزيادة النيل وعمر بيتا من رخام على حافة النيل وجعل في وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون على حافة البركة عقابان من نحاس ذكر وانثى فاذا كان أول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتح البيت وجمع الكهنة فيه بين يديه وتكلم رؤساء الكهان بكلام لهم حتى يصفر احد العقابين فان صفر الذكر كان الماء تاما وان صفرت الانثى كان الماء ناقصا فيعتدون لذلك وهو الذي بنى القنطرة التي ببلاد النوبة على النيل ثم ملك بعده (هوصال) الملك فبنى مدينتين مدينة بالمشرق وهي ذات عجائب كثيرة وعمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا ومدينة بالمغرب وهي على صفة او يقال ان نوحا عليه

عبد الرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ودفع اليه رهنا كان معه ورجع الى قتيبة بخارا وكان قد سارا اليها من كش ونسف فرجعوا الى مرو ولما كان قتيبة بخارا ملك بخارا خذاه وكان غلاما حدثا وقتل من يخاف ان يضاده وقيل ان قتيبة سار بنفسه الى الصغد فلما رجع عنهم قالت الصغد لطرخون انك قد رضيت بالذل واستطبت الجزية وانت شيخ كبير فلا حاجة لنا فيك فحبسوه وولوا غوزك فقتل طرخون نفسه

(ذكر عدة حوادث)

قيل فى هذه السنة استعمل الوليد خالد بن عبد الله القسرى على مكة فلم يزل واليا عليها حتى مات الوليد وكان قد تقدم سنة تسع وثمانين ذكره ايضا فلما ولى مكة خطبهم وعظم امر الخلافة وحثهم على الطاعة فقال لو انى اعلم ان هذه الوحش التى تأمن فى الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لاخرجتها منه فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فانى والله لا أوتى باحد يطعن على امامه الا صلبته فى الحرم انى لا ارى فيما كتب به الخليفة اوراه الا امضاء واشتد عليهم وحج بالناس هذه السنة الوليد بن عبد الملك فلما دخل المدينة غدا الى المسجد ينظر الى بنائه وأخرج الناس منه ولم يبق غير سعيد ابن المسيب لم يجرأ احد من الحرس يخرجه فقيل له لو قمت قال لا اقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه فقيل لو سلمت على امير المؤمنين قال لا والله لا أقوم اليه قال عمر بن عبد العزيز فجعلت اعدل بالوليد فى ناحية المسجد لئلا يراه فالتفت الوليد الى القبلة فقال من ذلك الشيخ اهو سعيد قال عمر نعم ومن حاله كذا وكذا ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر قال الوليد قد علمت حاله ونحن نأتيه فدار فى المسجد حتى اتاه فقال كيف انت ايها الشيخ فوالله ما تحرك سعيد بل قال بخير والحمد لله فكيف امير المؤمنين وكيف حاله فانصرف وهو يقول لعمر هذا بقية الناس وقسم بالمدينة رقيقا كثيرا وآنية من ذهب وفضة واموالا وصلى بالمدينة الجمعة فخطب الناس الاولى جالسا ثم قام فخطب الخطبة الثانية قائما قال اسحق بن يحيى فقلت لرجاء بن حيوة وهو معه أهكذا تصنعون قال نعم مكررا وهكذا اصنع معاوية وهلم جرا قال فقلت له هلا تكلمه قال اخبرنى قبيصة بن ذؤيب انه كلم عبد الملك ولم يترك القعود وقال هكذا خطب عثمان قال فقلت والله ما خطب الا قائما قال رجاء روى لهم شئ فاقتدوا به قال اسحق ولم نر منهم اشد تجبرا منه وكان العمال على البلاد من تقدم ذكرهم غير مكة فان خالدا كان عاملها وقيل ان عاملها هذه السنة كان عمر بن عبد العزيز بن مروان وفى هذه السنة غزا عبد العزيز بن الوليد الصائفة وكان على ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك وفيها عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينية واستعمل عليها اخاه مسلمة بن عبد الملك فغزا مسلمة الترك من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم

(ذكر فتح الاندلس)

وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الاندلس فى اثنى عشر ألفا فلقى ملك الاندلس واسمه

سنين من ملكه ماتت امه الساحرة واوصت ان يجعل جسدها اذا ماتت تحت صنم القمر فانها تخبرهم بالعجائب وبكل ما يسألون عنه ففعلوا ذلك وكانت تتصور لهم فى صور كثيرة وملكهم توميدون مائة وستين سنة ولما حضرته الوفاة امرهم ان يجعلوا له صنما من زجاج على شقين ويطلى جسده بالادوية الممسكة ويجعل فى ذلك الصنم ويلحم ويقام فى هيكل الاصنام ويجعل له كل سنة عيد ويقرب له قربان وأن تدفن كتب علومه وكنوزه تحته ففعل ذلك كله وملك بعده ابنه (شرياق) فعمل بسيرة ابيه وجدته وقد جعل الكهنة بين يديه نارا عظيمة لا يصل اليها الا من خاضها ولا تضر الا من اضمر للملك غائلة وكانت اطماع الملوك منقطعة من الوصول الى مصر لا سيما فى زمن شرياق المذكور وقد احدث فى زمانه عجائب كثيرة منها انه عمل على كل باب مدينة بطة من نحاس قائمة على اسطوانة فاذا دخل الغريب من باب المدينة صفقت بجناحيها وصرخت فيؤخذ الداخل ويكشف

نفسي ولا آتيه الا بامان وان ظني أن يقتلني وان امنني ولكن الامان اعذر لي فقال سليم قد آمنك افتتهمني قال لا وقال له اصحابه اقبل قول سليم فلا يقول الا حقا فخرج معه ومعه جبغويه وصول طرخان خليفة جبغويه وحبس طرخان صاحب شرطته وشقران ابن اخي نيزك فلما خرجوا من الشعب عطفت الخيل التي خلفها سليم فحالوا بين الاتراك واصحاب نيزك والخروج فقال نيزك هذا اول الغدر قال سليم تخلف هؤلاء عنك خير لك واقبل سليم ونيزك ومن معه حتى دخلوا الى قتيبة فحبسهم وكتب الى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك واستخرج قتيبة ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه فقدم به على قتيبة فانتظر بهم كتاب الحجاج فاتاه كتاب الحجاج بعد اربعين يوما يأمره بقتل نيزك فدعا قتيبة الناس واستشارهم في قتله واختلفوا فقال ضرار بن حصين اني سمعتك تقول اعطيت الله عهدا ان امكنك منه ان تقتله فان لم تفعل فلا ينصرك الله عليه ابدا فدعا نيزك فضرب رقبته بيده وامر بقتل صول وابن اخي نيزك وقتل من اصحابه سبعمائة رقيل اثني عشر الفا وصلب نيزك وابن اخيه وبعث برأسه الى الحجاج وقال نهار بن توسعة في قتل نيزك

لعمري لنعمت غزوة الجند غزوة * قضت نحبها من نيزك وتعلت

واخذ الزبير مولى عباس الباهلي حق النيزك فيه جوهر وكان اكثر من في بلاده مالا وعقارا من ذلك الجوهر واطلق قتيبة جبغويه ومن عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشام حتى مات الوليد كان الناس يقولون غدر قتيبة بنيزك فقال بعضهم

فلا تحسبن الغدر حزما فربما * ترقت به الاقدام يوما فزلت

ولما قتل قتيبة نيزك رجع الى مرو وارسل ملك الجوزجان يطلب الامان فامنه على ان يأتيه وطلب رهنا ويعطي رهائن فاعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حبيب الباهلي واعطى ملك الجوزجان رهائن من اهل بيته وقدم على قتيبة ثم رجع فمات بطالقان فقال اهل الجوزجان انهم سموه فقتلوا حبيبا وقتل قتيبة الرهائن الذين كانوا عنده

(ذكر غزو شومان وكش ونسف)

وفي هذه السنة سار قتيبة الى شومان فحصرها وكان سبب ذلك ان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده فارسل اليه قتيبة رسولين احدهما من العرب اسمه عياش والآخر من اهل خراسان يدعوان ملك شومان ان يؤدي ما كان صالح عليه فقدما شومان فخرج اهلها اليهما فرموهما فانصرف الخراساني وقاتلهم عياش فقتلوه ووجدوا به ستين جراحة وبلغ قتله قتيبة فسار اليهم بنفسه فلما اتاها ارسل صالح بن مسلم اخا قتيبة الى ملكها وكان صديقا له يأمره بالطاعة ويضمن له رضا قتيبة ان رجع الى الصلح فابى وقال لرسول صالح اتخوفني من قتيبة وانا امنع الملوك حصنا فأتاه قتيبة وقد تحصن ببلده فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه وقتل رجلا في مجلس الملك بحجر فلما خاف ان يظهر عليه قتيبة جمع ما كان بالحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر بالقلعة لا يدرك قعرها ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم حتى قتل واخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم سار الى كش ونسف ففتحهما وامتنعت عليه فارياب فاحرقها فسميت المحترقة وسير من كش ونسف اخاه عبد الرحمن الى الصغد وملكها طرخون فقبض

انفسهم احدهم وهو شرور الجبار وساروا الى مدينة امسوس وتحاربوا معها وغلبوا عليها واقاموا بها لابن الملك وجلس على سرير الملك (شمرود) المذكور فسر الناس به ووعدهم بحسن السيرة فيهم وطلب امرأة اخيه الساحرة وابنها ليقتلهما وهربت هي وابنها الى مدينة الصعيد وكان اهلها كلهم كهانا وسحرة فامتنعت بهم ثم ادعت السلطنة لابنها ودعت الناس الى حرب شمرود وزحف اليه ابن الساحرة وقد عمل له السحرة اصنافا من التخاييل الهائلة والنيران المحرقة فاقامت الحرب بينهم اياما فانهزم شمرود واخوته وتحصنوا ببعض الجبال ونزل ابن الساحرة بدار الملك وجلس على سريره ولبس تاج ابيه وكان اسمه (توميدون) فملكهم وهو حديث السن وكانت امه تدبر امره ثم خرج ابنها كاهنا منجما حتى عملت له الشياطين قبة من زجاج دائرة على دوران الفلك وصور عليها صور الكواكب وكانوا يعرفون الطالع منها وما يحدث بعد طلوعه وبعد

وحار بو وفاستعان بصاحب رومة فبعث اليه جيشا فهزم اخاه ودان بدين النصارى وكانت ولايته
ثلاث عشرة سنة ثم ولي بعده اقريط وبعده املريق وبعده وغديش وكانوا قد عادوا الى عبادة
الاوثان فجمع من اصحابه مائة الف وسار الى رومة فسير اليه ملك الروم جيشا فهزموه وقتلوه
ثم بعده الريق وكان زنديقا شجاعا فسار الى اخذ بثار وغديش ومن قتل معه ونازل رومية
وحاصرها وضيق على اهلها ودخلها عنوة وغنم اموالهم ثم جمع اصطول البحر وسار الى
صقلية ليفتحها ويغنم ما فيها فغرق اكثر اصحابه في البحر وهو فيمن غرق ثم ملك بعده اطاوف
ست سنين وخرج عن بلد ايطالية واقام ببلد غاليس مجاور اقصى الاندلس ثم انتقل منها الى
برشلونة ثم بعده اخوه ثلاث سنين ثم بعده واليا ثم بوردزاريش ثلاثا وثلاثين سنة ثم ابنه طرشمند
ثم بعده اخوه لذريق ثلاث عشرة سنة ثم بعده اوريق سبع عشرة سنة ثم بعده الريق بطلوشة
ثلاثا وعشرين سنة ثم عشليق ثم اماليق سنتين ثم توذيوش سبع عشرة سنة وخمسة اشهر ثم بعده
طودتقليس سنة وثلاثة اشهر ثم بعده أثله خمس سنين ثم بعده اطانجه خمس عشرة سنة ثم بعده
ليوبا ثلاث سنين ثم بعده أخوه لويلد وهو أول من اتخذ طليطلة دار مملكة ونزلها لكونه متوسطا
المملكة ليحارب من خرج عن طاعته عن قرب فلم يزل يحارب من خرج عن طاعته حتى استوى
على جميع الاندلس وبنى مدينة رقويل وأتقنها وأكثر بساتينها وهو على القرب من طليطلة
وسماها باسم ولده وغزا بلد البشقنس حتى اذلهم وخطب الى ملك الفرنج ابنته لولده ارمنجلد
فزوجه واسكنه اشبيلية فحسنت له عصيان والده ففعل فسار اليه أبوه وحصرهما وضيق
عليه وطال مقامه الى ان أخذه عنوة وسجنه الى ان مات ثم ملك بعد لويلد ابنه ركردو وكان حسن
السيرة فجمع الاساقفة وغير سيرة أبيه وسلم البلاد اليهم وكانوا نحو ثمانين اسقفا وكان تقيا
عفيفا فلبس ثياب الرهبان وهو الذي بنى الكنيسة المعروفة بالورقة بازاء مدينة وادي اش
ثم بعده ابنه ليوبا فسار كسيرة أبيه فاغتاله رجل من القوط يقال له بتريق فقتله وملك بعده
بتريق هذا بغير رضا أهل الاندلس وكان مجرما طاغيا فاسقا فثار عليه رجل من خاصته فقتله
ثم ملك من بعده غندمار سنتين ثم ملك بعده سيسفوط وكانت ولايته تسع سنين وكان حسن
السيرة ثم بعده ابنه ركريد وكان صغيرا عمره ثلاثة اشهر ومات ثم ملك شنتله وكان ملكه عند
البعث وكان مشكورا ثم بعده سشناند خمس سنين ثم بعده خنتلة ستة أعوام ثم بعده خندس
اربعة اعوام ثم بعده بنبان ثمانية اعوام ثم بعده أروى سبع سنين وكان في دولته قحط شديد
حتى كادت بلاد الاندلس تخرب لشدة الجوع ثم بعده ابقه خمس عشرة سنة وكان جائرا مذموما
ثم ملك بعده ابنه غيطشه وكانت ولايته سنة سبع وسبعين للهجرة وكان حسن السيرة لين
العريكة وأطلق كل محبوس كان في سجن أبيه وادى الاموال الى أربابها ثم توفي وخلف ولدين
فلم يرض بهما أهل الاندلس وتراضوا برجل يقال له رذريق وكان شجاعا وليس من بيت الملك
وكانت عادة ملوك الاندلس أنهم يبعثون أولادهم الذكور والاناث الى مدينة طليطلة يكونون
في خدمة الملك لا يخدمه غيرهم يتأدبون بذلك فاذا بلغوا الحكم انكح بعضهم بعضا وتولى
تجهيزهم فلما ولي رذريق أرسل اليه يوليان وهو صاحب الجزيرة الخضراء وسبتة وغيرهما ابنة
له فاستحسنها رذريق وافتضها فكتبت الى أبيها فاغضبه ذلك فكتب الى موسى بن نصير عامل

على الزئبق والمرقى من
خزائنه وعمل مرآة من
اخلاط كان يرى فيها
جميع الاقاليم وما اخصب
وما اجدب منها وما حدث
فيها وركبها على منارة من
نحاس وسط امسوس وعمل
في المدينة صورة امرأة
جالسة في حجرها صبي
كأنها ترضعه وايما
امرأة اصابتها علة في عضو
فمست ذلك العضو بعضو
منهما مقابلها برئت وايما
صبي اصيب عضوه يمسح
ذلك العضو بعضو ذلك
الصبي يبرئ ومن اعماله
بناء الهرمين الكبيرين
وسبب بنائهما انه رأى رؤيا
كأن الارض انقلبت باهلها
وكأن الناس يهربون على
رؤسهم وكأن الكواكب
تتساقط عليهم ويصادم
بعضها بعضا باصوات مختلفة
هائلة فغمه ذلك ثم رأى بعد
ذلك كأن الكواكب
الثابتة في هيئة طيور بيض
وكأنها تختطف الناس
وتلقيهم بين جبلين عظيمين
وكأن الجبلين انطبقا عليهم
وكأن النيرة مظلمة فانتبه
مذعورا وعلم انه سيحدث
في العالم أمر عظيم فجمع
رؤساء الكهنة من جميع
أعمال مصر وكانوا
مائة وثلاثين كاهنا وكبيرهم

اذرينوق وكان من أهل اصبهان وهم ملوك عجم الاندلس فزحف له طارق بجميع من معه وزحف
الاذرينوق وعليه تاجه وجميع الحلية التى كان يلبسها الملوك فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل
الاذرينوق وفتح الاندلس سنة اثنتين وتسعين هذا جميعه ذكره أبو جعفر فى فتح الاندلس وبمثل
ذلك الاقليم العظيم والفتح المبين لا يقتصر فيه على هذا القدر وانا اذكر فتحها على وجه اتم من هذا
ان شاء الله تعالى من تصانيف اهلها الذهم اعلم ببلادهم قالوا أول من سكنها قوم يعرفون بالاندلش
(بشين معجمة) فسمى البلد بهم ثم عرب بعد ذلك بسين مهملة والنصارى يسمون الاندلس
اشبانية باسم رجل صلب فيها يقال له اشبانس وقيل باسم ملك كان بها فى الزمان الاول اسمه
اشبان بن طيطس وهذا هو اسمها عند بطليموس وقيل سميت باندلس بن يافث بن نوح وهو أول
من عمرها قيل اول من سكن الاندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالاندلس فعمروها وتداولوا
ملكها دهرا طويلا وكانوا مجوسا ثم حبس الله عنهم المطر وتوالى عليهم القحط فهلك اكثرهم
وفر منها من اطاق الفرار فخلت الاندلس مائة سنة ثم ابتعث الله لعمارتها الافارقة فدخل اليها
قوم منهم اجلاهم ملك افريقية تخففا منهم لقحط توالى على بلاده حتى كاد يفنى اهله فحملهم
فى السفن مع امير من عنده فارسوا بجزيرة قادس ورأوا الاندلس قد أخصبت بلادها وجرت
انهارها فسكنوها وعمروها ونصبوا لهم ملوكا يضبطون امرهم وهم على دين من قبلهم
وكانت دار مملكتهم طالقة الخراب من ارض اشبيلية بنوها وسكنوها واقاموا مدة تزيد على
مائة وخمسين سنة ملك منهم فيها احد عشر ملكا ثم ارسل الله عليهم عجم رومة وملكهم اشبان
ابن طيطس فغزاهم ومزقهم وقتل فيهم وحاصرهم بطالقة وقد تحصنوا فيها فابتنى عليهم اشبانية
وهى اشبيلية واتخذها دار مملكته وكثرت جموعه وعتا وتجبر وغزا بيت المقدس فغنم ما فيه وقتل
فيه مائة الف ونقل المرمر منه الى اشبيلية وغيرها وغنم ايضا مائدة سليمان بن داود عليه السلام
وهى التى غنمها طارق من طليطلة لما افتتحها وغنم ايضا قليلة الذهب والحجر الذى لقى بماردة وكان
هذا اشبان قد وقف عليه الخضر وهو يحرث الارض فقال له يا اشبان سوف تحظى وتملك وتعلو
فاذا ملكت ايلياء فارفق بذرية الانبياء فقال اتسخر منى كيف ينال مثلى الملك فقال قد جعله
فيك من جعل عصاك هذه كما ترى فنظر اليها فاذا هى قد اورقت فارتاع وذهب عنه الخضر وقد
وثق اشبان بقوله فداخل الناس فارتقى حتى ملك ملكا عظيما وكان ملكه عشرين سنة ودام
ملك الاشبانيين بعده الى ان ملك منهم خمسة وخمسون ملكا ثم دخل عليهم من عجم رومة امة
يدعون البشنوليات وملكهم طويش بن نيطة وذلك حين بعث الله المسيح فغلبوا عليها واستولوا
على ملكها وكانت مدينة ماردة دار مملكتهم وملك منهم سبعة وعشرون ملكا ثم دخلت عليهم
امة القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس فاقتطعوها من يومئذ عن صاحب رومة وكان ابتداء
ظهورهم من ناحية ايطالية شرق الاندلس فاغارت على بلاد مجدونية من تلك الناحية
وذلك فى ايام قلوذيوس قيصر ثالث القياصرة فخرج اليهم وهزمهم وقتل فيهم ولم يظهروا بعدها
الى ايام قسطنطين الاكبر واعادوا الغارة فسير اليهم جيشا فلم يثبتوا له وانقطع خبرهم الى دولة
ثالث قيصر فانهم قدموا على انفسهم اميرا اسمه لذريق وكان يعبد الاوثان فسار الى رومة
ليحمل النصارى على السجود لاوثانه فظهر منه سوء سيرته فتخاذل اصحابه عنه ومالوا الى اخيه

وحاربوه

عن أمره وساق الى مدائن
الغرب نهرا من النيل
وبنى على حافتيه منازل
وغرس اشجارا يتنزه عليها
وكان اذا خرج اليها ارقى
عمارة متصلة وملكهم مائة
وثلاثين سنة ثم تولى مكانه
ابنه (شهلوق) وكان عالما
كاهنا منجما فاقدا فاض العدل
والاحسان على رعيته
وقسم ماء النيل قسما موزونا
صرف الى كل ناحية قسطه
وعمل شهلوق المذكور
القبة المركبة على سبعة
اركان وجعل لها سبعة
ابواب وبنى على كل باب
صورة معمولة فاذا تقدم
الخصمان الى تلك الصورة
التصقت بالظالم وشدت
عليه شدا عنيفا وان دعا
المظلوم الظالم الى تلك
الصورة ولم يأتها اقعد
الظالم من رجليه وخرس
لسانه ولم تزل لها
عمل حتى ازالها الطوفان
فلما هلك تولى مكانه ابنه
(سوريد) وهو الذى بنى
الاهرامات واقتفى سيرة
ابيه فى العمارة والعدل
والانصاف وبنى بالصعيد
ثلاث مدائن وعمل فيها
عجائب كثيرة وهو أول من
جبى الخراج بمصر وألزم
اهل الصناعات على اقدارهم
واول من امر بالانفاق

طريف قد أوهمهم انه يأكلهم هو ومن معه فلما دخلوا طليطلة وأخلوا مدائن الاندلس قال له يوليان قد فرغت من الاندلس ففرق جيوشك وسر أنت الى طليطلة ففرق جيوشه من مدينة استجة وبعث جيشا الى قرطبة وجيشا الى غرناطة وجيشا الى مالقة وجيشا الى تدمير وسار هو ومعظم الجيش الى جيان يريد طليطلة فلما بلغ طليطلة وجدها خالية وقد لحق من كان بها بمدينة خلف الجبل يقال لها امابة فاما الجيش الذى سار الى قرطبة فانهم دلهم راع على ثغرة فى سورها فدخلوا منها البلد وملكوه وأما الذين قصدوا تدمير فلقيهم صاحبها واسمه تدمير وبه سميت وكان اسمها اريولة وكان معه جيش كثيف فقاتلهم قتالا شديدا ثم انهزم فقتل من أصحابه خلق كثير فأمر تدمير النساء فلبسن السلاح ثم صالح المسلمين عليها وفتح سائر الجيوش ما قصدوا اليه من البلاد وأما طارق فلما رأى طليطلة فارغة ضم اليها اليهود وترك معهم رجالا من أصحابه وسار هو الى وادى الحجارة فقطع الجبل من فج فيه فسمى بفج طارق الى اليوم وانتهى الى مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة وفيها وجد مائدة سليمان بن داود عليه السلام وهى من زبرجد أخضر حافاتها وأرجلها منها مكللة باللؤلؤ والمرجان والياقوت وغير ذلك وكان لها ثلثمائة وستون رجلا ثم مضى الى مدينة ماية فغنم منها ورجع الى طليطلة فى سنة ثلاث وتسعين وقيل اقتحم ارض جليقية فخرقها حتى انتهى الى مدينة استرقة وانصرف الى طليطلة ووافته جيوشه التى وجهها من استجة بعد فراغهم من فتح تلك المدن التى سيرهم اليها ودخل موسى بن نصير الاندلس فى رمضان سنة ثلاث وتسعين فى جمع كثير وكان قد بلغه ما صنع طارق فحسده فلما عبر الى الاندلس ونزل الجزيرة الخضراء قيل له تسلك طريق طارق فأبى فقال له الادلاء نحن ندلك على طريق اشرف من طريقه ومدائن لم تفتح بعد ووعده يوليان بفتح عظيم فسر بذلك وكان قد غمه فساروا به الى مدينة ابن السليم فافتتحها عنوة ثم سار الى مدينة قرمونة وهى أحصن مدن الاندلس فقدم اليها يوليان وخاصته فاتوهم على حال المنهزمين معهم السلاح فادخلوهم مدينتهم فارسل موسى اليهم الخيل ففتحوها لهم ليلا فدخلها المسلمون وملكوها ثم سار موسى الى اشبيلية وهى من أعظم مدائن الاندلس بنيانا واعزها آثارا فحصرها أشهرا وفتحها وهرب من بها فانزلها موسى اليهود وسار الى مدينة ماردة فحصرها وقد كان أهلها خرجوا اليه فقاتلوه قتالا شديدا فكمن لهم موسى ليلا فى مقاطع الصخر فلم يرهم الكفار فلما اصبحوا زحف اليهم فخرجوا الى المسلمين على عادتهم فخرجوا عليهم من الكمين واحدقوا بهم وحالوا بينهم وبين البلد وقتلوهم قتلا ذريعا ونجا من نجا منهم فدخل المدينة وكانت حصينة فحصرهم بها أشهرا وقاتلهم وزحف اليهم بدبابة عملها ونقبوا سورها فخرج أهلها على المسلمين فقتلوهم عند البرج فسمى برج الشهداء الى اليوم ثم افتتحها آخر رمضان سنة أربع وتسعين يوم الفطر صلحا على ان جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين الى جليقية واموال الكنائس وحليها للمسلمين ثم ان أهل اشبيلية اجتمعوا وقصدوها فقتلوا من بها من المسلمين فسير موسى اليها ابنه عبد العزيز بجيش فحصرها وملكها عنوة وقتل من بها من أهلها وسار عنها الى لبلة وباجة فملكهما وعاد الى اشبيلية وسار أبوه موسى من مدينة ماردة فى شوال يريد طليطلة فخرج طارق اليه فلقيه فلما ابصره نزل اليه فضربه موسى بالسوط على رأسه ووبخه على ما كان من خلافه ثم سار به الى

فلم تمهما فى ستمائة سنة فان الهدم اهون من البناء والى كسوتهما حريرا فلبكسم ما من بعدى حصيرا وعددها ثمانية عشر هرما ثلاثة منها بالجيزة مقابل الفسطاط وعند مدينة فرعون يوسف عليه السلام هرم دوره ثلاثة آلاف ذراع وعلوه أربعمائة ذراع وعند مدينة فرعون موسى اهرام اخر وآخرها يعرف بهرم ميدوم كأنه جبل فالهرم الشرقى فيه سوريد الملك وفى الهرم الغربى اخوه هرجيب وفى الهرم الملون افريبون بن هرجيب والصابئة تزعم ان أحدهما قبر شيث عليه السلام والآخر قبر هرمس والملون قبر صابى بن هرمس اليه تنسب الصابئة وجعل لكل هرم منها خازنا من الروحانيين فالموكل بالهرم البحرى فى صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج ولها ذوائب الى الارض وقد رآها جماعة تدور حول الهرم وقت القائلة والموكل بالهرم الذى الى جانبه فى صورة غلام امرد عريان وقد رؤى بعد المغرب يدور حول الهرم والموكل بالثالث فى صفة شيخ فى يده مجمرة وعليه ثياب الرهبان

الوليد بن عبد الملك على افريقية بالطاعة واستدعاه اليه فسار اليه فادخله بوليان مدائنه
واخذ عليه العهود له ولاصحابه بما يرضى به ثم وصف له الاندلس ودعاه اليها وذلك آخر سنة
تسعين فكتب موسى الى الوليد بما فتح الله عليه وما دعاه اليه بوليان فكتب اليه الوليد خضها
بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال فكتب اليه موسى انه ليس ببحر متسع وانما هو
خليج يبين ما وراءه فكتب اليه الوليد أن اختبرها بالسرايا وان كان الامر على ما حكيت فبعث
رجلا من مواليه يقال له طريف في اربعمائة رجل ومعهم مائة فرس فسار في أربع سفائن
فخرج في جزيرة بالاندلس فسميت جزيرة طريف لنزوله فيها ثم اغار على الجزيرة الخضراء فاصاب
غنيمة كثيرة ورجع سالما في رمضان سنة احدى وتسعين فلما رأى الناس ذلك تسرعوا الى
الغزو ثم ان موسى دعا مولى له كان على مقدمات جيوشه يقال له طارق بن زياد فبعثه
في سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر والموالى وأقلهم العرب فساروا في البحر وقصدوا الى
جبل منيف وهو متصل بالبر فنزله فسمى الجبل جبل طارق الى اليوم ولما ملك عبد المؤمن البلاد
أمر ببناء مدينة على هذا الجبل وسماه جبل الفتح فلم يثبت له هذا الاسم وجرت الالسنة على
الاول وكان حلول طارق فيه في رجب سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ولما ركب طارق البحر
غلبته عينه فرأى النبي ومعه المهاجرين والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسى فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم يا طارق تقدم لشأنك وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد فنظر طارق
فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد دخلوا الاندلس امامه فاستيقظ من نومه مستبشرا
وبشر أصحابه وقويت نفسه ولم يشك في الظفر ولما تكامل أصحاب طارق بالجبل نزل الى الصحراء
وفتح الجزيرة الخضراء فاصاب بها عجوزا فقالت له انى كان لى زوج وكان عالما بالحوادث وكان
يحدثهم عن أمير يدخل بلادهم فيغلب عليه ووصف من نعته انه ضخم الهامة وان في كتفه
الايسر شامة عليها شعر فكشف طارق ثوبه فاذا الشامة كما ذكرت فاستبشر طارق أيضا هو ومن
معه ونزل من الجبل الى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها وفارق الحصن الذى في الجبل
ولما بلغ رذريق غزو طارق بلاده عظم ذلك عليه وكان غائبا في غزاته فرجع منها وطارق قد دخل
بلاده فجمع له جمعا يقال بلغ مائة ألف فلما بلغ طارقا الخبر كتب الى موسى يستمده ويخبره بما فتح
وانه زحف اليه ملك الاندلس بما لا طاقة له به فبعث اليه بخمسة آلاف فتكامل المسلمون
اثنى عشر ألفا ومعهم بوليان يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الاخبار فاتاهم رذريق في
جنده فالتقوا على نهر لكة من أعمال شذونة لليلتين بقيتا من رمضان سنة اثنتين وتسعين
واتصلت الحرب ثمانية أيام وكان على ميمنته وميسرته ولدا الملك الذى كان قبله وغيرهما من
ابناء الملوك واتفقوا على الهزيمة بغضا لرذريق وقالوا ان المسلمين اذا امتلأت أيديهم من الغنيمة
عادوا الى بلادهم وبقى الملك لنا فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه وغرق رذريق في النهر
وسار طارق الى مدينة استجة متبعا لهم فلقيه أهلها ومعهم من المنهزمين خلق كثير فقاتلوه قتالا
شديدا ثم انهزم أهل الاندلس ولم يلق المسلمون بعدها حربا مثلها ونزل طارق على عين بينها وبين
مدينة استجة أربعة أميال فسميت عين طارق الى الآن ولما سمعت القوط بهاتين الهزيمتين
قذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا يظنون انه يفعل فعل طريف فهربوا الى طليطلة وكان

يقال له اقليمون فقص عليهم
ذلك وكان اقليمون رأى
رؤيا مثل ذلك فاخذوا
ارتفاع الكواكب
فاخبروا بامر الطوفان
قال سوريد ويلحق بلادنا
قالوا نعم ويخرب وتبقى سنين
خرابا فامر بعمل الاهرام
لتكون قبورا لهم وله ولاهل
بيته تحفظ اجسادهم
وكتبهم وكنوزهم وأمر بان
يعمل لها مشارف يدخل
منها النيل الى مكان
ويخرج الى المواضع من
أرض الغرب والصعيد
وملأها طلسمات وعجائب
وخزائن وغير ذلك وزبر في
سقوفها واسطواناتها
ما قالته الحكماء من العلوم
الغامضة واسرار العقاقير
ومنافعها ومضارها وعمل
الطلسمات والحساب
والهندسة والطب وغير
ذلك كل ذلك مما لم لمن
يعرف كتابتهم ولغاتهم وليس
على وجه الارض بناء أرفع
وأعظم منها وكان ابتداء
بنائهما في طالع سعيد قرر
عليهما وبناء هذين الهرمين
والنسر الواقع في السرطان
فلما فرغ من بنائهما كساهما
ديباجا ملونا وعمل لهما عيدا
حضره أهل مملكته
وكتب عليهما انى بنيتهما
في ستين سنة فمن ادعى قوة

الى تلك الكنيسة فنظر الى حمام فرماه بسهم فاخطأه ووقع فى السقف وانكسر لوح فنزل منه شئ من الدنانير واخذوا الجميع وازداد المسلمون غلولا فكان بعضهم يذبح الهرة ويرمى ما فى جوفها فيملؤه دنانير ويخيط عليها ويلقيها فى الطريق فاذا خرج اخذها وكان يضع قائم سيفه على الجفن ويملؤه ذهبا فلما ركبوا فى البحر سمعوا قائلا يقول اللهم غرقهم فغرقوا عن آخرهم فوجدوا اكثر الغرقى والدنانير على أوساطهم وفى سنة خمس وثلاثين ومائة غزاها عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة الفهرى فقتل من بها قتلا ذريعا ثم صالحوه على الجزية فأخذت منهم وبقيت ولم يغزها بعده أحد فعمرها الروم فلما كانت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة اخرج اليها المنصور بن القائم العلوى صاحب افريقية اسطولا من المهدية فخرجوا بجنوة فقتحوا المدينة وأوقعوا باهل سردانية وسبوا فيها وأحرقوا مراكب كثيرة وأخربوا جنوة وغنموا ما فيها وفى سنة ست وأربعمائة غزاها مجاهد العامرى من دانية وكان صاحبها فى البحر فى مائة وعشرين مركبا ففتحها وقتل فاكثر وسبى النساء والذرية فسمع بذلك ملوك الروم فجمعوا اليه وساروا اليه من البر الكبير فى جمع عظيم فاقتتلوا وانهزم المسلمون وانخرجوا من جزيرة سردانية وأخذت بعض مراكبهم وأسر أخو مجاهد وابنه على بن مجاهد ورجع بن بقى الى دانية ولم تغز بعد ذلك وانما ذكرنا جميع اخبارها ههنا لقلتها واذا تفرقت لم تعرف كما يجب

*(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصونا ثلاثة وجلا أهل سوسنة الى بلاد الروم وفى هذه السنة غزا قتيبة سجستان فى قول بعضهم وأراد قصد رتبيل الاعظم فلما نزل قتيبة سجستان أرسل رتبيل اليه رسلا بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله الليثى وحج بالناس هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات مالك بن أوس بن الحدثان البصرى من ولد نصر بن معاوية بالمدينة وله أربع وتسعون سنة

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين)

(ذكر صلح خوارزمشاه وفتح خام جرد)

وفى هذه السنة صالح قتيبة خوارزمشاه وكان سبب ذلك ان ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه أخوه خرزاد على أمره وكان أصغر منه وكان اذا بلغه ان عند أحد ممن هو منقطع الى الملك جارية أو مالا أو دابة أو بنتا او اختا أو امرأة جميلة أرسل اليه وأخذه منه وكان لا يمتنع عليه أحد ولا الملك فاذا قيل للملك قال لا اقوى به وهو مغتاظ عليه فلما طال ذلك عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى أرضه ليسلمها اليه واشترط عليه ان يدفع اليه أخاه وكل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى ولم يطلع أحد من مرازبته على ذلك فاجابه قتيبة الى ما طلب وتجهز للغزو واظهر قتيبة انه يريد الصغد وسار من مرو وجمع خوارزمشاه اجناده ودهاقنته وقال ان قتيبة يريد الصغد وليس بغازيكم فهلموا انتنعم فى ربيعنا هذا فاقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل قتيبة فى هزارسب فقال خوارزمشاه لاصحابه ما ترون قالوا نرى ان نقاتله قال لكنى لا أرى ذلك لانه قد عجز عنه من هو أقوى منا واشد شوكة ولكن اصرفه بشئ أؤديه اليه فاجابوه الى ذلك فسار

ثم ان سوريد لما ملك مائة وسبعا وستين سنة وكان منجموه عرفوه الوقت الذى يموت فيه واليوم والساعة أوصى بالملك لولده سوعرفسه بجميع ما يحتاج اليه وأمره بان يدخل جسده الى الهرم الذى أعده لنفسه فامتثل ولده جميع ما أمره به فلما مات تولى الملك بعده (هرجيب) وسار سيرة أبيه بالعدل والعمارة والرأفة بالناس فاحبوه وأطاعوه فبنى هرما ونقل اليه كثيرا من المال والجواهر وكانت له بنت

مدينة طليطلة فطلب منه ما غنم والمائدة ايضا فاتاه بها وقد انتزع رجلا من ارجلها فسأله عنها فقال لا علم لى كذلك وجدتها فعمل عوضها من ذهب وسار موسى الى سرقسطة ومدائنها فافتتحها واوغل فى بلاد الفرنج فانتهى الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فاصاب فيها صنما قائما فيه مكتوب بالنقر يابنى اسمعيل الى ههنا منتهاكم فارجعوا وان سألتم الى ماذا ترجعون اخبرتكم انكم ترجعون الى الاختلاف فيما بينكم حتى يضرب بعضكم اعناق بعض وقد فعلتم فرجع ووافاه رسول الوليد فى اثناء ذلك يأمره بالخروج عن الاندلس والقفول اليه فساءه ذلك ومطل الرسول وهو يقصد بلاد العدو فى غير ناحية الصنم يقتل ويسبى ويهدم الكنائس ويكسر النواقيس حتى بلغ صخرة بلاى على البحر الاخضر وهو فى قوة وظهور فقدم عليه رسول آخر للوليد يستحثه واخذ بعنان بغلته واخرجه وكان موافاة الرسول بمدينة لك بجليقية وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق من الثغر الاعلى فاقفله معه ومضيا جميعا واستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز بن موسى فلما عبر البحر الى سبتة استخلف عليها وعلى طنجة وما والاهما ابنه عبد الملك واستخلف على افريقية واعمالها ابنه الكبير عبد الله وسار الى الشام وحمل الاموال التى غنمت من الاندلس والذخائر والمائدة ومعه ثلاثون ألف بكر من بنات ملوك القوط واعيانهم ومن نفيس الجوهر والامتعة ما لا يحصى فورد الشام وقد مات الوليد بن عبد الملك واستخلف سليمان بن عبد الملك وكان منحرفا عن موسى بن نصير فعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه واغرمه حتى احتاج ان يسأل العرب فى معونته وقيل انه قدم الشام والوليد حى وكان قد كتب اليه وادعى انه هو الذى فتح الاندلس وأخبره خبر المائدة فلما حضر عنده عرض عليه ما معه وعرض المائدة ومعه طارق فقال طارق انا غنمتها فكذبه موسى فقال طارق للوليد سله عن رجلها المعدومة فسأله عنها فلم يكن عنده منها علم فاظهرها طارق وذكر انه اخفاها لهذا السبب فعلم الوليد صدق طارق وانما فعل هذا لانه كان حبسه وضربه حتى أرسل الوليد فاخرجه وقيل لم يحبسه قالوا ولما دخلت الروم بلاد الاندلس كان فى مملكتهم بيت اذا ولى ملك منهم أقفل عليه قفلا فلما ملكت القوط فعلوا كفعلهم فلما ملك رذريق اراد فتح الاقفال فنهاه أكابر أهل البلاد عن ذلك فلم يقبل منهم وفتح الاقفال فرأى فى البيت صور العرب وعليهم العمائم الحمر على خيول شهب وفيه كتاب اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء القوم هذا البلد ففتحت الاندلس تلك السنة فهذا القدر كاف فى فتح الاندلس ونذكر باقى اخبار الاندلس عند اوقات حدوثها على ما شرطناه ان شاء الله تعالى

(ذكر غزوة جزيرة سردانية)

هذه الجزيرة فى بحر الروم وهى من أكبر الجزائر ما عدا جزيرة صقلية واقريطش وهى كثيرة الفواكه ولما فتح موسى بلاد الاندلس سير طائفة من عسكره فى البحر الى هذه الجزيرة سنة اثنتين وتسعين فدخلوها وعمد النصارى الى ما لهم من آنية ذهب وفضة فالقوا الجميع فى الميناء الذى لهم وجعلوا أموالهم فى سقف بنوه للبيعة العظمى التى لهم تحت السقف الاول وغنم المسلمون فيها ما لا يحد ولا يوصف وأكثروا الغلول فاتفق ان رجلا من المسلمين اغتسل فى الميناء فعلقت رجله فى شئ فاخرجه فاذا صحفة من فضة وأخذ المسلمون جميع ما فيه ثم دخل رجل من المسلمين

وقد روى نحو ذلك ويحرر ايلا وكل بشائرها امثال ذلك من الروحانية وقيل ان ادريس عليه السلام حين استدل من أحوال الكواكب على وقوع الطوفان امر ببناء الاهرام وأودعها الاموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه من الذهاب والدثور وقيل بناها شداد ابن عاد وكانوا يعتقدون بالرجوع فكان أحدهم اذا مات دفن معه ماله وان كان صانعا دفن معه آلات صنعته وأحوال هذه الاهرامات عجيبة وحكاياتها غريبة وكل شئ يخشى عليه من الدهر الا الاهرمين فانه يخشى على الدهر منهما وفى ذلك يقول الشاعر

حسرت عقول أولى النهى الاهرام
واستصغرت لعظيمها الاجرام.
ملس موثقة البناء شواهق
قصرت لعال دونهن سهام
لم ادر حين كبا التفكر دونها
واستوهمت لعجيبها الاوهام
اقبور املاك الاعاجم هن ام
طلسم رمل كن أم اعلام

(قال المتنبى)

اين الذى الهرمان من بنيانه
من قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها
حينا ويدركها الفناء فتتبع

غدا وأخبروا الخبر فلما أصبح قتيبة أمر الناس بالجد في القتال فقاتلوهم واشتد القتال وأمرهم قتيبة ان يبلغوا ثلمة المدينة فجعلوا الترسة على وجوههم وحملوا فبلغوها ووقفوا عليها ورماهم الصغد بالنشاب فلم يبرحوا فارسل الصغد الى قتيبة فقالوا له انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فقال قتيبة لا نصالحهم الا ورجالنا على الثلمة وقيل بل قال قتيبة جزع العبيد انصرفوا على ظفركم فانصرفوا فصالحوهم من الغد على الفي الف ومائتي ألف مثقال في كل عام وان يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس وان يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل فيبني فيها مسجدا ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج فلما تم الصلح واخلوا المدينة وبنوا المسجد دخلها قتيبة في أربعة آلاف انتخبهم فدخل المسجد فصلى فيه وخطب وأكل طعاما ثم أرسل الى الصغد من أراد منكم ان يأخذ متاعه فليأخذ فاني لست خارجا منها ولست آخذ منكم الا ما صالحتكم عليه غير ان الجند يقيمون فيها وقيل انه شرط عليهم في الصلح مائة ألف فارس وبيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ذلك وأتى بالاصنام فكانت كالقصر العظيم وأخذ ما عليها وأمر بها فأحرقت فجاءه غوزك فقال ان شكرك علي واجب لا تتعرض لهذه الاصنام فان منها أصناما من احرقها هلك فقال قتيبة انا أحرقها بيدي فدعا بالنار فكبر ثم اشعلها فاحترقت فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال وأصاب بالصغد جارية من ولد يزدجرد فارسلها الى الحجاج فارسلها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد وأمر غوزك بالانتقال عنها فانتقل وقيل ان أهل سمرقند خرجوا على المسلمين وهم يقاتلونهم يوم فتحها وقد أمر قتيبة يومئذ بسرير فابرز وقعد عليه فطاعنوهم حتى جاز واقتيبة وانه لمحتب بسيفه ما حل حبوته وانطوت مجنبتا المسلمين على الذين هزموا القلب فهزموهم حتى ردوهم الى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير ودخلوا المدينة فصالحوهم وصنع غوزك طعاما ودعا قتيبة فاتاه في عدة من أصحابه فلما تغدى استوهب منه سمرقند وقال للملك انتقل عنها فلم يجد بدا من طاعته وتلا قتيبة قوله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وحكي عن الذي أرسله قتيبة الى الحجاج بفتح سمرقند قال فارسلني الحجاج الى الوليد فقدمت دمشق قبل طلوع الفجر فدخلت المسجد فاذا الى جنبي رجل ضرير فسألني من أين أنت فقلت من خراسان وأخبرته خبر سمرقند فقال والذي بعث محمدا بالحق ما افتتحتموها الا غدرا وانكم يا أهل خراسان الذين تسلبون بني أمية ملكهم ثم تنقضون دمشق حجرا حجرا فلما فتح قتيبة سمرقند قيل ان هذا الاعدى العيرين لانه فتح سمرقند وخوارزم في عام واحد وذلك ان الفارس اذا صرع في طلق واحد عيرين قيل عادى عيرين فلما فتحها قتيبة دعا نهار بن توسعة فقال يا نهار أين قولك

الاذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب
أقاما بمرو الروذ رهن ضريحه * فقد غيبا عن كل شرق ومغرب

افغزو هذا قال لا هذا أحسن وانا الذي أقول

وما كان مذ كنا ولا كان قبله * ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم
اعم لاهل الشرك قتلا بسيفه * وأكثر فينا مقسما بعد مقسم

قال وقال الشعراء في ذلك فقال الكميت من قصيدة

من صنوف الجواهر واستغرق في اللذات والشهوات وغفل عما يتعلق بالعمارات ومصالح العباد فابغضه الناس وكل من امتنع من أمره احرقه بالنار وأقام ملكا ثلاثا وسبعين سنة ومات فوضع في الهرم مع اجداده وجعل معه كنوزه ثم ملك بعده ابنه (أقروش) وكان كاهنا ماهرا خالف اباه في افعاله وعدل في الناس وعمل فوارة قطرها مائة ذراع وطولها خمسون ذراعا وركب في جوانبها

خوارزمشاه فنزل مدينة الفيل من وراء النهر وهي أحصن بلاده وقتيبة لم يعبر النهر فأرسل اليه
خوارزمشاه فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى ان يعينه على خام جرد فقبل
قتيبة ذلك وقيل صالحه على مائة ألف رأس ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن الى خام جرد وكان
يعادي خوارزمشاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه وقدم منهم باربعة آلاف أسير
فقتلهم قتيبة وسلم قتيبة الى خوارزمشاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم ودفع أموالهم الى قتيبة

(ذكر فتح سمرقند)

فلما قبض قتيبة صلح خوارزمشاه قام اليه المجشر بن مزاحم السلمي فقال له سرا ان أردت الصغد
يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن يأتيهم عامك هذا وانما بينك وبينهم عشرة أيام فقال
أشار عليك بهذا أحد قال لا قال فسمعه منك أحد قال لا قال والله لئن تكلم به أحد لاضربن
عنقك فلما كان الغد أمر أخاه عبد الرحمن فسار في الفرسان والرماة وقدم الاثقال الى مرو
فسار يومه فلما أمسى كتب اليه قتيبة اذا أصبحت فوجه الاثقال الى مرو وسر بالفرسان
والرماة نحو الصغد واكتم الاخبار فاني في الاثر ففعل عبد الرحمن ما أمره وخطب قتيبة الناس
وقال لهم ان الصغد شاغرة برجلها وقد نقضوا العهد الذي بيننا وصنعوا ما بلغكم واني أرجو ان
يكون خوارزم والصغد كقريظة والنضير ثم سار فاتى الصغد فبلغها بعد عبد الرحمن بثلاث أو
أربع وقدم معه أهل خوارزم وبخارا فقاتلوه شهرا من وجه واحد وهم محصورون وخاف
أهل الصغد طول الحصار فكتبوا الى ملك الشاش وخاقان واخشاد فرغانة ان العرب ان ظفروا بنا
أتوكم بمثل ما أتونا به فانظروا لانفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظروا وقالوا انما
نؤتى من سفلتنا فانهم لا يجدون كوجدنا فانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من ابناء
المرازبة والاساورة والابطال وأمروهم ان يأتوا عسكر قتيبة فيبيتوه فانه مشغول عنه بحصار
سمرقند وولوا عليهم ابنا لخاقان فساروا وبلغ قتيبة الخبر فانتخب من عسكره أربعمائة وقيل
ستمائة من أهل النجدة والشجاعة واعلمهم الخبر وأمرهم بالمسير الى عدوهم فساروا وعليهم
صالح بن مسلم فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم فجعل صالح له كمينين فلما مضى
نصف الليل جاءهم عدوهم فلما رأوا صالحا حملوا عليه فلما اقتتلوا شد الكمينان عن يمين وشمال فلم
ير قوم كانوا أشد من أولئك قال بعضهم انا لنقاتلهم اذ رأيت تحت الليل قتيبة وقد جاء سرا
فضربت ضربة أعجبتني فقلت كيف ترى بابي وأمي قال اسكت فض الله فاك قال فقتلناهم
فلم يفلت منهم الا الشريد وحوينا سلاحهم وسلاحهم واحتززنا رؤسهم وأسرنا منهم اسرى
فسألناهم عمن قتلنا فقالوا ما قتلتم الا ابن ملك أو عظيما أو بطلا كان الرجل يعدل مائة رجل
وكتبنا اسماءهم على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا فلم يأت أحد بمثل ما جئنا به من القتلى
والاسرى والخيل ومناطق الذهب والسلاح قال وأكرمني قتيبة وأكرم معي جماعة وظننت انه
رأى منهم مثل الذي رأى مني ولما رأى الصغد ذلك انكسروا ونصب قتيبة عليهم المجانيق فرماهم
وثلم ثلمة فقام عليها رجل فشتم قتيبة فرماه بعض الرماة فقتله فاعطاه قتيبة عشرة آلاف وسمع بعض
المسلمين قتيبة وهو يقول كانما يناجي نفسه حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان اما والله
لان أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية فانصرف ذلك الرجل وقال لاصحابه كم من نفس تموت

افسدت مع بعض خدامه فنفاها الى ناحية المغرب وأمر بان يبنى لها مدينة هنالك واسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته ثم مات وكانت مدة ملكه نيفا وسبعين سنة وملك بعده ابنه (هناوس) كان جبارا أثيما شيطانا رجيما آذى الناس وسفك الدماء واغتصب النساء وكان يفتض بناتهن قبل أزواجهن واستخرج كنوز آبائه وبنى قصورا من ذهب وفضة وبجر فيها الانهار وجعل حصباءها

المدينة عثمان بن حيان وقد تقدم سنة احدى وتسعين ولاية خالد مكة في قول بعضهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سبسطية والمرزبانين وطرسوس وفيها غزا مروان ابن الوليد فبلغ خنجرة وفيها غزا مسلمة الروم أيضا ففتح ماسيسة وحصن الحديد وغزالة من ناحية ملطية وفيها أجدب اهل افريقية فاستسقى موسى بن نصير فسقوا وفيها كتب الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز قبل ان يعزله يامره بضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير ويصب على رأسه ماء باردا فضربه خمسين سوطا وصب عليه ماء باردا في يوم شات ووقفه على باب المسجد فمات من يومه (خبيب بضم الخاء المعجمة وبائين موحدتين بينهما ياء تحتها نقطتان) وحج بالناس هذه السنة عبد العزيز بن الوليد وكان على الامصار من تقدم ذكرهم الا المدينة فان عاملها عثمان ابن حيان قدمها في شوال لليلتين بقيتا منه وقد تقدم ذكر ولاية خالد بن عبد الله مكة في سنة تسع وثمانين وفي سنة احدى وتسعين فقد ذكرنا انه وليها هذه السنة وفيها مات أبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو العالية البراء واسمه زياد بن فيروز وكان مولى لاعرابية من بني رياح وليس بأبي العالية الرياحي ذاك كان موته سنة تسعين وفيها مات بلال بن أبي الدرداء الانصاري قاضي دمشق

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين)

(ذكر قتل سعيد بن جبير)

قيل وفي هذه السنة قتل سعيد بن جبير وكان سبب قتله خروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج قد جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن الى رتبيل لقتاله فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خلع فلما هزم عبد الرحمن ودخل بلاد رتبيل هرب سعيد الى أصبهان فكتب الحجاج الى عاملها بأخذ سعيد فخرج العامل من ذلك فارسل الى سعيد يعرفه ذلك ويأمره بمفارقته فسار عنه فاتى اذربيجان فطال عليه القيام فاغتم بها فخرج الى مكة فكان بها هو واناس امثاله يستخفون فلا يخبرون أحدا أسماءهم فلما ولي خالد بن عبد الله مكة قيل لسعيد انه رجل سوء فلو سرت عن مكة فقال والله لقد فررت حتى استحييت من الله وسيجيئني ما كتب الله لي فلما قدم خالد مكة كتب اليه الوليد بحمل أهل العراق الى الحجاج فأخذ سعيد بن جبير ومجاهدا وطلق بن حبيب فارسلهم اليه فمات طلق بالطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج وكان سيرهم مع حرسيين فانطلق أحدهما لحاجة وبقي الآخر فقال لسعيد وقد استيقظ من نومه ليلا يا سعيد اني ابرأ الى الله من دمك اني رأيت في منامي فقيل لي ويلك تبرأ من دم سعيد بن جبير فاذهب حيث شئت فاني لا اطلبك فأبى سعيد فرأى ذلك الحرسي مثل تلك الرؤيا ثلاثا ويأذن لسعيد في الذهاب وهو لا يفعل فقدموا به الكوفة فأنزل في داره وأتاه قراء الكوفة فجعل يحدثهم وهو يضحك وبنية له في حجره فلما نظرت الى القيد في رجله بكت ثم ادخلوه على الحجاج فلما أتي به قال لعن الله ابن النصرانية يعني خالدا وكان هو ارسله اما كنت اعرف مكانه بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال يا سعيد ألم اشركك في امانتي الم أفعل ألم استعملك قال بلى قال فما أخرجك علي قال انما أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب مرة فطابت نفس الحجاج ثم عاوده في شيء فقال انما كانت بيعة في عنقي فغضب الحجاج وانتفخ وقال يا سعيد ألم أقدم

الشمس وحصل امثال ذلك من الغرائب التي يطول ذكرها ويقال انه نكح ثلثمائة امراة يبتغي منهن اولادا فلم يكن ذلك في عصره لان الارحام عقمت بامر الله تعالى لقرب زمان الطوفان وهلاك العالم وكثرت في زمانه الاسود حتى كانت تدخل البيوت وانقطعت الامطار وقل الماء في النيل وهلكت الزروع من الريح الحارة وكانت مدة ملكه اربعا وستين سنة وليس له ولد ولا

كانت سمرقند احقابا يمانية * فاليوم تنسبها قيسية مضر

وقال كعب الاشقرى وقيل رجل من جعفى

كل يوم يحوى قتيبة نهبا * ويزيد الاموال مالا جديدا
باهلى قد ألبس التاج حتى * شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصغد بالكتائب حتى * ترك الصغد بالعراء قعودا
فوليد يبكى لفقد أبيه * وأب موجع يبكى الوليدا

ثم رجع قتيبة الى مرو وكان أهل خراسان يقولون ان قتيبة غدر بأهل سمرقند فملكها غدرا وكان عامله على خوارزم اياس بن عبد الله على حربها وكان ضعيفا وكان على خراجها عبيد الله ابن أبى عبيد الله مولى مسلم فاستضعف أهل خوارزم اياسا فجمعوا له فكتب عبيد الله الى قتيبة فبعث قتيبة أخاه عبد الله عاملا وأمره ان يضرب اياسا وحيان النبطى مائة مائة ويحلقهما فلما قرب عبد الله من خوارزم أرسل الى اياس فانذره فتنحى وقدم عبد الله وأخذ حيان فضربه وحلقه ثم وجه قتيبة الجنود الى خوارزم مع المغيرة بن عبد الله فبلغهم ذلك فلما قدم المغيرة اعتزل ابناء الذين قتلهم خوارزمشاه وقالوا لا يعينك فهرب الى بلاد الترك وقدم المغيرة فقتل وسبى فصالحه الباقون على الجزية وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور

(ذكر فتح طليطلة من الاندلس)

قال أبو جعفر وفى هذه السنة غضب موسى بن نصير على مولاه طارق فسار اليه فى رجب منها واستخلف على افريقية ابنه عبد الله بن موسى وعبر موسى الى طارق فى عشرة آلاف فتلقاه وترضاه فرضى عنه وقبل عذره وسيره الى طليطلة وهى من عظام بلاد الاندلس وهى من قرطبة على عشرين يوما ففتحها وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود عليه السلام وما فيها من الذهب والجوهر والله أعلم به قلت لم يزد على هذا وقد ذكرت فى سنة اثنتين وتسعين من فتح الاندلس ودخول موسى بن نصير الى طارق ما فيه كفاية فلا حاجة الى اعادته الا ان أبا جعفر قد ذكر ان موسى هو الذى سير طارقا وهو بالاندلس ففتح مدينة طليطلة والذى ذكره أهل الاندلس فى تواريخهم ما تقدم ذكره

(ذكر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز)

قيل وفى هذه السنة عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن الحجاز والمدينة وكان سبب ذلك ان عمر كتب الى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل العراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى الوليد ان من عندى من المراق واهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة وان ذلك وهن فكتب اليه الوليد يستشيره فيمن يوليه المدينة ومكة فاشار عليه بخالد بن عبد الله وعثمان بن حيان فولى خالدا مكة وعثمان المدينة وعزل عمر عنهما فلما خرج عمر من المدينة قال انى أخاف ان أكون ممن نفته المدينة يعنى بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفى خبثها وكان عزله عنها فى شعبان ولما قدم خالد مكة أخرج من بها من أهل العراق كرها وتهدد من أنزل عراقيا أو آجره دارا واشتد على أهل المدينة وعسفهم وجار فيهم ومنعهم من انزال عراقى وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز كل من خاف الحجاج لجأ الى مكة والمدينة وقيل انما استعمل على

اطمارا تصفر باصناف اللغات المطربة لا تفتر وعمل فى وسط المدينة منارا عاليا من صفر عليه صورة انسان من صفر كلما مضت ساعة صاح ذلك صياحا عاليا فيعلم به دخول الساعات فى الليل والنهار وعمل منارا آخر وجعل على رأسه قبة من صفر مذهب والطخها بالطوخات فاذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة نارا تضىء لها اكثر المدينة ولا تطفيها الامطار ولا الرياح فاذا كان النهار قل ضوءها الضوء

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران امسى اعلقته الحبائل
فان تحي لي املك حياتي وان تمت * فما في حياة بعد موتك طائل

ورجع الى مرو وتفرق الناس فأتاه كتاب الوليد قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك واجتهادك في جهاد اعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك فاتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأني انظر الى بلادك والثغر الذي أنت فيه

*(ذكر وفاة الحجاج بن يوسف)

قيل ان عمر بن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الامصار ايام الوليد بن عبد الملك فقال الحجاج بالعراق والوليد بالشام وقرة بمصر وعثمان بالمدينة وخالد بمكة اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا فارح الناس فلم يمض غير قليل حتى توفي الحجاج وقرة بن شريك في شهر واحد ثم تبعهم الوليد وعزل عثمان وخالد واستجاب الله امره وما أشبه هذه القصة بقصة ابن عمر مع زياد بن ابيه حيث كتب الى معاوية يقول له قد ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة يعرض بامارة الحجاز فقال ابن عمر لما بلغه ذلك اللهم ارحنا من يمين زياد وارح اهل العراق من شماله فكان اول خبر جاء موت زياد وكانت وفاة الحجاج في شوال سنة خمس وتسعين وقيل كانت وفاته لخمس بقين من شهر رمضان وله من العمر أربع وخمسون سنة وقيل ثلاث وخمسون سنة وكانت ولايته العراق عشرين سنة ولما حضرته الوفاة استخلف على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج واستخلف على حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم فاقرهما الوليد بعد موته ولم يغير أحدا من عمال الحجاج

(ذكر نسبه وشيء من سيرته)*

هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف أبو محمد الثقفي قال قتيبة بن مسلم خطبنا الحجاج فذكر القبر فما زال يقول انه بيت الوحدة انه بيت الغربة و بيت كذا وكذا حتى بكى وأبكى ثم قال سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول سمعت مروان يقول في خطبته خطبنا عثمان فقال في خطبته ما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبر أو ذكره الا بكى وقد روى أحاديث غير هذا عن ابن عباس وأنس وقال ابن عوف كنت اذا سمعت الحجاج يقرأ عرفت انه طالما درس القرآن وقال أبو عمرو ابن العلاء ما رأيت أفصح من الحجاج ومن الحسن وكان الحسن افصح وقال عبد الملك بن عمير قال الحجاج يوما من كان له بلاء فليقم فلنعطه على بلائه فقام رجل فقال اعطني على بلائي قال وما بلاؤك قال قتلت الحسين قال فكيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا وهبرته بالسيف هبرا وما اشركت معي في قتله أحدا قال فانك لا تجتمع أنت وهو في مكان واحد ثم قال اخرج ولم يعطه شيأ قيل وكتب عبد الملك الى الحجاج يأمره بقتل اسلم بن عبد البكري بشيء بلغه عنه فاحضره الحجاج فقال أمير المؤمنين غائب وأنت حاضر والله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الآية والذي بلغه عني باطل فاكتب الى أمير المؤمنين الى أعول أربعا وعشرين امرأة وهن بالباب فاحضرهن فهذه أمه وهذه عمته وزوجته وابنته وكان في آخرهن جارية قاربت عشر سنين فقال لها من أنت منه قالت ابنته أصلح الله الامير ثم انشأت تقول

الطوفان وقع في زمانه وكان علا في الارض وتجبر وغصب الناس اموالهم وانفسهم ونساءهم وعمل مالم يعمله احد من الملوك قبله واسرف في القتل وهابته الملوك واقروا له بالطاعة وهو الذي كتب الى الدرشيل ملك بابل يشير اليه بقتل نوح عليه السلام فمنعه الله منه وكان عند اهل مصر علم بالطوفان فاتخذوا السراديب تحت الارض وصفحوها بالزجاج واتخذ الملك عدة منها له ولاهل بيته وكان رئيس

مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لامير المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة واليا فجددت البيعة فأخذت بيعتك لامير المؤمنين ثانية قال بلى قال فنكثت بيعتين لامير المؤمنين وتوفى بواحدة للحائك بن الحائك والله لاقتلنك قال انى اذا لسعيد كما سمتنى أمى فامر به فضربت رقبته فبدر رأسه عليه كمة بيضاء لاطية فلما سقط رأسه هلل ثلاثا أفصح بمرة ولم يفصح بمرتين فلما قتل التبس عقل الحجاج فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه يريد القيود فقطعوا رجلي سعيد من انصاف ساقيه وأخذوا القيود وكان الحجاج اذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول يا عدو الله فيما قتلتنى فيقول مالى ولسعيد بن جبير مالى ولسعيد بن جبير

(ذكر غزوة الشاش وفرغانة)

فى هذه السنة قطع قتيبة النهر وفرض على أهل بخارا وكش ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل فساروا معه فوجههم الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة فأتى خجندة فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ثم ان قتيبة اتى كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها واحرقوا أكثرها وانصرف الى مرو وقال سحبان يذكر قتالهم بخجندة

فسل الفوارس فى خجنـ * ـدة تحت مرهفة العوالى
هل كنت أجمعهم اذا * هزموا واقدم فى القتال
أم كنت اضرب هامة العـ * ـاتى واصبر للعوالى
هذا وأنت قريع قيـ * ـس كلها ضخم النوال
وفضلت قيسا فى الندى * وأبوك فى الحجج الخوالى
ولقد تبين عدل حكـ * ـمك فيهم فى كل حال
تمت مروأتكم وبا * نى عزكم غلب الجبال

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا العباس بن الوليد أرض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى برج الحمام ويزيد بن أبى كبشة أرض سورية وفيها كانت الزلازل بالشام ودامت أربعين يوما فخربت البلاد وكان عظم ذلك فى انطاكية وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفى أرض الهند وتوفى فى هذه السنة على بن الحسين فى أولها ثم عروة بن الزبير ثم سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام واستقضى الوليد على الشام سليمان بن حبيب وحج بالناس مسلمة بن عبد الملك وقيل عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وكان العامل بمكة خالد بن عبد الله وبالمدينة عثمان بن حيان وبمصر قرة بن شريك وبخراسان قتيبة من قبل الحجاج

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين)*

(ذكر غزوة الشاش)

قيل وفى هذه السنة بعث الحجاج جيشا من العراق الى قتيبة فغزا بهم فلما كان بالشاش أو بكشماهان أتاه موت الحجاج فى شوال منها فغمه ذلك وتمثل يقول

اخ ودفن فى الهرم وجعلت معه خزائنه فملكوا رجلا من اهل بيت الملك يقال له (ارمانيوس) فلما ملك سار بسيرة سلفه وكان له ابن عم يقال فرعان جد الجبابرة الذين لا يطاقون وهو اول فرعون سمى بهذا الاسم وسمى باسمه تشبيها به فعشقته بعض نساء الملك وراسلته بامر أة فامتنع فلم تزل به المرأة حتى ارضته ثم سمت الملك فى شرابه فقتلته وجلس (فرعان) على سرير الملك فلم ينازعه احد وكان .

ومات الوليد بن عبد الملك وولى سليمان بن عبد الملك فولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند
فاخذ محمدا وقيده وحمله الى العراق فقال محمد متمثلا

اضاعوني وأيّ فتى اضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فبكى أهل السند على محمد فلما وصل الى العراق حبسه صالح بن عبد الرحمن بواسط فقال

فلئن ثويت بواسط وبارضها * رهن الحديد مكبلا مغلولا
فلرب فتية فارس قد رعتها * ولرب قرن قد تركت قتيلا

وقال

ولو كنت أجمعت الفرار لوطّئت * اناث اعدت للوغى وذكور
وما دخلت خيل السكاسك أرضنا * ولا كان من عكّ عليّ أمير
وما كنت للعبد المزونى تابعا * فيالك دهر بالكرام عثور

فعذبه صالح في رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم وكان الحجاج قتل آدم اخا صالح وكان يرى رأى
الخوارج وقال حمزة بن بيض الحنفي يرثى محمدا

ان المروأة والسماحة والندى * لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة * ياقرب ذلك سوددا من مولد

وقال آخر

ساس الرجال لسبع عشرة حجة * ولداته اذ ذاك في اشغال

ومات يزيد بن أبي كبشة بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوما واستعمل سليمان بن عبد
الملك على السند حبيب بن المهلب فقدمها وقد رجع ملوك السند الى ممالكهم ورجع جيشبة
ابن ذاهر الى برهمناباذ فنزل حبيب على شاطئ مهران فاعطاه أهل الرور الطاعة وحارب قوما
فظفر بهم ثم مات سليمان واستخلف عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام
والطاعة على ان يملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاسلم جيشبة والملوك وتسموا باسماء
العرب وكان عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند فظفر ثم ان الجنيد
ابن عبد الرحمن ولى السند أيام هشام بن عبد الملك فأتى الجنيد شط مهران فمنعه جيشبة بن ذاهر
العبور وأرسل اليه انى قد اسلمت وولانى الرجل الصالح بلادى ولست آمنك فاعطاه رهنا
وأخذ منه رهنا على خراج بلاده ثم ترادا وكفر جيشبة وحارب وقيل انه لم يحارب ولكن الجنيد
تجنى عليه فأتى الهند فجمع جموعا واعد السفن واستعد للحرب فسار اليه الجنيد بالسفن
فالتقوا في بطيحة فاخذ جيشبة اسيرا وقد جنحت سفينته فقتله الجنيد وهرب صصة بن ذاهر
وهو يريد ان يمضى الى العراق فيشكو غدر الجنيد فلم يزل الجنيد يؤنسه حتى وضع يده في يده
فقتله وغزا الجنيد الكيرج وكانوا قد نقضوا فاتخذ كبشا وصك به سور المدينة فثلمه ودخلها
فقتل وسبى ووجه العمال الى المرمذ والمندل ودهنج وبروج وكان الجنيد يقول القتل في
الجزع أكبر منه في الصبر ووجه جيشا الى أزين فاغار واعليها وحرقوا ربضها وفتح البيلمان
وحصل عنده سوى ما حمل أربعين ألف ألف وحمل مثلها وولى الجنيد تميم بن زيد القيني فضعف
ووهن ومات قريبا من الديبل وفي ايامه خرج المسلمون عن بلاد الهند ورفضوا مراكزهم ثم
ولى الحكم بن عوام الكلبي وقد كفر أهل الهند الا أهل قصة فبنى مدينة سماها المحفوظة
وجعلها مأوى للمسلمين وكان معه عمرو بن محمد بن القاسم وكان يفوض اليه عظيم الامور

وظاهه مقبلا على لهوه وقد
ضاقت الدنيا باهلها وكثر
الهرج والقتل وفسدت
الزروع واجدبت البلاد
وظلم من العباد بعضهم بعضا
وجاء الطوفان واقبل المطر
عليهم يوم الاحد الرابع
والعشرين من شهر آذار
عاشر رجب وكان الملك
سكران فلم يتحرك من مكانه
حتى جرى الماء عليه فوثب
مبادرا يريد الحرم الذى
بناه فتلقت الارض وطلب
الاسراب فخانته رجلاه
وسقط على وجهه وبدت

أحجاج لم تشهد مقام بناته * وعماته يندبنه الليل اجمعا
أحجاج لم تقتل به ان قتلته * ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج من هذا يقوم مقامه * علينا فمهلا ان تزدنا تضعضعا
أحجاج اما ان تجود بنعمة * علينا واما ان تقتلنا معا

فبكى الحجاج وقال والله لا اعنت الدهر عليكن ولا زدتكن تضعضعا وكتب الى عبد الملك بخبر الرجل والجارية فكتب اليه عبد الملك ان كان الامر كما ذكرت فاحسن صلته وتفقد الجارية ففعل وقال عاصم بن بهدلة سمعت الحجاج يقول اتقوا الله ما استطعتم هذا والله مثنوية واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ليس فيه مثنوية والله لو أمرتكم ان تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلت لى دماؤكم ولا أجد أحدا يقرأ على قرأة بن ام عبد يعني ابن مسعود الا ضربت عنقه ولاحكنها من المصحف ولو بضلع خنزير وقد ذكر ذلك عند الاعمش فقال وانا سمعته يقول فقلت فى نفسى لاقرأنها على رغم انفك قال الاوزاعى قال عمر بن عبد العزيز لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم قال منصور سألنا ابراهيم الشعبى عن الحجاج فقال ألم يقل الله الا لعنة الله على الظالمين قال الشافعى بلغنى ان عبد الملك بن مروان قال للحجاج ما من أحد الا وهو عارف بعيوب نفسه فعب نفسك ولا تخبأ منها شيأ قال يا أمير المؤمنين انا لجوج حقود فقال له عبد الملك اذا بينك وبين ابليس نسب فقال ان الشيطان اذا رآنى سالمنى قال الحسن سمعت عليا على المنبر يقول اللهم ائتمنتهم فخانونى ونصحتهم فغشونى اللهم فسلط عليهم غلام ثقيف يحكم فى دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية فوصفه وهو يقول الزيال مفجر الانهار يأكل خضرتها ويلبس فروتها قال الحسن هذه والله صفة الحجاج قال حبيب بن ابى ثابت قال على لرجل لا تموت حتى تدرك فتى ثقيف قيل له يا أمير المؤمنين ما فتى ثقيف قال ليقالن له يوم القيامة اكفنا زاوية من زوايا جهنم رجل يملك عشرين أو بضعا وعشرين سنة لا يدع لله معصية الا ارتكبها حتى لو لم تبق الا معصية واحدة وبينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن أطاعه من عصاه وقيل احصى من قتله الحجاج صبرا فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا وقيل ان الحجاج مر بخالد بن يزيد بن معاوية وهو يخطر فى مشيته فقال رجل لخالد من هذا قال خالد بخ بخ هذا عمرو بن العاص فسمعها الحجاج فرجع وقال والله ما يسرنى ان العاص ولدنى ولكنى ابن الاشياخ من ثقيف والعقائل من قريش وانا الذى ضربت بسيفى هذا مائة ألف كلهم يشهد ان اباك كان يشرب الخمر ويضمر الكفر ثم ولى وهو يقول بخ بخ عمرو بن العاص فهو قد اعترف فى بعض أيامه بمائة ألف قتيل على ذنب واحد

(ذكر مافعله محمد بن القاسم بعد موت الحجاج وقتله)

لما مات الحجاج بن يوسف كان محمد بن القاسم بالملتان فأتاه خبر وفاته فرجع الى الرور والبغرور وكان قد فتحهما فاعطى الناس ووجه الى البيلمان جيشا فلم يقاتلوا واعطوا الطاعة وسالمه أهل سرشت وهى مغزى أهل البصرة وأهلها يقطعون فى البحر ثم أتى محمد الكيرج فخرج اليه دوهر فقاتله فانهزم دوهر وهرب وقيل بل قتل ونزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل وسبى قال الشاعر

نحن قتلنا داهرا ودوهرا * والخيل تردى منسرا فمنسرا

الكهنة اقليمون راى رؤيا واخبر فيها بالطوفان الى صاحب السفينة واقام فرعان الملك منهم مكانا فى ضلاله وظلمه فاستأذن اقليمون الملك بالسير الى بابل حتى ينظر فى امر نوح عليه السلام ويتناظر معه ثم يأتيه بالخبر فأذن له الملك فى ذلك فسار بأهله وولده وتلامذته حتى وصل الى نوح عليه السلام آمن به هو وجميع من معه ولم يزل هو ومن معه فى خدمة نوح عليه السلام الى ان ركبوا السفينة معه واقام فرعان منهم مكانا فى ضلاله

فاغزاه من المحفوظة فلما قدم عليه وقد ظفر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة فهى التى ينزلها الامراء واستخلص ما كان قد غلب عليه العدو ورضى الناس بولايته وكان خالد القسرى يقول واعجبا وليت فتى العرب يعنى تميما فرفض وترك ووليت ابخل العرب فرضى به ثم قتل الحكم وكان العمال يقاتلون العدو فكانوا يفتحون ناحية ويأخذون ما تيسر لهم لضعف الدولة الاموية بعد ذلك الى ان جاءت الدولة المباركة العباسية ونحن نذكر ان شاء الله أيام المامون بقية أخبار السند

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح هرقلة وغيرها وفيها فتح آخر الهند الا الكيرج والمندل وفى هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين وفيها قتل الوضاحى بارض الروم ونحو ألف رجل معه وفيها ولد المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس وحج بالناس هذه السنة كثير بن الوليد بن عبد الملك وكان عمال الامصار من تقدم ذكرهم وفيها مات أبو عثمان النهدى اسمه عبد الرحمن بن مل وكان عمره مائة وثلاثين سنة وقيل فى موته غير ذلك وفيها مات سعد بن اياس أبو عمرو الشيبانى وله مائة وعشرون سنة وفى امارة الحجاج مات سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى هذه السنة مات سالم بن أبى الجعد وفيها مات جعفر بن عمرو بن امية الضمرى وهو أخو عبد الله بن مروان من الرضاعة وفى امارة الحجاج قتل أبو الاحوص عوف ابن مالك بن نضلة الجشمى الكوفى قتله الخوارج

تم

(تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس واوله)
(ثم دخلت سنة ست وتسعين)

يخرون كما يخرون الى ان
اهلكه الطوفان ومن دخل
الاسراب منهم هلك بعضها
ويلحق الماء من اعلى الاهرام
الى اخر التربيع وهو ظاهر
عليها الى الآن وليس بين
اهل التاريخ اختلاف
فى عموم الطوفان بجميع
الارض

DUE DATE

٢٩٤٥٩

الكامل

DATE	NO

١٢٦٣٠